مُعِين
المُعَلِّم والمُتَعَلِّم

جمع وإعداد
الشّـيخ يوسـف الملّا

شركة دار المشاريع

الطّبعـة الثّانيـة
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١ر

شركة دار المشاريع

بيروت - لبنان
العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،
بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤(١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ ــ ١٤ بيروت ــ لبنان

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

«ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ وَبَقِيَتِ المُبَشِّرَاتُ»

هذه رؤية رأتها إحدى أخواتنا فأرادت أن ترويها لكم لتسرّ قلوبكم.

أريد أن أسرّ قلبكم رأيت في الرّؤيا أنّ أحد الشّركات أرسلت مندوبًا شابًّا ليختار كتابًا من دار المشاريع ففتّش فلم يجد الكتاب ثمّ أتى إلى مكتبي وكنت أعمل بكتابكم «مُعين المُعلِّم والمتعلِّم» فقال هذا هو فأخرج رسالتين من جيبه ووضعها على مكتبي واحدة مكافأة لي والثّانية فيها رسالة من النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام فيها مدح للكتاب ولي وقرأت كلمة صلى الله عليه وسلّم في الرسالة.

مقدمة الكتاب

الحمد لله ربّ العالمين، له الفضل وله النّعمة وله الثّناء الحسن، والصّلاة والسّلام الأتمّان الأكملان على سيّدنا محمّدٍ خيرِ الأنامِ، وعلى آله وصحابته الطّاهرين الأعلام.

أمّا بعدُ... فإنّ كتاب «مختصرُ عبد الله الهرريّ، الكافلُ بعلم الدّين الضّروريّ»، من أفضل وأهمّ الكتب الّتي تُعلِّمُ علم الدّين الضّروريّ، الّذي لا بدّ منه لكلِّ مكلّف.

وقد ذاع صِيتُهُ واشتهر في أرجاء المعمورة، وتلقَّفه طلّاب العلم لأهمّيّة ما حوى وتضمّن من علم الدّين الضّروريّ، وهو على اختصاره حمل في طيّاته فوائد دينيّةً مهمّةً، قلَّ أن يوجد كتاب مثله، وفّى وفاءه بموضوعه ومضمونه وثمراته. وزيادة في الفائدة وتسهيلًا على طلّاب علم الدّين، وتشويقًا لهم وترغيبًا في استيعاب وفهم مسائل هذا الكتاب، وعونًا للمُدرّس والدّاعي إلى الله في تدريس هذا الكتاب وشرحه وإيصال معلوماته إلى طلبة علم الدّين بطريقة سلِسة سهلة، فقد وضعتُ لكتاب «القول الجليّ في حلّ ألفاظ مختصر عبد الله الهرريّ» حواشٍ تتضمّن بعض سِيَر الأعلام وترجمتهم، وشرح المعاني اللّغوية، فضلًا عن ذكرِ شيءٍ من الأدلّة العقليّة والقرءانيّة والحديثيّة الّتي تُقوّي مواضيع ومسائل هذا الكتاب، كما وإنّي ألحقتُ فصول هذا الكتاب فوائد متنوّعة نافعة هادفة، حيث ذكرتُ شيئًا من قصص وأخبار الصّالحينَ والصّحابةِ، خصوصًا تلك الّتي تتعلّقُ بالتّرغيبِ والتّرهيبِ، لأخذ العبر والحِكم منها.

والدّافعُ الأكبرُ لي من ذلك ما لمست من الحاجة الماسّة لمثل تلك الأخبار والفوائد، حيث إنّ شيخي العالمَ الفقيهَ والوليَّ الزّاهدَ مولانا الشّيخَ عبد الله الهرريَّ رحمهُ الله وجزاهُ عنّا خير الجزاءِ حدَّثني أنّ الكثيرَ من النّاسِ الّذين يَحضرُونَ مجالسَ العلمِ الّتي يُبيَّنُ فيها الحلالُ والحرامُ يُحبّون أن

يسْمعوا الأحداث المشوّقة، لاسيّما تلك الّتي تتعلّق بسِيَر الصّحابة الأعلام والصّالحينَ الكرامِ الّتي فيها النُّكتُ أي المسائلُ والفوائدُ الدّينيّةُ والدّنيويةُ.

كتابنا أسميناهُ «**معينَ المُعلِّمِ والمتعلِّمِ**» ليكون عونًا لطالب العلم وطالب الآخرة لمعرفة ضروريّات علم الدّين، وأحببنا أن نجعل هذا الكتاب غنيًّا بذكر بعض القصص والفوائد حتّى ولو لم يكن البعض متعلّقًا بالموضوع، ليكون ذلك مُرغِّبًا ومشوِّقًا للمتعلّم ودافعًا ومُنَشِّطًا له للغرف من بُحور العِلم، والله أرجو أن يعينني على إصابة الهدف المرجوّ من هذا الكتاب، لأن طريقة الوصول إلى الأسماع هو الوصول إلى الأفئدة أولا، طالبين من أحبابنا وإخواننا الكرام «بأخوّة الإسلام» أن يهدوا إلينا ما يَرَوْنه جديرًا بالإضافة والحذف، وما نتج عن الخطإ والنّسيان فإنّ العصمة لأنبياء الله الكرام ورسله العظام، وجلَّ من لا يُخطئ وله الكمال سبحانه، طالبين من الله عزّ وجلّ أن يجعل كتابنا الشّامل لِمَا أردنا جمعه وترتيبه من الأعمال المتقبّلة الّتي لا ينقطع ثوابها بالموت، ولا توجب لصاحبها حسرات الفوت، غفر الله لي ولكل من عاونني على هذا الكتاب. كيف لا أدعو لهم ونحن في زمن قلّ فيه تعلُّم علم الدّين، وقلّتْ فيه التّقوى، وقلّ فيه طلبة علم الدّين الّذين يتلقَّوْن العلم من أفواه العُلماء العاملين، كما هو مشاهد وحاصل في هذا الزّمان، حيث انتشر فيه الجّهل والفساد عند كثير من النّاس.

واللهَ أسأل أن ينفع المعلّم والمتعلّم بهذا الكتاب، وأن يكون صدقة جارية لي ولشيخي، ننتفع بها في آخرتنا، كما أسأل الله تعالى بعملي هذا حسن الختام والمغفرة، والوفاة على كامل الإيمان لي ولوالديّ ولزوجتي ولذرّيّتي ولكلّ من ساعدني في إخراج هذا الكتاب، كما أرجو ممّن انتفع بكتابي هذا أن يدعو لي ولمشايخي ولأهلي ولإخواني بدعوة صالحة، والله وليّ التوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل.

أتعرفون من هو شيخي...

عاش قرابة المائة...

يعرف منها التّعب والهمّ بالتّحمّل والصّبر...

يعرف بها البكاء الكثير... والفرح القليل... بخوف الله تعالى وبطاعته...

غريبًا عنها...

لم يحبّ اللّعب منذ صغره... ولا اللّهو في كِبَره...

أحبّ مكابدة الجوع والعطش في صيام الهواجر والسّهر في قيام اللّيل...

ووافق نور النّهار بضياء العلم ينشره في ظلمات الجهل فيمحوها رويدًا رويدًا، حتّى تبلّجت شمس مَعارفه على النّاس فتبيّنوا الهدى واجتنبوا الردى، ومشَوا بما علّم وفهّم على صراط مستقيم ودليل قويم وبيان صريح... فوجدوا عنده بغية الطّالب ونشدوا العروج على مختصر سلّم التّوفيق... فارتقَوا بالتّعقب الحثيث لخطاه... ونال كلّ من العلم مبتغاه...

فكان درب السّلوك على هداه عمدة الرّاغب إلى المطالب الوفيّة... بما منّ الله عليه...

ولست أدري كيف يشبَّه بالجبال من كان يحمل الجبال من الرّجال بشؤونهم وشجونهم وأحمالهم وأثقالهم... هم وما يتحمّلون بين يديه ورعاية عينيه... وجود كفّيه وهو الّذي كلّما انفتحت له الدّنيا أعطاها ولم يأخذ... وكلّما وسعت له ضيّق عليها... وكلّما بسمت له بإقبال... عبس في إدبار...

أعطى العمر... لينال الأجر... وأنفق الأوقات كأكرم ما ينفق أحد في سبيل نيل الحسنات...

هو الرّجل الّذي لم تزلزله النّوائب والخطوب...

وهو العالم الّذي نشر الخير في طباق الأرض... وهو الوليّ العارف... الّذي ربَّى وهذَّب النّفوس والقلوب...

وهو الأخ الّذي يحنو على أخيه... والأب الّذي يعطف على بنيه... والصّديق الّذي لا يتخلّى عمّن يصادقه ويصافيه...

وهو العبد... الّذي أحنى صلبه... حتّى يُرضي ربه...

لله ذلّه وخضوعه وخشوعه... لله قيامه وسجوده وركوعه...

عرّفنا حقّ الله والتّعلّق بحبِّ الله...

هذا هو الّذي أمسك بأيدينا في ظلمة داجية... حتّى أدّانا إلى الفرقة النّاجية...

الذي فرح إذا أطعنا حتّى ليقول الرّائي لاستهلال البِشر في وجهه: إنّه يحبّنا أكثر ممّا نحبّ أنفسنا...

والذي حزن إذا عصينا حتّى يقول رائيه: إنّه يخاف علينا أكثر ممّا نخاف على أنفسنا...

اهتممنا لشأننا ولدنيانا ولمشاغلنا حتّى سألناه عمّا يعني وعمّا لا يعني...

وكلّما زدناه أحمالًا زادنا صبرًا وأفاد...

وكلّما زدناه آلامًا زرع فينا بحلمه آمالًا...

نحن الّذين فتح لنا أبواب السّعادة... فتباطأت منَّا الأقدام... وتلكّأت منّا الهمم... وتقاعست العزائم...

نحن الّذين أحببناه ذاك الحب... ولم نعامله كما ينبغي لمقامه العالي بعلو علمه...

حافظ علينا...

بغربته عن الدّنيا... وغربته عن وطن وأهل وعشيرة... حضن غربتنا فأبدلنا من الوحشة أُنسًا ومن الخوف أَمنًا... ومن الهموم طمأنينة... بإرشادنا وتربيتنا على دين الله الحنيف...

تأثّرناه (أي تبعناه)... فما دانيناه...

والتفت إلينا ينزع عنَّا شوك الدّنيا ويغسلنا من درنها وينتشلنا من الغرق في التّنعّم بها... وهو الّذي لم يلتفت لها حين نادته...

ولم يستكن إليها حين أغرته... عرف حقيقتها... وقال: اعرفوا... فمن عرف فهو معه... ومن لم يعرف فهو مجرد قائل إنّه على الطّريقة... وقد يموت ولا يدرك الحقيقة...

أكرمنا الله بأن نشهده ونجلس بين يديه... ونرى ونسمع كيف الزّهد على الصّفاء وكيف الفقه على النّقاء وكيف عزّ الإسلام في أئمّة الإسلام وعلمائه...

عظيمٌ فضلك إلٰهي... أن جعلتنا ممّن شهده وشهد له وعاملهُ وعاشره وتعلّم منه وتتلمذ عنده...

أرشدنا حيًّا... وأوصانا لنبقى كما يحبّ على الحقّ... على الشّرع... على المحجّة البيضاء... كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ثمّ استراح من الدّنيا وهمومها وأفاعيها وسمومها...

له صحائف نحسبها ريّا بالرّضوان... ونِعَمٌ نرجوها له في عُليا الجِنان... ونسأل الله له خير الجزاء والإحسان... كما أحسن إلينا... هذا هو...

عبدُ الله...

لم يكتفِ بعلماء بلدته وما جاورها بل جال في أنحاء الحبشة والصّومال لطلب العِلم وسماعه من أهله وللتّعليم أيضًا وله في ذلك رحلات عديدة لاقى فيها المشاق والمصاعب، غير أنّه كان لا يأبه لها بل كلّما سمع بعالِم شدَّ رحاله إليه ليستفيد منه وهذه عادة السّلف الصّالح، وساعده ذكاؤه وحافظته رحمه الله على التّعمّق في الفقه الشّافعيّ وأصوله ومعرفة وجوه الخلاف فيه، وكذا الشّأن في الفقه المالكي والحنفي والحنبلي حتّى صار يُشار إليه بالبنان ويُقصد وتشدُّ الرّحال إليه من أقطار الحبشة والصّومال حتّى أسند إليه الفتوى ببلده هرر وما جاورها. وكان في فترة شبابه يتنقل ويدور

على القرى والأرياف ماشيًا ليعلّم النّاس التّوحيد والأحكام فكان يغيب سنة فتظنّ والدته أنّه مات لطول غيابه وتبكي عليه ثمّ يأتي بعد ذلك. وإنّه رضي الله عنه لمّا عرف عداوة الملك له خاف أن يلحق الضّرر بالبلد وكان كثر تقتيل العلماء وذلك حوالي سنة **١٣٦٩**هـ - **١٩٤٩**ر فذهب إلى مكّة المكرّمة وحجّ، فتعرّف إلى عدد من علمائها كالشّيخ العالِم السيّد علوي المالكي. ثمّ رحل بعدها إلى المدينة المنوّرة واتّصل بعدد من علمائها، واجتمع بالشّيخ المحدّث إبراهيم الخُتَني تلميذ المحدّث عبد القادر شلبي وحصلت بينهم صداقة ومودّة، فبقي في المدينة مجاورًا مدّة من الزّمن. ثمّ رحل إلى بيت المقدس في أواخر سنة **١٣٧٠**هـ - **١٩٥٠**ر ومنه توجَّه إلى دمشق فاستقبله أهلها بالتّرحاب لا سيّما بعد وفاة محدّثها الشّيخ بدر الدّين الحسني رحمه الله، ثمّ سكن في جامع القطاط في محلّة القيمريّة وأخذ صيته في الانتشار فتردّد عليه مشايخ الشّام وطلبتها. وتعرَّف على علمائها واستفادوا منه وشهدوا له بالفضل وأقرُّوا بعلمه واشتهر في الدّيار الشّامية بـ«خليفة الشّيخ بدر الدّين الحسنيّ» وبـ«مُحَدّث الدّيار الشاميّة»، ثمّ تنقّل في بلاد الشّام بين دمشق وبيروت وحمص وحماه وحلب وغيرها من المدن السوريّة واللّبنانيّة إلى أن استقر ءاخرًا في بيروت.

- **مشايخه:**

أخذ في هرر عن والده محمّد بن يوسف، وعن الشّيخ العالم عليّ شريف القرءان الكريم حفظًا وتجويدًا وترتيلًا وعلم التّوحيد، وعن العالم النّحرير الشّيخ الوليّ محمّد بن عبد السّلام الهرريّ الفقه الشّافعيّ والنّحو، وقرأ على الشّيخ إبراهيم بن أبي الغيث الهرريّ كتاب «عمدة السّالك وعدة النّاسك» لأحمد بن النّقيب الشّافعيّ، وعلى الشّيخ الصّالح أحمد الضّرير الملقّب بالبصير، النّحوَ والصّرف والبلاغة، وأخذ عن الشّيخ بشرى گوراگي علم العروض والقوافي، وغيرهم كثير ممّن يعسر حصره هنا. أما في المدينة المنوّرة فاجتمع بالشّيخ المحدّث محمّد عليّ أعظم الصّديقي البكري الهندي الأصل ثمّ المدني الحنفي. وقرأ في بلاد الشّام على الشّيخ المقرئ فايز

الدّير عطاني نزيل دمشق، وقرأ على الشّيخ محمّد العربي العزوزي الفاسي نزيل بيروت الموطّأ وسمع منه بعضًا من مسند أحمد والمسلسل بالأولية وأجازه.

- **وفاته:**

اشتدّ عليه المرض فألزمه البيت بضعة أشهر حتّى توفّاه الله تعالى فجر يوم الثّلاثاء في الثّاني من شهر رمضان سنة **١٤٢٩**هـ الموافق الثّاني من شهر أيلول سنة **٢٠٠٨**ر، ودفن في بيروت.

رحمه الله أن علّمنا نهج الأنبياء وطريق الأولياء والصّالحين، وأنقذنا من الفساد والظّلام، ونوّرنا بعلمه وأدّبنا بأفعاله، فنهجه وإن رحل عنّا بجسده في قلوبنا يحيا، نعمل بما علّمنا إن شاء الله وبما أوصانا به من نشر عقيدة أهل السّنّة والجماعة، جمعنا الله تعالى به وبالنبيّ الكريم ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة القول الجلي

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وسلّم. أمّا بعد فإنّ كتاب «مختصر عبد الله الهرريّ الكافل بعلم الدّين الضّروريّ» من الكتب الّتي ذاعت في أرجاء المعمورة شهرتها، وهو على اختصاره مشحون بالفوائد، وقد بارك الله تعالى فيه، بحيث لا يعيد الطّالب قراءته ولا العالم شرحه إلّا ويحصّلان من الفوائد ما لم يكونا قد حصّلاه من قبل[١]، فلهذا ولأنّه متعلّق بالفرض العينيّ من علم الدّين، رأينا وضع حلٍّ لألفاظه مختصرًا يزيد ألفاظه جلاءً، ويسهّل للطالب المبتدئ فهمَ معانيها، على هيئة شرح موجز ممزوج بالمتن، استمددنا أغلبه من شرح المصنّف لمختصره المطبوع في مجلّدين والمسمّى «بغية الطّالب لمعرفة العلم الدّينيّ الواجب». وقد

(١) ينبغي للمعلّم أن يتخلّق بالمحاسن الّتي أوردها الشّرع، وبالخصال الحميدة، والشّيم المرضيّة، والسّخاء والجود، ومكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه، والحلم والصّبر، والخشوع والسّكينة، والوقار والتّواضع، وعدم الإكثار من الضّحك والمزح، وأن يراقب الله تعالى في سرّه وعلانيته، أي أن يستديم الخوف من الله تعالى بقلبه، بتجنب ما حرّم الله، وتجنّب الغفلة عن أداء ما أوجب عليه. وينبغي أن يرفق بمن يقرأ عليه وأن يرحّب به ويحسن إليه بحسب حاله، وأن يبذل له النّصيحة، وينبغي أن يشفق عليه ويصبر على جفائه وسوء أدبه. كما ينبغي أن يحبّ له ما يحبّ لنفسه من الخير، وأن يكره له ما يكره لنفسه من النّقص، وأن يصون يديه في حال الإقراء عن العبث، ويقعد على طهارة مستقبلًا القبلة، ويجلس بوقار وتكون ثيابه بيضاء نظيفة. أمّا المتعلّم فمن آدابه أن يتجنّب الأسباب الشّاغلة عن التّحصيل إلّا سببًا لا بدّ منه للحاجة. وينبغي أن يطهّر قلبه من الأدناس، فقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال «**أَلَا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وهِيَ القَلْبُ**» متّفق عليه. وينبغي أن يتواضع لمعلّمه ويتأدّب معه وإن كان أصغر منه سنًّا وأقلّ شهرة ونسبًا، وأن ينقاد لمعلّمه ويشاوره في أموره، ولا يتعلّم إلّا ممّن كملت أهليّته وظهرت ديانته وتحقّقت معرفته.

أسمينا كتابنا «القول الجليّ في حلّ ألفاظ مختصر عبد الله الهرريّ[١]» وأطلعنا عليه لجنة من المشايخ الأفاضل فراجعوه وتفضّلوا علينا بملاحظات قبل تسليم الكتاب للطّبع، فجزاهم الله خيرًا وبارك فيهم، والله الموفّق وعليه التّكلان.



(١) هو العالم الجليل، قدوة المحقّقين وعمدة المدقّقين الإمام المحدّث التّقي الزّاهد الشّيخ أبو عبد الرّحمٰن عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد الله الهرريّ العربي الشيبيّ العبدريّ مفتي هرر رحمه الله، ولد في مدينة هرر في أثيوبيا حوالي سنة ١٣٣٩هـ - ١٩١٠ر، تبحّر في علوم الفقه والتّفسير والحديث واللّغة والأصول وغيرها، فضلًا عن حفظ القرءان ومتون العلوم، شغف بطلب العلم ولقاء العلماء منذ الصّغر، فقصد مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة وبلاد اليمن ومصر وسوريا ولبنان والأردن للتعلّم والتّعليم، ومدحه علماء عصره في بلاد الشّام والمغرب والهند وتركيا ومصر واليمن وداغستان والشيشان والكثير من البلدان.

الدّرس الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أيْ أبْتدِئُ تصْنِيفِي لِهذا الْكِتابِ بـ (**بِسْمِ اللهِ الرّحْمٰنِ الرّحِيمِ**) أيْ ذاكِرًا لهُ مُتبرّكًا بِهِ مع (**الْحمْدُ للهِ ربّ الْعالمِين**) أيِ الْمالِكِ لِكُلّ ما دخل فِي الْوُجُودِ (**الْحيّ الْقيُّومِ الْمُدبّرِ**) أيِ الْمُقدّرِ (**لِجمِيعِ**) ذواتِ (**الْمخْلُوقِين**) وأفْعالِهِمْ وأقْوالِهِمْ وأحْوالِهِمْ (**والصّلاةُ والسّلامُ الأتمّانِ الأكْملانِ على سيّدِنا مُحمّدٍ وعلى ءالِهِ وصحْبِهِ**) الطّيّبِين الطّاهِرِين.

(**وبعْدُ فهذا**) كِتابٌ (**مُخْتصرٌ**) أيْ قلِيلُ الألْفاظِ كثِيْرُ الْمعانِيْ (**جامِعٌ لأغْلبِ الضّرُورِيّاتِ**) مِنْ عُلُوْمِ الدّينِ[1] (**الّتِي**) لا يُسْتغْنى عنْها و(**لا يجُوزُ لِكُلّ مُكلّفٍ جهْلُها مِنْ**) أُمُورِ (**الِاعْتِقادِ ومسائِل فِقْهِيّةٍ مِن الطّهارةِ إلى الْحجّ**) بِما يشْملُ الصّلاة والزّكاة والصّيام (**وشيْءٍ**) قلِيلٍ (**مِنْ أحْكامِ الْمُعاملاتِ**) كالإجارةِ والْقِراضِ والرّهْنِ ونحْوِها مع بيانِ حُكْمِ الرّبا وبعْضِ الْبُيُوعِ الْمُحرّمةِ (**على مذْهبِ الإمامِ**) الْمُجْتهِدِ[2] العالم مُحمّدِ بنِ

---

(١) إنّ الأمانة في العلم أهمّ من الأمانة في المال فينبغي للإنسان أن يكون محتاطًا في كلامه، وينبغي أن يعمل بما قال سيّدنا عبد الله بن عمر بن الخطّاب: «العلم ثلاثة كتاب ناطق، وسنّة ماضية، ولا أدري» كتاب ناطق أي القرءان، وسنّة ماضية أي حديث ثابت.

(٢) الاجتهاد: هو استخراج الأحكام الّتي لم يرد فيها نصّ صريح لا يحتمل إلّا معنى واحدًا. فالمجتهد هو من له أهليّة استخراج الأحكام الّتي لم يرد فيها نصّ صريح في القرءان والسّنة، وذلك بأن يكون حافظًا لآيات الأحكام، وأحاديث الأحكام، مع معرفة أسانيدها، ومعرفة أحوال رجال الإسناد، ومعرفة النّاسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيّد، مع إتقان اللّغة العربيّة، بحيث إنّه يحفظ مدلولات ألفاظ النّصوص،=

إِدْرِيس (**الشّافِعِيّ**) الْقُرشِيّ الْمُطّلِبِيّ رضِي الله تعالى عنْهُ، الْمولُودِ سنة مِائةٍ وخمْسِين لِلْهِجْرةِ، والْمُتوفّى سنة مِائتيْنِ وأرْبعٍ[1].



أسماء مضيئة في سمانا استحقّت الرّفعةَ في عليانا

سيّدنا الشّافعيّ رضي الله عنه
لما أفتى وعمره نحو خمس عشرة سنة

الإمام الشّافعيّ رضيَ اللهُ عنهُ هو الإمام المجتهد ناصر السّنة المجدّد على رأس المائة الثانية أبو عبد الله محمّد بن إدريس قيل له الشّافعيّ نسبة لشافع جدّه الثّالث الّذي كان صحابيًّا ابن صحابي.

عندما كان عُمْرُ الشّافعيّ رضيَ اللهُ عنهُ نحو أربع عشرة أو خمس

= على حسب اللّغة الّتي نزل بها القرءان، ومعرفة ما أجمع عليه المجتهدون، وما اختلفوا فيه، لأنّه إذا لم يعلم ذلك لا يؤمن عليه أن يخرق الإجماع، أي إجماع من كان قبله. ويشترط فوق ذلك شرط، وهو ركن عظيم في الاجتهاد، وهو فقه النّفس، أي قوّة الفهم والإدراك. ويشترط في المجتهد أيضًا العدالة، وهي السّلامة من الكبائر، والسّلامة من المداومة على الصّغائر، بحيث تغلب على حسنات الشّخص من حيث العدد. وأمّا المقلّد فهو الّذي لم يصل إلى هذه المرتبة. «الغزاليّ، المستصفى في علم الأصول، (٢/ ١٨٠) وما بعدها».

(١) الإمام المجتهد محمّد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع بن السّائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وإنما قيل له الشّافعيّ نسبةً إلى شافع بن السّائب وهو صحابي ابن صحابي. ولد بغزّة هاشم وقيل باليمن سنة خمسين ومائة من الهجرة وتوفّى بمصر ليلة الخميس وقيل ليلة الجمعة من سلخ رجب سنة أربع ومائتين رحمه الله رحمة واسعة. انظر مناقب الشّافعيّ لابن حاتم ومناقب الشّافعيّ للبيهقي.

عشرة سنة كان يَدْرُس العلم عند الإمام مالك بالمدينة المنوّرة، فاتّفق أنّ رجلًا جاء إلى مالك فقال له: «إنّي حلفت بالطّلاق أنّ هذا القُمْرِيَّ لا يهدأ من صياح». فنظر مالك، فأدّاه نظره واجتهاده إلى أنّ هذا الإنسان حنث في حلفه، فطلقت امرأته، لأنّ القُمرِيّ لا بدّ أن يهدأ من صياح، ليس كلّ ساعة يصيح، فأفتاه بطلاق امرأته. فعلم الشّافعيّ بهذه الفتوى فلم يوافق عليها، قال الشّافعيّ: مراده بقوله إنّ هذا القُمرِيّ لا يهدأ من صياح أنّه كثير الصّياح، ليس معناه أنّه ليست له فترة يسكت فيها من الصّياح، فأفتاه بعدم وقوع الطّلاق، لأنّه في أكثر أحواله يصيح، وفي بعض منها لا يصيح، فلم يحصل الطّلاق لأنّه في العرف يقال له: «لا يهدأ من صياح» فلم يحنث في حلفه، فقال له: «لم تطلق امرأتك»، الشّافعيّ أخذ هذا الحكم من حديث صحيح الإسناد أنّ نبيّ الله ﷺ: «جاءته امرأة فاستشارته في رجلين خطباها أحدهما يقال له أبو جَهْم والآخر هو معاوية، فقال لها الرّسول عليه الصّلاة والسّلام من باب النّصيحة: «**أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ**» يعني أنّه ضرّاب للنّساء «**وأَمَّا مُعاويةُ فَصُعلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ عَليكِ بِفُلانٍ**» سمّى لها شخصًا ثالثًا، رواه مسلم. الشّافعيّ من هذا الحديث استخرج أنّ هذا القُمرِيّ ليس كلّ وقته لا يهدأ من الصّياح إنّما المراد أنّه كثير الصّياح، ما دام مستيقظًا الصّياح يغلب عليه، صياحه يغلب على سكوته، فلا يحنث هذا الرّجل الّذي علّق طلاق زوجته، كما أنّ الرّسول ﷺ لمّا قال: «**أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ**» ما أراد أنّه في حال النّوم وفي حال الأكل والشّرب وفي حال الصّلاة يظلّ حاملًا عصاه على عاتقه، ما عنى ذلك. إنّما عنى أنّه كثير الحمل للعصا، يغلب عليه حمل العصا على عاتقه، فالشّافعيّ من هنا استخرج فتوى لهذا الرجل.

فرجع الرّجل إلى مالك فقال له: «إنّ هٰهنا فتى يقول لم تطلق

امرأتك» فقال: «عليّ به»، فحضر الشّافعيّ، فقال: «من أين قلت ما قلت؟» فقال له: «من الحديث الّذي أنت حدّثتنا: أنّ فاطمة بنت قيس جاءت إلى الرّسول ﷺ فقالت: «إن أبا جَهْم ومعاوية خطباني» فقال الرّسول عليه الصّلاة والسّلام: «**أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَإِنَّهُ لَا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ**»، أنا من هذا الحديث أخذت». فسكت مالك ما عارضه لأنّه وجد معه حجّة. هنا قريحة الشّافعيّ الّذي هو تلميذ مالك كانت أقوى من قريحة مالك.

نبغ الشّافعيّ نبوغًا عظيمًا وعلا شأنه وسما عِلمهُ، وقد تحقّق فيه قول الرّسول عليه الصّلاة والسّلام في الحديث الشّريف: «**لَا تَسُبُّوا قُرَيْشًا فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلَأُ طِبَاقَ الأَرْضِ عِلْمًا**» رواه التّرمذيّ ومن أقواله في العقيدة الحقّة ما نقله عنه الزبيديّ في كتاب «إتحاف السّادة المتّقين» أنّه قال ما نصُّه: «إنّه تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان، وهو على صفة الأزليّة كما كان قبل خلقه المكان، لا يجوز عليه التّغيّر في ذاته ولا التّبديل في صفاته» اهـ. وروى الحافظ السّيوطي في كتابه الأشباه والنّظائر عن الإمام الشّافعيّ أنّه قال: «المُجَسِمُ كافِر». وقال أيضًا: «من انتهض لمعرفة مُدّبّره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فِكره فهو مُشَبّه، وإن اطمأنّ إلى العدم الصّرف فهو معطّل، وإن اطمأنّ إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو مُوَحّد». انتهى كلام الإمام الشّافعيّ.



السّلامة بالاستقامة والخلاص بمنتهى الإخلاص

إخلاصُ العمل لله

اعلم أرشدنا الله وإيّاك أنّه سبحانه ما خلق الإنس والجنّ إلّا لعبادته وجعل حقيقة الفضل التّقوى، فلم ينظر إلى جسمك ولا إلى صورتك وإنّما إلى قلبك «أمير الجوارح» فعليك أخي المؤمن إصلاحه بالوقوف على الآداب الشّرعية ظاهرًا وباطنًا وأن تكون مخلصًا أعمالك لله وحده إخلاصًا بالغًا تامًّا بدرب الاستقامة واحذر. تَوقّ بئس الدّاء الرّياء وهي كلمة مشتقّة من الرّؤيا وهو أن يعمل ليراه النّاس. والسّمعة: مشتقّة من السّمع وهو أن يعمل ليسمع به النّاس، وهو عبارة عن إظهار وإبراز شيء من الأعمال الصّالحة أو الصّفات الحميدة أو العقائد الحقّة الصّحيحة لأجل مدح النّاس والاشتهار بينهم بالصّلاح والاستقامة والأمانة والتّديّن، بدون نيّة صحيحة صادقة بأن يكون عمله لوجه الله، الطّريق للنّاظرين واضح، وديننا للقاصدين بالعلم ناصح، فليكن عملك خالصًا لوجهه الكريم بنيّة صادقة صافية خالية من الرّياء الوخيم.

ومن الأمراض المستشرية: دنيا مؤثرة، عجب وإعجاب بالرّأي، حبّ الظّهور، وشهوة التّصدّر، والرّغبة في الشّهرة، والعلوّ على الأقران ابتغاء رضا ومدح النّاس، هذه الأدواء المهلكة تورث المعصية وتعرقل السّير والإقدام في طريق العبادة الحقّة، هذه العبادة الّتي وجب أن تكون خالصة لوجهه الكريم ابتغاء رضوانه واتّقاء سخطه وغضبه، وقد تضافرت على حرمة الرّياء كثير الأدلّة، وقد أسماه نبيّنا ﷺ «الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» وهو المرض الحقيقيّ للقلب ملك الجوارح، وأسماه:

«الشِّرْكُ الخَفِيَّ» فما خفي لم يعرف إلّا بشدّة المراقبة لله والإخلاص وحسن التّحقّق من العمل وشدّة الصّدق مع صفاء النّفس.

نعم... الرّياء لا يُخرِج من الإسلام ولكنّه يُنقِص الإيمان يُحبِط ثواب العمل يحرم مريده الثّواب فُيضَيّع طريق الصواب... ف

احذر أخي هذا المرض المستفحل، جاهد واحترز واحرص على قلبك حتّى لا تُفتَن وتنحر وتزيغ وأنت في ثنايا العمل.. وتوجّه بخالص الإخلاص قلبًا وقالبًا لله تعالى، إذا خفت على عملك فتذكّر رضا مَن تطلب وبأيّ نعيم ترغب وأيّ نار ترهب لتصغر الدّنيا في عينيك، ولا تغفل عن يوم تتوسّد فيه اللّحد منفردًا ينجيك عملك الصّالح الصّافي الخالص لوجه الله جلّ وعلا..

دعاء

من الدُّعاء أن يقال: «**اللَّهمَّ أصلِح لي ديني الّذي هو عِصمَةُ أمري، وأصلِح لي دنيايَ الّتي فيها معاشي، وأصلِحْ لي آخرتي الّتي فيها معادي، واجعلِ الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خيرٍ، واجعلِ الموتَ راحة لي من كلِّ شرٍّ**».

الدّرس الثاني

(**ثُمّ بيانِ**) الْواجِباتِ الْقلْبِيّةِ و(**معاصِي الْقلْبِ والْجوارِحِ**) جمْعُ جارِحةٍ وهِي أعْضاءُ الإِنْسانِ (**كاللّسانِ**[١] **وغيْرِهِ**) مِنْ بطْنٍ وعيْنٍ وأُذُنٍ ويدٍ وفرْجٍ ورِجْلٍ، ثُمّ بيانِ معاصِي الْبدنِ لِيُخْتم الْكِتابُ بِفصْلٍ عُقِد لِبيانِ التّوْبةِ. (**الأصْلُ**) الّذِي أخذ مِنْهُ الْمُؤلّفُ كِتابهُ الْمُخْتصر هُو كِتابُ «سُلّم التّوْفِيقِ إِلى محبّةِ اللهِ على التّحْقِيقِ» (**لِبعْضِ الْفُقهاءِ الْحضْرمِيّين وهُو**) الْعالِمُ الْفقِيهُ الشّيْخُ (**عبْدُ اللهِ ابنُ حُسيْنِ بنِ طاهِرِ**)، بنِ مُحمّدِ بنِ هاشِمٍ الشّافِعِيُّ الْعلوِيُّ الْمولُودُ سنة ألْفٍ ومِائةٍ وإِحْدى وتِسْعِين، والْمُتوفّى سنة ألْفٍ ومِائتيْنِ واثْنتيْنِ وسبْعِين[٢]، اخْتُصِر كِتابُهُ (**ثُمّ ضُمّن زِياداتٍ كثِيرةً مِنْ نفائِسِ الْمسائِلِ**) تكْشِفُ مكْنُوناتِ هذا الْكِتابِ وتُوضِحُهُ (**مع حذْفِ ما ذكرهُ**) الشّيْخُ عبْدُ اللهِ بنُ حُسيْنٍ (**فِي التّصوُّفِ**)[٣] لأنّ الْمُخْتصِر رحِمهُ الله أراد أنْ يجْمع فِي هذا الْكِتابِ الضّرُرِيّاتِ مِنْ عِلْمِ الدّينِ[٤]

---

(١) عن الأحنف قال: قال لي عمر بن الخطّاب: «يا أحنف من كثر ضحكه قلّت هيبته ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قلّ حياؤه ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه ومن قلّ ورعه مات قلبه».

(٢) راجع معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (٢/ ٢٣٧).

(٣) عُرف لفظ الصّوفية في أواخر أيّام السّلف، وممّن كان من الصّوفية أبو عبد الرّحمٰن السُّلمي حيث كان السُّلمي من المحدّثين وكان قبل الرّفاعي، هذا نفى الحلاّج وذمّه. ثمّ اشتهرت الطّرق الصّوفية على أنّ أكثرها متفرّعة من الرّفاعيّة والقادرية.

(٤) في صحيح البخاري ومعجم الطّبراني الكبير بالإسناد المتّصل من حديث أبي هريرة عند البخاري ومن حديث حُذيفة بن اليَمان عند الطّبراني أنّ نبيّ الله ﷺ قال عن ربّه: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**». هذا الحديث دليل على أنّ العناية بما افترض الله على عباده خير من العناية بالنّوافل الّتي لم يفترضها عليهم، فإهمال جانب الفرائض والانشغال بالنّوافل من علامات الغرور، لذلك قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه على البخاري: «قال بعض الأكابر:=

وهذِهِ الأُمُورُ ليْستْ مِنْها[١].

(و) مع (تغْيِيرٍ لِبعْضِ الْعِباراتِ) بِعِباراتٍ أوْضح (مِمّا لا يُؤدّي إِلى خِلافِ الْموْضُوعِ) قال رحِمهُ الله (وقدْ نذْكُرُ ما رجّحهُ بعْضٌ مِن الْفُقهاءِ الشّافِعِيّين كالْبُلْقِينِيّ) الإِمامِ سِراجِ الدّينِ عُمر بنِ رسْلان الْموْلُودِ سنة

= «مَن شَغَلَهُ الفَرْض عن النّفل فهو مَعْذورٌ وَمَن شَغَلَهُ النّفلُ عَنِ الفَرضِ فَهُوَ مَغرُورٌ». ومِن علامة المفلح أن يكون اهتمامه بما افترض الله عليه واعتناؤه بذلك فوق اعتنائه بالنّوافل، وممّا افترض الله على عباده تعلّم العلم الدّينيّ الضّروريّ، هذا الّذي فرضه الله على كلّ بالغ عاقل، كلّ من بلغ وكان بصفة العقل فهو مسؤول يوم القيامة عن تعلّم علم الدّين الضّروريّ، لأنّ علم الدّين قسمان:

قسم يجب على كلّ مكلّف أي بالغ عاقل تعلّمه فمن لم يتعلّمه فهو عاصٍ فاسق، وهو ما يتعلّق بمعرفة الله ورسوله وسائر أصول الدّين وما يتعلّق بالصّلاة أي الصّلوات الخمس وصيام رمضان، هذا فرض عين لا يستغني أحد من المكلّفين عنه، كذلك معرفة أعمال القلوب لأنّ القلب له أعمال منها ما هي عبادات تقرّب إلى الله ومنها ما هي معاصٍ تبعد عن الله. ثمّ إنّ ممّا هو فرض معرفته على كلّ مكلّف هو المعاصي الّتي تتعلّق بالعين واللّسان والأذن واليد والرّجل والبطن ونحو ذلك. فمن هنا فرض على كلّ مكلّف أن يعرف المال الحلال من المال الحرام، لأنّ الإنسان يصل إليه مال حلالٌ ومال حرام، إذا لم يعرف ما هو المال الحلال في الشّرع وما هو المال الحرام في شرع الله يقع في استعمال المال الحرام.

هذا هو العلم الضّروريّ الّذي لا يجوز لأحد من البالغين العاقلين الجّهل به، هذا الّذي من لم يتعلّمه يكون مؤاخذًا في الآخرة لأنّ السّؤال يوم القيامة كما ورد في جامع التّرمذي وغيره من كتب الحديث بالإسناد الصّحيح عن نبيّ الله ﷺ أنّه قال: «**لا تَزولُ قَدَما عَبْدٍ يَومَ القِيامَةِ حتَّى يُسأَلَ عن أَربَع، عن عُمُرِهِ فيما أَفنَاهُ وعَنْ جَسَدِهِ فيما أَبْلاهُ وعَنْ عِلمِهِ ماذا عَمِلَ فيهِ وعن مالِهِ مِن أينَ اكتَسَبهُ وفيما أنفَقَهُ**». المال فيه مسؤوليّة كبيرة في الآخرة، من أين أخذت هذا المال من حلال أم من حرام، وفيما صرفت هذا المال في حلال أم في حرام.

وأمّا القسم الآخر من علم الدّين فهو فرض كفاية، وهو القدر الّذي هو فرض على بعض المؤمنين لا على جميع المكلّفين، هو العلم الّذي يزيد على حاجات هذا الشّخص لنفسه من ضروريّات علم الدّين، وهو القدر الّذي يصلح لأن يفتي غيره، القدر الّذي يحتاج إليه للحادثات الّتي تحدث للنّاس ويحتاجون للفتوى بها.

(١) الشّيخ رحمه الله تعالى أورد في مختصره أمورًا ليست من الضّروريّات لفائدةٍ رآها.

سبْعِمائةٍ وأرْبعٍ وعِشْرين والْمُتوفّى سنة ثمانِمائةٍ وخمْسٍ[١] (لِتضْعِيفِ ما) ذُكِر (فِي الأصْلِ فينْبغِي) على الْمُكلّفِ (عِنايتُهُ بِهِ) أيْ بِالْمُخْتصرِ بِأنْ يتلقّاهُ ويدْرُسهُ ويُعِيد مسائِله إِلى أنْ يحْفظها وترْسخ فِي قلْبِهِ وذلِك مع إِخْلاصِ النّيّةِ للهِ تعالى (لِيُقْبل عملُهُ) عِنْد اللهِ. (أسْميْناهُ مُخْتصر عبْدِ اللهِ الْهرِرِيّ الْكافِلِ بِعِلْمِ الدّينِ الضّرُورِيّ) وهُو الْعِلْمُ الشّامِلُ لِمعْرِفةِ اللهِ ومعْرِفةِ رسُولِهِ ﷺ وغيْرِ ذلِك مِنْ ضرُورِيّاتِ الِاعْتِقادِ والشّامِلُ أيْضًا لِمعْرِفةِ أحْكامِ الْعِباداتِ[٢] وغيْرِ ذلِك مِنْ ضرُورِيّاتِ عِلْمِ الدّينِ.

العلمُ نورُ العقول ضياءُ البصائر طريقُ الوصول لكلِّ حائر

حرصُ عبد اللهِ بنِ عبّاسٍ على العلمِ

هو الصّحابيّ الجليل والإمام النّحرير ترجمان القرءان وإمام المفسّرين القدوة الحجّة الثّبت الثّابت ابن عمّ رسول الله ﷺ.

---

(١) سراج الدّين عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلانيّ الأصل، ثمّ البلقيني المصريّ الشّافعيّ، أبو حفص، سراج الدّين. مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدّين. وُلد في بلقينة (من قرى مصر) وتعلّم بالقاهرة. ووُلّي قضاء الشّام سنة ٧٦٩هـ، وتُوفّي بالقاهرة. من كتبه: «التدريب» في فقه الشّافعيّ، لم يتمه، و«تصحيح المنهاج» ست مجلدات. ولد سنة ٧٢٤هـ ليلة الجمعة ثاني عشر شعبان سنة أربع وعشرين وسبعمائة قيل إنّه اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها فقيل إنّه مجدد القرن التاسع أو الثامن توفّي بالقاهرة نهار الجمعة حادي عشر ذي القعدة سنة ٨٠٥هـ. انظر شذرات الذّهب، منشورات دار الآفاق الجديدة (٧/ ٥١).

(٢) طريقة طلب العلم تكون بالتّلقي من أفواه العلماء الثّقات وليس بمجرّد المطالعة في الكتب، فقد قال محمّد بن سيرين: «إنّ هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم». وقال أبو زرعة: «لا يُفتي النّاسَ صُحُفي، ولا يُقرِئُهم مُصحَفي». الخطيب البغدادي، الفقيه، والمتفقه.

قال فيه أمير المؤمنين سيّدنا عمر رضيَ اللهُ عنهُ مرة: «إنّك لأصبح فتياننا وجهًا وأحسنهم عقلًا وأفقههم في كتاب الله عزّ وجل».

أطلق عليه سيّدنا عمر تلك التّسمية المشهورة حيث قال فيه: «فتى الكهول له لسان سؤول وقلب عقول» وذلك لِمَا ظهر منه من وفور العقل وغزارة العلم وعلوّ القدر.

وأخرج البخاريّ والتّرمذيّ وابن ماجه وغيرهم عن ابن عبّاس أنّه قال: مسح النّبيّ ﷺ رأسي ودعا لي بالحكمة، وفي حديث ءاخر عند الحاكم أنّ رسول الله ﷺ دعا لابن عبّاس فقال: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ تَأْوِيلَ القُرءَان» وفي رواية أخرى أنّه دعا له فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»، وعليه فقد تحقّقت في ابن عبّاس دعوة الرّسول ﷺ حتّى غدا عَلَمًا وأيّما علم نمت معارفه وتوسّعت علومه ومداركه وحكمته وكان منذ نشأته لا ينفك يدور ويبحث عن العلوم ويلتقطها أنّى وجد لذلك سبيلًا إذ كان يجيء فيستأذن بالمبيت في بيت خالته ميمونة زوج النّبيّ ﷺ عندما تكون ليلتها مع رسول الله ليرى ما يفعل رسول الله ﷺ باللّيل فيتعلّم منه ويقتدي بهديه الشّريف.

كان سيّدنا عبد الله بن عبّاس رضيَ اللهُ عنهُما حريصًا على العلم واتّباع رسول الله ﷺ، وعندما كان دون البلوغ ومن شدّة رغبته في الاطّلاع على أعمال الرّسول بات في بيت رسول الله عند خالته «ميمونة» إحدى أزواج رسول الله ﷺ، ثمّ لمّا قام الرّسول عليه الصّلاة والسّلام بعد نصف اللّيل ليتهجّد أي ليصلّي تطوّعًا وتقرّبًا إلى الله، قام عبد الله فتوضّأ ووقف على يسار الرّسول ﷺ فأداره عليه الصّلاة والسّلام، مسك أذنه فأداره إلى اليمين[1].

(١) القصّة بمعناها عند أبي داود، مسند أبي داود، (٢/١٥٨).

كان عمر بن الخطّاب يسمّيه «فَتَى الكُهُولِ» لأنّ النّاس الكبار في السّنّ قالوا: «إنّ عمر يدني عبد الله بن عبّاس الّذي هو صغير السّن ولا يُدني أولادنا» عتبوا عليه، فقال لهم: «إنّه فتى الكهول»، هذا ولو كان عمره صغيرًا لكنّه كامل العقل. هذا هو عبد الله بن عبّاس رضيَ اللهُ عنهُما الّذي هو ابن عمّ رسول الله ﷺ[1].



لِنَرفَعَ الجهالةَ بلا كلالةٍ

الثباتُ على طلبِ العلمِ

عليكم بالثّبات على طلب العلم، فعلم أهل السّنّة مفتاح الجنّة. والمؤمن ينبغي أن لا يشبع من العلم، لا ينبغي أن يقول: «أنا تعلّمت كذا وكذا» ويترك طلب المزيد. ثمّ علم الدّين يؤخذ من أفواه العلماء ليس بمطالعة الكتب كما يفعل كثير من أهل هذا الزّمن. فمن يعتمد على مطالعة الكتب وحده، يطلع ضالًّا مضلًّا. علوم الدّنيا يتلقّونها من أفواه العارفين بها. وعلم الدّين أولى بأن يُؤخذ من أفواه العلماء للأمن من الغلط والتّحريف.

ومن كلَامِ العلمَاءِ الدَّالِّ على أنَّ العِلمَ يُؤخَذُ بالتّلقِي من أهلِ العلمِ قولُ الحافظِ أبي طاهرٍ السِّلَفِيّ:

بادِرْ إلى علمِ الحديثِ وكتْبِهِ ... واجهَدْ علَى تَصْحِيحِهِ مِنْ كُتْبِهِ
واسمَعْهُ من أشياخِهِ نقلًا كمَا ... سمِعُوهُ من أشياخِهِم تسْعَدْ بهِ

(١) بمعناه عند أحمد بن حنبل، فضائل الصّحابة، (١/ ١١٢).

وأوصيكم ونفسي بالثّبات على نهج سيّد الأنبياء ودرب إمام الأولياء والأصفياء الحبيب القدوة وهو القائل في حديثه الشّريف: «**وَاللهِ إِنّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللهِ عَزَّ وجَلَّ وأَخْشَاكُمْ لَهُ**» اهـ. رواه أحمد في مسنده، فقد خصّ النّبيّ ﷺ نفسه بالتّرقي في هذا العِلم أي العلم بالله تعالى وهو أَجَلّ العلوم وأعلاها وأوجبها وأولاها، فلأجل هذا نحن نهتمّ بعلم العقيدة[1]، ولأنّ السّلامة في الدّين لا يعدلها شيء، مطلوب أن نولي علم العقيدة الاهتمام الأكبر نظرًا لتفشّي الجَهل بين العامّة، ولأنّ الله قال في القرءان الكريم: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة محمد]. الله سبحانه وتعالى قدّم الأمر بمعرفة التّوحيد على الأمر بالاستغفار لتعلّق التّوحيد بعلم الأصول وتعلّق الاستغفار بعلم الفروع لذلك نشدّد على الاهتمام بعلم العقيدة.

(١) علم التّوحيد له شرف على غيره من العلوم لكونه متعلّقًا بأشرف المعلومات، وشرف العلم بشرف المعلوم، فلمّا كان علم التّوحيد يفيد معرفة الله على ما يليق به، ومعرفة رسوله على ما يليق به، وتنزيه الله عمّا لا يجوز عليه، وتبرئة الأنبياء عمّا لا يليق بهم، كان أفضل من علم الأحكام.
قال الإمام أبو حنيفة في كتابه الفقه الأبسط: «اعلم أنّ الفقه في الدّين أفضل من الفقه بالأحكام. ا.هـ

دعاء

عند الصّباح يقال: «**رَضيتُ بالله رَبًّا، وبالإسلام دِينًا وبمحمَّدٍ ﷺ نبيًّا**» ثلاث مرات رواه أبو سعيدٍ الخدريُّ، وقد قال عليه الصّلاة والسّلام فيمن واظب على هذا الذّكر «**من قال: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبالإِسْلام دينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا، أَنَا الزَّعِيمُ يَومَ القِيامَةِ لآخُذَنَّ بِيَدِهِ حَتَّى أُدْخِلَهُ الجَنَّة**».

الدّرس الثّالث

ولمّا كان معْرِفةُ اللهِ ورسُولِهِ ﷺ والإيْمانُ بِهِما هُو أهمّ الْواجِباتِ وأفْضلها بدأ الْمُؤلّفُ رحِمهُ الله كِتابهُ بِالْكلامِ على (**ضرُورِيّاتِ الِاعْتِقادِ**) أيْ ما لا يسْتغْنِي الْمُكلّفُ عنْهُ مِنْ أُمُورِ الْعقِيدةِ. فقال (**فصْلٌ**) فِي بيانِ معْنى الشّهادتيْنِ.

(**يجِبُ على كافّةِ**) أيْ جمِيعِ (**الْمُكلّفِين**) جمْعُ مُكلّفٍ وهُو الْبالِغُ الْعاقِلُ الّذِي بلغهُ أصْلُ دعْوةِ الإِسْلامِ أيْ منْ بلغهُ أنّهُ لا إِله إِلّا الله وأنّ مُحمّدًا رسُولُ اللهِ (**الدُّخُولُ فِي دِينِ الإِسْلامِ**) فوْرًا إِنْ كان كافِرًا (**والثُّبُوتُ**) أي الْمُلازمةُ (**فِيهِ على الدّوامِ**)[1] بِحيْثُ يخْلُوْ قلْبُهُ عنْ أيّ عزْمٍ على ترْكِ الإِسْلامِ فِي الْمُسْتقْبلِ أوْ تردُّدٍ فِي ذلِك فإِنّ منْ عزم على الْكُفْرِ فِي الْمُسْتقْبلِ أوْ تردّد فِيْ ذلِك كفر فِي الْحالِ. (**و**) يجِبُ علىْهِ أيْضًا (**الْتِزامُ ما لزِم علىْهِ**) أيْ على الْمُكلّفِ (**مِن الأحْكامِ**) الّتِى ألْزمهُ بِها الشّرْعُ وذلِك بِأنْ يُؤدّي جمِيع الْواجِباتِ ويجْتنِب جمِيع الْمُحرّماتِ. فيُعْلمُ مِنْ ذلِك أنّ الصّبِيّ الّذِى مات دُون الْبُلُوغِ ليْس علىْهِ مسْؤولِيّةٌ فِي الآخِرةِ وكذلِك منْ جُنّ قبْل الْبُلُوغِ واتّصل جُنُونُهُ إِلى ما بعْد الْبُلُوغِ حتّى مات وهُو مجْنُونٌ فليْس مُكلّفًا وكذلِك الّذِي عاش بالِغًا عاقِلًا ولمْ تبْلُغْهُ دعْوةُ الإِسْلامِ أيْ أصْلُ الدّعْوةِ وهُو الشّهادتانِ، فمنْ سمِع الشّهادتيْنِ فِي الأذانِ وهُو يفْهمُ الْعربِيّة وكان بالِغًا عاقِلًا فهُو مُكلّفٌ فإِنْ مات ولمْ يُسْلِم اسْتحقّ الْعذاب الأبدِيّ فِي النّارِ[2].

---

(١) وهذا معنى قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة النّساء]، معناه اثبتوا على الإيمان. وأمّا معنى الآية (﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [سورة الكافرون]. أنّ النّبيّ ﷺ يردّ على الكفّار، أي يا كفّار مكّة لكم دينكم الباطل وأنا لي ديني الحق.

(٢) عن عائشة رضيَ اللهُ عنهُا قالت: قلت: يا رسول الله، عبد الله بن جُدعان (وهو ابن=

(**فمِمّا يجِبُ**) على الْمُكلّفِ سواءٌ كان مُسْلِمًا أمْ كافِرًا (**عِلْمُهُ واعْتِقادُهُ**) بِأنْ يُذْعِن قلْبُهُ لهُ ويرْضى بِهِ (**مُطْلقًا**) أيْ فِي كُلّ أحْوالِهِ (**والنُّطْقُ بِهِ**) باللّسانِ (**فِي الْحالِ إنْ كان**) الْمُكلّفُ (**كافِرًا**) أصْلِيًّا أوْ مُرْتدًّا (**وإلّا**) بِأنْ كان مُسْلِمًا (ففِي الصّلاةِ الشّهادتانِ وهُما أشْهدُ أنْ لا إله إلّا الله وأشْهدُ أنّ مُحمّدًا رسُولُ اللهِ ﷺ) وبِما أنّ الشّهادتيْنِ هُما أصْلُ الدّعْوةِ وجب على الْمُسْلِمِ أنْ يعْرِف معْناهُما[١].

ولِذا بدأ الْمُصنّفُ رحِمهُ الله تعالى بِشرْحِ الشّهادةِ الأُولى فقال (**ومعْنى أشْهدُ أنْ لا إله إلا الله**[٢] **أعْلمُ وأعْتقِدُ**) أيْ أُذْعِنُ بِقلْبِي (**وأعْترِفُ**) بِلِسانِي (**أنْ لا معْبُود بِحقٍّ إلّا الله**) أيْ أنّهُ لا يسْتحِقُّ أحدٌ أنْ يُعْبد أيْ أنْ يُتذلّل لهُ نِهايةُ التّذلُّلِ إلّا الله إذْ إنّ معْنى الْعِبادةِ فِي اللُّغةِ أقْصى غايةِ الْخُشُوعِ والْخُضُوعِ كما نصّ على ذلِك الْحافِظُ اللُّغوِيُّ تقِيُّ الدّينِ السُّبْكِيُّ[٣]، فيُعْلمُ مِنْ هذا أنّهُ ليْس معْنى الْعِبادةِ مُجرّد الطّاعةِ أوِ النّداءِ أوِ الاسْتِغاثةِ أوِ الاسْتِعانةِ[٤] أوِ الْخوْفِ أوِ

= عمّها) كان في الجاهليّة يصل الرّحم ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «**لا يَنْفَعُهُ، إنّهُ لَمْ يَقُلْ يومًا رَبِّ اغفِرْ لي خَطِيئَتِي يَومَ الدِّين**». صحيح مسلم.

(١) عند الإمام مالك رضيَ اللهُ عنهُ يجب على كلّ مسلم النّطق بالشهادتين ولو مرّة واحدة في العمر بعد البلوغ لأنّ التّشهّد الثّاني عنده في الصّلاة سنّة.

(٢) قال أبو ذرّ رضيَ اللهُ عنهُ: «قلت: «يا رسول الله، علمني علمًا يقرّبني من الجنّة ويباعدُني من النّار»، قال: «**إذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فاعْمَلْ حَسَنَةً فإنَّها بعَشْرِ أمثالِها**»، قال: «قلت: «يا رسول الله لا إله إلّا الله من الحسنات» قال: «**هِيَ أحسَنُ الحَسَناتِ**».

(٣) تقيّ الدّين السبكيّ، عليّ بن عبد الكافي بن عليّ بن تمام السبكيّ، الأنصاري، الخزرجي، أبو الحسن، شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، وهو والد التاج السبكيّ صاحب الطبقات، ولد في سبك وانتقل إلى القاهرة، ثمّ إلى الشّام، ووُلي قضاءها سنة **٧٣٩**هـ، واعتلّ فعاد إلى القاهرة فتوفّي فيها.

(٤) من قال: «لا يجوز الاستعانة بغير الله مطلقًا» فقد خالف دين الإسلام. النّاس يستعين بعضهم ببعض وفي ذلك خير للجانبين، قال رسول الله ﷺ: «**مَن نَفَّسَ عَن مُؤمِنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدُّنيا نَفَّسَ الله عنه كُرْبةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ على مُعسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ في**=

الرّجاءِ[١] كما يظُنُّ بعْضُ النّاسِ[٢].

= **الدُّنيا والآخِرة وَمَنْ سَتَرَ مُسلمًا سَتَرَهُ الله في الدّنيا والآخِرَةِ وَالله في عَونِ العبدِ ما كانَ العَبْدُ في عَونِ أخيهِ**» رواه مسلم في صحيحه. وليس في قوله تعالى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة] النّهي عن الاستعانة بغيره، إنّما تفيد الآية (أنّه يستعان بالله الاستعانة الخاصّة، الله تعالى يُستعان به على معنى أنّه يخلق للعبد ما ينفعه، أمّا المخلوق فلا يستعان به على هذا الوجه، المخلوق يُستعان به على وجه السّببية.

(١) التّوسّل والتّوجّه والاستغاثة مؤدّاها واحد. التّوسّل هو طلب حصول منفعة أو اندفاع مضرّة من الله بذكر اسم نبيّ أو وليّ إكرامًا للمُتَوَسّل به. الطّلب من الله لأنّ الأنبياء والأولياء لا يخلقون مضرّة ولا منفعة ولكن نحن نسأل الله بهم رجاء تحقيق مطالبنا.

(٢) اتّفق علماء الإسلام سلفًا وخلفًا على جواز التّوسّل بالنّبيّ ﷺ في حياته وبعد وفاته، وذلك لعدّة أحاديث، منها ما رواه الحافظ الطّبرانيّ والحافظ البيهقيّ والحافظ السبكيّ وغيرهم بإسناد صحيح عن عثمان بن حُنيف: «أنَّ رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفّان في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته (لكونه مشغولًا بأمور المسلمين) فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضّأ ثمّ ائتِ المسجد فصلّ فيه ركعتين، ثمّ قل: اللَّهُمَّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّنا محمّد ﷺ نبيّ الرّحمة يا محمّد إنّي أتوجّه بك إلى ربّي ليقضِي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح حتَّى أروح معك».

فانطلق الرّجل فصنع ما قال عثمان له، ثمّ أتى عثمان بن عفّان فجاء البواب حتَّى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفّان فأجلسه معه على الطِنفسة وقال: «ما حاجتك؟» فذكر له حاجته فقضاها له ثمّ قال له: «ما ذكرتُ حاجتك حتَّى كانت هذه السّاعة»، وقال له: «ما كان لك من حاجة فائتنا»، ثمّ إنّ الرّجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: «جزاك الله خيرًا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت لي حتَّى كلّمته فيّ»، فقال عثمان بن حنيف: «والله ما كلّمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ وقد أتاه ضريرٌ فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النّبيّ ﷺ: «**ائتِ المِيْضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ثُمّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَواتِ**». قال عثمان بن حنيف: «فوالله ما تفرّقنا ولا طال بنا المجلس حتَّى دخل علينا الرّجل كأنّه لم يكن به ضرٌّ قط» قال الطّبراني: «والحديث صحيح» انتهى.

ففي هذا الحديث الصّحيح - المرفوع والموقوف - دليل على جواز التّوسّل بالنّبيّ في حياته بغير حضوره وبعد وفاته.

وعن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهُما أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**إذا أَصَابَ أَحَدَكُمُ عَرْجَةٌ في فَلاةٍ مِنَ الأرضِ فَلْيُنادِ: يا عِبَادَ الله أَعينُوا**» رواه الحافظ وابن حجر العسقلانيّ وقال إسناده حسن.

(**الْواحِدُ**) الّذِي لا شرِيك لهُ فِي الأُلُوهِيّةِ (**الأحدُ**) الّذِي لا يقْبلُ الِانْقِسام والتّجزُّؤ لِأنّهُ ليْس جِسْمًا، لا هُو جِسْمٌ كثِيفٌ كالإِنْسانِ والشّجرِ والْحجرِ ولا هُو جِسْمٌ لطِيفٌ[1] كالنُّورِ والظّلامِ والرّيحِ.

(**الأوّلُ**) الّذِي لا ابْتِداء لِوُجُودِهِ، فلمْ يسْبِقْ وُجُودهُ تعالى عدمٌ، وبِمعْناهُ (**الْقدِيْمُ**) إِذا أُطْلِق على اللهِ تعالى لِأنّ قِدم اللهِ ذاتِيٌّ وليْس زمنِيًّا (**الْحيُّ**) الْمُتّصِفُ بِحياةٍ أزلِيّةٍ أبدِيّةٍ ليْستْ بِرُوحٍ ولحْمٍ ودمٍ وعصبٍ ومُخٍّ بلْ حياتُهُ صِفةٌ قدِيمةٌ قائِمةٌ بِذاتِهِ أيْ ثابِتةٌ لهُ (**الْقيُّومُ**) الْقائِمُ بِنفْسِهِ الّذِي لا يحْتاجُ لغيْرِهِ. (**الدّائِمُ**) الّذِي لا يلْحقُهُ ولا يجُوزُ علىْهِ الْفناءُ لِأنّ الْفناء يسْتحِيلُ علىْهِ عقْلًا فلا دائِم بِهذا الْمعْنى إِلّا الله تعالى.

سبحانك... يا مُنبِت النّبات ويا دائم الثّبات

أبي مُسلمٍ الخولَانِي رضيَ اللهُ عنهُ

أبو مُسلمٍ الخولانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ الّذي كان موجودًا في زمن الرّسول ﷺ لكن ما تيسّر له الاجتماع بالرّسول عليه الصّلاة والسّلام، كان باليمن ثمّ أيّام عمر جاء إلى المدينة واجتمع بسيّدنا عمر، كان من الزّاهدين العابدين. مرّة كان يُسبّح بالسُّبحة ثمّ نام فصارت السُّبحة تدور

(١) قال زين العابدين: «أنت الله الّذي لا يحويه مكان». الزبيديّ، إتحاف السّادة المتّقين، (٤/٤١٣). وذلك نفي للحدّ لأنّ ما يحيط به المكان له حدّ إمّا أن يكون مثل المكان أو أصغر أو أوسع فيلزم الحدّ بالتّقديرات كلها، فالمكان هو الحيّز الّذي يحلّ فيه الجرم، ثمّ الطحاوي نقل نفي الحدّ عن ثلاثة من السّلف أبي حنيفة النّعمان بن ثابت الكوفي وعن أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وعن أبي عبد الله محمّد بن الحسن الشيباني.

في يده وهو نائمٌ وتقولُ: «سبحانَكَ يا مُنبِتَ النباتِ ويا دائمَ الثّباتِ[١]» ثمّ استيقظ فنادى زوجته قال: «يا أُمّ مسلمٍ تعالي انظري إلى أعجَبِ الأعاجيب» فلمّا جاءت سكتت السُّبحة. يا دائم الثّبات معناه الّذي وجوده لا نهاية له. وأبو مسلم الخولاني كان يُكذّبُ الأسود العنسي الّذي ادّعى في اليمن أنّه نبيّ. مرّةً أخذه العنسي فأدخله نارًا فلم يحترق، فعل به ذلك ثلاثة أيّام فلم يحترق، فقال له ابتعد عن أرضي، هذا سيّدنا عمر قبَّلَهُ بين عينيه، انظر صفة الصّفوة لابن الجوزِيّ.

احذرِ الجهلَ بئسَ الدّاء وحصِّلِ العلمَ نِعمَ الضِّياء

التّعليمُ والصّبْرُ على مشقتِهِ

ثمّ لِيُعلم عباد الله أنّ العلم يكون بالتّلقي من أفواه العلماء قال النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: «**نضَّرَ اللهُ امرأً سَمِعَ مقَالَتِي فَوَعاها ثُمَّ أَدَّاها إِلى مَنْ لَمْ يَسْمَعْها**[٢]» التّرمذيّ. أوصيكم بالصّبر على مشقّة التّعليم والحلم، فالحليم هو الّذي لا يستفزّه الغضب. اليوم في هذا الزّمن تعليم علم أهل السُّنّة ازداد أهمّيّة لكثرة المنحرفين، اليوم فيما بيننا في هذا البلد وفي غيره، توجد ثلاث فرق كلّها تدعوا إلى الضّلال باسم أهل السُّنّة فالنّاس إذا تعلَّموا علم أهل السُّنّة لا يفتتنون بهم، يُحفظون من الافتتان بهذه الفرق الثّلاث.

---

(١) أي الّذي لا يفنى ولا يبيد وليس المراد الثبات الّذي هو مقابل الحركة.
(٢) أحمد، مسند أحمد، (٣/ ١٦٥).

لذلك لا بدّ من علم أهل السُّنّة حتَّى يُحَذِّر الشّخص من هؤلاء الضّالّين ولا ينجرّ معهم، لأنّ انجرار النّاس مع هؤلاء سببه الجهل، وعلم أهل السُّنّة والجماعة هو الّذي يحفظ النّاس من الانجرار مع الوهّابيّة وحزب الإخوان وحزب التّحرير وغيرهم من أهل الضّلال، فاحذروا هؤلاء. فهنيئًا للصّغار الّذين تعلّموا علم أهل السُّنّة من أول نشأتهم وهنيئًا لمن يعلّمهم هذا العلم.

دعاء

يُقالُ في دبرِ أي عَقِبَ الصّلاةِ المكتوبة بعد السّلام: «**لا إلٰهَ إلّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، له الملكُ ولهُ الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، لا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ، لا إلٰهَ إلّا اللهُ ولا نعبُدُ إلّا إيّاهُ، له النِّعمةُ وَلَهُ الفضلُ، وله الثّناءُ الحسنُ، لا إلٰهَ إلَّا اللهُ مخلصِينَ له الدِّينَ ولو كرِهَ الكافرونَ**».

الدّرس الرابع

(**الْخالِقُ**) الّذِي أبْرز وكوّن جمِيع الْكائِناتِ مِن الْعدم إِلى الْوُجُودِ[١] (**الرّازِقُ**) الّذِي يُوصِلُ الأرْزاق إِلى عِبادِهِ[٢] (**الْعالِمُ**) الْمُتّصِفُ بِصِفةِ الْعِلْمِ الأزلِيّ الأبدِيّ الّذِي لا يتغيّرُ ولا يزِيدُ ولا ينْقُصُ ولا يتجدّدُ فهُو تعالى عالِمٌ لا كالْعُلماءِ لِأنّ عِلْمهُ قدِيْمٌ وعِلْم غيْرِهِ حادِثٌ.

(**الْقدِيرُ**) الْمُتّصِفُ بِالْقُدْرةِ التّامّةِ وقُدْرةُ اللهِ صِفةٌ أزلِيّةٌ أبدِيّةٌ يُؤثّرُ الله بِها فِي الْمُمْكِناتِ[٣] أيْ فِي كُلّ ما يجُوزُ فِي الْعقْلِ وُجُودُهُ تارةً وعدمُهُ تارةً أُخْرى فبِها يُوجِدُ ويُعْدِمُ.

---

(١) قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأنبياء]. الجماد والأحياء أصلها من الماء، لكن خُصّ الحيّ لشرفه على الجماد.

(٢) الرّزق مقسوم، الرّزق في هذه الدّنيا على حسب ما كتبه الله في اللّوح المحفوظ لِما كان حلالًا أم حرامًا. ولا بدّ للمرء أن يصله الرّزق الّذي كتبه الله له. وقد قال رسول الله ﷺ: «**إنّ رُوحَ القُدُسَ نَفَثَ في رُوعِي** (أي في قلبي) **أنّهُ لَنْ تَموتَ نَفْسٌ حتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا وأَجَلَها فَأَجْمِلُوا في الطَّلَبْ**» رواه الطبراني.
وفي رواية عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزقَ فإنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَبْدٌ لِيَمُوتَ حَتَّى يَبْلُغهُ آخر رِزقٍ له فاتّقُوا الله وَأَجْمِلُوا فِي الطّلَبِ مِنَ الحلالِ وتَركِ الحرَام**» رواه البيهقيّ في السّنن الكبرى.
وقد قال الزّرقاني في شرحه على الموطّأ: «**فَأَجْمِلُوا فِي الطّلبِ**» بأن تطلبوه بالطّرق الجميلة المحلّلة بلا كدٍّ ولا حِرصٍ ولا تهافت على الحرام والشّبهات أو غير منكبّين عليه منشغلين عن الخالق الرّزاق به. انتهى.

(٣) جرت عادة العلماء على ذكر أنّ الحكم العقليّ ينقسم إلى ثلاثة: الوجوب والاستحالة والجواز. الوجوب: ما لا يتصوّر في العقل عدمه وهو الله وصفاته، الله تعالى ذاته واجب الوجود ويقال له واجب عقليّ، وكذلك صفاته أي أنّ العقل يُحتّم وجودها ولا يقبل انتفاءها. والمستحيل: ما لا يُتَصوّر في العقل وجوده، وقد يعبّرون عنه بالممتنع، وهو كالشّريك لله تعالى والعجز والجهل بالنّسبة إلى الله، فكل ما لا يجوز على الله فهو مستحيل عقليّ، ومن المستحيل العقليّ كون الحادث أزليًّا. أمّا المستحيل العادي فيصحّ=

والله سُبْحانهُ وتعالى (**فعّالٌ لِما يُرِيدُ**) أيْ أنّ الله قادِرٌ على تكْوِينِ ما سبقتْ بِهِ إِرادتُهُ أيْ على إِيْجادِ كُلّ ما أراد فِي الأزلِ وُجُودهُ فالله تعالى لا يُعْجِزُهُ عنْ ذلِك شيْءٌ يفْعلُ ما يشاءُ بِلا مشقّةٍ ولا يُمانِعُهُ أحدٌ (**ما شاء الله**) فِي الأزلِ وُجُودهُ (**كان**) أيْ حَصَل ووُجِد (**وما لَمْ يشإِ**) الله فِي الأزلِ وُجُودهُ (**لَمْ يكُنْ**) أيْ لَمْ يُوجدْ. ومشِيئةُ اللهِ لا تتغيّرُ لأن تّغيُّر المشِيئةِ دلِيلُ الْحُدُوثِ والْحُدُوثُ مُسْتحِيلٌ على اللهِ[1] (**الّذِي لا حوْل ولا قُوّة إِلا بِهِ**) أى لا تحوُّل لِأحدٍ عنْ معْصِيةِ اللهِ إِلّا بِعِصْمتِهِ سُبْحانهُ ولا قُوّة لِأحدٍ على طاعةِ اللهِ إِلّا بِعوْنِهِ تعالى. وهُو سُبْحانهُ (**الْموْصُوفُ بِكُلّ كمالٍ يلِيقُ بِهِ**) كالْعِلْمِ والْقُدْرةِ والإِرادةِ[2].

(**الْمُنزّهُ عنْ كُلّ نقْصٍ فِي حقّهِ**) أيْ عنْ كُلّ ما لا يلِيقُ بِهِ تعالى كالْجهْلِ والْعجْزِ واللّوْنِ والْحدّ والتّحيُّزِ فِي الْجِهةِ والْمكانِ[3] لِأنّ ذلِك

= وجوده عقلًا لكن عادةً لا يوجد كوجود جبل من زئبق، فهذا لا يحصل في الدّنيا على حسب العادة. والجائز: ما يتصوّر في العقل وجوده وعدمه، ويقال له الممكن العقليّ أي يمكن وجوده بعد عدم وإعدامه بعد وجوده بالنّظر لذاته في حكم العقل، وهو هذا العالم.

(١) وأمّا معنى قول الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ٣١﴾ [سورة المدّثر] أنّ الله يضلّ من شاء في الأزل ضلاله، الله تعالى شاء في الأزل أن يضلّ بعض العباد من الإنس والجنّ لا بدّ أن يضلّوا باختيارهم، ومعنى قوله ويهدي من يشاء، أي أنّ الله تعالى إن شاء في الأزل أن يهدي عبده لا بدّ أن يهتدي باختياره يختار الهدى فيهتدي، أمّا معنى الآية (﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ٢٩﴾ [سورة الكهف] تهديد ليس معناه مرخّص للإنسان أن يكفر وأن يهتدي لا ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن﴾ فإنّ له الجنّة ﴿وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ٢٩﴾ فإنّهُ متوعّد بالنّار هذا معناه.

(٢) لا يجوزُ في الشّرع تسمية الله إلّا بما سمّى به نفسه، أي إلّا بما ثبتَ في الشّرع تسميته به كما ذكر إمامُ أهل السُّنة أبو الحسن الأشعريّ وغيره ولا يوصف الله إلّا بما وصف به نفسه فبطل إطلاق الجسم على الله تعالى. أبو الفضل التميميّ، اعتقاد الإمام المبجل، (١/ ٢٩٨).

(٣) إنَّ اعتقاد المسلمين سلفهم وخلفهم أنّ الله غنيّ عن العالمين، أي مستغن عن كلّ ما سواه أزلًا وأبدًا، فلا يحتاج إلى مكان يقوم به أو شيء يحلّ به أو إلى جهة، ويكفي في تنزيه=

كُلّهُ مِنْ صِفاتِ الْمخْلُوقِين فهُو سُبْحانهُ موْجُودٌ بِلا مكانٍ كما قال تعالى (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[١]) أيْ أنّهُ تبارك وتعالى لا يُشْبِهُ شيْئًا مِنْ خلْقِهِ بِأيّ وجْهٍ مِن الْوُجُوهِ، وقدْ قدّم الله تعالى قوْلهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ على قوْلِهِ (﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾) حتّى لا يتوهّم مُتوهّمٌ أنّ سمْع اللهِ وبصرهُ كسمْعٍ وبصرٍ غيْرِهِ. فإنّ الله تعالى مُباينٌ أيْ غيْرُ مُشابِهٍ لِلْمخْلُوقِين كما قال ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ رضِي الله عنْهُ[٢] مهْما تصوّرْت بِبالِك فالله بِخِلافِ ذلِك[٣] انتهى.

ردٌّ على مَن يُشبِّه اللهَ بمخلوقاتِهِ

إنّ الله سبحانه وتعالى غنيّ عن العالمين، أي مستغنٍ عن كلّ ما

= الله عن المكان قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]، فلو كان له مكان لكان له أمثال وأبعاد وطول وعرض وعمق، ومن كان كذلك كان محدثًا محتاجًا لمن حدّه بهذا الطول وبهذا العرض وبهذا العمق، هذا الدّليل من القرءان. أمّا من الحديث فما رواه البخاري بالإسناد الصّحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «**كانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيءٌ غَيرُهُ**» ومعناه أنّ الله لم يزل موجودًا في الأزل ليس معه غيره لا ماء ولا هواء ولا أرض ولا سماء ولا كرسي ولا عرش ولا إنس ولا جنّ ولا ملائكة ولا زمان ولا مكان، فهو الله تعالى موجود قبل المكان بلا مكان وهو الّذي خلق المكان فليس بحاجة إليه، وهذا يستفاد من الحديث المذكور.

(١) سورة الشورى، ءاية (١١).

(٢) ثوبان بن إبراهيم أبو الفيض المعروف بذي النون المصريّ أصله من النّوبة وكان من قرية من قرى صعيد مصر يقال لها إخميم فنزل مصر وكان حكيمًا فصيحًا زاهدًا، توفى سنة خمس وأربعين ومائتين وقيل في سنة ست وأربعين ومائتين. انظر تاريخ بغداد، دار الفكر (٨/ ٣٩٣).

(٣) علماء الإسلام سلفًا وخلفًا على اعتقاد أنّ الله موجود بلا مكان ولا جهة ولا كيف، وهذه عقيدة المسلمين في الحجاز وأندونيسيا وماليزيا وتركيا والمغرب والجزائر وبلاد الشّام ومصر والسودان والهند وداغستان والشيشان وبخارى وتونس واليمن والعراق وغيرها. فقد قال الإمام أبو حنيفة رضيَ اللهُ عنهُ: «من قال لا أعرف ربّي أفي السّماء هو أم في الأرض فقد كفر». الفقه الأبسط، (ص٤٩). وذلك لأنّ هذا القول يوهم أنّ للحقّ مكانًا ومن توهّم أنّ للحقّ مكانًا فهو مشبّه.

سواه، ولا يحتاج إلى أحد من مخلوقاته، موجودٌ أزلا وأبدًا بلا مكان، ويكفي في تنزيه الله تعالى عن المشابهة لخلقه وعن الاحتياج إلى المكان أو أن يجري عليه زمان قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1].

وقال تعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[2]، وقال القرطبيّ في تفسيره الجامع لأحكام القرءان: قال ابن عباس: يريد هل تعلم له ولدًا أي نظيرًا أو مِثلًا. انتهى كلامه، وقال تعالى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[3].

وقال الإمام القرطبيّ في «تفسيره»[4]: «وقد قال بعض العلماء المحقّقين: التّوحيد إثبات ذات غير مشبه للذّوات، ولا معطّل من الصّفات، وزاد الواسطي رحمه الله بيانًا فقال: «ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفةٌ». انتهى كلام القرطبيّ، إلى أن قال: «وهذا كلّه مذهب أهل الحقّ والسُّنّة والجماعة رضيَ اللهُ عنهُم». انتهى.

الدّليل النّقلي من الحديث على تنزيه الله عن المكان:

قال رسول الله ﷺ: «**كانَ الله ولم يَكُنْ شَيءٌ غيرُهُ وكانَ عرشُهُ على الماء**»[5]

---

(١) سورة الشورى، ءاية (١١).

(٢) سورة مريم، ءاية (٦٥).

(٣) سورة الإخلاص، ءاية (٤).

(٤) الجامع لأحكام القرءان، (ج١٦/ ١٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب: ما جاء في قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الرّوم] (ج٦/ ٣٣٠)، وأحمد في مسنده (ج٥/ ٥٩٦)، وابن حبان في صحيحه كتاب التاريخ باب: ذكر الأخبار عمّا كان عليه العرش قبل خلق الله جل وعلا السّموات والأرض (ج٨/ ٥)، والبيهقيّ في الأسماء والصّفات (ص/ ٤٧٨).

رواه البخاريّ قال الحافظ ابن حجر[١] في «فتح الباري» عند شرحه لهذا الحديث: «والمراد بكان في الأول الأزليّة، وفي الثّاني الحدوث بعد العدم». انتهى كلام ابن حجر، فالله لم يزل موجودًا في الأزل، ليس معه غيره، لا ماء ولا هواء ولا أرض ولا سماء ولا كرسيّ ولا عرش ولا إنس ولا جنّ ولا ملائكة ولا مكان ولا زمان، فهو تعالى موجود قبل المكان بلا مكان، وهو الّذي خلق المكان، وخلق العرش، فليس بحاجة لأحد من خلقه.

الإجماع على تنزيه الله عن المكان:

ونقل الإجماع على تنزيه الله عن المكان والزّمان عبد القاهر البغدادي، (المتوفّى سنة **٤٢٩هـ**) في كتابه الفَرْقُ بين الفِرَق[٢] في بيان الأصول الّتي اجتمع عليها أهل السُّنّة والجماعة.

ونقل الإجماع أيضًا الإمام أبو المعالي الجوينيّ في كتابه «الإرشاد إلى قواطع الأدلّة»[٣] (المولود سنة **٤١٩هـ**) حيث قال: «ومذهب أهل الحقّ قاطبةً أنّ الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التّحيّز والتّخصّص بالجهات». انتهى.

وقال الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب المسمّى بالسّجّاد لإكثاره من النّوافل والصّلوات في «الصّحيفة السّجّاديّة»، الّتي رواها الحافظ مرتضى الزّبيديّ في «إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين» بالسّند المتّصل المسلسل بطريق آل البيت: «سبحانك لا يحويك مكان»، وقال أيضًا: «أنت الله الّذي لا تحدّ فتكون محدودًا».

---

(١) فتح الباري، (ج٦/ ٣٣٤).
(٢) الفَرْقُ بين الفِرَق، (ص٢٩٢).
(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلّة، (ص٣٩).

وقال الإمام الشّافعيّ: «من انتهض لمعرفة مدبّره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبّه، وإن اطمأنّ إلى العدم الصّرف فهو معطّل، وإن اطمأنّ إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحّدٌ».

قال الإمام البيهقيّ في كتاب «الأسماء والصّفات»: «والّذي رُوي في آخر هذا الحديث إشارة إلى نفي المكان عن الله تعالى، وأنّ العبد أينما كان فهو في القرب والبعد من الله سواء، وأنّه الظاهر، فيصحّ إدراكه بالأدلّة، وأنّه سبحانه الباطن فلا يصحّ إدراكه بالكون في مكان، واستدلّ بعض أصحابنا في نفي المكان عنه بقول النّبيّ ﷺ: «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوقَكَ شَيءٌ، وأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيسَ دونَكَ شَيءٌ**»[(١)]، وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكانٍ» انتهى.

وهذا الحديث فيه الردّ أيضًا على القائلين بالجهة في حقّه تعالى.

وقال المفسر القرطبيّ في «تفسيره الجامع لأحكام القرءان» في تفسير قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾[(٢)]: «ولأنّه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها. وكان منذ الأزل قبل خلق المكان والزّمان ولا مكان له ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان» انتهى. وقال أيضًا في تفسير الآية «قال ابن عباس: أأمنتم عذاب من في السّماء إن عصيتموه، وقيل هو إشارة إلى الملائكة وقيل إلى جبريل وهو الملك الموكّل بالعذاب» انتهى. وقال الإمام فخر الدّين الرازي في «تفسير الرازي»: «إنّه سبحانه وتعالى كان ولا عرش ولا مكان، ولمّا خلق المكان لم يحتج إلى المكان، بل كان غنيًّا عنه فهو بالصّفة الّتي لم يزل عليها». انتهى.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر باب: ما يقول عند النّوم وأخذ المضجع (ج١٧٣٣).

(٢) سورة الملك، ءاية (١٦).

وقال الغزاليّ في «إحياء علوم الدّين»[١]: «تعالى عن أن يحويه مكان، كما تقدّس عن أن يحدّه زمان، بل كان قبل أن يخلق الزّمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان» انتهى.

أخي المسلم أحذّرك المشبّهة فإنّهم يعتقدون أنّ الله متحيّز في المكان ومتكلّم بكلام هو حروف وأصوات متعدّدة يحدث في ذاته ثمّ ينقطع، ثمّ يحدث ثمّ ينقطع والعياذ بالله، كما ذكروا ذلك في عدّة من كتبهم ككتاب «الكواشف الجليّة عن معاني الواسطية»[٢] وكتابهم المسمّى «نجاة الخلف»[٣].

وذكروا في كتابهم المسمّى «كتاب السُّنة»[٤] ما نصّه: «وكلّم الله موسى تكليمًا مِن فيه (أي فمه) وناوله التّوراة من يده إلى يده» انتهى بحروفه.

الكلام هو صفة أزليّة أبديّة لله سبحانه، متكلّم بها ءامر ناه واعد متوعّد ليس ككلام غيره بل أزليّ بأزليّةِ الذّات لا يشبه كلام الخلق وليس بصوت يحدث من انسلال الهواء أو اصطكاك الأجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان.

ونعتقد أنّ موسى عليه السّلام سمع كلام الله الأزليّ بغير حرف ولا صوت كما يرى المؤمنون ذات الله في الآخرة من غير أن يكون جوهرًا ولا عرضًا لأنّ العقل لا يحيل سماع ما ليس بحرف ولا صوت.

وكلامه تعالى الذّاتيّ ليس حروفًا متعاقبة ككلامنا، وإذا قرأ القارئ منّا كلام الله فقراءته حرف وصوت ليست أزليّة.

---

(١) إحياء علوم الدّين، (١/ ١٥٥).
(٢) الكواشف الجليّة عن معاني الواسطية، (ص٢٢٠).
(٣) نجاة الخلف، (ص٢٥).
(٤) كتابه المسمّى كتاب السّنة، (ص٧٧).

وقد نُقِل هذا التّفصيل عن أبي حنيفة رضي الله عنه وهو من السّلف أدرك شيئًا من المائة الأولى ثمّ توفّي سنة مائة وخمسين هجرية ذكر في كتابه الفقه الأبسط: «ويتكلّم لا ككلامنا. نحن نتكلّم بالآلات من المخارج والحروف والله متكلِّم بلا ءالة ولا حرف. فصفاته غير مخلوقة ولا محدثة، والتّغيّر والاختلاف في الأحوال يحدث في المخلوقين ومن قال إنّها محدثة أو مخلوقة أو توقّف فيها أو شكّ فيها فهو كافر».

كيف تجرّأتم أيُّها المجسِّمة على نسبة الفم واليد إلى الله، فلقد خالفتم بذلك العقل والنّقل.

وأمّا ادّعاء الكاتب أنّ علم الكلام مذموم على الإطلاق فمردود، وذلك أنّ علم الكلام الّذي يشتغل به أهل السُّنّة والجماعة في تقرير معتقداتهم هو علم ممدوح اشتغل به العلماء من السّلف والخلف ولا سيّما الشّافعيّ ومالك وأحمد وأبو حنيفة كما ذكر الإمام الزركشيّ في «تشنيف المسامع» والحافظ ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» والإمام أبو منصور البغدادي في «أصول الدّين» وغيرهم.

وأمّا علم الكلام الّذي يشتغل به أهل البدع كالخوارج والنّجارية والمرجئة والمعتزلة والكرّاميّة والحشويّة فهو علم مذموم ذمّه علماء السّلف، لذا قال الإمام الشّافعيّ رضيَ اللهُ عنهُ: «لأن يلقى الله عزّ وجلّ العبدُ بكلّ ذنب ما خلا الشّرك خير له من أن يلقاه بشيء من هذه الأهواء» رواه الإمام المجتهد أبو بكر بن المنذر وأخرج طرقه الحافظ ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» وغيرهما، والأهواء جمع هوى وهو ما مالت إليه نفوس المبتدعة الخارجين عمّا كان عليه السّلف.



بِشدّة اليقين توجّه لله. . . فكفاه ونجّاه

الوليّ عبد الرّحمٰن بن أبي نُعمٍ رضيَ اللهُ عنهُ

هو عبد الرَّحمٰن بن أبي نُعْمٍ رضيَ اللهُ عنهُ، كان حَبَسه الحجّاج بن يوسف، وضعه في السّجن ليموت بالجوع، أراد أن يقتله بالجوع، وشدّد حراسة السّجن الّذي هو فيه ومنعهم من أن يُدْخل عليه بطعام أو شراب، بعد خمسة عشر يومًا فتحوا السّجن الّذي هو فيه فوجدوه قائمًا يصلّي، الله تبارك وتعالى أعطاه قوّة بدون أكل وبدون شرب، خمسة عشر يومًا ظلّ يتطوّع لله بالعبادة، فلمّا أُخبر الحجّاج أنّهم وجدوه قائمًا يصلّي[١] هو ظنّ أنّه قد مات، أعفاه من القتل، ما عاقبه بعد ذلك، تركه وأخلى سبيله، قال الوليّ عبد الرّحمٰن للحجّاج ليس لك سبيل على أحد من بعدي بالقتل.

وهذا الحجّاج من الحكّام الظُّلّام قتل ظلمًا في غير معركة مائة وعشرين ألف نفس مؤمنة. هذا الوليّ يسمّى عبد الرَّحمٰن بن أبي نُعمٍ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاه[٢]. وهو الّذي كان يفسر قول الله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾[٣] «إليه ينتهي فكر من تفكّر» أبو القاسم الأنصاري، شرح الإرشاد.

---

(١) أي أنّهم وجدوه على خلاف ما ظنه الحجّاج من أنّه قد مات وصار جيفة أي أنتن وانتفخ كأغلب النّاس الّذين يموتون إذا مرّ على موتهم ثلاثة أيّام ينتفخون تتفسّخ أبدانهم ويخرج منها القيح والصّديد وتُنْتِنُ رائحتهم.

(٢) القصّة بمعناها عند ابن حبان، الثّقات، (٥/ ١١٢).

(٣) سورة النجم، ءاية (٤٢).



اثبت وثابر على الطّاعة فالتُّقى نِعْمَ البِضاعَة

الحثُّ على التزامِ الطاعةِ

ينبغي لطالب الآخرة أن يكون يومه خيرًا من أمسه أي أن يكون دائمًا في ازدياد من عمل الخير والصّبر على المكاره ومشقّات الطّاعات، فإنّ الصّبر على الطّاعة أهون من الصّبر على عذاب الله، كما أنّ التّعب في الطّاعة راحة. ثمّ إنّ ممّا يساعد على التّوكّل على الله كثرة الطّاعة مع الخشوع.

ثمّ إنّ الله سبحانه وتعالى يحبّ عباده المؤمنين المتّقين الّذين التزموا طاعته واستقاموا وأخلصوا له النّيّة، ويخصّهم يوم القيامة بأنواع من النّعيم لا تكون لغيرهم. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾. والمؤمنون المتّقون هم الّذين يؤدّون ما فرض الله عليهم من الواجبات العلميّة والعمليّة ويجتنبون المحرّمات، والواجبات العلميّة تعلّم ما فرض الله من علم دينه ومعرفتهُ أي القدر الّذي لا بدّ منه من علم الدّين حتّى يتمكّن المسلم من أداء الصّلوات الخمس وصيام رمضان إلى غير ذلك من الواجبات العمليّة، وكذلك اجتناب المحرّمات الّتي لا يعلمها جميعها إلّا من تعلّم علم الدّين.



عند المساء يقال: «**أمسَينا وأمسَى الملكُ للهِ والحمدُ للهِ، أعوذُ باللهِ الّذِي يمسِكُ السَّماءَ أن تقعَ علَى الأرضِ إلّا بإذنِهِ، من شرِّ ما خلَقَ وذرَأَ وبَرأَ**».



الدّرس الخامس

(**فهُو الْقدِيْمُ**) الّذِي لا أوّل لهُ (**وما سِواهُ**) مِن الْعالمِين (**حادِثٌ**) وُجِد بعْد عدمٍ (**وهُو الْخالِقُ**) لِجمِيعِ الْكائِناتِ (**وما سِواهُ**) أيْ كُلُّ الْعالمِين (**مخْلُوقٌ**) لهُ بِدايةٌ فالْعالمُ حادِثٌ بِجِنْسِهِ وأفْرادِهِ، وخالف فِي الْقِسْمِ الأوّلِ ابْنُ تيْمِية[1] فقال كالْفلاسِفةِ إِنّ نوْع الْعالمِ أزلِيٌّ لا بِداية لِوُجُودِهِ فكفّرهُ الْمُسْلِمُون على ذلِك[2] (**فكُلُّ حادِثٍ دخل فِي الْوُجُودِ**) سواءٌ كان (**مِن الأعْيانِ**) جمْعُ عيْنٍ (**و**) هُو كُلُّ ما لهُ حجْمٌ أمْ كان مِن (**الأعْمالِ**) الِاخْتِيارِيّةِ أوْ غيْرِ الِاخْتِيارِيّةِ فهُو بِخلْقِ اللهِ تعالى، فالأعْيانُ كُلُّها (**مِن الذّرّةِ**) وهِي أصْغرُ حجْمٍ نراهُ مُنْفصِلًا عنْ غيْرِهِ بِالعيْنِ الْمُجرّدةِ وهِي الْهباءُ الّذِي يظْهرُ عِنْد دُخُولِ نُورِ الشّمْسِ مِن الْكوّةِ أوْ ما كان أصْغر

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحرّاني الدِّمشقيّ، أبو العباس، وُلد بحران سنة ٦٦١هـ ثمّ انتقل إلى دمشق. ظهرت منه بدع كثيرة، كان كثير البحث في فنون الحكمة، وفي «الدرر الكامنة» أنّه ناظر العلماء، قال الحافظ أبو زرعة العراقيّ إنّه خرق الإجماع في أكثر من ستين مسئلة بعضها في الأصول وبعضها في الفروع وقال فيه: علمه أكبر من عقله اهـ ردّ عليه علماء عصره وحبس بفتوى من قضاة المذاهب الأربعة سنة ٧٢٦هـ بقلعة دمشق ومات فيها سنة ٧٢٨هـ. انظر «نجم المهتدي ورجم المعتدي» لابن المعلّم القرشيّ (مخطوط)، و«شفاء السقام» لتقيّ الدّين السبكيّ و«المقالات السّنيّة في كشف ضلالات أحمد بن تيمية» للشّيخ عبد الله بن محمّد الهرريّ، فهو مزلزل لابن تيمية وعقيدته وأتباعه، وكتاب «السّقوط الكبير المدوّي» للمجسّم ابن تيمية الحرّاني دار المشاريع. وابن تيمية رأس من رؤوس المشبّهة والمجسّمة، كفرياته لا يحصيها إلّا الله ولذلك قال عنه الإمام الفقيه تقيّ الدّين الحصني في كتابه دفع شبه من شبَّه وتمرّد فصار كفره مجمعًا عليه.

(٢) نقل المحدّث الأصولي بدر الدّين الزركشيّ في كتاب «تشنيف المسامع» اتّفاق المسلمين على كفر من يقول بأزليّة نوع العالم، فقال بعد أنّ ذكر الفريقين من الفلاسفة: «الفريق القائل بأزليّة العالم بمادّته وصورته، والفريق القائل بأنّ العالم أزليّ المادة مُحدَث الصورة ما نصّه: «وضلّلهم المسلمون في ذلك وكفّروهم».

مِنْها (**إلى الْعرْشِ**) الّذِي هُو أكْبرُ مخْلُوقاتِ اللهِ تعالى مِنْ حيْثُ الْحجْمُ[١] هِي بِخلْقِ اللهِ (**و**) كذلِك الأعْمالُ الظّاهِرةُ (**مِنْ كُلّ حركةٍ لِلْعِبادِ وسُكُونٍ و**) الأعْمالُ الْباطِنةُ مِن (**النّوايا**) جمْعُ نِيّةٍ وهِي الْعزْمُ (**والْخواطِرِ**) جمْعُ خاطِرٍ وهُو ما يرِدُ على الْقلْبِ بِلا إرادةٍ (**فهُو**) أي الْحادِثُ الدّاخِلُ فِي الْوُجُودِ (**بِخلْقِ اللهِ لمْ يخْلُقهُ أحدٌ سِوى اللهِ لا**) خلقتْهُ (**طبِيعةٌ**) وهِي الصّفةُ الّتِي جعل الله علَيْها الأجْرام كالنّارِ طبِيعتُها الإحْراقُ و (**لا**) خلقتْهُ (**عِلّةٌ**) وهِي ما يُوجدُ الْمعْلُولُ بِوُجُودِه ويُعْدمُ بِعدمِه مِثْلُ حركةِ الإصْبعِ الّذِي فِيهِ خاتمٌ عِلّةٌ لِحركةِ الْخاتمِ[٢] (**بلْ دُخُولُهُ فِي الْوُجُودِ بِمشِيئةِ اللهِ وقُدْرتِهِ بِتقْدِيرِهِ وعِلْمِهِ الأزلِيّ لِقوْلِ اللهِ تعالى**) فِي سُورةِ الْفُرْقانِ (﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٢﴾﴾[٣] **أيْ أحْدثهُ مِن الْعدمِ إلى الْوُجُودِ فلا خلْق بِهذا الْمعْنى**) أي الإبْرازِ مِن الْعدمِ إلى الْوُجُودِ (**لِغيْرِ اللهِ قال الله تعالى**) فِي سُورةِ فاطِرٍ (﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ

---

(١) خلق الله تعالى العرش إظهارًا لقدرته لا ليجلس عليه، فإنّ الجّلوس لا يكون إلّا للجسم المركّب، والتّركيب من لوازم الحدوث والحدوث منافٍ للألوهيّة. رُوِي عن صباح التّفريد ومصباح التّوحيد سيّدنا عليّ بن أبي طالب أنّه قال «إنّ الله خلق العرش إظهارًا لقدرته، ولم يتخذه مكانًا لذاته» انتهى. وقال أيضًا: «قد كان ولا مكان وهو الآن على ما كان». عبد القاهر التميميّ، الفرق بين الفرق، (١/ ٣٢١).

(٢) وكذلك السّبب لا يخلق مسبّبه، وقد وردت عدّة شواهد تدلّ على ذلك منها قصّة رحمة بنت إبراهيم، كانت في القرن الثّالث الهجريّ، مضى عليها منذ توفيت ألف ومائة وشيء، هذه المرأة الصّالحة عاشت نحو ثلاثين عامًا لا تأكل ولا تشرب وهي صحيحة الجسم صحيحة الفكر والأعصاب، ما منعها ترك الأكل والشّرب من قوّة المشي، ولا منعها من صحّة الفكر، ولا منعها من الفَهم، ظلّت طيلة هذه المدّة بلا أكل ولا شرب وهي صحيحة الجسم ليكون هذا عبرة للمؤمنين حتّى يزدادوا يقينًا أنّ الله تعالى هو الّذي يخلق الصّحة وهو الّذي يحفظ الصّحة على من يشاء من عباده إلى الوقت الّذي شاء على حسب علمه الأزليّ، فلو كانتِ الصّحّة يخلقها الأكل والشّرب هذه المرأة ما عاشت هذه المدّة الطّويلة وهي صحيحة الفكر، صحيحة الجسم.

(٣) سورة الفرقان ءاية (٢).

﴿٣﴾[1]) أيْ لا خالِق إلّا الله وخالف فِي ذلِك الْمُعْتزِلةُ فقالُوا الْعبْدُ يخْلُقُ فِعْلهُ الِاخْتِيارِيّ فكفّرهُمُ الْمُسْلِمُون على ذلِك.

وقدْ (**قال**) الإمامُ أبُو حفْصٍ عُمرُ (**النّسفِيُّ**)[2] رحِمهُ الله تعالى فِي كِتابِهِ المشْهُوْرِ الْعقِيدةِ النّسفِيّةِ ما معْناهُ (**فإذا ضرب إنْسانٌ زُجاجًا بِحجرٍ فكسرهُ فالضّرْبُ**) وهُو فِعْلُ الْعبْدِ بِالْحجرِ[3] وقدْ يحْصُلُ مِنْهُ انْكِسارٌ وقدْ لا يحْصُلُ (**والْكسْرُ**) وهُو فِعْلُ الْعبْدِ الّذِي فعلهُ فِي الزُّجاجِ بِواسِطةِ الرّمْيِ بِالْحجرِ (**والِانْكِسارُ**) وهُو الأثرُ الْحاصِلُ فِي الزُّجاجِ مِنْ تشقُّقٍ وتناثُرٍ ونحْوِ ذلِك (**بِخلْقِ اللهِ تعالى**) لا بِخلْقِ الْعبْدِ (**فليْس لِلْعبْدِ**) مِنْ فِعْلِهِ هذا (**إلّا الْكسْبُ**) وهُو توْجِيهُ الْعبْدِ قصْدَهُ وإِرادتَهُ نحْو الْعملِ فيخْلُقُهُ الله عِنْد ذلِك (**قال الله تعالى**) فِي سُورةِ الْبقرةِ (﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴿١٣٤﴾﴾) أيْ لِلنّفْسِ جزاءُ ما كسبتْهُ مِن الْخيْرِ أيْ تنْتفِعُ بِذلِك (﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴿٢٨٦﴾﴾)[4] أيْ وعليْها أيْضًا وبالُ ما اكْتسبتْهُ مِنْ عملِ الشّرّ أيْ يضُرُّها ذلِك فالْعبْدُ إِنّما يتّصِفُ بِالْكسْبِ لا بِالْخلْقِ وهُو يُحاسبُ على كسْبِهِ.

(**و**) لْيُعْلمْ أنّ (**كلامهُ**) سُبْحانهُ وتعالى صِفةٌ مِنْ صِفاتِهِ الثّابِتةِ لِذاتِهِ

---

(١) سورة فاطر، ءاية (٣).

(٢) عمر بن محمّد بن أحمد بن إسماعيل بن محمّد بن لقمان النّسفيّ ثمّ السّمرقنديّ، أبو حفص، نجم الدّين النّسفيّ: عالم من فقهاء الحنفيّة. ولد بنسف وإليها نسبته، وتوفّي بسمرقند. قال ابن سمعان كان إمامًا فاضلًا مبرّزًا متفنّنًا. صنّف في كلّ نوع من العلم في التّفسير والحديث والشروط وبلغت تصانيفه المائة منها: «الأكمل الأطوال»، و«التّيسير في التّفسير»، و«العقائد»، يعرف بعقائد النّسفيّ وله شعر حسن ونظم «الجامع الصغير» لمحمّد ابن الحسن، ولد سنة إحدى وستين وأربعمائة ومات في ثاني عشر جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة. انظر طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (ص٧٥). وكان يلقب بمفتي الثّقلين. وهو غير النّسفي (المفسّر) عبد الله بن أحمد.

(٣) أي بواسطة الحجر.

(٤) سورة البقرة، ءاية (٢٨٦).

الأزليّ الأبديّ[١] وهُو أي الْكلامُ (**قدِيْمٌ**) أزلِيٌّ لا ابْتِداء لهُ (**كسائِرِ**) أيْ باقِي (**صِفاتِهِ**) تعالى مِن الْحياةِ والْعِلْمِ والْقُدْرةِ والسّمْعِ والْبصرِ فإنّها قدِيْمةٌ وذلِك لِأنّ الذّات الأزلِيّ لا يقُومُ بِهِ صِفةٌ حادِثةٌ، فيُعْلمُ مِنْ ذلِك أنّ كلام اللهِ ليْس حرْفًا ولا صوْتًا ولا لُغةً ولا يُبْتدأُ ولا يُخْتتمُ، وأمّا اللّفْظُ الْمُنْزلُ فهُو عِبارةٌ عنْ ذلِك الْكلامِ الأزلِيّ ولِذلِك يُطْلقُ عليْهِ أنّهُ كلامُ اللهِ وذلِك (**لأنّهُ سُبْحانهُ مُباينٌ**) أيْ غيْرُ مُشابِهٍ (**لِجمِيعِ الْمخْلُوقاتِ فِي الذّاتِ**) أيْ ذاتُهُ لا يُشْبِهُ ذوات الْمخْلُوقاتِ (**والصّفاتِ**) أيْ صِفاتُهُ لا تُشْبِهُ صِفاتِ الْمخْلُوقاتِ (**والأفْعالِ**) أيْ فِعْلُهُ لا يُشْبِهُ فِعْلَ الْمخْلُوقاتِ (**سُبْحانهُ وتعالى**) أيْ تقدّس وتنزّه (**عمّا يقُولُ الظّالِمُون**) أي الْكافِرُون مِن الْمُشْرِكِين والْمُشبّهةِ مِنْ وصْفِ اللهِ بِما لا يلِيقُ بِهِ (**عُلُوًّا كبِيرًا**) أيْ تنزُّهًا كامِلًا.

اعلم أخي المسلم رحمك الله بتوفيقه أنّ اعتقاد المسلمين سلفهم وخلفهم أنّ النّار لا تفنى وأنّ أهلها لا يخرجون منها، ولا خلاف بين أحد من المسلمين في هذه المسئلة، فهذه مسئلة إجماعيّة بل ذُكرت في القرءان الكريم في نحو ستّين آية من الآيات البيّنات كقوله تعالى عن أهل النّار في النّار: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٦٥﴾﴾[٢] وقوله تعالى ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[٣] لذلك اتّفق علماء الإسلام على تكفير من يقول بفناء النّار، وممّن نقل الإجماع على ذلك الإمام الحافظ تقيّ الدّين السبكيّ.

هذا مذهب أهل الحقّ وليس الأمر كما يقول ابن تيمية إنّها تفنى ولا يبقى فيها أحد. وقد قال قبل ذلك في كتابه «منهاج السّنّة النّبويّة» اتّفق

---

(١) **تنبيه**: لا يقال: «صفة قائمة في ذات الله»، بل يقال: «بذات الله».

(٢) سورة الأحزاب، ءاية (٦٥).

(٣) سورة البقرة، ءاية (١٦٧).

المسلمون على بقاء الجنّة والنّار وخالف في ذلك جهم بن صفوان، فكفّره المسلمون. اهـ. ثمّ قال بعد ذلك النّار تفنى ولا يبقى فيها أحد فكما كَفّر هو جهمًا لقوله بأنّ الجنّة والنّار تفنيان يُكفّر هو لقوله بفناء النّار لأنّه تكذيب للنّص القرءاني.

سنشرع الآن في إثبات هذا القول الفاسد (فناء النّار) على ابن تيمية، فنقول:

١- نقل ذلك عنه تلميذه ابن قيّم الجوزِيّة في كتابه «حادي الأرواح»[١].

٢- أثبت الحافظ الثّقة تقيّ الدّين السبكيّ على ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم هذا القول ورد عليهما برسالته المشهورة: «الاعتبار ببقاء الجنّة والنّار» والحافظ السّبكيّ من معاصري ابن تيمية، وقد أشاد الحافظ العسقلانيّ برسالة السّبكيّ وذلك في فتح الباري «كتاب الرّقاق باب صفة الجنّة والنّار».

٣- أثبت الحافظ الثّقة أبو سعيد العلائيّ شيخ الحافظ زين الدّين العراقيّ على ابن تيمية هذا القول والحافظ العلائيّ من معاصري ابن تيمية.

٤- أثبت محمّد بن إسماعيل الأمير الصّنعانيّ في «رفع الأستار لإبطال أدلّة القائلين بفناء النّار»[٢]، ومحمّد بن أحمد الأسفراييني في «لوامع الأنوار البهيّة»[٣] على ابن تيمية هذا القول الفاسد.

---

(١) حادي الأرواح (ص٢٦٠).
(٢) رفع الأستار لإبطال أدلّة القائلين بفناء النّار (ص١١١).
(٣) لوامع الأنوار البهيّة (٢/ ٢٣٥).



الزّود عن الدّين بالرّدّ على المنحرفين

عمر بن عبد العزيز رضيَ اللهُ عنهُ مع غَيلان القدري

روى الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق: أنّ غَيلان بن مروان القدريّ الضّالّ المضلّ بدأ بنشر عقيدته الفاسدة بين النّاس كان في زمن التّابعين اعتقد ما لا يجوز اعتقاده وبدأ ينشر عقيدته الفاسدة بين النّاس تعدّى شرّه إلى النّاس فصار يتكلّم في القدر صار يقول للنّاس: «نحن خلقنا أعمالنا، الله ما خلق أعمالنا الله ما خلق الشّر» بدأ ينشر هذا الكفر والضّلال بين العباد. أمّا عقيدة رسول الله ﷺ هي أنّ الله خلقنا وخلق أعمالنا الّتي نعملها باختيار منّا أو الّتي تحصل بغير اختيار منّا، لا خالق إلا الله، والله تعالى خلق الخير وخلق الشّرّ، خلق الشّرّ ولكنّه لا يحبّ الشّرّ، نهى عنه وأمر بالخير، بلغ عمر بن عبد العزيز رضيَ اللهُ عنهُ كلام غَيلانَ القدري في القدر بأنّه صار يقول للنّاس: نحن خلقنا أعمالنا الله ما خلق أعمالنا، فأرسل إليه فدعاه، فقال له: ما الّذي بلغني عنك تتكلّمُ في القدر؟ قال غَيلان: يُكذَبُ عليَّ يا أمير المؤمنين ويُقال عليَّ ما لم أقل، قال: فما تقول في العلم؟ ويلك أنت مخصوم، إن أقررت بالعلم خصمت، وإنَّ جحدت بالعلم كفرت، ويلك أقرّ بالعلم تخصم خير من أن تجحد فتُلعن، والله لو علمتُ أنّك تقول الّذي بلغني عنك لضربت عنقك، أتقرأ ﴿يٰسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ قال نعم، قال اقرأ فقرأ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ ﴿يٰسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤﴾ إلى أنّ بلغ ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧﴾ قال له قِفْ كيف ترى؟ قال

كأنّي لم أقرأ هذه الآية قطّ، قال زد ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾ قِفْ من جعل الأغلال في أعناقهم؟ قال لا أدري، قال: ويلك، الله واللهِ، قال زد ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ قال: قِفْ، قال: ويلك من جعل السّدّ بين أيديهم؟ قال: لا أدري، قال ويلك اللهَ واللهِ، زد ويلك ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾، قِفْ كيف ترى؟ قال كأنّي والله لم أقرأ هذه السّورة قطّ، فإنّي أعاهد الله أن لا أعود في شيء من كلامي أبدًا فانطلق.

فلمّا ولّى قال عمر بن عبد العزيز: اللَّهمَّ إن كان أعطاني بلسانه ومحنتُهُ في قلبه فأذِقه حرّ السّيف. فلم يتكلّم في خلافة عمر بن عبد العزيز وتكلّم في خلافة يزيد بن عبد الملك، فلمّا مات يزيد أرسل إليه هشام فقال ألست كنت عاهدت الله لعمر بن عبد العزيز أنّك لا تتكلّمُ في شيء من كلامك؟ قال أقلني يا أمير المؤمنين، قال لا أقالني الله إن أنا أقلتك يا عدوّ الله، أتقرأ فاتحة الكتاب؟ قال نعم، فقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ قال: قِفْ يا عدوّ الله، علام تستعين الله؟ على أمر بيدك أم على أمر بيده؟ من هٰهنا انطلِقوا به فاضربوا عنقه واصلبوه، قال: يا أمير المؤمنين، أبرز لي رجلًا من خاصّتك أناظره، فإن أدرك عليّ أمكنته من عِلاوتي فليضربها، وإن أنا أدركت عليه فأتبِعني به، قال هشام: منْ لهذا القدريّ؟ قالوا: الأوزاعي، فأرسل إليه وكان بالسّاحل فلمّا قدم عليه قال له الأوزاعي: أخبرني يا غَيلان إن شئت ألقيت عليك ثلاثًا وإن شئت أربعًا وإن شئت واحدة، قال ألق عليَّ ثلاثًا.

قال: أخبرني عن الله قضى على ما نهى؟ قال: لا أدري كيف هذا؟ قال الأوزاعيّ هذه واحدة يا أمير المؤمنين. ثمّ قال: أخبرني عن الله أمر بأمرٍ ثمّ حال دون ما أمر؟ قال القدري: هذه والله أشدُّ من الأولى، قال الأوزاعي: هاتان اثنتان يا أمير المؤمنين. ثمّ قال: أخبرني عن الله حرّم حرامًا ثمّ أحلّه؟ قال: هذه والله أشدُّ من الأولى والثّانية، قال الأوزاعي كافرٌ وربّ الكعبة يا أمير المؤمنين.

فأمر به هشام فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه وصُلب، فقال حين أمر به «أدركتني دعوة العبد الصّالح عمر بن عبد العزيز».

قال هشام: يا أبا عمرو، فسّر (أي فسّر للناس) لنا الثّلاث الّتي ألقيت عليه، قال: قلت له: أخبرني عن الله قضى على ما نهى [إنّ الله نهى آدم عن الأكل من الشّجرة ثمّ قضى عليه أن يأكل منها، قلت له أخبرني عن الله أمر بأمر ثمّ حال دون ما أمر]، إنّ الله عزّ وجلّ أمر إبليس بالسّجود لآدم فحال بينه وبين أن يسجد له، وقلت له: أخبرني عن الله عزّ وجلّ حرّم حرامًا ثمّ أحلّه حرّم الميتة وأعان على أكلها للمضطّرّ إليها.

قال له هشام فأخبرني عن الأربع ما هي؟

قال: كنت أقول له: أخبرني عن الله عزّ وجلّ خلقك كما شاء أو كما شئت؟ فإنَّهُ يقول: كما شاء. ثمّ كنت أقول له: أخبرني عن الله أرازِقُك إذا شاء أم إذا شئت؟ فإنَّهُ يقول: إذا شاء. ثمّ كنت أقول له: أخبرني عن الله يتوفاك حيث شاء أم حيث شئت؟ فإنَّهُ يقول: حيث شاء. ثمّ كنت أقول له أخبرني عن الله يصيّرك حيث شاء أم حيث شئت؟ فإنَّهُ يقول: حيث شاء، فمن لا يقدر أن يزيد في رزقه ولا يُنقص في عمره فما إليه من المشيئة شيء.

قال هشام: فأخبرنا عن الواحدة ما هي؟ قال كنت أقول له أخبرني عن مشيئتك مع مشيئة الله أو دون مشيئة الله؟ فعلى أيّهما أجابني حلّ قتله، إن قال مع مشيئة الله صيّر نفسه شريكًا لله، وإنْ قال دون مشيئة الله انفرد بالربوبية.

فقال هشام لا أحياني الله بعد العلماء ساعة واحدة» انتهى.



انشُرِ العلمَ باحتراس عقيدةٍ راسخة دون التباس

فيما يراعى عند تعليم النّاس

أوصيكم بالتّمسك بعلم الدّين ونشره، اليوم نشر عقيدة أهل السّنّة وبيان الكفريّات أفضل من بناء مساجد لا تدعو الضّرورة لبنائها، الاشتغال بالتّعليم هو الأهم.

قولوا للمدرّسين إذا أرادوا أن يعلّموا النّاس أنّ الله موجود بلا مكان، قبل أن تقولوا بلا مكان قولوا للنّاس: «في الأزل لم يكن شيء إلّا الله، الله لا بداية لوجوده، كان الله ولم يكن شيء غيره، ما كان نور ولا ظلام ولا عرش ولا سماء، ولا هذه الجهات الستّ ما كانت، ثمّ بعد أن خلق العرش والأرض والسّمٰوات لم يحلَّ فيها، هذا معنى موجود بلا مكان». في الحبشة قيل بأنّ رجلًا لمّا قيل له: «الله موجود بلا مكان» قال: «إذا هو مُتنقّل». لأنّه يُخشى على بعض النّاس أن لا يفهموا هذه العبارة، قولوا لهم مقدّمة قبل أن تقولوا الله موجود بلا مكان.

والأصل الّذي تُبنى عليه العقيدة الإسلامية معرفة الله ومعرفة رسوله،

فمعرفة الله هو العلم بأنّه تعالى موجود، فيجب اعتقاد أنّه تعالى موجود في الأزل أي لا ابتداء لوجوده، قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ وقال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ أي هو الّذي لا ابتداء لوجوده، روى البخاريّ في الصّحيح والبيهقيّ وأبو بكر بن الجارود عن عمران بن الحصين أنّ رسول الله ﷺ جاءه قوم من أهل اليمن فقالوا: يا رسول الله جِئناك لنتفقّه في الدّين ولنسألك عن بدء هذا الأمر ما كان، وفي لفظ: «عن أول هذا الأمر»، قال: «**كانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وكانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ وَكَتَبَ في الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ**». كان سؤالهم عن أوّل العالم ثمّ الرّسول ﷺ أجابهم بما هو أهم من ذلك وهو قوله: «**كان اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ**» أي أنّ الله موجود في الأزل لا ابتداء لوجوده ولم يكن في الأزل معه شيء أي لا زمان ولا مكان ولا أجرام.

دعاء

يُقالُ في الصّباح والمساء: «**اللّهُمَّ إنّي أَسأَلُكَ العافِيَةَ في الدُّنيا والآخِرَة، اللّهُمَّ إنّي أَسألُك العَفْوَ والعافِيةَ في ديني وَدُنيايَ وأهلي ومالي، اللَّهمَّ استُرْ عَوراتي وَآمِن رَوْعاتي، اللَّهمَّ احْفَظْني مِن بَينِ يديَّ وَمِن خَلفي وَعَن يَميني وَعَن شِمالي ومِن فَوقي، وأَعوذُ بِعَظَمَتِكَ أن أُغتالَ مِن تحتي**».

الدّرس السادس

(**فيتلخّصُ مِنْ معْنى ما مضى إِثْباتُ ثلاث عشْرة صِفة**[١] **للهِ تعالى تكرّر ذِكْرُها فِي الْقُرْءانِ**) والْحدِيثِ (**إِمّا لفْظًا وإِمّا معْنًى**) تكرُّرًا (**كثِيرًا**) وذلِك أنّ النّبِيّ ﷺ كان يحْرِصُ على أنْ يتعلّمها كُلُّ أحدٍ (**و**) هذِهِ الصّفاتُ (**هِي الْوُجُودُ**) أيْ أنّ الله تعالى موْجُودٌ لا شكّ فِي وُجُودِهِ (**والْوحْدانِيّةُ**) أيْ أنّهُ واحِدٌ لا شرِيك لهُ (**والْقِدمُ أيِ الأزلِيّةُ**) أيْ أنّ الله تعالى لا ابْتِداء لِوُجُودِهِ (**والْبقاءُ**) أيْ أنّهُ لا نِهاية لِوُجُودِهِ لا يمُوتُ ولا يهْلِكُ ولا يتغيّرُ (**وقِيامُهُ بِنفْسِهِ**) أيْ أنّهُ مُسْتغْنٍ عنْ كُلّ ما سِواهُ وكُلُّ ما سِواهُ مُحْتاجٌ إِلَيْهِ (**والْقُدْرةُ**) أيْ أنّ الله قادِرٌ على كُلّ شيْءٍ أيْ على كُلّ مُمْكِنٍ عقْلِيّ وهُو ما يجُوزُ عقْلًا وُجُودُهُ تارةً وعدمُهُ تارةً أُخْرى[٢] (**والإِرادةُ**) أيِ الْمشِيئةُ وهِي تخْصِيصُ الْمُمْكِنِ الْعقْلِيّ بِبعْضِ ما يجُوزُ علَيْهِ مِن الصّفاتِ دُون بعْضٍ وبِوقْتٍ دُون ءاخر (**والْعِلْمُ**) أيْ أنّ الله

---

(١) صفات الله الثّلاث عشرة هي الصّفات القائمة بذات الله بالاتّفاق أي الثّابتة له فمن نفى صفة من هذه الصّفات فهو كافر، وهذه الصّفات تجب معرفتها ولا يجب حفظ ألفاظها على كلّ مكلّف، وتنقسم إلى صفات معانٍ وصفات سلبيّة وصفة نفسيّة.
صفات المعاني كلّ منها متحقّق يصحّ أن ترى لو كشف عنا الحجاب وهي: الحياة العلم السّمع البصر الكلام القدرة والمشيئة، ما عدا البقاء وبعضهم (وهو ما عليه أبو الحسن الأشعريّ وأكثر أتباعه) عدّ البقاء من صفات المعاني والآخرون عدّوا البقاء من الصّفات السّلبيّة، الصّفات السّلبيّة هي الّتي تفيد نفي ما لا يليق بالله عن الله وهي الوحدانيّة والقدم والمخالفة للحوادث والقيام بالنّفس والبقاء، والصّفة النّفسيّة وهي الوجود وسمّيت نفسيّة لأنّه لا يعقل وجود الذات بدونها.

(٢) ورد في الحديث أنّ رجلًا أوصى بنِيه أنّه إذا مات أن يُحرق ويُذرّ رماده في الرّيح، ففعلوا ذلك قال: لئن قدر الله عَليّ لَيُعذِّبني عذابًا ما عذّبه أحدًا فمعنى قوله لئن قدر الله أي لئن ضيّق عليّ أي لئن لم يغفر لي ليعذّبني عذابًا ما عذّبه أحدًا لأنّه كان ينبش القبور ويبيع الأكفان، ليس معناه أنّه كان شاكًّا في قدرة الله.

يعْلمُ كُلّ شيْءٍ بِعِلْمِهِ الأزلِيّ يعْلمُ ذاتهُ وصِفاتِهِ وما يُحْدِثُهُ مِنْ مخْلُوقاتِهِ بِعِلْمٍ واحِدٍ شامِلٍ لِكُلّ الْمعْلُوماتِ لا يتجدّدُ ولا يتغيّرُ ولا ينْقُصُ ولا يزِيدُ[١]. (**والسّمْعُ**) أيْ أنّ الله يسْمعُ بِسمْعِهِ الأزلِيّ الّذِي ليْس كسمْعِ غيْرِهِ، فسمْعُ اللهِ قدِيْمٌ وسمْعُ غيْرِهِ حادِثٌ، يسْمعُ الله بِسمْعِهِ كُلّ الْمسْمُوعاتِ مِنْ غيْرِ حاجةٍ إلى أُذُنٍ ولا ءالةٍ أُخْرى[٢]. (**والْبصر**) أيْ أنّ الله يرى بِرُؤْيتِهِ الّتِى ليْستْ كرُؤْيةِ غيْرِهِ، فبصرُ اللهِ قدِيْمٌ وبصرُ غيْرِهِ حادِثٌ، يرى ربُّنا بِبصرِهِ كُلّ الْمُبْصراتِ فيرى ذاتهُ ومخْلُوقاتِهِ مِنْ غيْرِ حاجةٍ إلى حدقةٍ ولا ءالةٍ أُخْرى. (**والْحياةُ**) أيْ أنّ الله تعالى حيٌّ بِحياةٍ أزلِيّةٍ أبدِيّةٍ لا تُشْبِهُ حياتنا ليْستْ بِرُوحٍ ولحْمٍ ودمٍ وعصبٍ ومُخٍّ (**والْكلامُ**) أيْ أنّهُ سُبْحانهُ وتعالى مُتكلّمٌ بِكلامٍ واحِدٍ أزلِيّ أبدِيّ لا يُبْتدأُ ولا يُخْتتمُ ليْس حرْفًا ولا صوْتًا ولا لُغةً[٣] (**والْمُخالفةُ لِلْحوادِثِ**) أيْ أنّهُ لا يُشْبِهُ شيْئًا مِن الْمخْلُوقاتِ.

وأمّا معنى الآية ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾[٤] أي أنّ الله تعالى له التّكوين أي تكوين الأشياء أي الّذي له التّخليق لا يخلقه أحد غيره، الأمر معناه الله تعالى يأمر بالأمر الأزليّ، العباد الّذين يأمرهم ليسوا أزليّين، ما كانوا في الأزل، لكن أمره كان في الأزل لأنّ الأمر كلامه، كلام الله في الأزل.

---

(١) معنى «الواسع» في حقّ الله أي أنّ علمه شامل لكلّ شيءٍ لا يخفى عن علمه شيء.

(٢) ورد في الحديث أنّ الرّسول ﷺ قال: «**للهُ أَشَدُّ أَذَنًا إلى الرَّجُلِ الحَسَنِ الصَّوْتِ**» رواه الحاكم في المستدرك، الأَذَن معناه الاستماع كما فسرها الأوزاعي وليس معناه الأُذُن الجارحة. ومعنى أشدُّ استماعًا أي أشدُّ إثابةً.

(٣) قال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر «ونحن نتكلّم بالآلات والحروف والله تعالى يتكلّم بلا آلة ولا حرف والحروف مخلوقة وكلام الله تعالى غير مخلوق» اهـ انظر شرح كتاب الفقه الأكبر للملّا عليّ القاري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (ص٥٠ - ٥١).

(٤) سورة الأعراف، ءاية (٥٤).

(**فلمّا كانتْ هذِهِ الصّفاتُ**) الثّلاث عشْرة (**ذِكْرُها كثِيرًا فِي النُّصُوصِ الشّرْعِيّةِ**) أي الْقُرْءانِ والْحدِيثِ كما مرّ (**قال الْعُلماءُ تجِبُ معْرِفتُها وُجُوبًا عيْنِيًّا**) على كُلّ مُكلّفٍ[١]، وقالُوا (**فلمّا ثبتتِ الأزلِيّةُ لِذاتِ اللهِ**) بِالدّلِيلِ النّقْلِيّ والدّلِيلِ الْعقْلِيّ (وجب أنْ تكُون صِفاتُهُ أزلِيّةً لأنّ حُدُوث الصّفةِ يسْتلْزِمُ حُدُوث الذّاتِ) الْمُتّصِفِ بِها لِأنّ معْنى ذلِك أنّهُ يتغيّرُ مِنْ حالٍ إِلى حالٍ والْمُتغيّرُ مُحْتاجٌ لِمنْ يُغيّرُهُ والْمُحْتاجُ لا يكُونُ إِلهًا أزلِيًّا بلْ مخْلُوقٌ حادِثٌ، فلمّا ثبت فِي الْعقْلِ قِدمُ اللهِ تعالى وأزلِيّتُهُ ثُبُوتًا قطْعِيًا وجب أنْ تكُون صِفاتُهُ أزلِيّةً.

وبهذا أنْهى الْمُصنّفُ الْكلام على الشّهادةِ الأُولى والشّرْح لها، ثُمّ بدأ الْكلام على الشّهادةِ الثّانِيةِ فقال (**ومعْنى**) الشّهادةِ الثّانِيةِ وهِي (**أشْهدُ أنّ مُحمّدًا رسُولُ اللهِ**) (**أعْلمُ وأعْتقِدُ**) وأُصدّقُ وأُذْعِنُ بِقلْبِي (**وأعْترِفُ**) بِلِسانِي (**أنّ مُحمّد بن عبْدِ اللهِ بنِ عبْدِ الْمُطّلِبِ ابنِ هاشِمِ بنِ عبْدِ منافِ**) ابنِ قُصيّ بنِ كِلابِ بنِ مُرّة بنِ كعْبِ بنِ لُؤيّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِكِ بنِ النّضْرِ بنِ كِنانة بنِ خُزيْمة بنِ مُدْرِكة بنِ إِلْياس بنِ مُضر بنِ نِزارِ بنِ معدّ بنِ عدْنان (**الْقُرشِيّ**)[٢] أي الْمنْسُوب إِلى أشْرفِ قبائِلِ الْعربِ قُرِيْش[٣] هُو (**عبْدُ اللهِ ورسُولُهُ إِلى جمِيعِ الْخلْقِ**) من إِنس وجن.

---

(١) قال عدد من العلماء من مالكيّة وشافعيّة وغيرهم بوجوب معرفة عشرين صفة لله.

(٢) حفظ نسب الرّسول ﷺ الموجود في المختصر واجب كفائي. وليعلم أنّ أجداد الرّسول ﷺ من آدم إلى أبيه عبد الله ما توالدوا بالزّنى بل بالزّواج.

(٣) منع اللّفظ من الصّرف لأنّ المراد بقريش هنا اسم القبيلة، قال المحدّث الشّيخ عبد الله الهرريّ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاه بعد أن سئل عن سبب تسمية قريش بهذا الاسم: القرش: الجمع، وتقرّشوا إذا تجمّعوا، وبذلك سُمّيت قريش. وقيل: قريش حيوان بحري تسكن البحر، وبه سمّي الرجل. قال الشاعر:

وقريش هي الّتي تسكن البحر بها سمّيت قريش قريشا

قال: فسُمّيَت قريش بذلك على معنى القوّة، كما أنّ ذلك الحيوان معروف بالقوّة.

(**ويتْبعُ ذلِك**) أيْ يتْبعُ الإِيْمان بِرِسالةِ سيّدِنا مُحمّدٍ (**اعْتِقادُ أنّهُ وُلِد بِمكّة**) وأُمُّهُ هِي ءامِنةُ بِنْتُ وهْبٍ مِنْ بنِي زُهْرة مِنْ قريْشٍ (**وبُعِث بِها**) أيْ نزل عليْهِ الْوحْيُ بِالنُّبُوّةِ وهُو مُسْتوْطِنٌ فِيها وكان حِينئِذٍ فِي غارِ حِراءٍ (**وهاجر**) أيْ فارق مكّة (**إِلى الْمدِينةِ**) الْمُنوّرةِ بِأمْرِ اللهِ تبارك وتعالى ومات (**ودُفِن فِيْها**) فِي حُجْرةِ السّيّدةِ عائِشة رضِي الله تعالى عنْها.

فائدة: إنّ ابتداء التّاريخ الّذي استعمله المسلمون هو شهر محرّم من السّنة الّتي هاجر فيها الرَّسول عليه الصّلاة والسّلام، أقامَ في المدينة عشر سنين بالإجماع ودخلها ضحى يوم الاثنين، وتوفّي ضحى يوم الاثنين، ودفن يوم الأربعاء. أمِن الصّحابة على جسده الشّريف الطّاهر أن يتغيّر بسبب الموت فأخّروا دفنه لاشتغالهم في أمر البيعة بالخلافة وللصّلاة للجمّ الغفير عليه جماعات متفرّقة تدخل الحجرة للصّلاة عليه ﷺ.

طلع البدر علينا...

الهجرة

لقد بعث الله تبارك وتعالى نبيّه ﷺ وأمره بالتّبليغ والإنذار، فكان يدعو إلى دين الله، عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان، فكان يمرّ بين العرب المشركين حين كانوا يجتمعون في الموسم من نواح شتّى ويقول: «**أيُّها النَّاسُ قُولُوا لَا إِلٰهَ إِلَّا الله تُفْلِحُوا**»، ودعا إلى العدل والإحسان ومكارم الأخلاق ونهى عن المنكر والبغي، فآمن به بعض النّاس، وبقي أكثر النّاس على الكفر وصاروا يؤذونه وأصحابه، فلمّا اشتدّ الأذى عليهم هاجر بعض الصّحابة إلى الحبشة، وكانت هذه هي الهجرة الأولى، وكانوا نحو ثمانين

منهم عثمان بن عفان وجعفر بن أبي طالب.

وكان رسول الله ﷺ لقي في الموسم نفرًا من أهل يثرب من الخزرج فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، ثمّ ازداد عددهم في العام التّالي، فلمّا انصرفوا بعث معهم رسول الله ﷺ بعض الصّحابة ليعلّموهم القرءان وليدعوا من لم يُسلم إلى الإسلام، فلمّا كثر أنصار الرّسول ﷺ بيثرب أمر الله تعالى المسلمين بالهجرة إليها. فهاجر المسلمون إلى المدينة أكثرهم تحت جنح الظّلام، وكان ممّن هاجر سيّدنا عمر بن الخطّاب رضيَ اللهُ عنهُ، ولكنّه خرج في وضح النّهار ومعه أربعون من المستضعفين ممتشقًا سيفه قائلًا لصناديد قريش بصوت جهير: «يا معشر قريش من أراد منكم أن يفصل رأسه أو تثكله أمّه أو تترمّل امرأته أو ييتّم ولده أو تذهب نفسه، فليتبعني وراء هذا الوادي فإنّي مهاجر إلى يثرب»، فما تجرّأ أحد منهم أن يحول دونه ودون الهجرة.

وكان المشركون قد أجمعوا أمرهم على قتل رسول الله ﷺ، فجمعوا من كلّ قبيلة رجلًا جلدًا نسيبًا وسيطًا، ليضربوه ضربة رجل واحد حتَّى يتفرّق دمه في القبائل، فأتى جبريل عليه السّلام إلى رسول الله ﷺ يخبره بكيد المشركين، وأمره أن لا يبيت في مضجعه الّذي كان يبيت فيه.

فدعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وأمره أن يبيت على فراشه ويتسجّى ببرد له أخضر ففعل، ثمّ خرج رسولُ الله ﷺ على القوم وهم على بابه ومعه حفنة تراب فجعل يذرّها على رؤوسهم وهو يقرأ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩﴾[1] وأخذ الله عزّ وجلّ بأبصارهم، فلمّا أصبحوا فإذا هم بعليّ بن أبي طالب فسألوه عن النّبيّ ﷺ فأخبرهم أنّه خرج، فركبوا يطلبونه.

---

(١) سورة يس.

وكان رسول الله ﷺ قد سار مع أبي بكر رضيَ اللهُ عنهُ والّذي كان ينتظر بفارغ الصّبر مرافقته لرسول الله ﷺ، وكان قد استأذن رسول الله ﷺ قبل ذلك بالهجرة فقال له عليه السّلام: «لا تعجل لعلَّ الله أنْ يَجعلَ لَكَ صاحِبًا»(١).

وكانت الصّحبة مع رسول الله ﷺ، سارا حتَّى وصلا إلى غار ثور فدخلاه، وجاءت العنكبوت فنسجت على بابه، وجاءت حمامة فباضت ورقدت فلمّا وصل رجال قريش إلى الغار قال أبو بكر: «يا رسول الله لو أنّ أحدهم ينظر إلى قدميه لأبصرنا»، فقال النّبيّ ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ باثنَينِ الله ثالِثُهُمَا**» رواه مسلم في صحيحه. معناه أنّ الله تعالى هو الّذي يحفظنا وينصرنا، وليس معناه أنّ الله تعالى موجود بذاته معهما في الغار وكذلك قوله تعالى إخبارًا عن نبيّه ﷺ أنّه قال: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴿٤٠﴾﴾ ليس معناه أنّ الله تعالى بذاته معهما في الغار بل المعيّة هنا هي معيّة النّصرة، أي أنّ الله تعالى هو الّذي ينصرنا ويحمينا لأنّ الله تعالى لا يُوصف بأنّه يحلّ مكانًا، فهو الموجود بلا مكان وهو المنزّه عن كلّ صفات الخلق.

لقد حمى الله تعالى نبيّه ومن معه وأكملا طريقهما حتَّى وصلا إلى المدينة المنوّرة حيث استقبله المؤمنون بالفرح واستبشروا بقدومه ﷺ، وسمّى الرّسول ﷺ يثرب المدينة المنوّرة وسمّى أهلها الأنصار وبنى فيها مسجده ومساكنه.

فائدة: لم تكن هجرته ﷺ هربًا من المشركين، فهو أشجع خلق الله تعالى ولم تكن لأجل الشّهرة والجاه والسّلطان، فقد ذهب إليه أشراف مكّة وساداتها وقالوا له: «إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، (١٣/ ١٢٧).

جمعنا لك حتَّى تكون أكثرنا مالًا، وإنْ كنت تريد ملكًا ملّكناك إيّاه»، ولكنّ النّبيّ ﷺ يعلم يقينًا أنّ دعوته دعوة حقّ لا بدّ أن يؤدّيها كما أمر الله، وهو أشرف وأسمى من أن يكون مقصوده الدّنيا والجاه والسّلطان وهو القائل لعمّه أبي طالب: «**وَاللهِ يَا عَمّ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ في يَميني والقَمَرَ في يَسَاري عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ ما تَرَكْتُهُ حَتَّى يُظهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَه**»(١).

ولم تكن هجرته ﷺ طلبًا للرّاحة والتّنعّم، بل كانت هجرته ﷺ لنشر دين الله وإقامة دولة الإيمان ونشر كلمة لا إلٰه إلّا الله في أرجاء المعمورة.

حصّلوا العلم بازدياد
بجدٍّ واجتهاد سعيًا لمرضاة ربّ العباد

الحثُّ على إحياء علم الدّين

أوصيكم بلزوم مجالس علم الدّين وتبليغ العلم، العالم إذا علّم النّاس أمور الدّين فاستفاد به خلق فله أجره ومِثلُ أجر الّذين اتّبعوه، الرّسول ﷺ له أجره ومِثلُ أجر ما عملته أمّته من الخير لأنّه هو الّذي علّمهم، قال عليه الصّلاة والسّلام «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» اهـ رواه البخاري.

---

(١) الحديث بلفظ: فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمّ لو وُضِعَت الشّمسُ في يَميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتَّى يُظهِرَهُ الله تعالى أو أَهلِكَ في طَلبِهِ**» عند البيهقيّ، دلائل النّبوّة، (٢/ ٦٣).

وإنَّ من خير ما تنفق فيه الأوقات إحياء العلم النّافع والمثابرة على نشره للكبار والصّغار، فإنّ في ذلك حفظ حقوق الله وحقوق العباد. فأهمّ العلمِ العلمُ بالله وبرسوله، ولا ينبغي أن يكون الإنسان قاصر الرّغبة في الازدياد من العلم. فلا يفتكم هذا الخير العظيم وهو تحصيل العلم ونشره، فاصرفوا إليه هممكم.

دعاء

ومن دعاء النّبيّ ﷺ أن يقال: «**اللَّهمَّ إنّي أَسأَلُكَ الهُدى والتُّقَى والعَفَافَ والغِنَى**» رواه مسلم.

من قال عند الصّباح وعند المساء: «**سُبحَانَ اللهِ وبحَمْدِهِ**» مائة مرة، كتبت له ألف حسنة وحُطَّ عنه ألف سيئةٍ، بل حطّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر.

الدّرس السابع

(**ويتضمّنُ ذلِك**) أيْضًا اعْتِقاد (**أنّهُ صادِقٌ فِي جمِيعِ ما أخْبر بِهِ وبلّغهُ عنِ اللهِ**) ولا يُخْطِئُ فِي ذلِك أبدًا سواءٌ كان ذلِك مِنْ أخْبارِ منْ قبْلنا مِن الأُمم وبدْءِ الخلْقِ، أمْ مِن التّحْلِيلِ والتّحْرِيْم، أمْ مِمّا أخْبر بِهِ مِمّا يحْدُثُ فِي الْمُسْتقْبلِ، أمّا ما أخْبر بِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيا بِغيْرِ وحْيٍ فكان يجُوزُ عليْهِ الْخطأُ فِيهِ (**فمِنْ ذلِك**) أيْ فمِمّا يجِبُ الإِيْمانُ والتّصْدِيقُ بِهِ جزْمًا مِمّا أخْبر بِهِ النّبِيُّ ﷺ (**عذابُ الْقبْرِ**)[1] بِالرُّوحِ والْجسدِ[2] كعرْضِ النّارِ على الْكافِرِ كُلّ يوْمٍ مرّتيْنِ مرّةً أوّل النّهارِ ومرّةً ءاخِر النّهارِ يتعذّبُ

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**القَبرُ أوَّلُ منازِلِ الآخِرَة، فإن نَجا مِنهُ فما بَعْدَهُ أَيسَرُ مِنْهُ، وإنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعدَهُ أَشَدُّ مِنهُ**» الحديث. التّرمذيّ في سننه، كتاب الزّهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في ذكر الموت، (٤/ ٥٥٣).

(٢) لو كان الله يطلع النّاس على ما يحصل في القبور من العذاب لكان النّاس تركوا دفن موتاهم لهذه الحكمة الله لم يطلع النّاس على عذاب أهل القبور وليعتبر النّاس يظهر أحيانًا.

والنّاس في القبر قسمان، قسم غير معذّبين، وقسم معذّبون. ثمّ هؤلاء المعذّبون قسمان:

١- الكفّار يستمرّ عليهم العذاب جسدًا وروحًا، حتّى إذا بليَ الجسد تعذّبت الرّوح.

٢- عصاة المسلمين الّذين لم يسامحهم الله، يُعذّبون مدّة في القبر، ثمّ لا يستمرّ عليهم العذاب إلى يوم القيامة، وإذا بُليت أجسادهم تكون أرواحهم معلّقة بين السّماء والأرض، ويُؤخّر لهم بقيّة العذاب إلى يوم القيامة.

وروح الفاسق بعد الموت تكون في الفضاء، لا تتجاوز هذا الفضاء، ومنهم من يصل إلى السّماء الأولى، هذا بعد الموت وبعد بلي الجسد، فالّذين ماتوا وكانوا من أهل الكبائر وغُفر لهم، تكون أرواحهم في الفضاء أو في السّماء الأولى.

وروح التّقي تسجّل في علّيّين بعد قبضها، وروح الكافر تسجّل في سِجّين، ولم يرد حديثٌ شريفٌ في مكان تسجيل روح العاصي.

بِنظرِهِ ورُؤْيتِهِ لِمقْعدِهِ الّذِي يقْعُدُهُ فِي الآخِرةِ[١]، وكالِانْزِعاجِ مِنْ ظُلْمةِ الْقبْرِ ووحْشتِهِ[٢]، (**ونعِيمُهُ**) أيْ نعِيمُ الْقبْرِ كتوْسِيعِ الْقبْرِ سبْعِين ذِراعًا فِي

---

(١) الكافر فقط هو الّذي يضرب من قبل الملكين بمطرقة من حديد بين أذنيه بعد الموت.
ومن العذاب في القبر: تضييق القبر على الميت حتَّى تختلف أضلاعه، فالوارد في الحديث في عذاب الكافر في القبر أنّ الّتي في جهة اليمين تأتي إلى اليسار، والّتي في جهة اليسار إلى اليمين، تتشابك.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**أَكْيَسُ النّاسِ أَكثَرُهُم ذكرًا لِلمَوتِ وَأَشَدُّهُم استِعدَادًا لَهُ**» أخرجه ابن ماجه وابن أبي الدّنيا. أي أنّ أعقل النّاس من كان يستعدّ لما ينفعه بعد الموت لأنّ الدّنيا دارُ مرور والآخرة هي دار القرار الّذي لا نهاية له. فالنّاس فيها على ثلاثة أصناف صنف مؤمن تقيّ، وصنف مؤمن أدركته الوفاة وهو مرتكب لكبائر الذّنوب قبل أن يتوب منها، وصنف كفّار، فالصّنفان الأوّلان مستقرّهما الدّائم الجنّة، ومَنْ مات وقد عمل من كبائر الذّنوب من غير أن يتوب منها قد يُعذّب قبل ذلك في النّار على أنه لا بدّ أن يُعذَبَ قسم من أهل الكبائر لورود النّص بذلك، الفريق الأول من هذين هم الّذين قال الله فيهم ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة يونس] وذلك أنّ التّقيّ إذا حضرته الوفاة تأتيه ملائكة الرّحمة فيبشّرونه بالجنّة، فيذهب عنه الخوف من الموت والقبر، ثمّ بعد أن يُفارق الرّوح الجسد يكون الرّوح مع الملائكة ويُصعد به إلى السّماء السّابعة، وبين الأرض والسّماء ملائكة يبشّرونه فيسمع تبشيرهم وهكذا حتَّى يصل إلى السّماء السّابعة، ثمّ يُسجّل اسمه في علّيّين، ثمّ ينزلون به، ثمّ إذا حُمِل الجسد للدّفن، الرّوح من شدّة الفرح ينادي: قدّموني قدّموني، يُحبّ أن يعجّل به إلى القبر، ثمّ يعود الرّوح إلى الجسد ويسأله الملكان، ثمّ يقولان له: نم فينام كنومة العروس الّذي لا يوقظه إلّا أحبّ أهله إليه. ويوسَّع له قبره سبعين ذراعًا في سبعين ذراعًا، والبعض يُوسّع له مدّ البصر ويُفتح له باب من الجنّة إلى قبره، تأتيه رائحة الجنّة فلا يلقى شيئًا ينغّص راحته، بل يكون بحالة لو عُرض عليه أن يرجع إلى الدّنيا وتكون له الدّنيا كلّها لا يحبّ أن يرجع، إلّا الشّهيد شهيد المعركة فإنَّهُ يحبّ أن يرجع إلى الدّنيا فيُقتل مرة ثانية لما يرى من كرامة الشّهادة، وأمّا الفريق الثاني وهم من يموتون من المسلمين وعليهم من كبائر الذّنوب فهم قِسمانِ: قسم لا يُصيبه في قبره عذاب ولا نكد وقسم يُصيبهم نكد، أمّا الكافر فإنّ ملائكة العذاب يحضرونه قبل خروج روحه، فيضربونه من أمام ومن خلف وهو يشعر ومن حوله لا يشعرون، ولا يستطيع أن يصرخ أو يفلت من أيديهم لأن أعصابه لا تعمل من شدّة ألم سكرات الموت، ثمّ يُبشرونه بعذاب الله، ثمّ إذا خرجت الرّوح يصعد هؤلاء الملائكة ملائكة العذاب به حتَّى ينتهي به إلى السّماء، فلا يفتح له باب السّماء فيُرَدّ إلى الأرض، فيُنزل به من باب في هذه الأرض حيث ينفذ إلى الأرض السّابعة ويُسجّل=

سبْعِين ذِراعًا وكتنْوِيرِهِ بِنُورٍ يُشْبِهُ نُور الْقمرِ ليْلة الْبدْرِ.

فهذه أمور خفيّة يخفيها الله تعالى إلّا عن بعض عباده فيشاهدون الحالة الّتي يكون عليها الميت المسلم التّقي من النّعيم، الله تعالى يكشف عن أبصارهم الغطاء يشاهدون ماذا يكون حال هذا المؤمن التّقيّ في قبره، وذلك لأنّ الإيمان الّذي كلّف الله به عباده هو الإيمان بالغيب أي من غير أن يروا الجنّة، المسلم يؤمن بالله ورسوله عليه الصّلاة والسّلام وبالقيامة والقبر ولا (يشكّك)، لذلك أخفى الله تعالى هذا، المسلم المؤمن التّقيّ بعد أن يموت أخفى الله حالَه عن أبصارنا، لأنّه لو كان يُرى حال كلّ مؤمنٍ تقيٍّ بعد موته لكان إيماننا عن معاينةٍ لم يكن عن غيبٍ لم يكن إيمانًا بالغيب، الله تعالى أمرنا بأن نؤمن

= اسمه في ديوان الكفّار، ثمّ يردّونه إلى هذه الأرض، فإذا حمل الجسد للدّفن يقول: يا ويلها أين تذهبون به يعني روحه. فإذا دفن يأتيه الملكان فيسألانه فيضيّق عليه القبر حتَّى تختلف أضلاعه ثمّ يبقى في نكد دائم. وأمّا روح المؤمن التّقي فإذا بلي جسده إن كان من الأجساد الّتي يأكلها التّراب ولم يبق إلّا عجب الذّنب، وهو عظم صغير كحبّة خردل منه تركّب خلقة الإنسان في بطن الأمّ، فيصعد بالرّوح إلى الجنّة ليأكل من ثمار الجنّة لكنّه لا يسكن المكان الّذي يسكنه في الآخرة، إنّما في منطلق في الجنّة يعيش، يكون الرّوح بشكل طائر يأكل من ثمارها. وأمّا المسلم غير التّقي يُصعد بروحه بعد فناء جسده بحيث لم يبق إلّا ذلك العظم الصّغير، فيكون مستقرّه هذا الفراغ الّذي بين الأرض والسّماء. والمسافة بين الأرض والسّماء الأولى مسيرة خمسمائة سنة. وبعضهم يكونون داخل السّماء الأولى، وذلك إلى أن يعيد الله الجسد كما كان ويعيد الرّوح إليه. وأمّا روح الكافر بعد بلى جسده فيُنزَلُ به إلى الأرض السّابعة إلى أن يبعث الله تعالى الموتى، وأمّا الأتقياء فيكونون في الحشر كاسين راكبين، لا يحشرون على أقدامهم. ثمّ يبقى النّاس في الموقف إلى أن يصرف بعض إلى الجنّة وبعض إلى النّار، وهذه المدّة مدّة الخروج من القبر إلى استقرار النّاس، بعضهم في الجنّة وبعضهم في النّار قدر خمسين ألف سنة، ولكنّ المؤمن التّقيّ الله تبارك وتعالى يجعل عليه هذه المدّة الطّويلة كأنّها مدّة صلاة فريضة، وذلك من شدّة ما ملئ سرورًا، لا يُحِسُّ بشيء من النّكد ولا من حرّ الشّمس يوم القيامة، يكون تحت ظلّ العرش. ومن شدّة الفرح الّذي يستولي على قلبه هذه المدّة الطّويلة لا يُحِسُّ بطولِها.

بوجوده من غير أن نراه، وبوجود الجنّة من غير أن نراها وبوجود جهنّم من غير أن نراها لأنّ من ءامن بالله والجنّة والنّار والثّواب والحساب يستحقّ الثّواب والنّعيم العظيم في القبر وفيما بعد ذلك.

(**وسُؤالُ الْملكيْنِ مُنْكرٍ ونكِيرٍ**)[١] فيُسْألُ الْمُؤْمِنُ والْكافِرُ مِنْ هذِهِ الأُمّةِ عنِ اعْتِقادِهِ الّذِي مات عليْهِ فيُجيبُ كُلٌّ بِحسبِ حالِهِ ويُسْتثْنى مِنْ هذا السُّؤالِ النّبِيُّ والطّفْلُ وهُو الّذِي مات دُون الْبُلُوغِ وشهِيدُ الْمعْركةِ (**والْبعْثُ**) وهُو خُرُوجُ الْموْتى مِن الْقُبُورِ بعْد إِحْيائِهِمْ[٢] (**والْحشْرُ**) وهُو أنْ يُجْمع الْخلْقُ ويُساقُوا بعْد بعْثِهِمْ إِلى الْمحْشرِ[٣]

---

(١) «**إنَّ العَبْدَ إذا وُضِعَ في قَبرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ حتَّى إنّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ: ما كُنْتَ تَقُولُ في هَذا الرّجل محمّد فأمّا المُؤمِنُ فيقولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انظر إلى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّار قد أَبْدَلَكَ الله بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنّةِ، فَيَراهُما جَمِيعًا، وأمَّا الكَافِرُ أَو المُنَافِقُ فيَقُولُ: لا أَدري كُنْتُ أَقُولُ كما يَقُولُ النّاسُ، فيقال: لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ (بِمِطْرَقَةٍ من حَدِيدٍ) ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إلَّا الثَّقَلَيْنِ**». رواه البخاريّ والتّرمذيّ والنّسائيّ بألفاظ متقاربة واللّفظ هنا للنّسائي.

(٢) وبعد إعادة الجسد الّذي أكله التّراب إن كان من الأجساد الّتي يأكلها التّراب. أول ما يُرَكَّبُ عليه سائر الجسد هو عجب الذّنب، ورد في الحديث أنّ رسول الله ﷺ: «**كُلُّ ابنِ آدَمَ يَأكُلُهُ التُّرَابُ إلَّا عَجْبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفيهِ يُرَكَّبُ**». صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط السّاعة، باب ما بين النّفختين، (٨/ ٢١٠). يُقال: «عَجْبُ الذنبِ» بالباء، وبالميم، والمشهور بالباء.

(٣) النّاس يُنقلُون بعد فناء هذه الأرض إلى الأرض المبدّلة. قال النّبيّ ﷺ: «**يُحشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ عَلَى أَرضٍ بَيْضَاءَ عَفْراءَ كَقُرصَةِ النَّقِيّ**»، قال العلماء: «ليس فيها معْلمٌ لأحد». البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، (٨/ ١٠٩). «ليس فيها معلم» معناه ليس فيها طُرُق، هكذا يمشون لأنّها جديدة. ومعنى «**كقُرصَةِ النَّقِيّ**» مثل رغيف الخبز المصنوع من القمح الصّافي. وبعض النّاس يُفضحون قبل دخول النّار بما فيهم من مساوئ، ومنهم من يجلدون هناك، ومنهم من يكون بصورة رجل ولكن مثل الذّر، مثل النّمل الصّغير، فالمتكبّرون يحشرون أمثال الذّر في صور الرّجال يطؤهم النّاس بأقدامهم. =

(و) الإيْمانُ بِيوْمِ (**الْقِيامةِ**[1]) وأوّلُهُ منْ خُرُوجِ النّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ إلى دُخُولِ أهْلِ الْجنّةِ الْجنّة وأهْلِ النّارِ النّار (**والْحِسابُ**) وهُو عرْضُ أعْمالِ الْعِبادِ عليْهِمْ (**والثّوابُ**) وهُو الْجزاءُ الّذِي يُجازاهُ الْمُؤْمِنُ فِي الآخِرةِ على الْعملِ الصّالِحِ مِمّا يسُرُّهُ (**والْعذابُ**) وهُو ما يسُوءُ الْعبْد ذلِك الْيوْم مِنْ دُخُولِ النّارِ وما دُون ذلِك مِن الْعُقُوباتِ على الْمعاصِي (**والْمِيزانُ**) وهُو ما تُوزنُ بِهِ أعْمالُ الْعِبادِ يوْم الْقِيامةِ.

= وأمّا تفسير الآية (﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [سورة الرّحمٰن] معناها أنّ الجنّ والإنس يُجمعون يوم القيامة فتحفُّهم الملائكة من ورائهم بسبع صفوف من الملائكة لا يستطيع الإنس ولا الجنّ أن يخترقوا هذه الصّفوف إلى ما وراء، فإن استطعتم أن تنفذوا انفذُوا لا تنفذون أي لا تستطيعون إلّا بسلطان أي إلّا بحُجّةٍ من الله، أي إلّا أن يأذن الله لبعضكم وإلّا فلا تستطيعون هذا معنى الآية.

هذا في الآخرة يوم القيامة في الآخرة ليس في الدّنيا، بعض النّاس يوردون هذه الآية (لتأييد هؤلاء الأوروبّيّين الّذين صنعوا الصّاروخ، وشبه ذلك الطّائرات والصّواريخ، كلّ هذا الّذي يُقال له المركبة الفضائيّة، على زعم هؤلاء الّذين فسّروا الآية (بغير تفسيرها إنّ هؤلاء توصّلوا إلى هذا بالعلم أي صنع الطّائرات وما أشبه ذلك ونحن فلنتعلّم كما تعلّموا حتّى نفعل هذه الأفعال، هؤلاء حرّفوا القرءان.

القرءان لا يعني هذا، لأنّ الله ذكر الجنّ والإنس معًا قارنهما في هذه الآية ما اقتصر على الإنس فقط.

(١) مواقف القيامة خمسون موقفًا كلّ موقف مقداره ألف سنة من سنوات الدّنيا قال تعالى ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤﴾ [سورة المعارج]. وقال تعالى في سورة الزُّمَر ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ٦٩﴾ أي بحكم الله هناك في يوم القيامة لا حكم إلّا لله.



له البشرى في الحياة الدّنيا وفي الأخرى

العلَاءُ بنُ الحَضرميّ رضيَ اللهُ عنهُ

كان بعدما توفّي الرّسول ﷺ بعد خلافة عمر بن الخطّاب رضيَ اللهُ عنهُ رجل من أصحاب الرّسول من الأولياء اسمه «العلاء بن الحَضرميّ».

كان الحضرميّ قد خرج قائدًا في الجهاد في سبيل الله، ثمّ هذا القائد جاء ليلًا ليلاحق العدوّ فما وجد سفينة يلحق بها، الكفّار كانوا قد أخذوا السّفن وهربوا بها، قال: «بسم الله يا عليّ يا كريم» وخاض البحر، فلم تبتلَّ ركبه، ثمّ قال للجيش: خوضوا، فخاضوا فقطعوا من دون أن يلحقهم تعب، ثمّ لحقوا العدوَّ فظفروا بهم وكسروهم، ثمّ بعد ذلك في أثناء تلك السّفرة توفّي هذا القائد في أرض برّيّة مفازة ليس فيها سكّان، حفروا له لأنّ إكرام الميت التّعجيل بدفنه، حفروا له فدفنوه، ثمّ بعد أن تجاوزوا محل الدّفن لقوا شخصًا من أهل تلك النّاحية قال لهم لمّا علم أنّهم قاموا بدفنه في تلك المفازة: «من هذا الّذي دفنتموه؟» قالوا: «هذا العلاء بن الحضرمي» فقال: «ما جزاء صاحبكم أن تتركوه بهذه الأرض، هذه الأرض فيها سباع، سباع تحفر لتأكل الجثّة» قالوا: «صحيح لا نتركه هنا بهذه الأرض»، فرجعوا فحفروا فلم يجدوه، إنّما وجدوا القبر ممتدًّا مدّ البصر يتلاطم نورًا، القبر كلّه أنوار، أمّا جسده فلم يروه[1]، رفع إلى حيث يشاء الله، مثل

(١) ذكر ذلك ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة.

هذه الحالة نادرة، كذلك شوهد بعض قبور عباد الله الصّالحين وقد اتّسعت وامتلأت نورًا، أمّا أكثر النّاس لو فتحوا قبر ولي لا يرون هذه الأنوار ولا يرون هذا الاتساع.



أيقنوا أنّ العبرَةَ فيما عندَ اللّهِ
أخلَصوا وجَدُّوا سعيًا لرضاه

بيانُ شيءٍ من أحوالِ الأتقياءِ

الأتقياء في كلّ زمن موجودون بين المسلمين إلى يوم القيامة، والبعض منهم لا يُعرفون بين النّاس لرثاثة ثيابهم من شدّة الفقر، الله أخفاهم، وبعضهم الله يظهرهم يكون لهم عند النّاس شهرة، لكن أغلبهم أخفياء وهم عند الله لهم شأن عظيم. قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ ٱلأَبْرَارَ ٱلأَتْقِيَاءَ ٱلأَخْفِيَاءَ ٱلّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الهُدَى يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ**» صحّحه الحاكم.

ومن الأولياء من لا يُعرفون إذا حضروا مجالس النّاس، وإن غابوا لا يُسأل عنهم، لذلك إذا رأيت مسلمًا فحَسِّن الظّنّ به، قل لعلّه أحسن منّي عند الله، مطلوب أن تحبّه وتحترمه ولو كانت هيئته رثّة وشعره مغبّرًا، ثمّ إذا رأيت منه ما يخالف الشّرع تعامله على حسب الشّرع، ترشده إلى الصّواب، وإنْ وجدته على حالة حسنة تستفيد منه، تكتسب منه وتقتدي به.



عند الصّباح يقال: «**اللّهُمَّ بكَ أصبَحْنَا، وبكَ أمسَينَا، وبكَ نَحْيا، وبِكَ نمُوتُ وإليكَ النَّشُورُ**»، وإذا أمسى يُقال: «**اللَّهُمَّ بكَ أمسَينا وبِكَ نَحْيَا، وبكَ نموتُ وإليكَ النّشُورُ**». وإذا أمسى يقال: **أمسَينا وأمسَى الملكُ لله، والحمدُ لله لَا إلٰهَ إلّا اللهُ وحدَهُ لا شرِيكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وهوَ علَى كلِّ شَيءٍ قديرٌ، ربِّ أسأَلُكَ خيرَ ما في هذِهِ اللّيلَةِ وخيرَ مَا بعدَها، ربِّ أعوذُ بكَ من الكسَلِ والهرَمِ وسُوءِ الكِبَرِ، وأعوذُ بكَ من عذابِ النّارِ وعذاب في القبرِ**». وإذا أصبح يقال ذلك أيضًا: «**أصبَحْنَا وأصبحَ الملكُ للهِ**».



الدّرس الثامن

(**والنّارُ**)[١] أيْ جهنّمُ وهِي الدّارُ الّتِي أعدّها الله لِتعْذِيبِ الْكافِرين وبعْضِ عُصاةِ الْمُسْلِمين وهِي مخْلُوقةٌ الآن ولا تزالُ باقِيةً إِلى ما لا نِهاية لهُ (**والصّراطُ**) وهُو جِسْرٌ يُمدُّ على ظهْرِ جهنّم فيرِدُهُ النّاسُ وتجْرِي بِهِمْ أعْمالُهُمْ أحدُ طرفيْهِ فِي الأرْضِ الْمُبدّلةِ والطّرفُ الآخرُ فِيما يلِي الْجنّة بعْد النّارِ (**والْحوْضُ**) وهُو مكانٌ أعدّ الله فِيهِ شرابًا لأهْلِ الْجنّةِ يشْربُون مِنْهُ بعْد عُبُورِ الصّراطِ[٢] قبْل دُخُولِ الْجنّةِ فلا يُصِيبُهُمْ بعْد ذلِك ظمأٌ (**والشّفاعةُ**) فيطْلُبُ الشُّفعاءُ فِي الآخِرةِ مِن اللهِ إِسْقاط الْعِقابِ عنْ بعْضِ الْعُصاةِ مِن الْمُسْلِمين وهِي لا تكُونُ إِلاّ لِلْمُسْلِمين[٣].

---

(١) قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الأحزاب] وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [سورة البروج]، فالنّار حقّ ووجودها ثابت فيجب الإيمان بها وبأنّها مخلوقة الآن كما يُفهم ذلك من النّصوص الواردة كحديث: «**أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ**» رواه التّرمذي.

(٢) قال تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ ﴿٧١﴾﴾ [سورة مريم]. الورود إمّا أن يكون ورودَ دخول أو ورود عبور في هوائها أو سيرًا على الصّراط. الأتقياء منهم من يمرّ كالرّيح، كالهواء فوق الصّراط، ومنهم من يمرّ بسرعة البرق، وبعض المسلمين بسرعة الخيل على حسب الأعمال.

(٣) وقد قال رسول الله ﷺ: «**شَفَاعَتِي لِأَهلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**» رواه ابن حبّان والتّرمذيّ وأهل الكبائر هم أهل الذّنوب الكبيرة الّذين ماتوا بلا توبة، أمّا الأتقياء هؤلاء لا يحتاجون إلى شفاعة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام ولا إلى شفاعة الملائكة.

(**والْجنّةُ**)[١] وهِي مكانٌ أعدّهُ الله لِتنْعِيمِ الْمُؤْمِنِين[٢] وهِي مخْلُوقةٌ الآن ولا تزالُ باقِيةً إِلى ما لا نِهاية لهُ. أَمّا معنى الآية ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴿٤٦﴾﴾[٣][٤].

(**والرُّؤْيةُ للهِ تعالى بِالْعيْنِ فِي الآخِرةِ**) أيْ بِأنّها حقٌّ وهذا خاصٌّ بالْمُؤْمِنِين يروْنهُ وهُمْ فِي الْجنّةِ (**بِلا كيْفٍ ولا مكانٍ ولا جِهةٍ**) ولا تشْبِيهٍ كما نصّ على ذلِك الإِمامُ أبُو حنِيفة رضِي الله عنْهُ[٥] (**أيْ لا كما يُرى**

---

(١) الجنّة في اللّغة البستان.

(٢) قال الله تعالى ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الأعراف] ويقول النّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يقُولُ لِأهْلِ الجَنّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ، فيقُولُونَ: لَبّيْكَ ربَّنا وسَعْدِيْكَ والخيْرُ فِي يَدِيْكَ، فيقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فيقُولُون: وَمَا لَنا لا نَرْضَى يا رَبّ وقدْ أَعْطيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحدًا مِنْ خَلْقِك، فيقُولُ: ألا أُعْطِيكُمْ أفْضَل مِنْ ذلِك، فيقُولُون: يا رَبّ وأيُّ شيْءٍ أفْضَلُ مِنْ ذلِك، فيقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوانِي فلا أَسْخطُ عَلَيْكُمْ بَعْدهُ أبدًا**» رواه البخاري. فالجنّة حقّ أي وجودها ثابت، وهي مخلوقة الآن ولها ثمانية أبواب، منها باب الرّيّان الّذي يدخل منه الصّائمون، وكذا شهيد المعركة فإنَّهُ يخيّر من أيّ أبواب الجنّة شاء أن يدخل. وقد جاء في وصف الجنّة في الحديث القدسيّ: «**أَعْدَدْتُ لِعِبادِيَ الصّالِحِينَ ما لا عيْنٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمِعتْ، ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بشرٍ، فاقرأوا إِنْ شِئْتُمْ فلا تَعْلمُ نفْسٌ ما أُخْفِي لهُمْ مِنْ قُرّةِ أعْيُنٍ**» رواه البخاري، فهي الّتي تستحقّ أن يعمل لها كلّ جهد وأن يتنافس عليها قال تعالى ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المطففين].

فائدة: قد يسأل سائل أهل الجنّة من أين تأتيهم الثّياب فالجواب هنالك شجرة في الجنّة كبيرة اسمها طوبى منها يتفتّقُ ثياب أهل الجنّة.

(٣) سورة الأعراف، ءاية (٤٦).

(٤) هؤلاء جاء في بعض الآثار أنّهم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم فأُخِّروا عن الّذين رجحت حسناتهم على سيّئاتهم وقُدِّموا على الّذين غلبت سيّئاتهم على حسناتهم فلم يُجعلوا كهؤلاء ولا كهؤلاء بل وُضعوا على سور الجنّة، الجنّة سورها عريض واسع، على هذا الحائط يتركون زمنًا بلا عذاب، ثمّ بعد ذلك يُسمح لهم بالدّخول إلى الجنّة بلا عذاب.

(٥) قال أبو حنيفة في الفقه الأكبر «والله تعالى يُرى في الآخرة ويراه المؤمنون وهم في الجنّة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفيّة ولا كمّيّة ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة» اهـ انظر شرح كتاب الفقه الأكبر للملّا عليّ القاري، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى (ص/١١٩).

الْمخْلُوقُ) لِأنّ الْمخْلُوق يكُونُ فِي جِهةٍ مِن الرّائِي وإِنّما يكُونُ الْمُؤْمِنُون فِي مكانِهِمْ فِي الْجنّةِ فيروْن الله واللهِ بِلا مكانٍ (**والْخُلُودُ فِيهِما**) أيْ الْجنّةِ والنّارِ فيجِبُ الإِيمانُ أنّ الْمُؤْمِنِين يخْلُدُون فِي الْجنّةِ والكافرين يخْلُدُون فِي النّارِ وأنّهُ لا موْت بعْد ذلِك (**والإِيْمانُ بِملائِكةِ اللهِ**) تعالى أيْ بِوُجُودِهِمْ وأنّهُمْ عِبادٌ مُكْرمُون لا يعْصُون الله ما أمرهُمْ ويفْعلُون ما يُؤْمرُون وهُمْ ليْسُوا ذُكُورًا ولا إِناثًا لا يأْكُلُون ولا يشْربُون ولا ينامُون ولا يتوالدُون (**ورُسُلِهِ**) أيْ أنْبِيائِهِ منْ كان رسُولًا أُرْسِل بِشرْعٍ جدِيدٍ ومنْ لمْ يكُنْ كذلِك[1]، والنبِيُّ غيْرُ الرّسُوْلِ هُو إِنْسانٌ أُوْحِي إِلَيْهِ لا بِشرْعٍ جدِيْدٍ بلْ بِاتِباعِ شرْعِ الرّسُوْلِ الذِيْ قبْلهُ وأوّلُ رُسُلِ اللهِ هُو سيّدُنا آدمُ عليْهِ السّلامُ وءاخِرُهُمْ سيّدُنا مُحمّدٌ ﷺ (**وكُتُبِهِ**)[2] وأشْهرُها أرْبعةٌ الْقُرْءانُ والتّوْراةُ والإِنْجِيلُ والزّبُورُ (**و**) يجِبُ أيْضًا الإِيمانُ (**بِالْقدرِ**) أيْ الِاعْتِقادُ بِأنّ كُلّ ما يحْصُلُ هُو بِتقْدِيرِ اللهِ تعالى مع الرّضا بِتقْدِيرِهِ تعالى وعدمِ الِاعْتِراضِ عليْهِ فِي تقْدِيرِهِ الْخيْرِ والشّرّ والْحُلْو والْمُرّ فإِنّ الْمقْدُور (**خيْرُهُ وشرّهُ**) يحْصُلُ بِتقْدِيرِ اللهِ وخلْقِهِ ومشِيئتِهِ فما كان مِنْهُ خيْرًا نُحِبُّهُ

---

(١) يشترك الرّسول والنّبيّ في الوحي، فكلٌّ قد أوحى الله إليه بشرع يعمل به لتبليغه للنّاس، غير أنّ الرّسول يُوحى إليه بنسخ بعض شرع من قبله، أي بنسخ بعض الأحكام الّتي كانت في زمن الرّسول الّذي قبله، أو بشرع جديد أي ببعض الأحكام الّتي لم تنزل على من قبله من الأنبياء، أمّا النّبيّ غير الرّسول فإنّهُ يوحى إليه ليبلّغ شرع الرّسول الّذي قبله. وقد خُفي هذا على كثير من النّاس فغلطوا في هذا التّعريف وادّعوا أنّ النّبيّ أوحي إليه بشرع ولم يُؤمر بتبليغه، وهذا الكلام لا يليق بمقام النّبوة، فإنّ كلّ أنبياء الله مأمورون بالتّبليغ، وكلّهم أدّوا ما أمروا به. قال المفسّر ناصر الدّين البيضاوي في تفسيره ما نصّه: «الرّسول من بعثه الله بشريعة مجدّدة يدعو النّاس إليها، والنّبيّ يعُمُّه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبيّاء بني إسرائيل الّذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السّلام». اهـ. البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، (٤/ ٥٧).

(٢) عن الحسن البصري قال: «أنزل الله مائة وأربعة كتب من السّماء». البيهقيّ، السّنن الكبرى، كتاب الجزية، باب ذكر كتب أنزلها الله قبل نزول القرآن، (٩/ ١٨٨).

وما كان مِنْهُ شرًّا نكْرهُهُ (و) يتضمّنُ الإِيْمانُ بِرسالةِ النّبيّ ﷺ أيْضًا اعْتِقاد (**أنّهُ خاتمُ النّبيّين) فلا نبيّ بعْدهُ ولا ناسِخ لِشرِيعتِهِ (وأنّهُ سيّدُ ولدِ آدم أجْمعِين**) فهُو أفْضلُ خلْقِ اللهِ وأعْلاهُمْ رُتْبةً ومنْزِلةً عِنْد اللهِ.

(**ويجِبُ اعْتِقادُ أنّ كُلّ نبِيٍّ مِنْ أنْبِياءِ اللهِ يجِبُ أن يكُون مُتّصِفًا بِالصّدْقِ**) فيسْتحِيلُ عليْهِمُ الْكذِبُ[1] لأنّ ذلِك نقْصٌ يُنافِي منْصِب النُّبُوّةِ (و) تجِبُ لهُمُ (**الأمانة**) فيسْتحِيلُ عليْهِمُ الْخِيانةُ فلا يغُشُّون النّاس إنْ طلبُوا مِنْهُمُ النّصِيحة ولا يأْكُلُون أمْوال النّاسِ بِالْباطِلِ.

(و) تجِبُ لهُمُ (**الْفطانةُ**) فكُلُّ الأنْبِياءِ أذْكِياءُ يسْتحِيلُ عليْهِمُ الْغباوةُ أيْ ضعْفُ الْفهْمِ لِأنّ الْغباوة تُنافِي منْصِبهُمْ لِأن الله أرْسلهُمْ لِيُبلّغُوا الرّسالة ويُقِيمُوا الْحُجّة على الْكُفّارِ الْمُعانِدِين.

(**فيسْتحِيلُ عليْهِمُ الْكذِبُ والْخِيانةُ**) أيْ يسْتحِيلُ عليْهِمُ الِاتّصافُ بِالْكذِبِ والْخِيانةِ كما يُعْلمُ مِمّا مضى (و) يسْتحِيلُ عليْهِمُ أيْضًا (**الرّذالةُ**) وهِي أخْلاقُ الأسافِلِ الدُّونِ فليْس فِي الأنْبِياءِ منْ هُو رذِيلٌ يخْتلِسُ النّظر إِلى النّساءِ الأجْنبِياتِ بِشهْوةٍ مثلًا وليْس فِيهِمْ منْ يسْرِقُ ولوْ حبّة عِنبٍ (و) يسْتحِيلُ عليْهِمُ (**السّفاهةُ**) وهِي التّصرُّفُ بِخِلافِ الْحِكْمةِ فليْس فِيهِمْ منْ هُو سفِيهٌ يقُولُ ألْفاظًا شنِيعةً تسْتقْبِحُها النّفْسُ (و) يسْتحِيلُ عليْهِمُ (**الْبلادةُ**) فليْس فِيهِمْ منْ هُو بلِيدُ الذّهْنِ عاجِزٌ عنْ إِقامةِ الْحُجّةِ على منْ يُعارِضُهُ ولا ضعِيفُ الْفهْمِ لا يفْهمُ الْكلام مِن الْمرّةِ الأُولى إِلّا بعْد أنْ يُكرّر علَيْهِ عِدّة مرّاتٍ (و) يسْتحِيلُ عليْهِمُ (**الْجُبْنُ**) أمّا الْخوْفُ الطّبِيعِيُّ فلا يسْتحِيلُ علَيْهِمْ[2]، وكذلِك يسْتحِيلُ على الأنْبِياءِ سبْقُ اللّسانِ فِي الشّرْعِيّاتِ

---

(١) افتري على سيّدنا إبراهيم أنّه كذب والعياذ بالله عدّة كذبات حقيقيّة.

(٢) كالنّفور من الحيّة إذا تفاجأ بها الإنسان. قال تعالى ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة طه].

والْعادِياتِ (و) يسْتحِيلُ عليْهِمْ أيْضًا (كُلُّ ما يُنفّرُ عنْ قبُولِ الدّعْوةِ مِنْهُمْ) كالأمْراضِ الْمُنفّرةِ وذلِك كخُرُوجِ الدُّودِ مِن الْجِسْمِ (وتجِبُ لهُمُ الْعِصْمةُ) أيِ الْحِفْظُ التامُّ بِلا انْخرامٍ (مِن الْكُفْرِ و) الذُّنُوبِ (الْكبائِرِ وصغائِرِ الْخِسّةِ) والدّناءةِ (قبْل النُّبُوّةِ وبعْدها) فالأنْبِياءُ عليْهِمُ السّلامُ معْصُومُون مِن الْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ والْمعاصِي الْكبِيرةِ ومِن التّلبُّسِ بِالذُّنُوبِ الصّغِيرةِ الّتِي فِيها خِسّةٌ ودناءةٌ كسرِقةِ حبّةِ عِنبٍ قبْل النُّبُوّةِ وبعْدها (ويجُوزُ عليْهِمْ ما سِوى ذلِك مِن الْمعاصِي) وهِي الصّغائِرُ الّتِي ليْس فِيها خِسّةٌ ولا دناءةٌ كما حصَل مع سيّدِنا آدم (لكِنْ) إنْ حصَل مِنْهُمْ شيْءٌ مِنْ ذلِك (يُنبّهُون فوْرًا لِلتّوْبةِ قبْل أنْ يقْتدِي بِهِمْ) أيْ بِالأنْبِياءِ (فِيها) أيْ فِي تِلْك الصّغِيرةِ (غيْرُهُمْ) مِنْ أُممِهِمْ فيفْعل مِثْل ما فعلُوا لِأنّهُمْ قُدْوةٌ لِلنّاسِ.

(فمِنْ هُنا يُعْلمُ أنّ النُّبُوّة لا تصِحُّ لِإِخْوةِ يُوسُف) وهُمُ الْعشرةُ (الّذِين فعلُوا تِلْك الأفاعِيل الْخسِيسة) مِنْ ضرْبِهِمْ يُوسُف علَيْهِ السّلامُ ورمْيِهِمْ لهُ فِي الْبِئْرِ وتسْفِيهِهِمْ أباهُمْ يعْقُوب علَيْهِ السّلامُ وهُو كُفْرٌ، (و) إِخْوةُ يُوسُف هؤُلاءِ (هُمْ منْ سِوى بِنْيامِين) فهُو لمْ يُشارِكْهُمْ فِيما فعلُوهُ (و) أمّا (الأسْباطُ الّذِين) ذكر الله تعالى فِي الْقُرْءانِ أنّهُ (أُنْزِل علَيْهِمُ الْوحْيُ) فلَيْس الْمُرادُ بِهِمْ هؤُلاءِ الّذِين ءاذوْهُ بلْ (هُمْ منْ نُبّئ) أيْ أُوحِي إِلَيْهِمْ بِالنُّبُوّةِ (مِنْ ذُرّيّتِهِمْ) لِأنّ ذُرّيّتهُمْ مِنْهُمْ منْ أُوتِي النُّبُوّة، والسّبْطُ فِي اللُّغةِ يُطْلقُ على الْولدِ وولدِ الْولدِ.

فائدة جليلة أحببت ذكرها لأهميتها وهي تعريف موجز عن الأشعريّ والماتريديّ لأنّ بعض الفرق الّتي تنتسب للإسلام شذّت عن مذهب هٰذين العالِمَيْنِ، أو نقول: افترت على هٰذين العالِمَيْنِ اللّذين هما إماما أهل السّنّة والجماعة في الأرض.

قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ

بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[1] [سورة المائدة].

وأخرج الحافظ ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» والحاكم في «المستدرك» أنّه لمّا نزلت هذه الآية أشار النّبيّ ﷺ إلى أبي موسى الأشعريّ رضيَ اللهُ عنهُ فقال: «هم قوم هذا». وفي رواية «هم قومك يا أبا موسى».

قال القشيريّ: فأتباع أبي الحسن الأشعريّ من قومه لأنّ كلّ موضع أضيف فيه قوم إلى نبيّ أريد به الأتباع، قاله القرطبيّ في تفسيره[2].

وقال الحافظ البيهقيّ: «وذلك لِما وجد فيه من الفضيلة الجليلة والمرتبة الشّريفة للإمام أبي الحسن الأشعريّ رضيَ اللهُ عنهُ فهو من قوم أبي موسى وأولاده الّذين أوتوا العلم ورُزِقوا الفهم مخصوصًا من بينهم بتقوية السّنّة وقمع البدعة بإظهار الحجّة وردّ الشّبهة. ذكره ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري»[3].

وذكر الإمام البخاريّ في صحيحه باب «قدوم الأشعريّين وأهل اليمن» وقال أبو موسى عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**هُمْ مِنّي وأَنا مِنْهُمْ**».

ونحن نحمد الله تعالى على هذه العقيدة السّنّية الّتي نحن عليها والّتي كان عليها رسول الله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، والّتي مدح الرّسول ﷺ معتنقها، فقال فيما رواه الإمام أحمد والحاكم بسند صحيح: «**لتُفْتحَنَّ القِسْطَنطينيّة فَلَنِعْمَ الأَميرُ أَميرُها ولَنِعْمَ الجَيشُ ذَلِكَ الجَيْش**»، ولقد فتحت القسطنطينيّة بعد ثمانمائة عام فتحها السّلطان محمّد الفاتح

(١) سورة المائدة، ءاية (٥٤).
(٢) تفسير القرطبيّ (ج٦/ ٢٢٠).
(٣) تبيين كذب المفتري (ص٥٠).

رحمه الله، وكان سنّيًّا أشعريًّا يعتقد أنّ الله موجود بلا مكان ويحبّ الصّوفية الصّادقين ويتوسّل بالنّبيّ ﷺ. وشهد الرّسول عليه الصّلاة والسّلام له ولجيشه بأنّهم على حالٍ حسن.

وعلى هذا الاعتقاد مئات الملايين من المسلمين سلفًا وخلفًا في الشّرق والغرب تدريسًا وتعليمًا ويشهد بذلك الواقع المشاهد، ويكفي لبيان حقّيّة هذا، كونُ الصّحابة والتّابعين ومن تبعهم بإحسان على هذه العقيدة، فممن تبعهم بإحسان: هؤلاء الحفّاظ الّذين هم رؤوس أهل الحديث الحافظ أبو بكر الإسماعيليّ صاحب المستخرج على البخاري، ثمّ الحافظ العَلَمُ المشهور أبو بكر البيهقيّ ثمّ الحافظ الّذي وُصف بأنّه أفضل المحدّثين بالشّام في زمانه ابن عساكر، كان كلّ واحد من هؤلاء عَلَمًا في الحديث في زمانه، ثمّ جاء من هو على هذا المنوال الحافظ الموصوف بأنّه أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن حجر العسقلاني، فمن حقّق عرف أنّ الأشاعرة فرسان ميادين العلم والحديث وفرسان ميادين الجهاد والسّنان.

وَمِثلهُم في العقيدة الحقّة الماتريديّة أتباع إمام أهل السُّنَّة أبي منصور الماتريديّ رضيَ اللهُ عنهُ.

يا نار كوني بردًا وسلامًا...

سيّدنا إبراهيمُ عليه السّلامُ

كان أهل بابل يتنعّمون بعيش رغيد ونعم كثيرة أنعم الله بها عليهم، ولكنّهم مع ذلك نسَوا فضل الله عليهم واتّبعوا الشّيطان، فعبدوا الأصنام

الّتي كانوا ينحتونها بأيديهم وهي الّتي لا تضرّ ولا تنفع، لا تخلق ضرًّا ولا نفعًا.

وكان ملكهم نمرود قد طغى حتَّى ادّعى الألوهيّة، وأمر قومه بعبادته من دون الله عزّ وجلّ.

في هذه البيئة المنحرفة وُلد سيّدنا إبراهيم عليه السّلام وكان منذ نعومة أظفاره قد أُلْهِم الإيمان بالله تعالى، وأنّ الله لا يشبه شيئًا من مخلوقاته، وأنّه هو خالق هذا العالم بأسره.

فلمّا أُوحي إليه برسالة الإسلام دعا قومه لعبادة الله وحده، وأمرهم بأن يتركوا الأصنام الّتي كانوا يتفنّنون بنحتها وتزيينها، ويذبحون لها الذّبائح على زعمهم تقرّبًا إليها، فلم يطعه الكثيرون بل ازداد تكبّرهم وتجبّرهم وعلى رأسهم ملكهم نمرود.

ولمّا رأى إبراهيم عليه السّلام أنّهم ما زالوا متعلّقين بعبادة الأصنام، وأنّهم لم يتقبّلوا الأدلّة والبراهين الواضحة الجليّة الّتي جاء بها، قرّر أن يفعل بأصنامهم فعلًا يقيم الحجّة به عليهم لعلّهم يفيقون من غفلتهم العميقة.

وكان من عادة قومه أن يقيموا لهم عيدًا، فلمّا حلّ عليهم عيدهم خرجوا ليحتفلوا خارج المدينة في البساتين والحدائق. فدخل إبراهيم عليه السّلام إلى بيت الأصنام الّذي كان قومه يعبدونها فيه، فإذا في صدر البيت صنم كبير وعلى يمينه ويساره أصنام صغيرة، فأمسك بيده اليمنى فأسًا وأخذ يهوي بها على الأصنام الصغيرة يكسّرها ويحطّمها، ثمّ علّق الفأس في عنق الصّنم الكبير، حتَّى إذا رجع قومه يَظهَر لهم أنّ هذه الأصنام لم تستطع أن تدفع عن نفسها ضرًّا، فكيف تُعبد من دون الله القويّ القهّار.

عاد قومه فعرفوا أنّه هو من حطّم أصنامهم، ولكنّهم لشدّة جهلهم وكفرهم لم يفهموا ما قصد إليه إبراهيم عليه السّلام، فاغتاظوا وأرادوا أن ينتقموا منه، فاختاروا نوعًا من أشَّد أنواع العذاب وهو الإحراق بالنّار.

صار الكفّار يجمعون الحطب من جميع ما يمكنهم من الأماكن، وأتوا بهذا الحطب الكثير ورموه في حفرة عظيمة، وأضرموا فيها النّار فاضْطرمت وتأجّجت والتهبت، وعلا لها شرر عظيم وصوت مخيف لم يُر ولم يُسمعْ بمثله. وكان من شدّة اشتعالها أنّها تحرق الطّائر الّذي يمرّ فوقها وكان الكفّار لا يستطيعون لقوّة اللّهب أن يتقدّموا من النّار، فكيف سيرمون إليها إبراهيم عليه السّلام؟؟

أتى إبليس اللّعين متشكّلًا وعلّمهم صنع المنجنيق الّذي لم يكن يُعرف من قبل، وقيل إنّ رجلًا منهم اسمه «هِيْزن» كان أوّل من صنعه فخسف الله به الأرض، ثمّ أخذ قوم إبراهيم عليه السّلام يقيّدونه ويكتّفونه وهو يقول: «**لَا إِلٰهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، لَكَ الحَمْدُ وَلَكَ المُلْكُ لَا شَرِيكَ لَكَ**»، فلمّا ألقي في النّار قال بلسان المتوكّل على الله: «**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**».

وأعطى الله نبيّه الكريم معجزة باهرة فلم تحرقه النّار ولم تصبه بأذى ولا حتَّى ثيابه، وإنَّما أحرقت وثاقه الّذي ربطوه به، قال تعالى ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[1]. وكان النّاس يقفون على مسافه بعيدة، ينظرون هذا المنظر الهائل المخيف.

مكث النّمرود أيّامًا لا يشكّ أنّ النّار قد أكلت إبراهيم عليه السّلام، فرأى إبراهيم جالسًا وإلى جنبه رجل مثله، فقال لقومه: لقد رأيت كأن

(١) سورة الأنبياء، اية (٦٩).

إبراهيم حيّ، لقد شبّه علي، ابنوا لي منصّة عالية لأرى ما الأمر، فبنوا له منصّة وأشرف منها فرأى إبراهيم عليه السّلام جالسًا وإلى جنبه رجل في صورته، فنادى النمرود سائلًا إبراهيم عليه السّلام: «هل تستطيع الخروج؟». فأجابه: «نعم»، ثمّ سأله: «أتخشى إن أقمت فيها أن تضرّك؟». قال: «لا»، ومع كلّ هذه العجائب فإنّ النّمرود وقومه ظلّوا على كفرهم وعنادهم ولم يؤمن منهم إلّا القليل، لكنّهم أخفوا إسلامهم خوفًا من ملكهم الكافر الّذي سيلقى جزاءه العادل يوم القيامة.

لنتزوّد قبل الفوات ونتهيّأ لِمَا هو ءات

الحثُّ على ذكر هاذم اللّذات

أوصيكم بذكر هاذم اللّذات الموت، فإنَّهُ ما ذكر في كثير إلّا قلّله ولا في قليل إلّا كثّره، فبذكر الموت تتنغّص لذّات الدّنيا حتَّى ينقطع ركون النّاس إليها، لِيقبلوا على طاعة الله والعمل للآخرة، فالكَيِّس أي العاقل الفطن من قهر نفسه وغلبها وجعلها وقّافة عند حدود الله، ملتزمة بشرع الله، وعمل لمَا بعد الموت، ليفوز في الآخرة مع الفائزين، لينجو من عذاب القبر وعذاب النّار، ليحظى بالسّعادة الأبدية والحياة الهنيئة الّتي لا يتخلّلها كدر. فعليكم بالإكثار من ذكر الموت، الّذي يكثر من ذكر الموت تضعف رغبته بالدّنيا، يخفّ تعلّقه بالدّنيا. أمّا المنهمك في الدّنيا المنكبّ على غرورها المحبّ لشهواتها، فإنَّهُ يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره، وإذا ذُكِّر به كرهه ونفر منه. قال رسول الله ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ ٱللَّذَّاتِ**». يعني الموت، رواه التّرمذيّ والنّسائيّ

وابن ماجه وأحمد أي نَغِّصُوا بذكر الموت لذّات الدّنيا حتّى ينقطع ركونكم إليها، فتقبلوا على طاعة الله والعمل للآخرة، ومعنى (هاذم اللّذّات ومفرق الجماعات) أي قاطع الأنساب ومشتّت الأحباب.

فجدير بمن كان الموت موعده أن يُعمِل فكره في الاستعداد له، وقد ورد في الحديث الشّريف عن شدّاد بن أوس، عن النّبيّ ﷺ قال: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِي**»، رواه التّرمذي «الكَيِّسُ» العاقل الفطن المتبصّر في الأمور من دان نفسه أي حاسبها في الدّنيا قبل أن تحاسب في الآخرة.

ثمّ اعلموا أنّ النّاس إمّا منهمك وإمّا تائب مبتدئ وإما عارف منتهٍ، أمّا المنهمك فلا يذكر الموت، وإن ذكره فيذكره للتّأسّف على دنياه، ويشتغل بمذمّته. وأمّا التّائب فإنَّهُ يكثر من ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف والخشية، فيفي بتمام التّوبة، وربّما تمنّى أن يتأخر موته خيفة من أن يختطِفه قبل تمام التّوبة وقبل إصلاح الزّاد، وهذا كالّذي يحبّ تأخر لقاء الحبيب حتَّى يستعدّ للقائه، وعلامة هذا التّائب أن يكون دائم الاستعداد للّقاء. وأمّا العارف فإنَّهُ يذكر الموت دائمًا، لأنّه موعد للقائه بحبيبه، وهذا في غالب الأمر يستبطئ مجيء الموت، ويحبّ مجيئه ليتخلّص من دار الهمّ إلى الضّياء والسّرور والبهجة والنّور.



عند الصّباح والمساء وعند أخذ المضجع للنّوم يقال: «**اللَّهمَّ فاطرَ السّموَاتِ والأرضِ، عَالمَ الغَيبِ والشّهَادَةِ، ربَّ كلِّ شَيءٍ ومَلِيكَهُ، أشهدُ أن لَا إلهَ إلّا أَنتَ، أعوذُ بكَ من شَرِّ نفسِي وشرِّ الشّيطَانِ وشِركِهِ**»، ويُقالُ: «**أعوذُ بكلماتِ اللهِ التّامَّاتِ من شَرِّ مَا خلَقَ**».



الدّرس التاسع

(بابُ الرّدّةِ)

وبعْد أنْ أنْهى الْمُؤلّفُ الْكلام على ضرُورِيّاتِ الاِعْتِقادِ شرع رحِمهُ الله فِي الْكلامِ على الرّدّةِ. وقِيل فِي تعْرِيفِها هِي قطْعُ الإِسْلامِ بِكُفْرٍ قوْلِيٍّ أوْ فِعْلِيٍّ أوِ اعْتِقادِيٍّ[1].

(**يجِبُ على كُلّ مُسْلِمٍ**) مُكلّفٍ (**حِفْظُ إِسْلامِهِ وصوْنُهُ عمّا يُفْسِدُهُ ويُبْطِلُهُ ويقْطعُهُ وهُو الرّدّةُ والعِياذُ بِاللهِ تعالى**) وذلِك لأنّ الْكُفْر هُو أعْظمُ الذُّنُوبِ وهُو الذّنْبُ الّذِيْ لا يغْفِرُهُ الله لِمنْ مات علىْهِ ويغْفِرُ ما دُون ذلِك لِمنْ يشاءُ (**قال**) الْحافِظُ يحْيى بنُ شرفٍ (**النّووِيُّ**)[2] الْمُتوفّى سنة سِتّمِائةٍ وسِتٍّ وسبْعِين (**وغيْرُهُ**) مِن الْعُلماءِ (**الرّدّةُ أفْحشُ**) أيْ أقْبحُ (**أنْواعِ الْكُفْرِ**) أيْ مِنْ حيْثُ إِنّها تُحْبِطُ كُلّ الْحسناتِ ومِنْ حيْثُ كوْنُها انْتِقالًا مِن الْحقّ إِلى الْباطِلِ وليْس الْمُرادُ أنّها أشَدُّ الْكُفْرِ فِي كُلّ الأحْوالِ (**وقدْ كثُر فِي هذا الزّمانِ**) عِنْد الْجُهّالِ مِن النّاسِ (**التّساهُلُ فِي الْكلامِ حتّى إِنّهُ يخْرُجُ مِنْ بعْضِهِمْ ألْفاظٌ**) كُفْرِيّةٌ (**تُخْرِجُهُمْ عنْ**) دِينِ

---

(١) الرّدّة: قطع الإسلام بنيّة أو قول أو فعل سواء قاله استهزاءً أو عنادًا أو اعتقادًا، الردّة تقسم ثلاثة أقسام: أقوال وأفعال واعتقادات كما اتّفق على ذلك أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، كالنّوويّ (ت ٦٧٦هـ) وغيره من الشّافعية، وابن عابدين (ت ١٢٥٢هـ) وغيره من الحنفية، ومحمد عليش (ت ١٢٩٩هـ) وغيره من المالكية، والبهوتي (ت ١٠٥١هـ) وغيره من الحنابلة.

(٢) محيي الدّين أبو زكريا يحيى بن شرف النّووي ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بِنَوى. مات ببلده نوى بعدما زار القدس والخليل في رجب سنة سبع وسبعين وستّمائة ودفن بها. انظر طبقات الشّافعيّة الكبرى، دار عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى (٨/ ٣٩٥).

(**الإِسْلامِ ولا يروْن ذلِك**) الْكلام الْكُفْرِيّ (**ذنْبًا فضْلًا عنْ كوْنِهِ كُفْرًا**) فيظُنُّون أنّهُمْ ما زالُوا مُسْلِمِين (**وذلِك مِصْداقُ**) أيْ وتحْقِيقُ (**قوْلِهِ إِنّ الْعبْد ليتكلّمُ بِالْكلِمةِ) أيْ مِن الْكُفْرِ (لا يرى بِها بأْسًا**) أيْ لا يظُنُّها ضارّةً لهُ (**يهْوِي بِها**) أيْ بِسببِها (**فِي النّارِ سبْعِين خرِيفًا أيْ مسافة سبْعِين عامًا فِي النُّزُولِ وذلِك مُنْتهى**) قعْرِ (**جهنّم وهُو خاصٌّ بِالْكُفّارِ**) كما دلّتْ على ذلِك النُّصُوصُ الشّرْعِيّةُ (**و**) هذا (**الْحدِيثُ رواهُ التّرْمِذِيُّ**)[1] فِي جامِعِهِ (**وحسنّهُ وفِي معْناهُ حدِيثٌ رواهُ**) الشّيْخانِ (**الْبُخارِيُّ**[2] **ومُسْلِمٌ**)[3] ونصُّهُ إِنّ الْعبْد ليتكلّمُ بِالْكلِمةِ ما يتبيّنُ فِيها يزِلُّ بِها فِي النّارِ أبْعد مِمّا بيْن الْمشْرِقِ والْمغْرِبِ اهـ حدِيثُ التّرْمِذِيّ مُفسّرٌ لهُ (**وهذا الْحدِيثُ دلِيلٌ على أنّهُ لا يُشْترطُ فِي الْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ معْرِفةُ الْحُكْمِ**) لِأنّ النّبِيّ ﷺ حكم على قائِلِ الْكلِمةِ الْكُفْرِيّةِ بِالْعذابِ فِي قعْرِ النّارِ مع كوْنِهِ غيْر عالِمٍ بِالْحُكْمِ لِأنّهُ لا يظُنُّ فِيها ضررًا كما جاء فِي الْحدِيثِ، فيُعْلمُ مِنْ هُنا أنّ منْ قال كلامًا كُفْرِيًّا وهُو يفْهمُ معْنى اللّفْظِ كفر سواءٌ عرف أنّ كلامهُ كُفْرِيٌّ أمْ لمْ يعْرِفْ (**ولا**) يُشْترطُ أيْضًا لِلْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ (**انْشِراحُ الصّدْرِ**) فمنْ قال كلامًا كُفْرِيًّا كفر ولوْ كان غيْر مُنْشرِحِ الصّدْرِ (**ولا**) يُشْترطُ (**اعْتِقادُ معْنى اللّفْظِ**) فمنْ قال الْكلام الْكُفْرِيّ بِإِرادتِهِ كفر ولوْ كان لا يعْتقِدُ معْنى الْكلامِ الّذِيْ قالهُ كمنْ يقُولُ يا ابْن اللهِ والْعِياذُ بِاللهِ وهُو لا يعْتقِدُ للهِ ابْنًا. وخالف فِيما ذكرْنا سيِّدُ سابِقٍ[4] الْمِصْرِيُّ

---

(١) رواه التّرمذيّ في سننه، كتاب الزّهد، باب فيمن تكلّم بكلمة يضحك بها النّاس، (٤/ ٥٥٧).

(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، كتاب الرّقاق، باب حفظ اللّسان، (٨/ ١٠٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزّهد والرّقائق، باب التّكلّم بالكلمة يهوي بها في النّار، (٨/ ٢٢٤).

(٤) من مواليد محافظة المنوفية مركز الباجور قرية اسطها قدم للمحافظة في قضية مقتل النقراشي باشا حيث اتّهم في ذلك الوقت أنّه هو الّذي أفتى الشّابّ القاتل عبد المجيد حسن بجواز قتله عقوبة على حلّ الإخوان وكانت الصحف تلقّبه في ذلك الوقت بمفتي=

(كما يقُولُ) فِي (كِتابٍ) لهُ سمّاهُ (فِقْه السُّنّةِ) إِنّ الْمُسْلِم لا يُعْتبرُ خارِجًا عنِ الإِسْلامِ ولا يُحْكمُ عليْهِ بِالرّدّةِ إِلاّ إِذا انْشرح صدْرُهُ بِالْكُفْرِ واطْمأنّ قلْبُهُ بِهِ ودخل فِي دِينٍ غيْرِ الإِسْلامِ بِالْفِعْلِ اهـ يكْفِي فِي الرّدّ عليْهِ حدِيثُ التّرْمِذِيّ الْمذْكُورُ ءانِفًا (وكذلِك لا يُشْترطُ فِي الْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ عدمُ الْغضبِ كما أشار إِلى ذلِك) الْحافِظُ (النّووِيُّ) حيْثُ (قال لوْ غضِب رجُلٌ على ولدِهِ أوْ غُلامِهِ) أيْ عبْدِهِ (فضربهُ ضرْبًا شدِيدًا فقال لهُ رجُلٌ) كيْف تضْرِبُ ولدك أوْ غُلامك هذا الضّرْب الْمُبرّح الْمُحرّم (ألسْت مُسْلِمًا فقال لا) لسْتُ مُسْلِمًا (مُتعمّدًا) أيْ لا على وجْهِ سبْقِ اللّسانِ (كفر) لأنّهُ قال ذلِك الْكلام الْكُفْرِيّ بِإِرادتِهِ (و) هذا الْحُكْمُ أيْ أنّهُ لا يُشْترطُ لِلْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ عدمُ الْغضبِ (قالهُ غيْرُهُ) أي غيْرُ النّووِيّ مِن الْعُلماءِ (مِنْ حنفِيّةٍ وغيْرِهِمْ).

من أراد السّعادة الأبديَّة فليلزم عتبة العبُوديَّة

قصّةُ المؤمن التّقيّ والكافر الشّقِيّ

ضرب الله تعالى في القرءان الكريم العدد من الأمثال ليظهر للنّاس بعض الحِكَم في أحوالهم وأعمالهم وعواقب تصرّفاتهم، ومنها ما ورد في سورة الكهف حيث وردت قصّة الرّجلين اللّذين كان أحدهما مؤمنًا

= الدّماء ثمّ خلّت المحكمة سبيله لكنّه اعتقل مع من اعتقل من الإخوان في سنة ١٩٤٩ر واقتيد إلى معتقل الطّور ثمّ أفرج عنه وعمل بعد ذلك في وزارة الأوقاف مدّة من الزّمن. انتقل في السنين الأخيرة من عمره إلى (جامعة أم القرى) بمكّة المكرّمة. وتوفّي سنة ١٤٢٠هـ عن عمر يناهز ٨٥ سنة. له تآليف فيها ما يخالف الدّين فلتحذر ومنها كتابه المسمّى فقه السّنّة، وانظر أيضًا مجلة البيان العدد ١٥ ص ١٠٤ في ربيع الأول ١٤٢١هـ.

تقيًّا والآخر كافرًا غنيًا شقيًا، فأظهر الله تعالى عدله، وضرب مثلهما كي لا يغترّ النّاس بالدّنيا وينسوا الآخرة. وذلك أنّه كان في بني إسرائيل أَخَوان أحدهما اسمه يهوذا وهو مسلم مؤمن طيّب يحبّ الخير ويكثر منه، وأمّا الآخر فاسمه فرطوس وكان عابدًا للأصنام، كافرًا جاحدًا شحيحًا بخيلًا، جافي الطّبع.

ولمّا مات أبوهما، اقتسما ماله فأنفق كلّ منهما حصّته فيما يلائم طبعه وما يحبّ.

أمّا يهوذا فقد اشترى عبيدًا مملوكين بألف دينار وأعتقهم وجعلهم أحرارًا لله تعالى، ثمّ اشترى ثيابًا بألف دينار وكسا الفقراء العراة ابتغاء مرضاة الله عزّ وجلّ، واشترى بألف دينار ثالثة طعامًا وأطعم الجائعين، وبنى المساجد وأكثر من فعل الخير وبذل المعروف، وأعان من استطاع إعانتهم حتَّى نفد ماله، ولكنّه كان مسرورًا بما فعل راجيًا الثّواب والرّحمة من الله عزّ وجلّ.

وأمّا فرطوس الأخ الكافر فإنَّهُ ما كاد يستلم ماله، حتَّى وضع عليه المفاتيح، وحرم الفقير السّائل، وشتم من قصده للإعانة، وأغلق أذنيه عن سماع أنين المحتاجين، وأغمض عينيه عن رؤية الأطفال الجائعين، ثمّ تزوّج من نساء غنيّات، واشترى بقرًا وغنمًا فتوالدت ونمت نموًّا مفرطًا، واشتغل بالتّجارة بباقي ماله فربح ربحًا كبيرًا حتَّى فاق أهل زمانه غنى.

وبنى لنفسه جنّتين أي بستانين كبيرين جدًا زرعهما أعنابًا وكرومًا، فأورقا وأثمرا، وأحاطهما بشجر النّخيل ثمّ نوّع في المزروعات فجعل فيهما من أنواع الخضراوات والفاكهة ولم ينقص منها شيئًا، وكانت الأشجار متواصلة متشابكة، فتميّز البستانان بالشّكل الحسن والتّرتيب الأنيق.

وكان الجدير بفرطوس أن يؤمن بالله الّذي منحه كلّ تلك الأموال الّتي أنعم عليه بها، وأن يشكره ويذعن له ويحمده، ولكن من النّاس من تفتنهم الأموال وتجعلهم يتكبّرون، وهكذا كان فرطوس الّذي لم يزدد إلاّ كفرًا وطغيانًا.

وأدركت يهوذا المؤمن الحاجة فأراد أن يعمل أجيرًا ليأكل، فقال: «لو ذهبت إلى أخي لأعمل عنده فإنَّهُ لن يمانع» فجاءه ولم يصل إليه إلاّ بعد فتح العديد من الأبواب، فلمّا دخل عليه سأله حاجته فقال فرطوس الكافر: «ألم أقاسمك المال نصفين؟ فما صنعت بمالك»؟.

فأجابه يهوذا المؤمن: «تصدّقت به لله تعالى راجيًا الأجر الوفير».

فقال فرطوس متهكّمًا: إذن أنت من المتصدّقين؟ ما أراك إلاّ سفيهًا مضيّعًا لماله، وما جزاؤك عندي على سفاهتك إلاّ الحرمان. انظر ماذا صنعت بمالي حتَّى صار عندي من الثّروة وحسن الحال ما ترى، وذلك أنّي كسبت وأنت سفهت، أنا أكثر منك مالًا».

ثمّ أخذ بيد أخيه المؤمن يريه ما عنده وفي نفسه الكبر والكفر، وأنكر البعث وفناء داره وما زرع في البستانين، وذلك لقلّة عقله وعدم يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدّنيا وزينتها، وكفره بالآخرة، ثمّ قال: «إن كان هناك بعث وقيامة كما تزعم، فلن أخسر شيئًا فكما أعطاني الله هذه النّعم في الدّنيا، فسيعطيني أفضل منها في الآخرة لكرامتي عنده».

فوعظه أخوه يهوذا وحذّره من الكفر بالله الّذي خلقه من تراب ثمّ جعله رجلًا سويًا ثمّ يميته ويحاسبه. وأخبره أنّه مؤمن بالله وحده لا شريك له ولا مثيل ولا شبيه ولا مكان له، خالق كلّ شيء. وقال له: «إنّ الّذي تعيّرني به من الفقر، سيعود عليك بالعقاب، فإنّني أرجو أن يرزقني الله في الآخرة جنّة خيرًا من جنّتك هذه الفانية، ثمّ إنّك لا تأمن على البستانين من العواصف وتقلّب الرّياح الّتي قد تجعل منها أوراقًا

جافّة تتطاير هنا وهناك، وهذا الماء العذب إذا غار في الأرض فكيف تطلبه؟ ومن ذا ينصرك إذا شاء الله أن يخذلك؟

ولمّا رأى يهوذا أنّ أخاه الكافر ما زال مُصِرًّا على كفره وطغيانه، يمرح بين أزهاره وأشجاره تركه وخرج.

وفي اللّيل حدث ما توقّعه يهوذا، إذ أرسل الله تعالى مطرًا غزيرًا وعواصف كثيرة أحرقت البستانين وهدمت العرائش، وابتلعت الأرض ماء النّهر فجفّ، وأصبحت الأرض رديئة لا نبات فيها ولا شجر، وقد غرقت بالوحل فما استطاع أحد أن يمشي عليها. ولمّا قام فرطوس صباحًا ذهب كعادته إلى البستانين ليتنزّه ويتفيّأ تحت ظلال الكروم، ولمّا رأى ما حلّ بهما جفّ حلقه وأخذ يضرب كفًّا بكفّ علامة التّحسّر والتّأسّف، وندم على ما سلف منه من القول الّذي كفر بسببه بالله العظيم وإنكاره للبعث، وقال: يا ليتني لم أشرك بربّي أحدًا، وتركه أصحاب السّوء الّذين كانوا يعينونه على كفره وتجبّره لمّا صار فقيرًا، فغدا وحيدًا لا ناصر له. فإذًا أعمال الخير الّتي تكون لله عزّ وجلّ ثوابها خير وعاقبتها حميدة رشيدة.

فاز مَنْ مِنْ شرّ نفسه سَلِمْ ترك الغضب وتحلّى بالحِلْمِ

تركُ الغضب والتحلّي بالحلمِ

أوصيكم بترك الغضب فإنّه مهلكة كبيرة، ما أكثر الّذين يهلكون بسببه، كثير من النّاس الّذين يتكلّمون بألفاظ الكفر إنّما يتكلّمون بها

بسبب الغضب، وكذلك القطيعة بين المتحابّين وبين الأقارب. فالغضب يهدم الدّين، بعض النّاس بسببه يكفرون، يغضبون على الله فيكفرون. روى البخاريّ (كتاب الأدب باب الحَذْر من الغضب) عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رَجُلا قال للنَّبيّ: أوْصِني، قال: «**لا تَغْضَبْ**»، فردَّد مرارًا، قال: «**لا تَغضَبْ**» اهـ.

وفي الصّحيحين عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرعَةِ إنَّما الشَّديدُ الّذي يَمْلِكُ نفسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**» اهـ

ثمّ لا بدّ من الصّبر، الّذي يريد الفوز بالآخرة لا بدّ أن يصبر على الشّدائد وعلى أذى النّاس ولا سيّما الّذي يغترب للدّعوة إلى الله، فإنَّهُ يحتاج إلى مزيد صبر وتحمّل خشونة العيش. معاذ بن جبل رضيَ اللهُ عنهُ لمّا بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن عمل بوصيّة رسول الله ﷺ فنفع نفعًا كثيرًا، كان هو يعمل في قسم من اليمن وأبو موسى الأشعريّ في القسم الآخر فانتفع بهما خلق كثير، وكانا يعاملان النّاس بالحلم، فالحلم من المعلّم مطلوب ومهمّ جدًّا وهو مطلوب من المتعلّم أيضًا.

دعاء

«اللَّهمَّ إنّي أعوذُ بكَ من عذَابِ القبرِ، وأعوذُ بكَ من فتنةِ المَسيحِ الدَّجَّالِ، وأعوذُ بكَ من فتنةِ المحيَا والمماتِ، اللَّهمَّ إنّي أعوذُ بكَ من المأثَمِ والمغرَمِ».

الدّرس العاشر

(**والرّدّةُ ثلاثةُ أقْسامٍ كما قسّمها**) عُلماءُ الْمذاهِبِ الأرْبعةِ مِثْلُ (**النّوويّ وغيْرِهِ مِنْ شافِعِيّةٍ وحنفِيّةٍ وغيْرِهِمْ**) مِن الْعُلماءِ، الْقِسْمُ الأوّلُ (**اعْتِقاداتٌ**) محلُّها الْقلْبُ (**و**) الْقِسْمُ الثّانِي (**أفْعالٌ**) محلُّها الْجوارِحُ (**و**) الْقِسْمُ الثّالِثُ (**أقْوالٌ**) محلُّها اللّسانُ (**وكُلٌّ**) قِسْمٍ مِن الأقْسامِ الثّلاثةِ (**يتشعّبُ**) أيْ يتفرّعُ (**شُعبًا**) أيْ فُرُوعًا (**كثِيرةً**) جِدًّا (**فمِن**) الأمْثِلةِ على الْقِسْمِ (**الأوّلِ**) أيِ الْكُفْرِ الِاعْتِقادِيّ (**الشّكُّ فِي**) وُجُودِ (**اللهِ**) أوْ فِي وحْدانِيّتِهِ أوْ مُخالفتِهِ لِلْحوادِثِ (**أوِ**) الشّكُّ (**فِي**) صِدْقِ (**رسُولِهِ**) مُحمّدٍ ﷺ أوْ رِسالتِهِ كأنْ شكّ هلْ هُو رسُولُ اللهِ أوْ لا (**أوِ**) الشّكُّ فِي (**الْقُرْءانِ**) هلْ هُو مِنْ عِنْدِ اللهِ أوْ مِنْ عِنْدِ مُحمّدٍ ﷺ (**أوِ**) الشّكُّ فِي (**الْيوْمِ الآخِرِ**) وهُو يوْمُ الْقِيامةِ هلْ يكُونُ أوْ لا (**أوِ**) الشّكُّ فِي (**الْجنّة أوِ النّارِ**) أيْ فِي وُجُودِهِما فِي الآخِرة (**أوِ**) الشّكُّ فِي (**الثّوابِ أوِ الْعِقابِ**) أيْ فِي وُجُودِهِما فِي الآخِرةِ (**أوْ نحْوِ ذلِك مِمّا هُو مُجْمعٌ عليْهِ**) عِنْد الْمُسْلِمِين (**أوِ اعْتِقادُ قِدمِ الْعالمِ وأزلِيّتِهِ بِجِنْسِهِ وتركِيبِهِ**) أيْ أفْرادِهِ كما قال بعْضُ الْفلاسِفةِ (**أوْ بِجِنْسِهِ فقطْ**) كما قال بعْضُ الْفلاسِفةِ الآخرِين وتبِعهُمْ فِي هذِهِ الضّلالةِ أحْمدُ ابنُ تيْمِية[1] (**أوْ نفْيُ صِفةٍ**) واحِدةٍ أوْ أكْثر (**مِنْ صِفاتِ اللهِ**) الثّلاث عشْرة (**الْواجِبةِ لهُ إِجْماعًا**[2] **ككوْنِهِ عالِمًا**) أوْ قادِرًا أوْ سمِيعًا أوْ بصِيرًا أوْ حيًّا أوْ مُرِيدًا (**أوْ نِسْبةُ ما يجِبُ تنْزِيهُهُ عنْهُ إِجْماعًا كالْجِسْمِ**) أيْ كأنْ يعْتقِد أنّ الله جِسْمٌ لهُ طُولٌ وعرْضٌ وعُمْقٌ، وكذا نِسْبةُ الْعجْزِ والْجهْلِ والْموْتِ لِربّ الْعِزّةِ لِما فِي

---

(١) وقد مرّت ترجمته.

(٢) ولو كان قريب عهد بإسلام.

ذلِك مِن التّكْذِيبِ لِلشّرْعِ (**أوْ تحْلِيلُ مُحرّمٍ بِالإِجْماعِ معْلُومٍ مِن الدّينِ بِالضّرُورةِ**) أنّهُ حرامٌ بِأنِ اشْتُهِر ذلِك بيْن الْعُلماءِ والْعامّةِ وكان ذلِك الأمْرُ الْمُحرّمُ (**مِمّا لا يخْفى عليْهِ**) حُكْمُ تحْرِيْمِهِ فِي الشّرْعِ (**كالزّنى واللّواطِ وقتْلِ الْمُسْلِمِ**) بِغيْرِ حقٍّ (**والسّرِقةِ والْغصْبِ**) أمّا إِنْ كان قرِيب عهْدٍ بِالإِسْلامِ ولمْ يعْلمْ تحْرِيْم الْمُسْلِمِين لِذلِك فقال عنْهُ إِنّهُ حلالٌ لا يكْفُرُ.

واعلموا[١] رحمكم الله بتوفيقه أنّ بعض الحاسدين المفتونين اتّهموا الشّيخ الحبشيّ أنّه يتحايل على شرع الله تعالى والعياذ بالله تعالى.

نقول لهؤلاء: أين وجدتم ذلك أيُّها المفترون؟ هل لأنّكم رأيتم لفظ «هذه حيلة يراد بها التّخلّص من الحرام»؟

اعلم يا أخي المسلم أنّ كتب العلماء طافحة بذلك، حتّى إنّ النّوويّ الشّافعيّ ذكر في كتابه «روضة الطّالبين»: فصلٌ في الحيل الدّافعة للشّفعة، وكذلك المرداويّ الحنبليّ في «الإنصاف»[٢] والسرخسيّ الحنفيّ يذكر في كتابه «المبسوط»[٣] كتاب الحيل وكذلك في «الفتاوى البزازيّة بهامش الفتاوى الهنديّة»[٤] في باب الحيل المباحة. وكذلك الإمام أبو عبد الله البخاريّ في كتابه «الجّامع الصّحيح» يذكر: «كتاب الحيل».

(**أوْ تحْرِيْمُ حلالٍ ظاهِرٍ كذلِك**) أيْ معْلُومٍ مِن الدّينِ بِالضّرُورةِ ولمْ يخْف عليْهِ (**كالْبيْعِ والنّكاحِ**) فمنْ حرّمهُما فقدْ كفر (**أوْ نفْيُ وُجُوبِ**

---

(١) الدّفاع عن الشّيخ الحبشي وأنّه لم يتحايل على شرع الله.
(٢) «الإنصاف» (ج٢/ ٣٠١).
(٣) «المبسوط» (ج٣٠/ ٢٠٩).
(٤) الفتاوى البزازيّة بهامش الفتاوى الهنديّة (ج٤/ ٥١٧).

مُجْمعٍ عليْهِ كذلِك) بِأنْ كان وُجُوبُهُ ظاهِرًا معْرُوفًا بيْن الْمُسْلِمِين عالِمِهِمْ وجاهِلِهِمْ (**كالصّلواتِ الْخمْسِ أوْ سجْدةٍ مِنْها و**) وُجُوبِ (**الزّكاةِ والصّوْمِ**) فِي رمضان (**والْحجّ والْوُضُوءِ**) **فمنِ اعْتقد عدم وُجُوبِ أمْرٍ مِنْ هذِهِ الأُمُورِ فقدْ كفر** (**أوْ إِيْجابُ ما لمْ يجِبْ إِجْماعًا كذلِك**) كمنْ أوْجب زِيادة ركْعةٍ على ركْعتيْ فرْضِ الصُّبْحِ (**أوْ نفْيُ مشْرُوعِيّةِ مُجْمعٍ عليْهِ كذلِك**) أيْ معْلُومٍ مِن الدّينِ بِالضّرُورةِ أنّهُ مشْرُوعٌ كرواتِبِ الْفرائِضِ والْوِتْرِ (**أوْ عزم على الْكُفْرِ فِي الْمُسْتقْبلِ**) بِأنْ عزم على أنْ يكْفُر غدًا مثلًا أوْ بعْد شهْرٍ أوْ سنةٍ أوْ أكْثر فهذا كفر فِي الْحالِ (**أوْ**) عزم (**على فِعْلِ شيْءٍ مِمّا ذُكِر**) مِن الْمُكفّراتِ (**أوْ تردّد فِيهِ**) بِأنْ قال فِي قلْبِهِ أفْعلُ أوْ لا أفْعلُ فإِنّهُ يكْفُرُ فِي الْحالِ (**لا خُطُورهُ فِي الْبالِ بِدُونِ إِرادةٍ**) فإِنّهُ لا يُبْطِلُ إِيْمانهُ كأنْ خطر لهُ شيْءٌ يُنافِي وُجُود اللهِ مُجرّد خُطُورٍ بِلا إِرادةٍ وهُو مُعْتقِدٌ الْحقّ اعْتِقادًا جازِمًا فلا يكْفُرُ لِأنّ الْخاطِر لا يُناقِضُ الْجزْم (**أوْ أنْكر صُحْبة سيّدِنا أبِي بكْرٍ رضِي الله عنْهُ**) لِتكْذِيبِهِ الْقُرْءان لأنّ الله نصّ على صُحْبتِهِ فِي الْقُرْءانِ[1] (**أوْ**) أنْكر (**رِسالة واحِدٍ مِن الرُّسُلِ الْمُجْمعِ على رِسالتِهِ**) عِنْد الْمُسْلِمِين كآدم ومُوسى وعِيسى ومُحمّدٍ صلواتُ ربّي وسلامُهُ عليْهِمْ (**أوْ جحد حرْفًا مُجْمعًا عليْهِ**) أيْ على ثُبُوتِ أنّهُ (**مِن الْقُرْءانِ**) فأنْكرهُ مع عِلْمِهِ بِأنّهُ مِنْهُ (**أوْ زاد حرْفًا فِيهِ**) أي الْقُرْءانِ (**مُجْمعًا على نفْيِهِ**) أيْ أجْمع الْمُسْلِمُون على أنّهُ ليْس مِنْهُ (**مُعْتقِدًا أنّهُ مِنْهُ عِنادًا**) بِخِلافِ منْ زادهُ مُعْتقِدًا أنّهُ مِنْهُ جهْلًا فلا يُكفّرُ (**أوْ كذّب رسُولًا أوْ نقصهُ**) بِأنْ نسب إِلَيْهِ ما لا يلِيقُ بِهِ (**أوْ صغّر اسْمهُ**) كأنْ قال

---

(١) قال الله تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة التّوبة].

عنْ مُوسى مُويْسى (**بِقصْدِ تحْقِيرِهِ**) أيْ إِهانتِهِ[١] (**أوْ جوّز نُبُوّة أحدٍ بعْد نبِيّنا مُحمّدٍ**) بِأنْ اعْتقد أنّهُ يجُوزُ أنْ ينْزِل الْوحْيُ بِالنُّبُوّةِ على شخْصٍ لمْ يُنبّأْ قبْل مُحمّدٍ ﷺ.



لِتَسْلَمَ وتغنَمَ اثبُتْ علَى التقى والْزَم

قصّةُ ثلاثةٍ من الزُّهادِ

يُحْكى أنّه خرج ثلاثة من الزّهاد يريدون الحجّ إلى بيت الله الحرام متوكّلين بغير زاد، فنزلوا قرية فيها أناس كفّار، فوقع نظر رجل منهم على محاسن امرأة غير مسلمة، فتعلّق قلبه بها، فلمّا عزموا على السّفر احتال منهم بحيلة وقعد وسار صاحباه وتركاه في القرية، فأفشى سرّه لأبي المرأة، فقال له أبوها: «مهرها ثقيل عليك لا تقدر عليه»، قال: «وما هو»، قال: «تترك دين الإسلام وتدخل في ديننا»، ففعل ذلك وعلى زعمه تزوَّجها، وولدت له ولدان، ومات على الكفر والعياذ بالله، فرجع صاحباه من سياحتهما بعد أمد، وسألا عنه، فقيل لهما: «إنّه توفّي على غير دين الإسلام، ودفن في مقابر الكفّار»، فذهبا إلى المقبرة فوجدا امرأته وولديه يبكون على القبر، فجعل صاحباه يبكيان من بعيد، فقالت لهما المرأة: «ممّ تبكيان؟» فقصّا عليها حاله الّتي كان عليها قبل الرّدّة من العبادة والزّهد. فلمّا سمعت ذلك رقّ قلبها إلى الإسلام فأسلمت هي وولداها.

---

(١) تصغير أسماء الأنبياء بغير قصد التّحقير حرام.

فسبحان الله الّذي أمات من كان مسلمًا على الكفر، وجعل من كان كافرًا يسلم، فينبغي أن يخاف المسلم عاقبة أمره، وأن يسأل الله تعالى حسن الخاتمة.



الزم التّقى واسلك الدّرب القويم واسأل المولى الثّبات فالعبرة بالخواتيم

الأعمالُ بالخواتيمِ

أوصيكم بالجدّ في الطّاعات، واعلموا أنّه قد يعمل العبد ظاهرًا بأعمال أهل النّار، ولكنّ الله شاء له في الأزل أن يكون من أهل الجنّة، فيحسن حاله في الأخير حتَّى يعمل بعمل أهل الجنّة ويموت على ذلك ويدخلها، وقد يعمل عبد بعمل أهل الجنّة ظاهرًا، لكنّ الله شاء في الأزل أن يكون من أهل النّار، فيعمل بعمل أهل النّار حتَّى يموت على ذلك ويدخلها، فالعبرة بالخواتيم. يقول الله عزّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة ءال عمران].

ثمّ الجزاء يكون على ما يختم به للعبد من العمل، فمن ختم له بعمل أهل السّعادة فهو سعيد، ومن ختم له بعمل أهل الشّقاوة فهو شقيّ، وليس بما يجري على الإنسان قبل ذلك، فمن عاش كافرًا ثمّ أسلم ومات على عمل أهل الجنّة فهو يجازى بما ختم له به، ومن كان على عكس ذلك فيجازى بحسب ما ختم له به. وقد قال سبحانه وتعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١﴾ [سورة النجم].



يُقالُ ممّا يُستعاذ منه: «**اللَّهمَّ إنّي أعوذُ بكَ من عذَابِ القَبرِ، ومن فِتنَةِ الغِنَى والفَقرِ، اللَّهمَّ اغسِلنِي منَ الخطايا بماءِ الثّلجِ والبرَدِ، اللَّهمَّ نقِّ قلبِي منَ الخطايا كما يُنقَّى الثَّوبُ الأبيضُ منَ الدّنسِ، اللَّهمَّ باعِدْ بَينِي وبينَ خطايَايَ كما باعَدْتَ بينَ المشرِقِ والمغرِبِ، اللَّهمَّ إنّي أعوذُ بكَ منَ الكسَلِ والهَمِّ والمأثَمِ والمغرَمِ**».



الدّرس الحادي عشر

(**والْقِسْمُ الثّانِي**) مِنْ أقْسامِ الرّدّةِ (**الأفْعالُ**) وذلِك (**كسُجُودٍ لِصنمٍ**[1] **وهُو ما اتُّخِذ لِيُعْبد مِنْ دُونِ اللهِ سواءٌ كان مِنْ حجرٍ أمْ خشبٍ أمْ غيْرِ ذلِك (أوْ شمْسٍ)** مُطْلقًا أيْ (**إنْ كان على وجْهِ الْعِبادةِ لهُما أوْ غيْرِ ذلِك**) فهذا كُفْرٌ ورِدّةٌ (**و**) فِي (**السُّجُودِ لِإنْسانٍ**) تفْصِيلٌ (**إنْ كان على وجْهِ الْعِبادةِ لهُ كسُجُودِ بعْضِ الْجهلةِ لِبعْضِ الْمشايِخِ الْمُتصوّفِين أيْ إذا كان سُجُودُهُمْ على وجْهِ الْعِبادةِ لِمشايِخِهِمْ فإنّهُ يكُونُ عِنْدئِذٍ كُفْرًا وإنْ لمْ يكُنْ على وجْهِ الْعِبادةِ لهُمْ**) كأنْ سجدُوا لهُمْ لِلتّحِيّةِ فقطْ فإنّهُ (**لا يكُونُ كُفْرًا لكِنّهُ حرامٌ**) فِي شرْعِ سيّدِنا مُحمّدٍ ﷺ وكان جائِزًا فِي الشّرائِعِ السّابِقةِ. (**والْقِسْمُ الثّالِثُ**) مِنْ أقْسامِ الرّدّةِ (**الأقْوالُ وهِي كثِيرةٌ جِدًّا لا تنْحصِرُ مِنْها أنْ يقُول**) شّخْصٌ (**لِمُسْلِمٍ يا كافِرُ أوْ يا يهُودِيُّ أوْ يا نصْرانِيُّ أوْ يا عدِيْم الدّينِ**) حال كوْنِ الْقائِلِ (**مُرِيدًا بِذلِك**) الْقوْلِ (**أنّ الّذِي علَيْهِ الْمُخاطبُ مِن الدّينِ كُفْرٌ أوْ يهُودِيّةٌ أوْ نصْرانِيّةٌ أوْ لَيْس بِدِينٍ**) فهذا رِدّةٌ وكُفْرٌ (**لا**) إذا كان مُتأوّلًا بِذلِك كأنْ قال لهُ يا كافِرُ (**على قصْدِ التّشْبِيهِ**) ومُرادُهُ أنّك تُشْبِهُ الكُفّار فِي خساسةِ أفْعالِك أوْ أنّك تُعامِلُ الْمُسْلِمِين مُعاملة الْكُفّارِ لهُمْ فلا يكْفُرُ لكِنّ هذا حرامٌ.

---

(١) ورد في بعض المنشورات المفتراة قولهم: «إنّ الشّيخ الحبشيّ يشجّع النّاس على السّجود للأصنام، وإنَّه سُئل عن رجل يسجد لصنم ليس لقصد العبادة فقال لا يكفر»، (ولم يسند هذا إلى كتب الشّيخ لأنّه يعلم أنّه كذّاب أفّاك).
هذا افتراء واضح يمكن لكلّ قارئ أن يكشفه، ومن شاء فليراجع مؤلّفات الشّيخ الهرريّ فإنَّها في متناول النّاس.
قال المحدّث الشّيخ عبد الله الهرريّ رحمه الله في كتابه «بغية الطّالب» (ص٥١) ما نصّه: «فمن رأيناه يسجد لصنم كفّرناه ولا نسأله هل نويت به عبادته أم نويت غير ذلك». انتهى بحروفه، والصّنم هو ما اتّخذ ليعبد من دون الله.

(وكالسُّخْرِيّةِ بِاسْمٍ مِنْ أسْمائِهِ تعالى أوْ وعْدِهِ) بِالْجنّةِ وما أعدّهُ الله فِيها مِن النّعِيم (أوْ وعِيدِهِ) بِالنّارِ والْعذابِ (مِمّنْ) أيْ مِنْ إنْسانٍ (لا يخْفى عليْهِ نِسْبةُ ذلِك) أيْ إضافةُ ذلِك الاسْمِ أوِ الْوعْدِ أوِ الْوعِيدِ الّذِي سخِر بِهِ (إلَيْهِ سُبْحانهُ) وذلِك كقوْلِ بعْضِ السُّفهاءِ غدًا نتدفّأُ بِنارِ جهنّم لِما فِي ذلِك مِن الِاسْتِهْزاءِ بِالدّينِ وتكْذِيبِ الْقُرْءانِ (وكأنْ يقُول) الشّخْصُ مُسْتخِفًّا بِأمْرِ اللهِ (لوْ أمرنِي الله بِكذا لمْ أفْعلْهُ أوْ) قال مُسْتخِفًّا بِالْقِبْلةِ (لوْ صارتِ الْقِبْلةُ فِي جِهةِ كذا ما صلّيْتُ إلَيْها أوْ) قال (لوْ أعْطانِي الله الْجنّة ما دخلْتُها مُسْتخِفًّا أوْ مُظْهِرًا لِلْعِنادِ) أيْ مُظْهِرًا لِمُعاندةِ الشّرِيعةِ (فِي الْكُلّ) وأمّا إنْ لمْ يكُنْ على وجْهِ الِاسْتِخْفافِ والْعِنادِ وتكْذِيبِ الشّرْعِ فلَيْس كُفْرًا (وكأنْ يقُول) شخْصٌ فِي حالِ مرضِهِ بعْد أنْ أمرهُ ءاخرُ بِالصّلاةِ (لوْ ءاخذنِي الله) أيْ لوْ عاقبنِي (بِترْكِ الصّلاةِ) أيْ على ترْكِها (مع ما أنا فِيهِ مِن الْمرضِ ظلمنِي) فإنّهُ يكْفُرُ لِأنّهُ نسب الظُّلْم إلى اللهِ تعالى. (أوْ قال لِفِعْلٍ حدث هذا) الشّىْءُ أيْ حصَل (بِغيْرِ تقْدِيرِ اللهِ) سواءٌ كان ذلِك الشّىْءُ خيْرًا أمْ شرًّا، (أوْ) قال (لوْ شهِد عِنْدِي الأنْبِياءُ أوِ الْملائِكةُ أوْ جمِيعُ الْمُسْلِمِين بِكذا ما قبِلْتُهُمْ) أيْ ما صدّقْتُهُمْ فِيما يقُولُون فهُو كافِرٌ لِما فِيهِ مِنْ تكْذِيبِ نُصُوصِ الدّينِ الْمعْرُوفةِ (أوْ قال) بعْد أنْ أمرهُ شخْصٌ بِفِعْلِ سُنّةٍ مِن السُّننِ كالِاسْتِياكِ (لا أفْعلُ كذا وإنْ كان سُنّةً) أيْ إذا قال ذلِك (بِقصْدِ الِاسْتِهْزاءِ) بِسُنّةِ النّبِيّ ﷺ فإنّهُ يكْفُرُ بِخِلافِ منْ قال ذلِك ولمْ يقْصِدِ الِاسْتِخْفاف بِالسُّنّةِ فلا يكْفُرُ (أوْ) قال عنْ عدُوٍّ لهُ مثلًا (لوْ كان فُلانٌ نبِيًّا ما ءامنْتُ بِهِ) فإنّهُ يكْفُرُ لِما فِي ذلِك مِن الِاسْتِهْزاءِ بِمنْصِبِ النُّبُوّةِ (أوْ أعْطاهُ عالِمٌ فتْوى فقال أيْشٍ) أيْ أيُّ شىْءٍ (هذا الشّرْعُ مُرِيدًا) بِهذا الْقوْلِ (الِاسْتِخْفاف بِحُكْمِ الشّرْعِ) الإِسْلامِيّ والِاعْتِراض علَيْهِ فهُو كافِرٌ بِخِلافِ ما لوْ أعْطاهُ فتْوًى يراها باطِلةً غيْر مُوافِقةٍ لِلشّرْعِ فقال لهُ ذلِك مُرِيدًا الإِنْكار علَيْهِ

كأنّهُ يقُولُ لهُ أيْشٍ هذا الْكلامُ الّذِي تزْعُمُ أنّهُ شرْعُ اللهِ وليْس شرْع اللهِ فلا يكْفُرُ.

فائدة مهمّة: هذا جواب من يقول الإنسان مسيّر أم مخيّر؟

قال الفقهاء الإنسان له اختيار تحت مشيئة الله، ليس اختيارًا محضًا لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يعمل شيئًا إلّا ما علم الله في الأزل أنّه يفعله، فالإنسان له اختيار لكن اختياره هذا ممزوج بجبر، قال بعض الفقهاء هذا لأنّه لا يمكن للإنسان أن يفعل شيئًا إلّا ما سبق به علم الله أنّه يفعله، فإذًا اختيار الإنسان ليس اختيارًا محضًا بل اختيار ممزوج بجبر.

والله تعالى هو المالك الحقيقيّ للخلق كلهم، يملك أجسادهم ويملك حركاتهم وسكناتهم لا يخرج شيء عن إرادته وعلمه، ولمّا كان هو المالك الحقيقيّ للعباد كان هو الآمر الّذي ليس فوقه آمر، والنّاهي الّذي ليس فوقه ناهٍ، والله تعالى لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون.

أمّا كلمة مسيّر فمن حيث اللّغة معناها المُمكّن من السّير، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴿٢٢﴾﴾[1] فكلمة مسيّر في اللّغة التّمكين من السّير، الله تعالى هو الّذي يمكّن العباد من السّير بالأقدام أو من الرّكوب كلّ ذلك بتمكين الله، العبد مسيّر بمعنى الله يمكّنه من السّير في البرّ والبحر والجوّ، بهذا المعنى العبد مسيّر ليس بمعنى أنّه مجبور كالرّيشة المعلّقة في الهواء والهواءُ يميلها يمنةً ويسرةً، هذه الرّيشة ليس لها فعل، الإنسان ليس كهذه الرّيشة فإنّ له فعلًا لكنّه ليس هو يخلقه بل الله يخلق هذا الفعل، هذه عقيدة الصّحابة والتّابعين وأتباع التّابعين وهلمَّ جرّا.

---

(١) سورة يونس.

خلاصة المسألة المسيّر هو الّذي مكّنه الله من السّير، والإنسان له مشيئة واختيار ومشيئته واختياره تحت مشيئة الله قال تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[1] أمّة محمّد على هذا الاعتقاد فمن حاد عن هذا الاعتقاد فلا يلومنّ إلّا نفسه.



وَلستُ أُبالي حينَ أُقْتَلُ مُسلمًا...

خبيب رضي الله عنه

ورد أنّ رسول الله ﷺ بعث عشرة رجال سريّة عينًا - أي للمراقبة - وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري، فانطلقوا حتّى إذا وصلوا إلى مكان يقال له الهَداة وهو بين عسفان ومكّة، وصل خبرهم لبني لحيان - حيٍّ من هذيل - فخرجوا لملاقاتهم في مائتي رجل من الرّماة فاقْتَصُّوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرًا تزوَّدوه من المدينة فقالوا: هذا تمر يثرب. فلمّا رآهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى موضع مرتفع من الأرض فأحاط بهم المشركون وقالوا لهم: انزلوا وسلّموا أنفسكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا، فقال عاصم بن ثابت أمير السّريّة: «أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمّة كافر، اللهم أخبر عنّا نبيّك». فرموهم أي المشركون بالنّبل فقتلوا سبعة من بينهم عاصم، وسلّم الباقون أنفسهم لهم بالعهد والميثاق الذي اخذوه عليهم، وكان منهم خُبيب الأنصاري وابن دَثِنَة ورجل آخر، فلمّا تمكّنوا منهم أطلقوا أوتار قِسِيّهم فأوثقوهم فقال الرّجل الثّالث: «هذا أول الغدر والله لا

---

(١) سورة التكوير.

أصحبكم، إنّ في هؤلاء - يريد الشّهداء - لأسوة» فأصرّوا عليه على أن يرافقهم فأبى فقتلوه فانطلقوا بخُبَيب وابن دَثِنَة حتى باعوهما بمكّة، وكان ذلك بعد وقعة بدر فابتاع خُبَيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان خُبَيب قد قتل الحارث ابن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيرًا، ثمّ إنّه حين اجتمع القوم - يعني بني الحارث - على قتل خُبَيب استعار من بنت الحارث موسى يستحدّ بها فأعارته فذهب ابنها وهي غافلة حتّى أتى خُبيبًا، ثمّ وجدته وقد أجلسه خُبَيب على فخذه والموسى بيده ففزعت فزعة عرفها خُبَيب في وجهها فقال: «تخشين أن أقتله؟ ما كنتُ لأفعل ذلك». وقالت بنت الحارث: «والله ما رأيتُ أسيرًا قط خيرًا من خُبَيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل من قطف عنب في يده وإنّه لموثّق في الحديد وما بمكّة من ثمر»، وكانت تقول: «إنّه لرزق من الله رزقه خُبَيبًا»، فلمّا خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خُبَيب: «ذروني اركع ركعتين» فتركوه فصلّى ركعتين ثم قال: «لولا أن تظنّوا أن ما بي جزع لطوّلتها، اللّهم أحصهم عددًا» - أي لا تُبق منهم أحدًا - ثم أنشد:

ولستُ أُبالي حينَ أُقتَلُ مُسلمًا على أيّ شِقٍّ كان لله مَصْرَعِي
وذلك في ذَاتِ الإِلَهِ وإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ على أوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثمّ قتل ابن الحارث خبيبًا فكان خُبيب هو أول من سنَّ الرّكعتين لكلّ امرئ مسلم يُقتل صبرًا أي محبوسًا.

واستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فقد أخبر النّبي ﷺ أصحابه خبرهم وما أصيبوا به. ولمّا علم كفّار قريش بقتل عاصم بعثوا رسولًا ليأتي بشيء من أثر عاصم يُثبت أنّه قُتِل، فلمّا ذهب رسولهم إليه بعث الله على عاصم مثل الظُّلَّة من الدَّبْر - أي جماعة النحل - فحَمَتْه من رسولهم فلم يقدروا على أن يقطعو من لحمه شيئًا، وقد روى هذه

الحادثة البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه.



مَن جَعَل طريقه التّقى ارتقى

التَّحْذِيرُ منَ التقصِيرِ في خدمَةِ دينِ الإسلَامِ

أوصيكم بخدمة هذا الدّين، ومن كان يستطيع أن يقوم بخدمة الدّين والدّعوة فترك ذلك بلا عذر عليه ذنب كبير. فمذهب أهل السّنّة في هذا البلد كأنّه ميت.

فمن ترك إحياء هذا العمل فهو خاسر، أمّا من جدّ فله أجر كبير، من ترك العمل لخدمة الدّعوة قلبه ميت، هذا من موت القلوب، إذا لم تجتهدوا الآن وأنتم في سنّ الشباب فيا حسرتكم بعد أن تصيروا في سنّ الشّيخوخة على ما فوتّم على أنفسكم.

ثمّ إنّ الدّعوة إلى عقيدة أهل السّنّة والجماعة من أفضل المبرّات. ومن أهمّ الأعمال عند الله في هذا الوقت وفي هذه البلاد بذل الجهد لنشر عقيدة أهل السّنّة والجماعة والأحكام الضّروريّة، يقدّم هذا على كثير من الفرائض لأن أمور الدّين مراتب بعضها أهمّ من بعض، وأهمّ ما يجب على المسلم أن يحيي هذه العقيدة. قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾ [سورة الصّف].



قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِنْ زَوالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وفُجاءَةِ نِقمَتِكَ، وَجَميعِ سَخَطِكَ**»، ويقالُ: «**اللَّهمَّ جَنِّبْنِي مُنكَراتِ الأَخْلَاقِ والأعْمالِ والأَهْوَاءِ والأَدوَاءِ**» رواه مسلم.



الدّرس الثّاني عشر

(**أوْ قال لعْنةُ اللهِ على كُلّ عالِمٍ مُرِيدًا الِاسْتِغْراق الشّامِل**) أيْ تعْمِيم اللّعْنِ لِكُلّ الْعُلماءِ فهُو كافِرٌ (**أمّا منْ لمْ يُرِدِ الِاسْتِغْراق الشّامِل لِجمِيعِ الْعُلماءِ بلْ أراد لعْن عُلماء زمانِهِ وكانتْ هُناك قرِينةٌ تدُلُّ على ذلِك**) كأنْ كان ذكر عُلماء ناحِيةٍ ما فاسِدِين فقال بعْدها لعْنةُ اللهِ على كُلّ عالِمٍ وهُو يقْصِدُ هؤُلاءِ وكان ذلِك مِنْهُ (**لِما يُظنُّ بِهِمْ مِنْ فسادِ أحْوالِهِمْ فإِنّهُ لا يكْفُرُ وإِنْ كان كلامُهُ لا يخْلُوْ مِن الْمعْصِيةِ**) أيْ وإِنْ كان كلامُهُ لا يخْرُجُ عنْ كوْنِهِ حرامًا وأمّا منْ لمْ يكُنْ فِي كلامِهِ قرِينةٌ تدُلُّ على التّخْصِيصِ فإِنّهُ يكْفُرُ ولوْ قال أنا قصدْتُ عُلماء زمانِي.

(**أوْ قال أنا برِيءٌ مِن اللهِ أوْ مِن الْملائِكةِ أوْ مِن النّبِيّ**) مُرِيدًا سيّدنا مُحمّدًا ﷺ أوْ غيْرهُ مِن الأنْبِياءِ (**أوْ مِن الشّرِيعةِ**) الّتِي أنْزلها الله على نبِيّهِ ﷺ.

يُقالُ لمَنْ يُحرِّمُ الاستغاثَةَ والتّوسُّلَ بالأنبياءِ والصّالِحِينَ

روى البيهقيّ بإسنادٍ صحيح كما نقل عنه ابن كثير في «البداية والنهاية» أنّ بلال بن الحارث المزنيّ الصحابيّ جاء إلى قبر النّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنَّهُم قد هلكوا، فأُتي الرّجل في المنام (أي رأى رسول الله ﷺ) فقيل له: «أقرئ عمر السّلام وأخبره أنّهم يُسقون، وقل له عليك الكيس الكيس»، فأتى الرّجلُ عمر فأخبره فبكى عمرُ وقال: يا ربّ ما آلو إلّا ما عجزت. انتهى.

فهذا الصّحابي قد قصد قبر الرّسول ﷺ للتّبرّك والاستغاثة، فلم ينكر عليه عمر ولا غيره من الصّحابة، ولو كانت زيارة الرّسول ﷺ للتّبرك

أو الاستغاثة شركًا ما سكت عليه عمر الفاروق، وقد أكّد صحّة إسناد هذه الحادثة الحافظ ابن حجر العسقلانيّ حيث صحّحه في كتابه «الفتح» وعزا الرّواية لابن أبي شيبة.

وقال الحافظ السّمهوديّ في كتاب «وفاء الوفا» ما نصّه: «لمّا قدم بلال رضيَ اللهُ عنهُ من الشّام لزيارة النّبيّ ﷺ، أتى القبر فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه» انتهى، وإسناده جيد كما قال الحافظ السمهوديّ.

قال المؤلف رحمه الله: (**أوْ مِن الإِسْلامِ**) فهُو كافِرٌ، (**أوْ قال**) بعْد أنْ قال لهُ شخْصٌ لِم فعلْت هذا الْحرام ألا تعْرِفُ الْحُكْم (**لا أعْرِفُ الْحُكْم مُسْتهْزِئًا بِحُكْمِ اللهِ**) فهُو كافِرٌ مُرْتدٌّ (**أوْ قال وقدْ ملأ وِعاءً**) بِشرابٍ (﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾)[1] بِقصْدِ الِاسْتِخْفافِ أوِ التّكْذِيبِ بِما وعد الله بِهِ الْمُؤْمِنِين فِي الْجنّةِ مِن الْكأْسِ الْمُمْتلِئةِ شرابًا هنِيئًا فقدْ كفر (**أوْ أفْرغ شرابًا**) بِأنْ صبّهُ مِن الإِناءِ (**فقال**) مُسْتخِفًّا بِالآيةِ (﴿فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾)[2] فإِنّهُ يكْفُرُ (**أوْ**) قال (**عِنْد وزْنٍ أوْ كيْلٍ** ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾)[3] بِقصْدِ الِاسْتِخْفافِ بِالآيةِ كأنْ أراد أنا لا منْزِلة فِي قلْبِي لِقوْلِ اللهِ ووعِيدِهِ فهُو كافِرٌ (**أوْ**) قال (**عِنْد رُؤْيةِ جمْعٍ**) أيْ جماعةٍ مِن النّاسِ (﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾)[4] **بِقصْدِ الِاسْتِخْفافِ فِي الْكُلّ بِمعْنى هذِهِ الآياتِ**) الأرْبعةِ فهُو كافِرٌ (**وكذا كُلُّ موْضِعٍ اسْتعْمل**) شّخْصٌ (**فِيهِ**) اياتِ (**الْقُرْءانِ بِذلِك الْقصْدِ**) أيْ بِقصْدِ الِاسْتِخْفافِ بِالْقُرْءانِ فإِنّهُ يكفُرُ (**فإِنْ كان بِغيْرِ ذلِك الْقصْدِ**) بِأنْ أوْردها فِي هذِهِ

---

(١) سورة النبأ، اية (٣٤).
(٢) سورة النبأ، اية (٢٠).
(٣) سورة المطففين، اية (٣).
(٤) سورة الكهف، اية (٤٧).

الْمواضِعِ لا بِقصْدِ الِاسْتِخْفافِ (**فلا يكْفُرُ لكِنّ**) هذا حرامٌ فقدْ (**قال الشّيْخُ أحْمدُ ابْنُ حجرٍ**) الْهيْتمِيُّ[١] (**لا تبْعُدُ حُرْمتُهُ**) أيْ أنّ الْقوْل بِأنّهُ حرامٌ قرِيبٌ أيْ راجِحٌ لِأنّ فِيهِ إِساءة أدبٍ مع الْقُرْءانِ (**وكذا يكْفُرُ منْ شتم نبِيًّا أوْ ملكًا**) كجِبْرِيل أوْ عزْرائِيل أوْ مُنْكرٍ أوْ نكِيرٍ أوْ غيْرِهِمْ مِنْ ملائِكةِ اللهِ الْمُكْرمِين (**أوْ قال أكُونُ قوّادًا إِنْ صلّيْتُ**) فإِنّهُ يكُوْنُ مُسْتخِفًّا بِالصّلاةِ ومُنقِصًا لها، والْقوّادُ هُو الّذِي يجْلِبُ الزّبائِن لِلزّانِياتِ، (**أوْ**) قال (**ما أصبْتُ خيْرًا مُنْذُ صلّيْتُ**) لأنّ فِيه اسْتِخْفافًا بِالصّلاةِ، (**أوْ**) قال بعْد أنْ أمرهُ شخْصٌ مثلًا بِالصّلاةِ (**الصّلاةُ لا تصْلُحُ لِي بِقصْدِ الِاسْتِهْزاءِ**) بِخِلافِ ما لوْ قالتِ امْرأةٌ حائِضٌ ذلِك بِقصْدِ أنّ الصّلاة لا تصِحُّ مِنّي وأنا حائِضٌ فلا تكْفُرُ، (**أوْ قال لِمُسْلِمٍ أنا عدُوُّك وعدُوُّ نبِيّك**) لِما فِيهِ مِن الِاسْتِخْفافِ بِالنّبِيّ ﷺ (**أوْ**) قال (**لِشرِيفٍ**) وهُو هُنا منْ يرْجِعُ نسْبُهُ لِلنّبِيّ ﷺ (**أنا عدُوُّك وعدُوُّ جدّك مُرِيدًا**) بِقوْلِهِ جدّك (**النّبِيّ ﷺ**) بِخِلافِ ما لوْ أراد جدًّا لهُ أدْنى مِنْ أجْدادِ هذا الشّخْصِ فلا يكْفُرُ (**أوْ يقُول شيْئًا مِنْ نحْوِ هذِهِ الألْفاظِ الْبشِعةِ الشّنِيعةِ**) أيِ الْقبِيحةِ حفِظنا اللهُ مِنْها.

(**وقدْ عدّ كثِيرٌ مِن الْفُقهاءِ**) مِن الْمذاهِبِ الأرْبعةِ (**كالْفقِيهِ الْحنفِيّ بدْرِ الرّشِيدِ**)[٢] الّذِي هُو مِنْ أهْلِ الْقرْنِ الثّامِنِ فِي رِسالتِهِ فِي بيانِ الألْفاظِ

---

(١) ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمّد بن عليّ بن حجر الهيتميّ السعدي الأنصاري، شهاب الدّين، أبو العباس. فقيه باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيتم، من إقليم الغربية بمصر، وإليها نسبته. والسعدي نسبة إلى بني سعد من عرب الشّرقية بمصر. تلقى العلم في الأزهر، ومات بمكّة. له تصانيف كثيرة، منها: «مبلغ الأرب في فضائل العرب»، و«الجوهر المنظم»، رحلة إلى المدينة. ولد سنة ٩٠٩ للهجرة. وتوفى سنة ٩٧٤هـ. الزركلي، الأعلام، (١/ ٢٣٤).

(٢) بدر الرشيد، هو محمّد بن إسماعيل بن محمود بن محمّد مجهول الولادة والمتوفى سنة ٧٦٨هـ وكان فقيهًا حنفيًا فاضلًا. له: «رسالة في الألفاظ الكفرية اسمها «ألفاظ الكفر».=

الْمُكفّرةِ (**والْقاضِي عِياضٍ المالِكِيّ**)[1] الّذِي هُو مِنْ أهْلِ الْقرْنِ السّادِسِ فِي كِتابِهِ الشّفا (**رحِمهُما الله أشْياء كثِيرةً**) مِن الِاعْتِقاداتِ والأفْعالِ والأقْوالِ الْكُفْرِيّةِ بعْد أنْ ظهرتْ فِي أزْمانِهِمْ تحْذِيرًا لِلنّاسِ مِنْها (**فينْبغِي الِاطّلاعُ علىْها**) أيْ على هذِهِ الْمسائِلِ الّتِي ذكرُوها وذلِك حتّى يحْذرها الشّخْصُ (**فإِنّ منْ لمْ يعْرِفِ الشّرّ يقعُ فِيهِ**) وأعْظمُ الشُّرُورِ الْكُفْرُ بِاللهِ تعالى.

(**والْقاعِدةُ**) الّتِي بنى علىْها الْعُلماءُ كلامهُمْ فِي هذِهِ الْمسائِلِ (**أنّ كُلّ عقْدٍ**) أيِ اعْتِقادٍ (**أوْ فِعْلٍ أوْ قوْلٍ يدُلُّ على اسْتِخْفافٍ بِاللهِ أوْ كُتُبِهِ أوْ رُسُلِهِ أوْ ملائِكتِهِ أوْ شعائِرِهِ أوْ معالِمِ دِينِهِ**) جمْعُ معْلمٍ وهُو بِمعْنى الشّعِيرةِ أيْ ما كان ظاهِرًا أنّهُ مِنْ أُمُورِ الدّينِ كالصّلاةِ والأذانِ والْمسْجِدِ (**أوْ أحْكامِهِ أوْ وعْدِهِ**) بِالْجنّةِ والثّوابِ (**أوْ وعِيدِهِ**) بِالنّارِ والْعذابِ (**كُفْرٌ فلْيحْذرِ الإِنْسانُ مِنْ ذلِك**) أيْ مِن الْكُفْرِ بِأنْواعِهِ (**جهْدهُ على أيّ حالٍ**) أيْ لِيعْملِ الشّخْصُ على تجنُّبِ ذلِك غاية مُسْتطاعِهِ ولِيحْذرْ مِنْهُ نِهاية الْحذرِ فإِنّ منْ مات على الْكُفْرِ خسِر الدُّنْيا والآخِرة.

= ولعليّ القاري شرح لها مخطوط. كلاهما في مكتبة الشاويش ببيروت. انظر الأعلام (٦/ ٣٧) ومعجم المؤلفين (٩/ ٦٢) وكشف الظنون (٢/ ١٣٩٦). الزركلي، الأعلام، (١٣/ ٨٦).

(١) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض اليحصبيّ سبتي الدار والميلاد أندلسي الأصل، إمام، علامة، الحافظ الأوحد، جمع وألف، وسارت بتصانيفه الرّكبان، واشتهر اسمه في الأوقاف، من تآليفه: «الشفا في شرف المصطفى»، و«ترتيب المدارك وتقريب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك»، كان مولده بسبتة في شهر شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة وتوفي بمراكش في شهر جمادى الأخيرة. الذّهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢/ ٤٦٤-٤٦٧). وانظر الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي (ص٢٧٠).



سلامٌ على نوحٍ من العالمين...

سيّدنا نوح عليهِ السلَامُ

مضت ألف سنةٍ بعد وفاة آدم ثمّ بعد ذلك ظهر إبليس للنّاس بصورة إنسانٍ وطلب منهم أن يصنعوا تماثيل لِخمسةِ رجالٍ صالحين ميّتين حتّى يتذّكّروهم دائمًا.

فعملوا لهم هذه التّماثيل. ثمّ طالت الأيّام فظهر لهم، وطلب منهم أن يكفروا بالله ويعبدوا هذه التّماثيل، فأطاعه قسمٌ من البشر.

بعد انتشار الكفر في الأرض، بعث الله تعالى نبيًّا اسمه نوح، فصار يدعو النّاس إلى الإسلام، وإلى عبادة الله وحده وأن لا يُشرك به شيء، وكانت المدّة بين نوحٍ وإدريس ألف سنةٍ.

صار سيّدنا نوح يتجوّل في النّاس ويقول لهم: أيّها النّاس اعبدوا الله وحده واتركوا ما تعبدونه من دون الله، اتركوا عبادة هؤلاء الخمسة الّذين تعبدونهم واعبدوا الله وحده.

سيّدنا نوح عليه السّلام بقيَ تسعمائةٍ وخمسينَ سنةً يتنقّل بين النّاس ويدعوهم إلى عبادة الله وحده وأكثر النّاس كانوا يكذّبونه ويستهزئون به، ويُؤذونه.

ثمّ أنزل الله تعالى عليه وحيًا أنّه لا يُؤمن من قومك إلا من قد آمن وكانوا حوالي ثلاثةٍ وثمانين شخصًا. فصار يدعو على الكفّار ويقول: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[1] أي لا تترك يا ربّ أحدًا من الكفّار حيًّا.

---

(١) سورة نوح (٢٦).

أوحى الله إلى نوحٍ أن يصنع سفينةً وعلَّمهُ كيف يصنعها وبعد أن صنع السّفينة دخل فيها هو وأولاده الثّلاثة المؤمنون ومع كل واحدٍ منهم زوجته. ودخل أناس آخرون من غير أقاربه ممّن آمن به. وأدخل من البهائم أنثى وذكرًا من كلّ نوع، من البقر، ومن الغنم، ومن غير ذلك.

فأمر الله الأرض أن تُنبعَ ماءها وأمر السَّماء أن تُنزل ماءها، فالتقى ماء السّماء وماء الأرض، وغطَّى الماء الأرض ونجت السّفينة ومن فيها. أغرق الله تعالى البشر كلّهم الّذين كذَّبوا نبيَّ الله نوحًا وظلُّوا على عبادة الأوثان. ثمّ بلعت الأرض ماءها والسّماء أمسكت عن المطر، وجفّ الماء الذي هطل ونبع عن الأرض بعد مدّةٍ فعادت مثلما كانت قبل الطّوفان. استقرّت السّفينة على جبلٍ بالعراق اسمه الجوديُّ ونزل منها نوح ومن معه إلى وجه الأرض.

لَنَزْدَانَ رِفعَةً بالعِلمِ الوافر

تعريفُ الخاطِرِ

الخاطر الّذي يمرّ على القلب دون إرادة الشّخص لا يُحاسب عليه لأنّ هذا ليس في وُسع العبد أن يحترز منه، الخاطر الّذي لا يؤاخذ به العباد هو ما يرد على البال بدون إرادة الشّخص بالمرّة هذا لا يؤاخذ به الإنسان، قد يرِدُ على القلب أحيانًا أنّ الإسلام غير صحيح لكنّ الاعتقاد لا يوافقه، قال ابن رسلان في الزّبد:

وَزِنْ بِحُكْمِ الشَّرعِ كُلَّ خَاطِرِ فَإِنْ يَكُن مَأمُورَه فبادِرِ.

المسلم يكون اعتقاده أنّ دين الإسلام حقّ وأنّ القرءان حقّ، لكن يمرُّ بالبال أحيانًا خلاف هذا ولا يعتقده المسلم، هذا لا يؤاخذ به بل له ثواب بكراهيته، لذلك يتأسّف المؤمن يقول: «كيف يمرّ هذا بقلبي» يكره هذا.

فهذه الكراهية من الإيمان، لا يؤاخذ بذلك الخاطر، أمّا الشّىء الّذي ينويه الإنسان كأن نوى أن يكفر إذا حصل كذا أو نوى أن يذهب ليشرب خمرًا أو جزم بالنّسبة للأعمال البدنية يؤاخذ، أمّا من لم يجزم بأن يفعل المعصية لا يؤاخذ، كأن قال: أأفعل أو قال: «لا أفعل» ما دام متردّدًا لا يؤاخذ، مثلًا كأن تقول له نفسه: اذهب فاشرب الخمر، ثمّ يقول: لا لا أذهب، ثمّ يقول: اذهب، ثمّ يقول: لا أذهب، لكن لم يجزم، لم يصل إلى الجزم لا يؤاخذ؛ أمّا الشّك في وجود الله وما أشبه ذلك فيؤاخذُ به أمّا الخاطر الّذي يرد على القلب بلا إرادة لا يؤاخذ به.

ما تعريف الجزم

من قطع بأنّه يذهب ليشرب خمرًا أو يقتل مسلمًا ظلمًا، من قبل أن يتحرّك وهو قاعد يجزم أن يذهب إلى خمّارةٍ ليشرب الخمر أو ليقتل إنسانًا ظلمًا، هذا يقال له: عَزْم وهو التّصميم الجازم المؤكّد، العزم على المعصية تُكتب معصيةً أمّا الهمّ على المعصية لا يُكتب عليه، معنى الهمّ أن يكون متردّدًا: أفعل أو لا أفعل، أفعل أو لا أفعل.

أمّا معنى الحديث: «**إِنْ هَمَّ بِسَيِئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلهَا كَتَبَهَا الله سَيئَةً وَاحدةً**» أبو هريرة، صحيح مسلم. همّ يعني ما جزم هو ما زال متردّدًا لكن مال إلى الفعل وما جزم هذا معنى الهمّ.



عند الصّباح يقال: «**أصبَحْنَا علَى فِطرَةِ الإسلَامِ وكلمَةِ الإخلَاصِ، ودينِ نبيِّنَا محمّدٍ ﷺ، وملّةِ إبرَاهِيمَ ﷺ حنِيفًا مُسلِمًا ومَا أنَا منَ المشرِكِينَ**». وإذَا طلَعَتِ الشّمسُ يقالُ: «**الحمدُ للهِ الّذِي وهبَ لنَا هذَا اليومَ، وأقالَنا من عثرَاتِنا**».



الدّرس الثّالث عشر

وبعْد أنْ بيّن الْمُؤلّفُ رحِمهُ الله تعالى أقْسام الرّدّةِ[١] شرع فِي الْكلامِ على أحْكامِ الْمُرْتدّ فقال (**فصْلٌ**) فِي بيانِ أحْكامِ الْمُرْتدِ.

(**يجِبُ على منْ وقع فِي الرّدّةِ**) سواءٌ كان ذكرًا أمْ أُنْثى (**الْعوْدُ فوْرًا إلى**) دِينِ (**الإِسْلامِ**) ويكُونُ ذلِك (**بِالنُّطْقِ بِالشّهادتيْنِ**) وهُما أشْهدُ أنْ لا إله إلا الله وأشْهدُ أنّ مُحمّدًا رسُولُ اللهِ أوْ ما يُعْطِيْ معْناهُما ولوْ بِغيْرِ العربيّةِ للدخول في الاسلام.

(**والإِقْلاعِ**) أيّ الْكفّ (**عمّا**) أيْ عنِ الشّيْءِ الّذِي (**وقعتْ**) أيْ حصَلتْ (**بِهِ الرّدّةُ**) فإنْ ترك الأمْر الّذِي ارْتدّ بِسببِهِ ونطق بِالشّهادتيْنِ رجع إلى الإِسْلامِ (**ويجِبُ عليْهِ**) زِيادةً على رُجُوعِهِ لِلإِسْلامِ حتّى يسْلم مِن الإِثْمِ شيْئانِ الأوّلُ (**النّدمُ على ما صدر مِنْهُ**) بِأنْ يسْتشْعِر فِي قلْبِهِ كراهِية ما صدر مِنْهُ (**و**) الثّانِي (**الْعزْمُ**) أيِ التّصْمِيمُ بِالْقلْبِ (**على أنْ لا يعُود لِمِثْلِهِ**) أيْ لِلْكُفْرِ فإنْ لمْ ينْدمْ أوْ لمْ يخْطُرْ فِيْ بالِهِ أنّهُ لا يعُودُ لِلْكُفْرِ صحّ إِسْلامُهُ مع الإِثْمِ وأمّا منْ عزم على الْكُفْرِ أوْ تردّد فِي ذلِك فإِنّهُ يكْفُرُ فِي الْحالِ.

(**فإِنْ لمْ يرْجِعْ عنْ كُفْرِهِ**) ورِدّتِهِ (**بِالشّهادةِ**) أيْ بِالنُّطْقِ بِها (**وجبتِ اسْتِتابتُهُ**) أيْ طلبُ التّوْبةِ مِنْهُ فيجِبُ أنْ يطْلُب مِنْهُ الْخلِيفةُ أوْ منْ يقُومُ

---

(١) الكفر في اللّغة يطلق على الجحود وعلى السّتر. وفي الشّرع: تكذيب الدّين تصريحًا أو ضمنًا ومعنى. أمّا الصّريح: فهو كأن يقول الإسلام غير صحيح، أو يقول عن النّبيّ محمّد ﷺ إنّه ليس رسول الله وما أشبه ذلك. أمّا الضمنيّ كأن يقول الصّلوات الخمس غير واجبة، أو أن يصف الله بالجسميّة وما أشبه ذلك، أو ترك تكفير الكافر الّذي لا يختلف فيه كاليهود.

مقامهُ الرُّجُوع إِلى الإِسْلام (**ولا يقْبلُ مِنْهُ**) الْخلِيفةُ أوِ الْقائِمُ مقامهُ (**إِلّا**) الرُّجُوع إِلى (**الإِسْلامِ أوِ الْقتْل بِهِ**) أيْ بِسببِ الرّدّةِ وذلِك بِضرْبِ عُنُقِهِ بِنحْوِ سيْفٍ إِنْ لمْ يتُبْ، وهذا الْحُكْمُ (**يُنفّذُهُ عليْهِ الْخلِيفةُ**) أوْ منْ يقُومُ مقامهُ (**بعْد أنْ يعْرِض عليْهِ الرُّجُوع إِلى الإِسْلامِ**) وأمّا قبْل الِاسْتِتابةِ فلا يجُوزُ (**ويعْتمِدُ الْخلِيفةُ فِي ذلِك**) أيْ فِي إِثْباتِ وقُوعِهِ فِي الرّدّةِ (**على شهادةِ شاهِديْنِ**) ذكريْنِ (**عدْليْنِ أوْ على اعْترافِهِ**) أيْ اعْترافِ الْمُرْتدّ (**وذلِك لِحدِيثِ الْبُخارِيّ منْ بدّل دِينهُ فاقْتُلُوهُ**)[1] اهـ أيْ منْ خرج مِن الإِسْلامِ إِلى غيْرِهِ فاقْتُلُوهُ إِنْ أمرْتُمُوهُ بِالرُّجُوعِ ولمْ يرْجِعْ.

(**و**) مِنْ أحْكامِ الرّدّةِ أنّهُ (**يبْطُلُ بِها**) أيْ بِالرّدّةِ (**صوْمُهُ**) لِعدمِ صِحّةِ الصّوْمِ مِن الْكافِرِ (**و**) يبْطُلُ أيْضًا (**تيمُّمُهُ**) بِخِلافِ وُضُوئِهِ فمنِ ارْتدّ بعْد أنْ توضّأ ثُمّ رجع إِلى الإِسْلامِ ولمْ يُحْدِثْ فوُضُوءُهُ صحِيحٌ (**و**) يبْطُلُ أيْضًا عقْدُ (**نِكاحِهِ**) بِمُجرّدِ حُصُولِ الرّدّةِ مِنْ أحدِ الزّوْجيْنِ (**قبْل الدُّخُولِ**) أيِ الْوطْءِ فإِنْ رجع إِلى الإِسْلامِ فلا بُدّ مِنْ عقْدٍ جدِيدٍ (**وكذا**) يبْطُلُ إِذا حصلتِ الرّدّةُ (**بعْدهُ**) أيْ بعْد الدُّخُولِ (**إِنْ لمْ يعُدِ**) الْمُرْتدُّ مِنْهُما (**إِلى الإِسْلامِ فِيْ**) مُدّةِ (**الْعِدّةِ**) فيحْتاجُ إِلى عقْدٍ جدِيدٍ فإِنْ رجع إِلى الإِسْلامِ قبْل انْتِهاءِ مُدّةِ الْعِدّةِ فالْعقْدُ صحِيحٌ، والْعِدّةُ ثلاثةُ أطْهارٍ لِذواتِ الْحيْضِ وثلاثةُ أشْهُرٍ قمرِيّةٍ لِمنْ لا تحِيْضُ ولِلْحامِلِ حتّى تضع حمْلها.

(**و**) الْمُرْتدُّ (**لا يصِحُّ عقْدُ نِكاحِهِ على مُسْلِمةٍ و**) لا على (**غيْرِها**) ولوْ مُرْتدّةً مِثْلهُ (**و**) مِنْ أحْكامِهِ أنّهُ (**تحْرُمُ ذبِيحتُهُ**) وحُكْمُها أنّها ميْتةٌ (**ولا يرِثُ**) منْ مات مِنْ أقْربائِهِ الْمُسْلِمِين (**ولا يُوْرثُ**) إِذا مات هُو فلا يرِثُهُ أقْرِباؤُهُ الْمُسْلِمُون ولا غيْرُهُمْ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب استتابة المرتدّين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتدّ والمرتدّة واستتابتهم.

(**ولا**) يجُوزُ أنْ (**يُصلّى عليْه**)[١] لِكُفْرِهِ (**ولا**) يجِبُ أنْ (**يُغسّل**) ويجُوزُ ذلِك (**ولا**) أنْ (**يُكفّن**) ويجُوزُ ذلِك (**ولا**) يجُوزُ أنْ (**يُدْفن فِي مقابِرِ الْمُسْلِمِين**) لأنّهُ ليْس مِنْهُمْ (**ومالُهُ**) بعْد موْتِهِ (**فيْءٌ أيْ لِبيْتِ الْمالِ إنْ كان**) أيْ وُجِد (**بيْتُ مالٍ مُسْتقِيمٌ أمّا إنْ لمْ يكُنْ**) بيْتُ مالٍ مُسْتقِيمٌ كحالِ الْمُسْلِمِين مُنْذُ زمانٍ طوِيلٍ حتّى الْيوْم (**فإنْ تمكّن رجُلٌ صالِحٌ**) أمِينٌ عارِفٌ بِمصارِفِ هذا الْمالِ (مِنْ أخْذِهِ وصرْفِهِ فِي مصالِحِ الْمُسْلِمِين فعل ذلِك).

(**فصْلٌ**) فِيْ أداءِ الْواجِباتِ واجْتِنابِ الْمُحرّماتِ.

اعْلمْ أنّهُ (**يجِبُ على كُلّ**) شخْصٍ (**مُكلّفٍ أداءُ جمِيعِ ما أوْجبهُ الله علىْهِ**) كالصّلاةِ والزّكاةِ والصّوْمِ وردّ الْمظالِمِ ونحْوِ ذلِك (**ويجِبُ علىْهِ**)

---

(١) **تنبيه لذكر حال عبد الله بن أُبيّ بن سلول قبل وفاته**

قال الحافظ أبو الفرج عبد الرّحمٰن بن الجوزي في «كشف المشكل من حديث الصّحيحين» ما نصّه: «كان ابن أُبيّ يظهر الإسلام ثمّ تظهر منه فلتات تدلّ على نفاقه ثمّ يتأوّل لما قال مرّة وينكر أخرى فحمله رسول الله ﷺ على علّاته». أبو الفرج عبد الرّحمٰن بن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصّحيحين (١/ ٨٤١) دار الوطن - الرياض.

فقد كان عبد الله بن أُبيّ بن سلول مع ما ظهر منه من النّفاق يتشهّد بلسانه ويصلّي خلف رسول الله ﷺ ولمّا سئل: «بلغنا أنّك قلت كذا - أي لَيُخرِجَنّ الأعزّ منها الأذلّ - أنكر قال: «لم أقل» ومراده بالأعزّ نفسه وبالأذلّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام لكن الرّسول عليه الصّلاة والسّلام كان يجري عليه أحكام المسلم لأنّه لم يعترف بل بقي متظاهرًا بالإسلام فكان الرّسول عليه الصّلاة والسّلام يُجري عليه في الظّاهر أحكام المسلم. وكان ابتداءُ مرضه في شوّال ومكث عشرين ليلة فلمّا توفّي جاء ابنه عبد الله إلى النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام فسأله قميصه فأعطاه فكفّنه فيه، وعندما مات ظنّ الرّسول ﷺ أنّه زال عنه النّفاق، وبناءً على هذا الظنّ صلّى عليه هذا هو الصّواب كما تقدم وأمّا من قال: إنّ الرّسول ﷺ كان يعلَم أنّه بعد منافق كافر ثمّ صلّى عليه، فقد جعل الرّسول عليه الصّلاة والسّلام متلاعبًا بالدّين، جعله كأنّه يقول في صلاته عليه: اللّهُمَّ اغفر لمن لا تغفر له، وذلك كفر.

أيْضًا (**أنْ يُؤدّيهُ على ما**) أيْ على الْوجْهِ الّذِي (**أمرهُ الله بِهِ**[١] **مِن الإِتْيانِ بِأرْكانِهِ**) جمْعُ رُكْنٍ وهُو ما كانْ جُزْءًا مِن الْعملِ ولا يصِحُّ الْعملُ بِدُونِهِ (**وشُرُوطِهِ**) جمْعُ شرْطٍ وهُو ما لمْ يكُنْ جُزْءًا مِن الْعملِ لكِنْ لا يصِحُّ الْعملُ بِدُونِهِ (**ويجْتنِب مُبْطِلاتِهِ**) أيْ أنْ يبْتعِد عنْها ويتْرُكهاْ (**ويجِبُ عليْهِ**) أيْ على كُلّ مُكلّفِ (**أمْرُ منْ رءاهُ تارِك شيْءٍ مِنْها**) أيْ الفرائِضِ (**أوْ يأْتِي بِها على غيْرِ وجْهِها**) أيْ على وجْهٍ لا تصِحُّ الْفرِيضةُ إِنْ فعلها عليْهِ (**بِالإِتْيانِ بِها على وجْهِها**)[٢] أيْ على الْوجْهِ الّذِي تصِحُّ بِهِ (**ويجِبُ عليْهِ**) أيْ على الْمُكلّفِ إِذا رأى شخْصًا لا يُؤدّي الْواجِباتِ على وجْهِها (**قهْرُهُ**) بِإِرْغامِهِ (**على ذلِك**) أيْ على تأْدِيةِ الْفرائِضِ على وجْهِها (**إِنْ قدر عليْهِ**) أيْ على الْقهْرِ والأمْرِ (**وإِلّا**) بِأنْ لمْ يكُنْ قادِرًا عليْهِما (**وجب عليْهِ الإِنْكارُ**) أيْ كراهِيةُ ذلِك الْفِعْلِ (**بِقلْبِهِ إِنْ عجز عنِ الْقهْرِ والأمْرِ وذلِك**) أيِ الإِنْكارُ بِالْقلْبِ (**أضْعفُ**) أيْ أقلُّ ثمرةِ (**الإِيْمانِ أيْ أقلُّ ما يلْزمُ الإِنْسان عِنْد الْعجْزِ**) عنِ الْقهْرِ والأمْرِ (**ويجِبُ**) على الْمُكلّفِ (**ترْكُ جمِيعِ الْمُحرّماتِ**) مِن الْكبائِرِ والصّغائِرِ (**ونهْيُ مُرْتكِبِها**) أيْ فاعِلِ الْمُحرّماتِ (**ومنْعُهُ قهْرًا مِنْها إِنْ قدر عليْهِ**) أيِ النّهْيِ بِالْيدِ أوِ اللّسانِ بِشرْطِ أنْ لا يُؤدّي إِنْكارُهُ إِلى مُنْكرٍ أعْظم مِنْ ذلِك الْمُنْكرِ (**وإِلّا**) بِأنْ عجز عنْ ذلِك (**وجب عليْهِ**) أيْ على الْعاجِزِ (**أنْ يُنْكِر ذلِك**) الْحرام (**بِقلْبِهِ**).

(**و**) حدُّ (**الْحرامُ**) هُو (**ما توعّد الله مُرْتكِبهُ**) أيْ فاعِلهُ (**بِالْعِقابِ**) أيْ ما يسْتحِقُّ فاعِلُهُ الْعِقاب فِيْ الآخِرةِ (**ووعد تارِكهُ**) امْتِثالًا لِأمْرِ اللهِ

---

(١) العلم نور، والتّعبّد مع الجّهل لا ينقذ صاحبه. فمن أراد الله به خيرًا كثيرًا يكون قويّ الهمّة في العلم، أمّا من كان ضعيف الهمّة في العلم فهو قليل الخير عند الله.

(٢) ولتحصيل الفائدة لا بدّ أن تكون النّصيحة برفق، قال ﷺ: «**مَا كانَ الرِفقُ في شَيءٍ إِلّا زَانَهُ**». ابن حبان في صحيحه، باب الرفق، (٢/ ٣١٢). وفِي لفظٍ آخر: «**إِنّ الله يُحِبُّ الرِفق فِي الأمرِ كُلّه**». البخاري، الأدب المفرد، باب الرفق، (١/ ١٠٧). ففِي التّعليم، في معاملةِ النّاسِ، في كلّ شيءٍ الرفقُ مطلوبٌ، والأخذُ بطريقِ الحكمةِ فِي الأمرِ والنّهيِ.

(**بِالثّوابِ، وعكْسُهُ**) حدُّ (**الْواجِبِ**) وهُو ما وعد الله فاعِلهُ امْتِثالًا بِالثّوابِ وتوعّد تارِكهُ بِالْعِقابِ.



أَيا نفسي!!! أإلٰهك تعصي؟؟

دينار العيار

يُحكى أنّ رجلًا كان يعرف بدينار العيار، وكان له والدة صالحة تعظه وهو لا يتّعظ، فمرّ في بعض الأيّام بمقبرة فأخذ منها عظمًا تفتّت في يده ففكّر في نفسه وقال: ويحك يا دينار، كأنّي بك وقد صار عظمك هكذا رفاتًا والجسم ترابًا، فندم على تفريطه وعزم على التّوبة ورفع رأسه إلى السّماء لأنّها قبلة الدّعاء، وقال: «إلٰهي وسيّدي، ألقيتُ إليك مقاليد أمري فاقبلني وارحمني»، ثمّ أقبل نحو أمّه متغيّر اللّون منكسر القلب فقال: يا أمّاه ما يصنع بالعبد الآبق إذا أخذه سيّده، قالت: يخشّن ملبسه ومطعمه ويغلّ يديه وقدميه. فقال: أريد جبّة من صوف وافعلي بي كما يفعل بالعبد الآبق، ففعلت به ما أراد، فكان إذا جنّ عليه اللّيل أخذ في البكاء الشّديد ويقول لنفسه: ويحك يا دينار، ألك قوّة على النّار؟ كيف تعرضت لغضب الجبّار؟ ولا يزال كذلك إلى الصّباح فقالت أمّه: يا بني ارفق بنفسك، قال دعيني أتعب قليلًا، لعليّ أستريح طويلًا، يا أمّاه إن لي غدًا موقفًا طويلًا، بين يدي ربّ جليل، ولا أدري أيؤمر بي إلى ظلّ ظليل، أو إلى شرّ مقيل. قالت يا بني خذ لنفسك راحة قال: لست للرّاحة أطلب، كأنّك يا أماه غدًا بالخلائق يساقون إلى الجنّة وأنا أساق إلى النّار مع أهلها. فتركته وما هو عليه،

فأخذ في البكاء والعبادة وقراءة القرءان فقرأ بعض اللّيالي: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[1] ففكّر في هذه الآية العظيمة ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ وجعل يبكي حتَّى غشي عليه فجاءت أمّه إليه فنادته فلم يجبها فقالت له يا حبيبي وقرّة عيني أين الملتقى؟ فقال بصوت ضعيف: يا أمّاه إن لم تجديني في مواقف يوم القيامة فاسألي مالكًا خازن النّار عني، ثمّ شهق شهقة فمات رحمه الله تعالى. فغسّلته أمّه وجهّزته وخرجت تنادي: أيُّها النّاس، هلموا إلى الصّلاة على قتيل النّار، فجاء النّاس من كلّ جانب فلم يُرَ أكثر جمعًا ولا أغزر دمعًا من ذلك اليوم، فلمّا دفنوه نام بعض أصدقائه تلك اللّيلة فرءاه يمشي في الجنّة وهو يقرأ الآية: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

ويقول: وعزّته وجلاله سألني ورحمني وغفر لي وتجاوز عنّي ألا أخبروا عنّي أمي.

عينُ الكرامة لزومُ الاستقامة

مُغرياتُ الدُّنيا

أوصيكم بترك الدّنيا والتّزود للآخرة بالعمل الصّالح وأذكركم بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ

(١) سورة الحجر، ءاية (٩٢ - ٩٣).

﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [سورة فاطر]، فلا تصرفوا أوقاتكم في اللّهو والباطل، حاسِبوا أنفسكم قبل أن تحاسبُوا، ليفكّر كلّ واحد منكم إذا أمسى ماذا عمل في نهاره هذا، عمل عملًا يرضاه الله أم عمل عملًا يسخط الله؟ فيتدارك نفسه، ما أفسده بالنّهار يتداركه باللّيل، هذا شأن من يحبّ الآخرة، فخالفوا أنفسكم واقهروها لمّا ينفعكم في غدكم أي لمّا بعد مفارقة هذه الحياة الدّنيا.

الدّنيا تغرّ وتضرّ وتمرّ، وقد قال فيها الإمام عليّ: «ارتحلتِ الدّنيا وهي مدبرة وارتحلتِ الآخرة وهي مقبلة فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدّنيا، اليوم العمل ولا حساب وغدا الحساب ولا عمل»، فكم من أناس بسبب الدّنيا ضيّعوا الفرائض، وكم من أناس أكلوا الحرام بسبب الدّنيا، وكم من أناس أمضوا عمرهم في السّجون بسبب الدّنيا، وكم من أناس وقعوا في الكفر بسبب الدّنيا، وليتفكّر الفطن الذّكيّ فيمن ملّكهم الله تعالى الدّنيا، فقد ملك الدّنيا اثنان مؤمنان وهما سيّدنا سليمان عليه السّلام، وذو القرنين عليه السّلام، ثمّ فارقاها وتركاها لأهلها، واثنان كافران وهما النّمرود وشدّاد بن عاد، ثمّ ماتا وهلكا وتركاها.

هذه الدّنيا تزول والبقاء ليس يطول، هذه الدّنيا كساعة فاجعلها طاعة، والنّفس طمّاعة عوّدها القناعة واشترِ خير البضاعة واقتد دومًا بمحمّد ﷺ.

هذه الدّنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وإنَّ موضع سوط في الجنّة خير من الدّنيا وما فيها، وإنَّ الدّنيا بالنّسبة للآخرة كالبلل الّذي يعلق على الإصبع إذا أدخلته البحر، فما هي نسبة البلل بالنّسبة للبحر؟!



يُقال ممَّا يُستعاذُ منه: «**اللَّهمَّ إنّي أعُوذُ بكَ من عِلمٍ لا ينفَعْ، ودُعَاءٍ لا يُسمَعْ، ونفسٍ لا تشبَعْ، وقلبٍ لا يخشَعْ**». ويقال: «**اللَّهمَّ إنّي أعوذُ بكَ من الهرَمِ والتَّردّي، وأعوذُ بكَ منَ الغمّ والغرَقِ والحريقِ والهدمِ، وأعوذُ بكَ من أنْ يتخبَّطَنِيَ الشّيطَانُ عندَ الموتِ**».



الدّرس الرابع عشر

كِتابُ (الطّهارةِ والصّلاةِ)

بعد أن أنّهى المؤلف رحمه الله الْكلام على مسائِل الْعقِيدةِ شرع فِي الْكلامِ على أحْكامِ الطّهارةِ[١] وهِي فِعْلُ ما تُسْتباحُ بِهِ الصّلاةُ مِنْ وُضُوءٍ وغُسْلٍ ونحْوِ ذلِك وما كان على صُورتِهِ، وأحْكامِ الصّلاةِ وهِي أقْوالٌ وأفْعالٌ مُفْتتحةٌ بِالتّكْبِيرِ مُخْتتمةٌ بِالتّسْلِيمِ.

(**فصْلٌ**) فِي بيانِ أوْقاتِ الصّلواتِ الْخمْسِ وما يُذْكرُ معها.

(**فمِن الْواجِبِ**) على كُلّ مُكلّفٍ (**خمْسُ صلواتٍ فِي الْيوْمِ واللّيْلةِ**) فيُعْلمُ مِنْ ذلِك أنّ منْ ترك الْوِتْر أوْ رواتِب الْفرائِضِ لمْ يكُنْ ءاثِمًا. ولمّا كانتْ معْرِفةُ أوْقاتِ هذِهِ الصّلواتِ واجِبةً على كُلّ مُكلّفٍ شرع الْمُصنّفُ

رحِمهُ الله فِي بيانِها فأمّا الصّلاةُ الأُولى فهِي صلاةُ (**الظُّهْرُ و**) يدْخُلُ (**وقْتُها إِذا زالتِ الشّمْسُ**) أيْ مالتْ عنْ وسطِ السّماءِ إِلى جِهةِ الْمغْرِبِ ويمْتدُّ وقْتُها (**إِلى مصِيرِ**) أيْ إِلى أنْ يصِير (**ظِلُّ كُلّ شيْءٍ مِثْلهُ غيْر ظِلّ الِاسْتِواءِ**)[٢] أيْ زائِدًا على ظِلّ الشيْءِ حالة الِاسْتِواءِ إِنْ كان، فإِذا صار ظِلُّ الشّاخِصِ مِثْل الشّاخِصِ زائِدًا على ظِلّ الِاسْتِواءِ فقدْ انْتهى

---

(١) روى مسلم في الصّحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ**» الطّهور يشمل الطّهارة من الحدث الأكبر والأصغر والطّهارة من النّجاسة، والشّطر أي نصف الإيمان، فلا يستهين بالطّهور بتعلّمه وتحقيقه وتطبيقه إلّا من هو جاهل بمراتب الدّين، ومن الطّهور الاستنجاء وهذا كذلك لا يستهان به.

(٢) وقت الاستواء يختلف باختلاف الأقاليم على حسب اختلاف المطالع من الشروق والغروب.

وقْتُ الظُّهْرِ ودخل وقْتُ الْعصْرِ، وظِلُّ الِاسْتِواءِ هُو الظِّلُّ الّذِي يكُونُ حِين تكُونُ الشّمْسُ فِي وسطِ السّماءِ.

(و) أمّا الصّلاةُ الثّانِيةُ فهِي صلاةُ (**الْعصْر و**) يدْخُلُ (**وقْتُها مِنْ بعْدِ وقْتِ الظُّهْرِ**) بِلا فاصِلٍ بيْنهُما ويمْتدُّ (**إِلى مغِيبِ**) كامِلِ قُرْصِ (**الشّمْسِ**).

(و) أمّا الصّلاةُ الثّالِثةُ فهِي صلاةُ (**الْمغْرِبِ و**) يدْخُلُ (**وقْتُها مِنْ بعْدِ مغِيبِ**) كامِلِ قُرْصِ (**الشّمْسِ**) ويمْتدُّ (**إِلى مغِيبِ الشّفقِ الأحْمرِ**) وهُو حُمْرةٌ تظْهرُ بعْد مغِيبِ الشّمْسِ فِي جِهةِ الْغُرُوبِ.

(و) أمّا الصّلاةُ الرّابِعةُ فهِي صلاةُ (**الْعِشاءِ**[1] **و**) يدْخُلُ (**وقْتُها مِنْ بعْدِ وقْتِ الْمغْرِبِ**) ويمْتدُّ (**إِلى طُلُوعِ الْفجْرِ الصّادِقِ**)[2] وهُو الْبياضُ الْمُعْترِضُ فِي الأُفُقِ الشّرْقِيّ الّذِي يبْدُو دقِيقًا ثُمّ ينْتشِرُ ويتوسّعُ. وخرج بِالصّادِقِ الْفجْرُ الْكاذِبُ فإِنّ ظُهُورهُ ليْس علامةً على خُرُوْجِ وقْتِ الْعِشاءِ.

---

(١) ورد في الحديثِ الصّحيحِ: «**أنَّ الإِنسانَ إذا أرادَ أن يَضطَجِعَ يَبتَدِرُهُ مَلَكٌ وشَيطانٌ، الْملَكُ يَقولُ لهُ: «اختِمْ يَقْظَتَكَ بِخَيرٍ»**، والشّيطانُ يقولُ لهُ: «**اختِمْ يَقظتك بِشَرٍّ**» فإنْ خَتَمها بِخَيرٍ الْملكُ يَحرُسُهُ طُول اللّيلِ، يَحرُسُهُ من أذى الجِنّ ونحوِهِ، لو قال: «**رَبِّ اغفِرْ لِي**» أو «**ربِّ قِنِي عَذَابَك يَومَ تَبعَثُ عِبادَك**» يكُونُ ختم يقظتهُ بِخيرٍ.

(٢) عنِ ابْنِ عبّاسٍ قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّنِيْ جِبْرِيلُ عِنْد الْبيْتِ، فَصَلّى بِيَ الظُّهْرَ حِينَ زالَتِ الشّمْسُ، فكانَتْ كَقَدْرِ الشِّراكِ، ثُمَّ صَلَّى بِيَ الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ، ثُمَّ صَلَّى بِيَ المَغْرِبَ حِينَ أَفْطرَ الصَّائِمُ، ثُمّ صَلّى بِيَ الْعِشاءَ حِين غابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ صَلّى بِيَ الْفَجْرَ حِينَ حَرُمَ الطَّعَامُ والشَّرَابُ عَلى الصَّائِمِ، ثُمّ صَلَّى الْغَد الظُّهْر حِين كان ظِلُّ كُلّ شيْءٍ مِثْلهُ، ثُمّ صلّى بِي الْعصْر حِين كانَ ظِلُّ كُلّ شيْءٍ مِثْلَيْهِ، ثُمّ صَلَّى بِيَ الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، ثُمّ صَلَّى بِيَ الْعِشَاءَ إِلى ثُلُثِ اللّيْلِ الْأَوّلِ، ثُمَّ صَلّى بِيَ الْفَجْرَ فَأَسْفَرَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا مُحمَّدُ، هَذَا وقْتُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، الْوَقْتُ فِيمَا بيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتيْنِ**».

(**و**) أمّا الصّلاةُ الْخامِسةُ فهِي صلاةُ (**الصُّبْحِ**[١] **و**) يدْخُلُ (**وقْتُها**[٢] **مِنْ بعْدِ وقْتِ الْعِشاءِ**)[٣] ويمْتدُّ (**إِلى طُلُوْعِ**) أوّلِ جُزْءٍ مِن (**الشّمْسِ**)[٤].

(**فتجِبُ**) معْرِفةُ أوْقاتِ (**هذِهِ الْفُرُوضِ**) الْخمْسةِ ويجِبُ إِيقاعُها (**فِي أوْقاتِها على كُلّ مُسْلِمٍ**) يخْرُجُ بِهِ الْكافِرُ الأصْلِيُّ فلا تجِبُ عليْهِ وُجُوب مُطالبةٍ فِي الدُّنْيا (**بالِغٍ**) يخْرُجُ بِهِ منْ كان دُوْن الْبُلُوغِ (**عاقِلٍ**) أيْ غيْرِ الْمجْنُوْنِ (**طاهِرٍ أيْ غيْرِ الْحائِضِ والنُّفساءِ فيحْرُمُ تقْدِيْمُها على وقْتِها**) لِغيْرِ عُذْرٍ فمنْ قدّمها بِلا عُذْرٍ لمْ تصِحّ صلاتُهُ (**و**) يحْرُمُ عليْهِ أيْضًا (**تأْخِيرُها عنْهُ**) أيْ عنِ الْوقْتِ (**لِغيْرِ عُذْرٍ**)[٥] فمنْ أخّرها عصى الله بِذلِك

---

(١) صلاة الصّبح لها اسمان: «الصّبح» و «الفجر»، لذا من نوى صلاة الفجر للصّبح يكفي. ولم يرد في النّوم بعد الصّبح أو العصر شيء إلّا أنّه ورد حديث بإسناد ضعيف: الصُبحةُ تمنعُ الرزق. والصُبحة معناه النّوم بعد صلاةِ الصّبحِ، لكنه إن كان الشّخص ينام بلا فائدة فلا خير فيه.

(٢) الدّيك المجرب يعتمد عليه لصلاة الصّبح.

(٣) البياض الّذي يدلّ لو كان قليلًا يكفي لمعرفة دخول الفجر إذا كانت البلد ليس فيها كهرباء.

(٤) ظهور شعاع الشّمس على رؤوس الجبال دليل على أنّ الشّمس لم تغرب، ودليل بعد الصّبح على شروق الشّمس.

(٥) **فائدة مهمة**

إذا كان هناك عذر يجوز الجمع بين الظّهر والعصر في وقت الظّهر وإن شاء يؤخّرهما إلى قبل الغروب بقليل يَسَعُهُما، إذا كان هناك عذر يجوز الجمع تأخيرًا وتقديمًا هذا قول معتبر.

الشّافعيّ يقول: يجوز الجمع بين وقتين بين المغرب والعشاء وبين الظّهر والعصر لمرض أو سفر أو مطر تقديمًا، أمّا الإمام أحمد يقول لكلّ عُذر من أعذار الجماعة والجمعة يجوز الجمع بين صلاتين، مثل هؤلاء الّذين يعملون عند بعض الأشخاص وأصحاب الأعمال لا يسمحون للشّخص أن يصلّي الظّهر في وقتها والعصر في وقتها، وإن أصرّ على أن يصلّي الظّهر في وقتها والعصر في وقتها يطردونه من هذا العمل، يصرفونه، وهو لا يجد بديلًا إذا ترك هذا العمل لا يجد مصاريفه ولا يجد عملًا آخر ينتقل إليه وليس له مال جمعه، يصرف منه على نفسه حتّى يجد عملًا آخر مثل هذا يجوز له أن يجمع، يترك صلاة الظّهر في وقتها ويجمعها مع العصر=

مع صِحّةِ الصّلاةِ. وأمّا إذا كان التّأْخِيرُ لِعُذْرٍ كسفرٍ ونحْوِهِ فلا إِثْم فِي ذلِك (**فإِنْ طرأ مانِعٌ**) يمْنعُ مِنْ وُجُوبِ الصّلاةِ (**كحيْضٍ**) أوْ نِفاسٍ أوْ جُنُونٍ أوْ إِغْماءٍ وكاْن طُرُوءُهُ (**بعْدما مضى مِنْ**) أوّلِ (**وقْتِها**) أيْ وقْتِ الصّلاةِ الّتِي طرأ فِيها الْمانِعُ (**ما يسعُها**) أيْ ما يسعُ الصّلاة فقطْ إِذا كان مِمّنْ يُمْكِنُهُ تقْدِيْمُ طُهْرِهِ على الْوقْتِ أوْ ما يسعُ الصّلاة (**وطُهْرها**) لِمنْ لا يُمْكِنُهُ تقْدِيْمُ طُهْرِهِ على الْوقْتِ أيْ (**لِنحْوِ سلِسٍ**) ومُسْتحاضةٍ (**لزِمهُ قضاؤُها**) فِي الْحالَيْنِ بعْد زوالِ الْمانِعِ (**أوْ زال الْمانِعُ**) مِنْ وُجُوبِ الصّلاةِ (**وقدْ بقِي مِن الْوقْتِ قدْرُ تكْبِيرةٍ**) أيْ بقِي مِن الْوقْتِ قدْرُ قوْلِ الْقائِلِ الله أكْبرُ أوْ أكْثرُ مِنْ ذلِك لا أقلُّ (**لزِمتْهُ**) أيْ ثبتتْ فِي ذِمّتِهِ (**وكذا**) يلْزمُهُ (**ما**) أي الصّلاةُ الّتِي (**قبْلها**) أيْ قبْل الصّلاةِ الّتِي زاْل الْمانِعُ فِي وقْتِها (**إِنْ جُمِعتْ معها**) لِلْعُذْرِ أيْ إِنْ كانتِ الصّلاةُ الّتِي قبْلها يجُوزُ جمْعُها مع الصّلاةِ الّتِي زال الْمانِعُ فِي وقْتِها فِي حالِ الْعُذْرِ كالسّفرِ (**فيجِبُ الْعصْرُ مع الظُّهْرِ**) لأنّها تُجْمعُ معها لِلْعُذْرِ (**إِنْ زال الْمانِعُ**) كالْحيْضِ وغيْرِهِ (**بِقدْرِ تكْبِيرةٍ قبْل الْغُرُوبِ و**) تجِبُ (**الْعِشاءُ مع الْمغْرِبِ**) لأنّها تُجْمعُ معها لِلْعُذْرِ (**بِإِدْراكِ قدْرِ تكْبِيرةٍ قبْل الْفجْرِ**) أيْ بِزوالِ الْمانِعِ قبْل دُخُولِ الْفجْرِ بِقدْرِ تكْبِيرةٍ أوْ أكْثر لا أقلّ.

(**فصْلٌ**) فِيما يجِبُ على أوْلِياءِ[1] الصّبْيانِ والصّبِيّاتِ.

= قبل غروب الشّمس بقليل، وإن كان وقت العصر كلّه يذهب في هذا العمل لكن إن وجد شيئًا من الفراغ في وقت الظّهر يُقدّم العصر إلى الظّهر، وهكذا يفعل بالمغرب إن كان وقت المغرب يخرج وهو في العمل من أوّله إلى آخره، يجمع المغرب مع العشاء يصلّيهما إن شاء بعد انتصاف اللّيل وإن شاء قبل ذلك وإنْ شاء قبل الفجر بشيءٍ قليل.

(١) الأب والأمّ، والجدّ والجدّة داخلان تحت قولنا الأب والأمّ، وكذا الوصيّ الّذي يوصيه الأب بالنّظر في أمر ابنه والتّصرّف له بعد موته، والقيّم وهو الّذي يعيّنه القاضي للنّظر في أمر اليتيم، ومالك العبد والمستعير للعبد والحاكم إذا تولّى شأن الصّبيّ أو الصّبيّة.

(**يجِبُ**) على طريقِ فرْضِ الْكِفايةِ (**على وليّ**) كُلٍّ مِن (**الصّبِيّ والصّبِيّةِ الْمُمَيّزيْنِ**) والتّمْيِيزُ هُو أنْ يفْهم الْخِطاب ويرُدّ الْجواب[١] (**أنْ يأْمُرهُما**) أيِ الصّبِيّ والصّبِيّة الْمُمَيّزيْنِ (**بِالصّلاةِ**)[٢] ولوْ قضاءً (**ويُعلّمهُما أحْكامها بعْد**) أنْ يُتِمّا (**سبْع سِنِين قمرِيّةٍ**) ويكُونُ أمْرُ الْولِيّ بِالتشْدِيدِ بِحيْثُ يُظْهِرُ لِلْولدِ أهمِيّة الصّلاةِ فإنْ ميّز قبْل بُلُوغِ سبْعِ سِنِين لمْ يجِبِ الأمْرُ (**و**) يجِبُ على الْولِيّ وهُو الْوالِدُ وكذا منْ يقُوْمُ مقامهُ أنْ (**يضْرِبهُما**) أيِ الصّبِيّ والصّبِيّة الْمُمَيّزيْنِ ضرْبًا غيْر مُبرّحٍ[٣] (**على ترْكِها**) أيِ الصّلاةِ

---

(١) كسؤاله: كم شهرًا في السّنة، كم مرّة يمرّ رمضان في السّنة، ويكون الجواب من غير تحفيظ مسبق.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**مُروا أَولادَكُم بالصّلاةِ وهُمْ أَبناءُ سَبعٍ، واضرِبوهُمْ عليها وهُم أبناءُ عَشر، وفَرِّقوا بينهم في المَضَاجِع**». أبو داود، (١/١٥٨).
فرض الله تعالى على كلّ مسلم مكلّف خمس صلوات في اليوم واللّيلة فقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [سورة النّساء]، وقال تعالى ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ ١٠٣﴾ [سورة النّساء] أي حافظوا عليها، والأخبار النّبويّة في ذلك كثيرة، فمن تركها كلّها أو بعضها استحقّ العذاب يوم القيامة، ومن مات وعليه صلاة كان تركها في الدّنيا تهاونًا وكسلًا لا تبرأ ذمّته ولا تسقط عنه ولا تصلّى عنه ولا يُدفع عن تلك الصّلوات مالٌ، ويدلّ على ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله قال: «**من نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلّها إذا ذَكَرَها لا كفّارَةَ لَها إلّا ذَلِك**»، وفي رواية عنه أيضًا قال: قال نبيّ الله ﷺ «**مَن نَسِيَ صَلاةً أو نامَ عَنها فَكَفّارَتُها أنْ يُصَلّيها إذا ذَكَرَها**» رواهما مسلم.
قال ابن حبان في صحيحه بعد أنْ روى هذا الحديث ما نصه: «في قوله ﷺ «**فَلْيُصَلّها إذَا ذَكَرَها لا كفّارةَ لَها إلّا ذَلِكَ**» دليل على أنّ الصّلاة لو أدّاها عنه غيره لم يجز عنه إذ المصطفى ﷺ قال: «**لا كفّارةَ لَها إلّا ذَلِكَ**» يريد إلّا أن يصلّيها إذا ذكرها. وفيه دليلٌ على أنّ الميت إذا مات وعليه صلوات لم يقدر على أدائها في علّته لم يجز أن يُعطى الفقراء عن تلك الصّلوات الحنطة ولا غيرها من سائر الأطعمة والأشياء» انتهى.
وقال الشّيخ زكريا الأنصاري الشّافعيّ في «أسنى المطالب» ممزوجًا بالمتن ما نصه: «(ولو مات وعليه صلاة أو اعتكاف لم يقض ولم يفد) عنه لعدم ورودهما، بل نقل القاضي عياض الإجماع على أنّه لا يُصلّى عنه» انتهى.

(٣) لا يجوز ضربُ الطّفل ضربًا شديدًا يخشى منه كسر عظمه أو فقأ عينهِ أو نحو ذلك.

(**بعْد**) تمامِ (**عشْرِ سِنِين**) قمريّةٍ وذلِك (**كصوْمٍ أطاقاْهُ**) فيجِبُ على الْولِيّ أمْرُهُما بِالصّوْمِ لِسبْعٍ وضرْبُهُما على ترْكِهِ لِعشْرٍ إِنْ كاناْ يُطِيقاْنِهِ فإِنْ لمْ يُطِيقاْ الصّيام لمْ يُؤْمراْ بِهِ.

(**ويجِبُ عليْهِ**) أيْ على الْولِيّ (**أيْضًا تعْلِيمُهُما**)[1] أيِ الصّبِيّ والصّبِيّةِ

---

(١) قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ۝٦﴾ [سورة التحريم]. وجاء في الحديث المتّفق عليه من طريق أبي هريرة رضي الله عنه: «**كُلُّ مولودٍ يولَدُ على الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوّدَانِهِ أَوْ يُنَصّرَانِهِ أَو يُمَجّسَانِهِ**». ومعنى قوله: «**يُولَدُ على الفِطْرَةِ**» أي على مقتضى العهد الّذي أخذ عليه يوم أخرج الله أرواح بني آدم من ظهر آدم فاستنطقهم قال: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى لا إلٰه لنا غيرك». إنّ تربية الأولاد من أهمّ الأمور وأوكدها، فالولد أمانة عند والديه وقلبه جوهرة نفيسة خالية من كلّ نقش وهو قابل لكلّ ما نقش، ومائل إلى كلّ ما يمال به إليه، فإن عُوّد الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدّنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلّم له ومؤدّب، وإن عُوّد الشرّ وأُهمِل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيّم عليه. وصيانة الأولاد تكون بتأديبهم وتهذيبهم وتعليمهم محاسن الأخلاق وبحفظهم من قرناء السّوء وما أكثرهم في هذه الأيّام.

ولا يعوّدهم التّنعّم ولا يحبّب إليهم الزّينة وأسباب الرّفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر، وينبغي مراقبتهم من أول أمرهم فلا يستعمل في حضانة الولد وإرضاعه إلّا امرأة صالحة متديّنة تأكل الحلال، فإنّ اللّبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فإذا وقع عليه نشأ الصّبي أي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبث، ثمّ يراقب طبعه فإن كان يحتشم ويستحي من شيء دون شيء ويترك بعض الأفعال فهذه بشارة تدلّ على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب، وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فينبغي أن يستعان على تأديبه بحيائه.

وأوّل ما يغلب على الولد بعد سنتين أو ثلاث سنوات شرهُ الطّعام فينبغي أن يؤدّب فيه، مثاله أن لا يأخذ الطّعام إلّا بيمينه، وأن يقول عليه «بسم الله» عند تناوله، وأن يأكل ممّا يليه، وأن لا يبادر إلى الطّعام قبل غيره وأن لا يُحدّق النّظر إليه ولا إلى من يأكل، وأن لايسرع في الأكل، وأن يجيد المضغ، وأن لا يوالي بين اللّقم، ولا يلطّخ يده وثوبه، وأن يُعوّد الخبز والماء في بعض الأحيان حتّى لا يصير يرى اللّحم حتمًا، ويقبّح عندهُ كثرة الأكل بأن يشبّه كلّ من يكثر الأكل بالبهائم، ويُمدح عنده الصّبيّ المتأدّب القليل الأكل، ويحبّب إليه قلّة المبالاة بالطّعام والقناعة=

= بالقليل منه، ويحبّب إليه من الثّياب الأبيض، ويحفظ عن الصّبية الّذين عُوّدوا التّنعّم والرّفاهية ولبس الثّياب الفاخرة وعن مخالطة قرناء السّوء. وليعلم أنّ الصّبي الّذي يهمل في ابتداء نشوئِهِ يخرج في الأغلب رديء الأخلاق كذّابًا حسودًا، لحوحًا ذا فضول وضحك ومجانة، ويحفظ عن جميع ذلك بحسن التّأديب، ثمّ عندما يبلغ سنّ التّمييز يشغل بتعلّم علم الدّين، وأول ما يُعَلّم تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين وما يتبع ذلك من الاعتقادات، ثمّ أحكام الطّهارة والصّلاة ويؤمر بها وبالصّوم، ثمّ يعلم ما يحرم على البطن واللّسان واليد والرّجل والعين والقلب والبدن ونحو ذلك ويخوف منها. ولا يقال ما يقوله بعض الجّهلة من النّاس: «لا يزال صغيرًا لا يعي ما تعطونه إياه» فهؤلاء يقال لهم ما قاله الغزاليّ في كتابه «إحياء علوم الدّين» بعد أنْ ذكر مسائل الاعتقادات: «واعلم أنّ ما ذكرناه فينبغي أن يقدّم إلى الصّبي في أول نشوئِهِ فيحفظه حفظًا، ثمّ لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئًا فشيئًا» انتهى. ثمّ يعلّم القرآن وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حبّ الصّالحين، ثمّ إذا ظَهَرَ منه الخلق الجميل والفعل المحمود ينبغي أن يكرم عليه ويُجازى عليه بما يفرح به. فإن خالف مرّة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره، ولا سيّما إذا ستره الصّبي واجتهد في إخفائه، فإنّ إظهار ذلك عليه ربّما يفيده جسارة حتَّى لا يبالي بالمكاشفة، فعند ذلك إن عاد ثانية فينبغي أن يعاتب ويقال له: «إياك أن تعود لمثل هذا»، ولا تكثر عليه بالعتاب في كلّ حين فإنَّهُ يهون عليه سماع الملامة ويسقط وقع الكلام في قلبه، وليكن الأبّ حافظًا هيبة الكلام معه والأم تخوّفه به، وينبغي أن يُمنَعَ عن النّوم نهارًا فإنَّهُ يورث الكسل، ويمنع الفرش الناعمة واللّينة حتَّى تتصلّب أعضاؤه، ويعوّد الخشونة في المفرش والملبس والمطعم، وقد قيل لرسول الله ﷺ: أي النّاس أفضل قال: «مَنْ قَلّ مَطعَمه وضحِكُه». ويكون له في بعض النّهار الحركة والرّياضة حتَّى لا يغلب عليه الكسل، ويعوّد أن لا يسرع في المشي، ولا يفتخر على أقرانه بشيء ممّا يملكه والداه، ويعلّم أنّ الرّفعة في الإعطاء لا في الأخذ، ويقبّح إليه حبّ الذّهب والفضّة، ويعلّم كيفية الجّلوس بأن لا يضع رجلًا على رجل يعني فيكون وجه الحذاء في وجه المسلم، ولا يستدبر غيره ولا يتثاءب بحضرة غيره، ويمنع من كثرة الكلام ويبيّن له أنّ ذلك يدلّ على الوقاحة، ويمنع اليمين (أي الحلف) صادقًا كان أو كاذبًا حتَّى لا يعتاد ذلك في الصّغر، ويُمْنع أن يبتدئ الكلام ولا يتكلم إلّا جوابًا وبقدر السؤال، ويحسن الاستماع لمن يتكلّم معه ممّن هو أكبر منه، وأن يقوم لمن فوقه ويوسّع له المكان ويمنع من لغو الكلام وفحشه والسّبّ ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك، فإنّ ذلك يسري لا محالة من قرناء=

= السّوء، والأصل في التّأديب الحفظ من قرناء السّوء وينبغي إذا ضرب أن لا يكثر من الصّراخ فهذا دأب النّساء، وبعد الدّرس يؤذن له باللّعب لعبًا جميلًا بحيث لا يتعب من اللّعب. ويعلّم طاعة والديه ومعلّمه ومؤدّبه، وأنّ الموت يقطع نعيم الدّنيا فهذه دار ممرّ لا دار مقرّ، وأمّا الآخرة فهي دار المقرّ وأنّ الموت منتظر في كلّ ساعة، وأنّ الكَيّس العاقل من تزوّد من الدّنيا إلى الآخرة. فإذا كان النّشء صالحًا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعًا مؤثرًا ناجعًا - أي مفيدًا - يثبت في قلبه كما يثبت النّقش في الحجر. وإنَّ وقع النّشء بخلاف ذلك حتَّى ألف الصّبي اللّعب والفحش والوقاحة وشره الطّعام واللباس والتّزيّن والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحقِّ نبوّة الحائط عن التّراب اليابس، فأوائل الأمور هي الّتي ينبغي أن تراعى هي أن الصّبي بجوهره خَلْقٌ قابل للخير والشّرّ وإنَّما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبيّن.

قال سهل بن عبد الله التّستري الوليّ العارف بالله: «كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم باللّيل فأنظر إلى صلاة خالي محمّد بن سوار، فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الّذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلّبك في ثيابك ثلاث مرّات من غير أن تحرّك به لسانك الله معي (أي عالم بي) الله ناظر إليّ، الله شهيد»، فقلت ذلك ليال ثمّ أعلمته، فقال: قله في كلّ ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثمّ أعلمته فقال: قل ذلك كلّ ليلة إحدى عَشْرَة مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلمّا كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علّمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنَّهُ ينفعك في الدّنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سرّي. ثمّ قال لي خالي يومًا: يا سهل، من كان الله معه وناظرًا إليه أيعصيه؟ إياك والمعصية. ثمّ بعثوا بي إلى الكُتّاب فتعلّمت القرآن وحفظته وأنا ابن ستّ سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدّهر، وقُوتي من خبز الشّعير بغير الملح ولا أدم، ثمّ خرجت أسيح في الأرض سنين، ثمّ رجعت إلى تستر وكنت أقوم اللّيل كلّه ما شاء الله تعالى، وقال أحمد بن حنبل: «فما رأيته أكل الملح حتَّى لقي الله تعالى».

انظروا إلى حال هذا الإنسان الّذي كان ذا رفعة ودرجة عند الله تعالى، وهكذا يكون حال من نشأ النّشء الصّالح والتّربية الشّرعية الصّحيحة فاسعوا إلى تربية أولادكم على ما يرضي الله تبارك وتعالى، وتذكروا قول النّبيّ ﷺ: «**إِذَا ماتَ ابنُ آدَم انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلّا مِنْ ثَلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، وعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٍ صالِحٍ يَدْعُو لَهُ**» رواه مسلم. وهذا الأخير في الأغلب لا يكون بدون عمل وجهد من الوالدين، فلا يتذرّع الواحد منّا بالانشغال وكثرة الهموم والبلاء والمصائب، لأنّ تربية الأولاد أحقّ بأن يفرغ لها الوالدان الجهد والوقت المطلوب.

الْمُميّزيْنِ (مِنْ) أُصُولِ (الْعقائِدِ) الضّرُوْرِيّةِ مِنْ وُجُودِ اللهِ ووحْدانِيّتِهِ ومُخالفتِهِ لِلْحوادِثِ وأنّهُ ليْس جِسْمًا وأنّ مُحمّدًا ﷺ هُو رسُولُ اللهِ صادِقٌ فِي كُلّ ما جاء بِهِ عنِ اللهِ وأنّهُ خاتمُ الأنْبِياءِ وأنّ الله أنْزل علَيْهِ الْقُرْءان وأنّ للهِ ملائِكةً وأنّ الله سيُفْنِي الأرْض ومنْ علَيْها وأنّ الله أعدّ لِلْطّائِعِين دارًا يتنعّمُون فِيها اسْمُها الْجنّةُ ولِلْكُفّارِ دارًا يتعذّبُون فِيها اسْمُها النّارُ ونحْوِ ذلِك (و) يجِبُ علَيْهِ أيْضًا أنْ يُعلّمهُما مِن (الأحْكامِ يجِبُ كذا) وكذا كالصّلواتِ الْخمْسِ وصوْمِ رمضان (ويحْرُمُ كذا) وكذا كالسّرِقةِ والْكذِبِ ولوْ مزْحًا والزّنى واللّواطِ والْغِيْبةِ والنّمِيْمةِ (و) يُعلّمهُما (مشْرُوعِيّة السّواكِ والْجماعةِ) أيْ أنّ الشّرْع جاء بِالأمْرِ بِهِما ونحْو ذلِك.

(ويجِبُ على وُلاةِ الأمْرِ) مِن الْخلِيفةِ أوْ نائِبِهِ (قتْلُ تارِكِ الصّلاةِ) بعْد إِنْذارِهِ بِأنّهُ سيقْتُلُهُ أيْ إِنْ خرج وقْتُها الأصْلِيُّ ووقْتُ الْعُذْرِ الّذِيْ بعْدهُ إِنْ كانْ ولمْ يُصلّ أيْ إِنْ كان ترْكُهُ لها (كسلًا) وتهاوُنًا لا جُحُودًا بِوُجُوبِها (إِنْ لمْ يتُبْ)[1] تارِكُ الصّلاةِ قبْل الْقتْلِ، وقتْلُهُ يكُونُ تطْهِيرًا لهُ مِنْ معْصِيتِهِ، (وحُكْمُهُ) أيْ حُكْمُ تارِكِ الصّلاةِ كسلًا (أنّهُ مُسْلِمٌ) فيُجْرى علَيْهِ أحْكامُ الْمُسْلِمِين مِن التّغْسِيلِ والتّكْفِينِ والصّلاةِ علَيْهِ والدّفْنِ فِي مقابِرِ الْمُسْلِمِين وأمّا تارِكُ الصّلاةِ جُحُودًا فهُو مُرْتدٌّ يُعاملُ مُعاملة الْمُرْتدّ.

(ويجِبُ على كُلّ مُسْلِمٍ) وُجُوبًا كِفائِيًّا (أمْرُ أهْلِهِ) أيْ زوْجتِهِ ونحْوِها (بِالصّلاةِ) بعْد أنْ يُعلّمهُمْ أحْكامها بِنفْسِهِ أوْ بِغيْرِهِ (و) أمْرُ (كُلّ منْ قدر) الشّخْصُ (علَيْهِ) أيْ على أمْرِهِ بِالصّلاةِ (مِنْ غيْرِهِمْ).

بعض الجهّال يعترضون على الشّيخ عبد الله الهرريّ لأنّه يقول: «لا يقال لغير المميّز صلّ».

---

(١) توبته تكون بأن يُصلّي.

فهؤلاء أظهروا للنّاس مدى جهلهم بشرع الله وصاروا أضحوكة بين طلّاب العلم، ألم يعلموا أنّ المذاهب الأربعة نصّوا على أنّ التّمييز شرط لصحّة الصّلاة؟

وهاك أيُّها القارئ ما قاله العلّامة الهرريّ في «البغية» إنّ من شروط الصّلاة: «الإسلام والتّمييز».

«الشرح: من شروط الصّلاة أن يكون المصلّي مسلمًا فالكافر لا تصحّ منه الصّلاة، كذلك التّمييز شرط، فالولد غير المميّز لا تصحّ منه الصّلاة، فلا يقال لغير المميّز صلّ، بل يقال له انظر كيف الصّلاة» انتهى بحروفه.

والمميّز هو الّذي وصل إلى سنّ يفهم فيه الخطاب ويردّ الجواب، فهذا لو لم يكن بالغًا يؤمر بالصّلاة لقول رسول الله ﷺ: «**مُروا أَوْلادَكُمْ بِالصّلاةِ وَهُمْ أَبْناءُ سَبعٍ**» الحديث.

فقولوا لنا أيُّها المفتونون لماذا لم يقل رسول الله ﷺ مروا أولادكم بالصّلاة وهم أبناء ثلاث مثلا؟

هذا وقد قال المحدّث الشّيخ عبد الله الهرريّ رحمه الله في متن «المختصر»: «يجب على وليّ الصّبي والصّبيّة المميّزين أن يأمرهما بالصّلاة، ويعلّمهما أحكامهما بعد سبع سنين، ويضربهما على تركها بعد عشر سنين كصوم أطاقاه، ويجب عليه أيضًا تعليمهما من العقائد والأحكام، يجب كذا ويحرم كذا، ومشروعيّة السّواك والجماعة» انتهى.

مسائل وفوائد

الولد إذا كان قبل البلوغ والبنتُ إذا كانت لم تبلُغ حسناتهما تُكتب لهما، لذلك المسلمون من أيّام الرّسول ﷺ إلى اليوم يحملون الأطفال ويأخذونهم إلى الحجّ، يُلبسونهم ثياب الإحرام، يُجرّدون من هذه

الثياب يُلبَّسون ثياب الإحرام، ويُحمَلُون إلى عرفات، ويُحملون للطّواف بهم بالكعبة وغير ذلك من أعمال الحجّ حتَّى رمي الجمرات والسّعي بين الصّفا والمروة، كلّ هذا لأنّه يُكتب له ثواب ولو كان الطّفل بعد لم يبلغ ولم يُميّز يُكتب له.

ثمّ إذا بلغ سبع سنوات عُلّم الصّلاة والصّيام، يُصلّي ويصوم ويُكتب له صلاته وصيامه، يجد ثواب حسناته في الآخرة يجدّها، أمّا المعاصي لا تُكتب عليه إلى أن يبلُغ.

زهوُ الدُّنيا زَهِدَ فيه سَما مكانَةً سُبحانَ مُوَلِّيه

وَلَدُ هارُون الرشيد رحمَهُما اللهُ

الخليفة هارون الرّشيد كان له ولد عاش غريبًا ومات غريبًا. بلغ من العمر ستّ عشرة سنة وافق الزُّهّاد والعُبَّاد، كان يخرج إلى المقابر ويقول: «قد كنتم قبلنا وقد كنتم تملكون الدّنيا، فما أراها منجّيتكم وقد صرتم إلى قبوركم»، ويبكي بكاءً شديدًا. في يوم من الأيّام دخل القصر وهو يلبس جبّة من صوف وفي القصر أبوه الخليفة هارون الرّشيد والوزراء وكبار الدّولة، فصاروا يتحدّثُونَ فيما بينهم مستغربين دخوله بهذا الثّوب وهو ولد الخليفة، فلمّا عوتب بذلك أجابهم بأمر عظيم إذ نظر إلى طائر وهو على شرفة من شرفات القصر وقال: «أيُّها الطّائر بحقّ الّذي خلقك إلاّ جئت على يدي» فانقضّ الطائر في الحال على كفّه، كأنّه يقول لهم: العبرة أن يكون الإنسان من المرضيّين عند الله وليست العبرة بالثّياب الفاخرة»، وفارق القصر ولم يتزوَّد بشيء إلاّ

بمصحفٍ وخاتم، وصار يعمل مع الفَعَلَة في الطّين، وكان يعمل عمل عشرة رجال فأدهش صاحب العمل، فتوقّف صاحب العمل يراقبه من بعيد فرآه يأخذ كفًّا من الطّين ويضعه على الحائط والحجارة وحدها يتركّب بعضها على بعض، فقال: «هكذا أولياء الله تعالى مُعانون»، فلمّا حضرته الوفاة ذهب أبو عامر وهو صاحب العمل إليه قال: فسلّمت عليه وإذا تحت رأسه نصف حجرة وهو في حال الموت، قال فسلّمت عليه ثانيةً فعرفني، فأخذت رأسه وجعلتها في حجري فمنعني من ذلك وأنشأ يقول:

يا صاحبي لا تَغتَرِرْ بتنعُّمٍ فالعمرُ يَنْفَدُ والنَّعيمُ يزُولُ
وإذا حَمَلْتَ إلى القبورِ جنازةً فاعْلَمْ بأنّك بعدَها محمولُ

ثمّ قال يا أبا عامر: «إذا فارقت روحي جسدي فغسّلني وكفّني في جبّتي هذه»، فقلت: يا حبيبي ولِم لا أكفّنك في ثياب جديدة؟ فقال لي: «الحيُّ أحوج إلى الجديد من الميت، الثّياب تبلى والعمل يبقى، وخذ هذا المصحف والخاتم إلى أمير المؤمنين هارون الرّشيد»، ثمّ خرجت روحه رضي الله تعالى عنه.

فذهب أبو عامر إلى بغداد وانتظر خروج أمير المؤمنين هارون الرّشيد من قصره فقال له: بقرابتك من رسول الله ﷺ يا أمير المؤمنين إلّا ما وقفت لي قليلًا، ودفع إليه بالمصحف والخاتم وأخبره بموت ولده الغريب فنكس رأسه وأسبل دمعته، ثمّ قال له: أنت غسلته بيدك؟ فقال أبو عامر: نعم. فقال: هات يدك فأخذها ووضعها على صدره وهو يقول: بأبي كيف كفّنت العزيز الغريب؟ ثمّ أنشأ يقول:

يا غريبًا عليه قلبي يذُوبُ ولِعيْنيْ عليهِ دمعٌ سكُوبُ
يا بعيد المكانِ حُزْنِي قريبُ كدَّر الموتُ كلّ عيشٍ يطِيبُ

قال ثمّ تجهَّزَ وخرج إلى البصرة وأنا معه حتَّى انتهى إلى القبر فلمّا رآه غشي عليه فلمّا أفاق أنشد هذه الأبيات:

يا غائبًا لا يؤوبُ من سَفَرهْ عاجلهُ موتُهُ على صِغَرِهْ
يا قرّة العينِ كنت لي أُنْسا في طولِ ليلي نعمْ وفي قِصرِهْ
شرِبْتَ كأسًا أبوك شاربُها لا بدّ مِنْ شُربها على كِبَرِهْ
أشربها والأنامُ كلُّهُمُ مِنْ كان مِنْ بدْوِهِ ومِنْ حضرِهْ
فالحمدُ لله لا شريك لهُ قد كان هذا القضاءُ مِنْ قدرِهْ

قال أبو عامر: فلمّا كانت تلك اللّيلة قضيتُ وِرْدي ونمت، فرأيت في المنام قبّة من نور، عليها سحاب من نور، وإذا قد كشف السّحاب فإذا الغلام ينادي: يا أبا عامر، جزاك الله عنّي خيرًا، فقلت: يا ولدي إلى ماذا صرت؟ قال: إلى ربّ كريم، أعطاني ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

سدادُ الإرشادِ لفلذاتِ الأكبادِ

الاعتناءُ بتربيةِ الأبناءِ

أوصيكم بأن تختاروا ما عند الله، الأولاد لِمَ تختارون لهم الدّنيا؟! بدل أن تختاروا لهم أن يكونوا أقوياء في الدّنيا اختاروا لهم أن يكونوا أقوياء في الدّين. في الماضي في هرر، إذا كان الشّخص له عدّة أولاد يحرر واحدًا منهم للعلم حتَّى يصير عالمًا، ينفق عليه حتَّى يكون عالمًا ثمّ يساعده ليتزوّج، الآن من كان منكم له ثلاثة أولاد فأكثر ليفرّغ

واحدًا للعلم يضعه في المعهد الشّرعي.

أولادكم اعتبروهم كالأمانة في أعناقكم، فأدّوا حقّ الله فيهم وراقبوهم وأرشدوهم وأبعدوهم عمّا يفسدهم وعن صحبة الأشرار الفسّاق، وعوّدوهم صحبة الأخيار الّذين يذكّرونهم بآخرتهم لا بدنياهم، وعلّموهم أنّ المرء يعلو شأنه بتقوى الله وكثرة الطّاعات لا بكثرة المال والجاه، وأنّ الدّنيا دار ممرّ كممرّ المسافر لا دار قرار، وأنّ العمر يمضي بسرعة، وأنّ المرء لا يدري متى يفاجئه الموت في صغر أو كبر، وأنّ ما ينفعه في قبره العمل الصّالح.

دعاء

يقال إذا تعارّ[1] مِن اللّيل: «**لا إلٰهَ إلَّا اللهُ الواحدُ القهَّارُ ربُّ السّمٰواتِ والأرضِ وما بينَهُما العزيزُ الغفَّارُ**».

(١) التعارّ: السّهَرُ التقلُّب على الفراش ليلًا، مرتضى الزبيدي، تاج العروس، (٣/٨) مادة ع ر ر.

الدّرس الخامس عشر

(فصْلٌ) فِي بيانِ فروض الْوُضُوءِ[١]. (ومِنْ شُرُوطِ) صِحّةِ (الصّلاةِ الْوُضُوءُ) وهُو اسْتِعْمالُ الْماءِ فِي أعْضاءٍ مخْصُوصةٍ مُفْتتحًا بِالنّيّةِ (وفُرُوضُهُ) أيْ أرْكانُ الْوُضُوء (سِتّةٌ الأوّلُ نِيّةُ الطّهارةِ لِلصّلاةِ) بِالْقلْبِ (أوْ) نِيّةٌ (غيْرُها مِن النّيّاتِ الْمُجْزِئةِ) كأنْ ينْوِي الْوُضُوء أوْ فرْض الْوُضُوءِ أوِ اسْتِباحة مُفْتقِرٍ إِلى الْوُضُوءِ كاسْتِباحةِ الصّلاةِ أوْ مسّ الْمُصْحفِ، ولا يكْفِي إِجْراؤُها على اللّسانِ مِنْ غيْرِ اسْتِحْضارٍ لها بِالْقلْبِ. ولا يكْفِي أيْضًا أنْ ينْوِي الطّهارة فقطْ. ويجِبُ أنْ تكُون النّيّةُ (عِنْد غسْلِ الْوجْهِ) أيْ عِنْد غسْلِ أوّلِ جُزْءٍ مِنْهُ لا قبْل ذلِك ولا بعْدهُ (أيْ) أنْ تكُون (مُقْترِنةً بِغسْلِهِ عِنْد) إِمامِنا (الشّافِعِيّ) رضِي الله عنْهُ[٢] (وتكْفِي النّيّةُ إِنْ تقدّمتْ على غسْلِ الْوجْهِ[٣] بِقلِيلٍ عِنْد) الإِمامِ

---

(١) روى مسلم عن عثمان رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ توضّأ مثل وضوئي هذا ثمّ قال: «**مَن تَوَضَّأ هكذا غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وَكانَتْ صَلاتُهُ ومَشْيُهُ إلى المسْجِدِ نافِلةً**». ومعنى نافلة أي يثاب على مشيه إلى المسجد.

وروى مسلم أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا توضّأ العَبْدُ المُسْلِمُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِن وَجهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيهَا بِعَيْنيه مع آخر قطْرِ الماء، فإذا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِن يَدَيْهِ كلُّ خَطِيئَةٍ كانَ بَطشتْها يداه مع آخر قَطْرِ المَاءِ، فإذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطيئَةٍ مَشَتْها رِجلهُ مَعَ آخر قَطْرِ الماءِ، حتَّى يَخرُجَ نقيًّا مِنَ الذُّنُوبِ**».

وروى مسلم عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «**ما مِنْكُم مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الوُضوءَ ثمّ يقولُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰه إلّا الله وَحدَهُ لا شَريكَ لَه، وأَنَّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إلّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ الجَنّةِ الثَّمانِيةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شَاء**» رواه مسلم وزاد التّرمذي «**اللّهُمَّ اجعَلْني مِنَ التَّوّابِينَ واجْعَلْني مِن المُتَطَهّرِينَ**» ومعنى يسبغ الوضوء يتمّه.

(٢) مرّت ترجمته رضي الله عنه.

(٣) مَن فرَّق النّيّة على أعضاء الوضوء يجوز، عند غسل الوجه يقول أرفع الحدث عن الوجه، عند غسل اليد يقول أرفع حدث اليد، عند مسح الرأس يقول أؤدّي الفرض في مسح الرّأس، هذا يجوز.

(**مالِكِ**) بنِ أنسٍ رضِي الله عنْهُ[١].

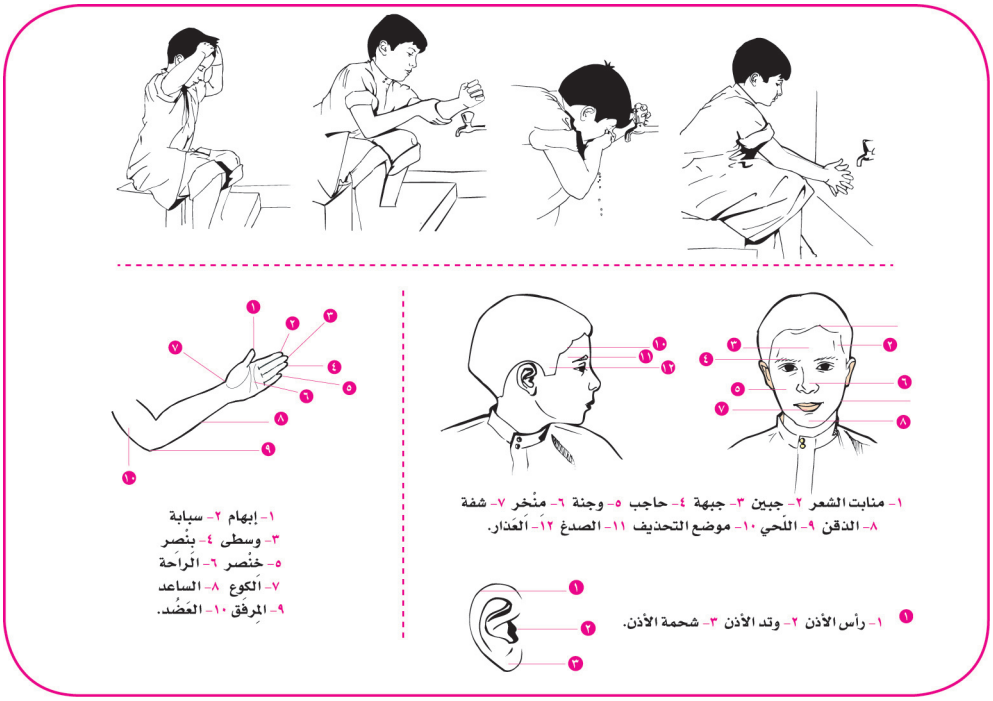
وأمّا الرُّكْنُ (**الثّانِي**) مِنْ أرْكانِ الْوُضُوءِ فهُو (**غسْلُ**) ظاهِرِ (**الْوجْهِ جمِيعِهِ**) مرّةً واحِدةً. وحدُّ الْوجْهِ طُولًا (**مِنْ منابِتِ شعرِ رأْسِهِ**) عِنْد غالِبِ النّاسِ (**إِلى**) أسفل (**الذّقنِ**) وهُو مُجْتمعُ اللّحْييْنِ (**و**) عرْضًا (**مِنْ**) وتِدِ (**الأُذُنِ إِلى**) وتِدِ (**الأُذُنِ**) فكُلُّ ما كان ضِمْن حدّ الْوجْهِ يجِبُ غسْلُهُ (**شعرًا وبشرًا**) والْمُرادُ بِالْبشرِ الْجِلْدُ[٢] لكِنْ (**لا**) يجِبُ غسْلُ (**باطِنِ لِحْيةِ الرّجُلِ**) وهِي الشّعرُ النّابِتُ على الذّقنِ (**وعارِضيْهِ**) وهُما الشّعرانِ النّابِتانِ على اللّحْييْنِ وذلِك (**إِذا كثُفا**) فعِنْدئِذٍ يغْسِلُ ظاهِر اللّحْيةِ والْعارِضيْنِ ولا يجِبُ أنْ يغْسِل الْباطِن بِخِلافِ ما إِذا لمْ يكْثُفا فيجِبُ غسْلُهُما ظاهِرًا وباطِنًا، والْكثِيفُ هُو ما لا تُرى الْبشرةُ مِنْ خِلالِهِ والْخفِيفُ عكْسُهُ[٣].

---

(١) مالك بن أنس الأصبحيُّ المدنيُّ إمام دار الهجرة وأحد الأئمّة الأعلام ومؤسّس المذهب المالكي. ولد بالمدينة المنوّرة سنة ٩٣هـ ومات في المدينة سنة ١٧٩هـ ودفن في البقيع رضي الله عنه. انظر التاريخ الكبير، مؤسّسة الكتب الثّقافيّة (٧/ ٣١٠) والجرح والتعديل، دار الأمم، الطبعة الأولى (١/ ١١).

(٢) في المذهب الشّافعيّ أنّ موضع التحذيف فيه خلاف هل هو من الوجه أو من الرّأس.

(٣) اختلف العلماء في أمر اللّحية فقال بعضهم إن أطلق أحسن، وقال بعضهم إن أخذ من طولها وعرْضِها من دون أن تصير خفيفة أحسن، وهذا الثّاني أرجح. وذكر ابن حجر عن الحسن البصري قال: «يُؤخَذُ مِنَ اللّحيةِ مِن طُولِها وعَرضِها» وجاء عن الرّسول ﷺ حديث أنّه كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها، رواه الترمذي. وقال بعض الصّحابة: «يستحبّ أن تكون اللّحية قدر قبضة». وأمّا قصّ الشّارب فهو أفضل ويجوز حلقه.



والرُّكْنُ (**الثّالِثُ**) مِنْ أرْكانِ الْوُضُوءِ هُو (**غسْلُ الْيديْنِ**) مرّةً واحِدةً أيِ الْكفّيْنِ والسّاعِديْنِ (**مع الْمِرْفقيْنِ**) تثْنِيةُ مِرْفقٍ وهُو مُجْتمعُ السّاعِدِ مع الْعضُدِ (وما عليْهِما) مِنْ شعرٍ ولوْ كثُف وظُفْرٍ وسِلْعةٍ وشُقُوقٍ وقِشْرةِ جُرْحٍ.

والرُّكْنُ (**الرّابِعُ**) مِنْ أرْكانِ الْوُضُوءِ هُو (**مسْحُ الرّأْسِ أوْ بعْضِهِ**) مرّةً واحِدةً ولوْ كان الْمسْحُ على جُزْءٍ مِن الرّأْسِ لا شعر عليْهِ ويُجْزِئُ الْمسْحُ (**ولوْ**) كان الْممْسُوحُ (**شعْرةً**) أوْ بعْض شعْرةٍ لِأنّهُ يصْدُقُ بِهِ اسْمُ الْمسْحِ أيْ إذا كان الْممْسُوحُ (**فِي حدّهِ**) أيِ الرّأْسِ بِحيْثُ لا يخْرُجُ الْجُزْءُ الْممْسُوحُ مِن الشّعرةِ عنْ حدّ الرّأْسِ عِنْد مدّها لِجِهةِ نُزُولِها وإِلّا لمْ يكْفِ.

والرُّكْنُ (**الْخامِسُ**) مِنْ أرْكانِ الْوُضُوءِ هُو (**غسْلُ الرّجْليْنِ**) أيْ

الْقدميْنِ وما عليْهِما مِنْ شعرٍ وسِلْعةٍ وظُفْرٍ وشُقُوقٍ (**مع الْكعْبيْنِ**) مرّةً واحِدةً وهُما الْعظْمانِ النّاتِئانِ فِي أسْفلِ السّاقِ[١]، وهذا فِي غيْرِ لابِسِ الْخُفّ أمّا لابِسُ الْخُفّ فالْواجِبُ فِي حقّهِ إمّا غسْلُ الرّجْليْنِ (**أوْ مسْحُ الْخُفّ إذا كمُلتْ شُرُوطُهُ**) وهِي أنْ يكُون الْخُفُّ طاهِرًا وأنْ يكُون ساتِرًا لِجمِيعِ الْقدمِ مع الْكعْبيْنِ يُمْكِنُ الْمشْيُ عليْهِ بِلا نعْلٍ لِحاجاتِ الْمُسافِرِ عِنْد الْحطّ والتّرْحالِ وأنْ يبْتدِئ لُبْسهُما بعْد كمالِ الطّهارةِ، وأنْ يكُون الْخُفُّ مانِعًا لِنُفُوذِ الْماءِ.

وأمّا الرُّكْنُ (**السّادِسُ**) فهُو (**التّرْتِيبُ هكذا**) أيْ على الْوجْهِ الْمذْكُورِ بِأنْ يبْدأ بِغسْلِ الْوجْهِ الْمقْرُونِ بِالنّيّةِ ثُمّ الْيديْنِ ثُمّ مسْحِ الرّأْسِ ثُمّ غسْلِ الرّجْليْنِ[٢].

الصّلاة ثمّ الصّلاة. . . عماد الدّين ومنجاة

وليٌّ متعلّق القلب بالصّلاة

حصل في الحبشة أنّ شيخًا من الأولياء منهومًا بالعبادة يحبّ الصّلاة كأنّه يلتذّ بالصّلاة كما يلتذّ كثير من النّاس بالأكل والشّرب، وهذا الوليّ اسمه «محمّد وداتو» من شدّة ما هو مُوْلَعٌ بالصّلاة صار يخرج إلى غابة قريبة من ضيعته حتّى يصلّي كما يشاء ولا يشغله أحد، فظلّ يصلّي هناك حتّى حصل له ذات يوم استغراق، وهو قائم غاب صار لا يتكلّم

---

(١) وأمّا مؤخر القدم فيقال له عقب.

(٢) كان واجبًا على الرّسول ﷺ في بادئ الأمر أن يتوضّأ لكلّ صلاة ثمّ نسخ ذلك فصار يتوضّأ وضوءًا واحدًا لعدّة صلواتٍ.

مع أحد ولا يأكل ولا يشرب ولا يجلس طرفة لا في ليل ولا في نهار، النّاس الّذين يمرّون من تلك النّاحية رأوه، فصاروا يعطفون عليه لمّا رأوه تحت السّماء وليس فوق رأسه شيء، بنوا فوق رأسه عريشة حتَّى تظلّه من الشّمس وهو لا علم ولا شعور له بهم، فأحد الأشخاص من الطّيبين قال: «قلت في نفسي لعلَّ الشّيخ يظلّ بالنّهار واقفًا وباللّيل يستريح، لأراقبنّه اللّيلة قائمًا يصلّي»، قال: «ذهبت إليه فبتّ أراقبه اللّيل كلّه فلم أره يجلس بل ظلّ قائمًا كما هو الحال في النّهار»، حتَّى قضى شهرين، أكمل شهرين وهو على هذه الحال، ثمّ ذهب من تلك الأرض إلى العاصمة ظلّ هناك سنين، هذا الرّجل كان بارًّا بأمّه كان إذا حصل في الضّيعة وفاة يهتمّ بتجهيز الميت، وكان قد تعلّم علم الدّين، كان محصّلًا لعلم الدّين، عاش نحو سبعين عامًا من العمر رحمه الله.



ممحاةُ الخطايا...

الصّلاة

إنّ الصّلوات الخمس من أعظم أمور الإسلام وأوجبها، بل هي أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله، فمن صلّاها كما أمر الشّرع الشّريف، فقد ربح ربحًا عظيمًا ومن أضاعها فقد خسر خسرانًا عظيمًا، فالحريّ بالمسلم أن يثبت على أداء الصّلاة في حال المرض والصّحة، وفي حال العمل والرّاحة، وفي حال الفرح والحزن.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [سورة المؤمنون].

قال القرطبيّ: «الخشوع محلّه القلب، فإذا خَشَعَ خَشَعَتْ الجّوارِحُ كلّها لِخُشُوعِه، إذْ هُوَ مَلِكها»، وأبصر النّبيّ ﷺ رجلًا يعبث بلحيته في الصّلاة فقال: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ» رواه ابن أبي شيبة.

وكما مدح الله سبحانه وتعالى الّذين هم على صلواتهم يحافظون، فقد ذمّ الّذين هم عن صلاتهم ساهون فقال سبحانه: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝٥٩﴾ [سورة مريم].

قيل: ليس المراد بإضاعة الصّلاة هنا تركها بالكلّيّة، ولكن المراد بإضاعتها السّهو عنها بتأخيرها حتّى يخرج وقتها بلا عذر أحيانا.

والصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويمحو الله عزّ وجلّ بها الخطايا، ويكفِّر بها السّيئات، كما قال النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيءٌ؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيءٌ، قال: «**فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا**» متّفق عليه.

روى الإمام أحمد في إسناده إلى رسول الله أنّه ﷺ قال: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ مَنْ أَتَى بِهِنَّ بِتَمَامِهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ الله عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ**».

وإنّ من تركها كسلًا فإنّه لا يُكَفَّر ولكنّه يُفَسَّق ويقع في الذّنب العظيم، ولا يكون له بها نور ونجاة وبرهان يوم القيامة.

ولمن ترك الصّلاة أو أخّرها عن وقتها إلى أن خرج وقتها بلا عذر استحقّ عذاب الله. لذا تدارك نفسك قبل الفوات، فالعمر محدودٌ، والنَّفَس معدودٌ، والموت سيفٌ مسلّطٌ على رقابنا وهو مسلول، لا ندري متى ينزل عليها.

دعاء

بعد الفراغ من الوضوء يقالُ: «**أشهدُ أن لَا إلٰهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ، اللَّهُمَّ اجعَلْنِي منَ التّوابينَ واجْعَلنِي منَ المُتطَهّرينَ**»، وإذَا توجَّهَ إلى المسجِدِ يقالُ: «**اللَّهمَّ إنّي أسأَلُكَ بحَقِّ السّائِلِينَ عليكَ وبحقِّ ممشَايَ هذَا، فإنّي لم أخرُجْ أَشَرًا ولَا بَطرًا ولَا رِيَاءً ولا سُمعَةً، خرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِكَ وابتِغَاءَ مرضَاتِكَ، أسألُكَ أنْ تُنْقِذَني مِنَ النّارِ، وأن تغفِرَ لي ذنُوبي إنَّهُ لا يغفِرُ الذُّنُوبَ إلّا أنتَ**».

الدّرس السادس عشر

(**فصْلٌ**) فِي نواقِضِ الْوُضُوءِ.

(**وينْقُضُ الْوُضُوء**) أرْبعةُ أشْياء أحدُها (**ما خرج مِن السّبِيلَيْنِ**) وهُما الْقُبُلُ والدُّبُرُ سواءٌ كان مُعْتادًا أمْ غيْر مُعْتادٍ عيْنًا أمْ رِيْحًا (**غيْر الْمنِيّ**) أيْ منِيّ الشّخْصِ نفْسِهِ فإنّهُ لا ينْقُضُ الْوُضُوء عِنْد الإمام الشّافِعِيّ رضِي الله عنْهُ (**و**) ثانِيها (**مسُّ قُبُلِ الآدمِيّ**) لا الْبهِيمةِ والنّاقِضُ مِن الرّجُلِ مسُّ الذّكرِ ومِنْ قُبُلِ الْمرْأةِ مُلْتقى شُفْريْها على الْمنْفذِ (**أوْ**) مسُّ (**حلْقةِ دُبُرِهِ**) أي الآدمِيّ والْمُرادُ بِها مُلْتقى الْمنْفذِ فقطْ فلا ينْقُضُ مسُّ الأليْةِ، وإنّما يكُونُ ذلِك ناقِضًا إذا كان الْمسُّ (**بِبطْنِ الْكفّ**) وهُو ما يسْتتِرُ عِنْد إطْباقِ إحْدى الْكفّيْنِ على الأُخْرى مع تفْرِيقٍ لِلأصابِعِ وتحامُلٍ يسِيرٍ فما لا يظْهرُ هُو بطْنُ الْكفّ، ولا ينْقُضُ الْمسُّ بِغيْرِ الْبطْنِ كظهْرِ الْكفّ، ويُشْترطُ أيْضًا حتّى يكُون الْمسُّ ناقِضًا أنْ يكُون (**بِلا حائِلٍ**) فلوْ كان حائِلٌ لمْ ينْتقِضِ الْوُضُوءُ[1].

(**و**) ثالِثُها (**لمْسُ**) الذّكرِ الّذِي يُشْتهى بِبشرتِهِ (**بشرة**) الأُنْثى (**الأجْنبِيّةِ الّتِي تُشْتهى**) فإنْ لمس صبِيٌّ صغِيرٌ لا يُشْتهى عادةً بشرة صغِيرةٍ أوْ كبِيرةٍ أوْ لمس رجُلٌ بشرة بِنْتٍ لا تُشْتهى أوْ بشرة امْرأةٍ بِحائِلٍ أوْ لمس غيْر الْبشرةِ مِنْها كشعرِها لمْ ينْتقِضْ وُضُوءُهُ.

فائدةٌ مهمةٌ للاستفادةِ من حكمٍ في مذهبِ الشّافعيّ بالنّسبةِ لمَنْ لمسَتْهُ امرأةٌ أجنبيَّةٌ هل ينتَقِضُ وضوؤه أو لا سُئِلَ الفقهاءُ عن ذلِكَ:

عند الشّافعيّة في هذه المسألة قولان: أحدهما أنّ الممسوس لا

(١) عند أبي حنيفة لا ينقض الوضوء لمس القبل أو الدبر من نفسه أو غيره.

ينتقض وضوؤه إنّما ينتقض وضوء اللاّمس، والقول الآخر للشّافعيّ أنّ الملموس واللاّمس سواءٌ كلٌّ ينتقض وضوءه. أمّا عند الإمام مالك بما أنّه لا ينتقض وضوء اللاّمس والملموس لا فرق في ذلك، إلاّ أنّ الإمام أحمد والإمام مالكًا يقولان إنّ لَمْسَها (لا ينقض الوضوء لكنّه حرام) أمّا إذا لَمَسَها مع لذّةٍ ينتقض الوضوء، التّقبيل عندهما لا يؤثّر على الوضوء إذا كان بلا تلذّذ، وأمّا أبو حنيفة ولو للتلذّذ قبّلها لا ينتقض وضوؤه.

(و) رابِعُها (**زوالُ الْعقْلِ**) أي التّمْيِيزِ والإِدْراكِ بِنحْوِ جُنُونٍ أوْ صرْعٍ أوْ سُكْرٍ أوْ نوْمٍ (**لا نوْمُ قاعِدٍ مُمكِّنٍ مقْعدتهُ**) سواءٌ كان قدْ مكّن مقْعدتهُ مِن الأرْضِ أمْ مِنْ ظهْرِ الدّابّةِ أمْ غيْرِ ذلِك فلا ينْتقِض وُضُوءُهُ.

(**فصْلٌ**) فِي ما يُوجِبُ الِاسْتِنْجاء وفِيْ بيانِ شُرُوطِهِ.

(**يجِبُ الِاسْتِنْجاءُ**) عِنْد الْقِيامِ إلى الصّلاةِ (**مِنْ كُلّ رطْبٍ**) مُلّوثٍ لِلْمخْرجِ (**خارِجٍ مِنْ أحدِ السّبِيلَيْنِ**) الْقُبُلِ أوِ الدُّبُرِ سواءٌ كان مُعْتادًا كالْبوْلِ أمْ لا كالدّمِ بِخِلافِ غيْرِ الرّطْبِ فلا يجِبُ الِاسْتِنْجاءُ مِنْهُ لِعدمِ التّلْوِيثِ (**غيْرِ الْمنِيِّ**) فلا يجِبُ الِاسْتِنْجاءُ مِنْهُ لِطهارتِهِ ويكُونُ الِاسْتِنْجاءُ بِإِزالةِ الأذى بِأحدِ شيْئيْنِ إمّا (**بِالْماءِ**) الطّهُورِ (**إلى أنْ يطْهُر الْمحلُّ**) قُبُلًا كان أمْ دُبُرًا وذلِك بِزوالِ جِرْمِ النّجاسةِ وأوْصافِها (**أوْ بِمسْحِهِ**) أي الْمحلّ (**ثلاث مسحاتٍ**) لا أقلّ (**أوْ أكْثر**) مِنْ ثلاثٍ إنْ لمْ ينْق الْمحلُّ بِهِنّ (**إلى أنْ ينْقى الْمحلُّ وإنْ بقِي الأثرُ**) بِحيْثُ لا يُزِيلُهُ إلاّ الْماءُ أوْ صِغارُ الْخزفِ أي الْفخّارِ ويكُونُ الْمسْحُ لِلْمحلّ (**بِقالِعٍ**) فلا يكْفِي غيْرُ الْقالِعِ كالزُّجاجِ والْقصبِ والتُّرابِ الْمُتناثِرِ (**طاهِرٍ**) فلا يكْفِي النّجِسُ كالْبعْرِ أوِ الْمُتنجّسِ كحجرٍ مُتنجّسٍ (**جامِدٍ**) فلا يكْفِي الْمائِعُ كماءِ الْورْدِ أوِ الرّطْبُ كخِرْقةٍ مبْلُولةٍ (**غيْرِ مُحْترمٍ**) فلا يجُوزُ ولا يُجْزِئُ الِاسْتِنْجاءُ بِالْمُحْترمِ ككُتُبِ الْعِلْمِ الشّرْعِيّ وما كان مقْصُودًا لِلأكْلِ مِن الآدمِيّين

كالْخُبْزِ ونحْوِهِ. وما اجْتمعتْ فِيهِ الشُّرُوطُ الأرْبعةُ هُو (**كحجرٍ أوْ ورقٍ**) لِأنّ كُلًا مِنْهُما قالِعٌ طاهِرٌ جامِدٌ غيْرُ مُحْترمٍ. ويصِحُّ الِاسْتِنْجاءُ بِالْحجرِ (**ولوْ مع وُجُودِ الْماءِ مِنْ غيْرِ انْتِقالٍ وقبْل جفافٍ**) لِلْخارِجِ (**فإنِ انْتقل**) الْخارِجُ (**عنِ الْمكانِ الّذِي اسْتقرّ فِيهِ**) مُنْفصِلًا وجب الْماءُ فِي الْمُنْفصِلِ أوْ مُتّصِلًا وجب فِيْهِ الماءُ أيْضًا وأمّا إنْ لمْ ينْفصِلْ ولا انْتقل عنْ المكانِ الّذِيْ وصل إلَيْهِ واسْتقرّ فِيْهِ ابْتِداءً ولمْ يُجاوِزِ الْبوْلُ ونحْوُهُ حشفة الرّجُلِ ولا وصل إلى مدْخلِ الذّكرِ عِنْد الْمرْأةِ ولا جاوز الْغائِطُ الصّفْحتيْنِ وهُو ما ينْضمُّ مِن الأليْيْنِ عِنْد الْقِيامِ كفى الْحجرُ وما فِي معْناهُ وإلّا بِأنْ جاوز ذلِك (**أوْ جفّ**) الْخارِجُ (**وجب الْماءُ**) لِلِاسْتِنْجاءِ[1].

ستُحاسَب... فاتّقِ النّار واجتنِبْ غَضَبَ الجَبَّار

رجلٌ ما كانَ يستَنْزِهُ منَ البولِ

عن ابن عمر رضيَ اللهُ عنهُما قال: خرجت مرّة بسفر، فمررت بقبر من قُبُور الجاهليّة، فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجّج نارًا، في عُنُقه سلسلة من نار ومعي إداوة من ماء، فلمّا رآني قال: «يا عبد الله اسقني»، قال: فقلت عرفني ودعاني باسمي أو كلمة تقُولها العرب يا عبد الله؟ إذ خرج على أثره رجل من القبر فقال: «يا عبد الله لا تسقه

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَنْزِهُوا مِنَ البَول فَإنَّ عامَّةَ عذابِ القَبرِ منه**». الدارقطني في سننه (١/١٥٦). وقال: «**لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُم في مُستَحَمِّهِ ثُمَّ يتوضّأ فيه، فإنَّ عامّة الوَسْوَاسِ مِنهُ**». أحمد في مسنده (٥/١١٨).

فإنّهُ كافر» ثمّ ضربه بالسّوط ثمّ أخذ السّلسلة فاجتذبه فأدخلهُ القبر. قال: ثمّ أضافني اللّيل إلى بيت عجُوز إلى جانب بيتها قبر فسمعت من القبر صوتًا يقُول: «بول وما بول، شنّ وما شنّ»، فقلتُ للعجوز ما هذا؟ قالت: هذا كان زوجًا لي، وكان إذا بال لم يتّق البول، وكنت أقُول لهُ: ويحك إنّ الجمل إذا بال تفاجّ فكان يأبى وهُو يُنادي مُنذُ يوم مات وهُو يقُول: «بول وما بول»، قلت: «فما الشّنّ؟» قالت: «جاءهُ رجل عطشانٌ فقال: اسقني، فقال: «دُونك الشّنّ»، «فإذا ليس فيه شيء»، فخرّ الرّجل ميتًا فهُو يُنادي مُنذُ يوم ماتَ: «شنّ وما شنّ»، فلمّا قدمت على رسُول الله ﷺ أخبرته فنهى أن يُسافر الرّجل وحده.

مع ءاخر قَطْرِ الماء...

الوضوء

الوضوء هو أول مقاصد الطّهارة وهو من جملة ما شُرِع للأنبياء الّذين كانوا قبل رسول الله ﷺ وليس خاصًّا بهذه الأمّة المحمّديّة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [سورة البقرة]، عملٌ يسيرٌ وأجرٌ كبير، والوضوء مأخوذ من الوضاءة.. وهي الإشراقة والضّياء والنّور والحسن فالإسلام دين الطّهارة والنّقاء والنّظافة والصّفاء.

في صحيح مسلم: أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ**».

الوضوء محوٌ للذّنوب وكفّارةٌ للخطايا ورفعةٌ للدّرجات وحرزٌ من الشّيطان وحفظٌ من الشّرور فيه منافع للقلوب والأبدان. قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ خَرَجَت خَطَايَاهُ مِن جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِن تَحْتِ أَظْفَارِهِ**» رواه مسلم.

الوضوء ينشّط الجوارح وينقّيها ويزيد حركة الدّم في البدن ويعيد فيه قوّته ونشاطه ووقاية من التّلوّث وما يسبّبه من أمراض ويسنّ إطالة التّحجيل أي يزيد على الموضع الواجب غسله في اليدين والرجلين وتقليل الماء وعدم الإسراف فيه لأنّه خلاف السّنّة، ويكون الإسراف بزيادة الماء عن الاعتدال المعروف والمألوف، وبزيادة عدد الغسلات عن ثلاث مرات.

دعاء

يُقال إذا أراد الدّخول إلى الخلاء: «**اللَّهمَّ إنّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبْثِ والخبائِثِ**». أمّا إذا خرج من الخلاء فإنَّهُ يقال: «**غُفرَانَكَ**»، ويقالُ: «**الحمدُ للهِ الّذي أذهبَ عَنِّي الأَذَى وعافَانِي**».

الدّرس السابع عشر

(**فصْلٌ**) فِيْ ما يُوجِبُ الْغُسْل وفِي فُرُوضِهِ.

(**ومِنْ شُرُوطِ**) صِحّةِ (**الصّلاةِ الطّهارةُ مِن الْحدثِ الأكْبرِ**) ويكُونُ ذلِك (**بِالْغُسْلِ أوِ التّيمُّمِ لِمنْ عجز عنِ الْغُسْلِ**).

(**والّذِي يُوجِبُهُ**) أي الْغُسْل (**خمْسةُ أشْياء**) اثْنانِ يشْترِكُ فِيهِما الرّجالُ والنّساءُ أحدُهُما (**خُرُوجُ الْمنِيّ**) أيْ منِيّ الإِنْسانِ نفْسِهِ والْمُرادُ بِخُرُوجِهِ ظُهُورُهُ إِلى ظاهِرِ حشفةِ الرّجُلِ وفرْجِ الْبِكْرِ ووُصُولُهُ إِلى ما يظْهرُ مِنْ فرْجِ الثّيّبِ عِنْد قُعُودِها على قدميْها لِقضاءِ الْحاجةِ فما لمْ يصِلْ إِلى ذلِك فلا يُوجِبُ الْغُسْل. ولِلْمنِيّ علاماتٌ يُعْرفُ بِها هِي التّدفُّقُ أي الِانْصِبابُ بِشِدّةٍ على دفعاتٍ والتّلذُذ بِخُرُوْجِهِ ورائِحةُ الْعجِيْنِ رطْبًا وبياضِ الْبيْضِ جافًّا فإِنْ وُجِدتْ علامةٌ مِنْ هذِهِ الْعلاماتِ فالْخارِجُ منِيٌّ ولا يُشْترطُ اجْتِماعُها.

(**و**) ثانِيهِما (**الْجِماعُ**) ولوْ لمْ يُنْزِلْ وهُو إِيلاجُ الْحشفةِ أوْ قدْرِها مِنْ فاقِدِها فِي فرْجٍ ولوْ دُبُرًا.

(**و**) ثلاثةٌ تخْتصُّ بِالنّساءِ أوّلُها (**الْحيْضُ**) وهُو الدّمُ الْخارِجُ مِنْ رحِمِ الْمرْأةِ على سبِيلِ الصّحّةِ مِنْ غيْرِ سببِ الْولادةِ وأقلُّهُ يوْمٌ ولَيْلةٌ وأكْثرُهُ خمْسة عشر يوْمًا ويجِبُ الْغُسْلُ عِنْد انْقِطاعِ دمِهِ[1].

(**و**) ثانِيْها (**النّفاسُ**) وهُو الدّمُ الْخارِجُ مِنْ رحِمِ الْمرْأةِ بعْد الْولادةِ وأقلُّهُ مجّةٌ وأكْثرُهُ سِتُّوْن يومًا والْمُوجِبُ لِلْغُسْلِ هُو انْقِطاعُ دّمِ النّفاسِ[2].

---

(١) لكنّه وجوب موسّع.

(٢) انقطع الدّم بعد السّتّين ثلاثة أيّام مثلًا ثمّ نزل الدّم فهو حيض إن استمر يومًا وليلة.

(**و**) ثالِثُها (**الْوِلادةُ**)[١] ولوْ بِلا بللٍ فصار مجْمُوعُ مُوجِباتِ الْغُسْلِ خمْسةً كما تقدّم. (**وفُرُوضُ الْغُسْلِ**) أيْ أرْكانُهُ (**اثْنانِ**) الأوّلُ (**نِيّةُ رفْعِ الْحدثِ الأكْبرِ أوْ نحْوُها**) مِن النّيّاتِ الْمُجْزِئةِ كأنْ ينْوِي فرْض الْغُسْلِ أوِ الْغُسْل الْواجِب أوِ اسْتِباحة الصّلاةِ بِخِلافِ نِيّةِ الْغُسْلِ أوِ الطّهارةِ فقطْ فإنّ ذلِك غيْرُ كافٍ. ولا بُدّ أنْ تكُون النّيّةُ عِنْد غسْلِ أوّلِ جُزْءٍ مِن الْبدنِ فلا يُعْتدُّ بِما غُسِل قبْل النّيّةِ.

(**و**) الثّانِي (**تعْمِيْمُ جمِيعِ**) ظاهِرِ (**الْبدنِ بشرًا وشعرًا**) ظاهِرًا وباطِنًا (**وإِنْ كثُف**) أيْ سواءٌ خفّ أمْ كثُف (**بِالْماءِ**) الطّهُورِ[٢].

---

(١) **مسئلةٌ مهمّةٌ**: في هذا الزّمن بعض النّاس صاروا يفتون فتوى باطلة من اعتقدها يكفر، وهي أنّهم أفتوا بجواز إسقاط الحمل الّذي مضى عليه خمسة أشهر وهو حيّ، إن كانت الأم تتضرّر من إبقائه في بطنها فهذا أي إسقاطه محرّم بالإجماع ومن استحلّه يكفر، فإنّ هذا الحمل حكمه كحكم الإنسان الّذي يمشي على وجه الأرض، فليس للأمّ أن تجعله فداء عن نفسها لأجل الخلاص من ضرر تتوقّعه، فإن هي أخذت الشّيء الّذي يقتل الجنين فعليها ديّة وكفّارة، وإن هي رضيت بأن يسقطه الطّبيب فتكون مشاركة له في المعصية، وهذه المعصية أكبر معصية بعد الكفر، أشدّ من الزّنى، أشدّ من شرب الخمر، قتل النّفس الّتي حرّم الله إلّا بالحقّ أكبر الذّنوب بعد الكفر. فهذه المرأة ارتكبت هذا الذّنب، لو صبرت على ما يلحقها من الآلام فماتت تكون شهيدة، لكن بموافقتها الطّبيب على قتل هذا الجنين خسرت خسرانًا كبيرًا، وفوّتت على نفسها أجر الشّهادة الّذي كانت تناله لو صبرت فماتت بسبب بقاء الحمل في جوفها.

(٢) عند الجمهور لا يصحّ إذا اغتسلت المرأة ولم توصل الماء إلى أصول الشّعر دون أن تفك الضّفائر.



إنهُمْ فِتية آمنوا بربِّهم فزِدْناهُمْ هدىً...

أصحابُ الكهف

ذُكرت قصّة أصحاب الكهف في القرءان الكريم، وفيها عبر وآيات وبراهين تدلّ على عظيم قدرة الله تعالى وحكمته في تدبير مخلوقاته. وتفاصيل القصّة كما رويت أنّ ملِكًا اسمه «دقيانوس» أمر أهل مدينته «أفسوس» -في نواحي تركيا حاليًا- بعبادة الأصنام.

وذات يوم زار المدينة أحدُ أصحاب سيّدنا عيسى المسيح عليه السّلام، وهم المسمّون بالحواريّين وكان مسلمًا داعيًا إلى دين الإسلام، فعمل في حمّام يغتسل فيه النّاس، ولمّا رأى صاحب الحمّام بركة عظيمة من هذا العامل سلّمه شؤون العمل كلّها. وتعرّف ذلك الحواريّ إلى فتيان من المدينة فعلّمهم التّوحيد وتنزيه الله تعالى عن الولد والشّكل والتّحيّز في المكان، وبيّن لهم أنّه لا يشبه شيئًا ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا وآمنوا بالله وطبّقوا ما علّمهم إياه من التّعاليم والأحكام.

اشتهر أمر هؤلاء الفتية المسلمين الّذين التزموا الإسلام وعبادة الله وحده، فَرُفِعَ أمرهم إلى الملك «دقيانوس» وقيل له: «إنّهم قد فارقوا دينك واستخفّوا بما تعبد من أصنام وكفروا بها»، فأتى بهم الملك إلى مجلسه وأمرهم بترك الإسلام، وهدّدهم بالقتل إن لم يفعلوا ذلك، ثمّ زعم أنّهم ما زالوا فتيانًا صغارًا لا عقول لهم وقال إنّه لن يقتلهم فورًا، بل سيعطيهم مهلة للتّفكير قبل تنفيذ تهديده، وأرسلهم إلى بيوتهم.

ثمّ إنّ الملك «دقيانوس» سافر خلال هذه الفترة، فاغتنم الفتية الفرصة وتشاوروا في الهروب بدينهم، فقال أحدهم: «إنّي أعرف كهفًا في ذاك

الجبل كان أبي يدخل فيه غنمًا، فلنذهب ولنختفِ فيه حتَّى يفتح الله لنا»، واستقرّ رأيهم على ذلك.

فخرجوا يلعبون بالكرة وهم يدحرجونها أمامهم لئلاّ يشعر النّاس بهم حتَّى هربوا وكان عددهم سبعة وأسماؤهم: مكسلمين، أمليخا، مرطونس، ينيونس، سازمونس، دوانوانس، وكشفيطط، وتبعهم كلب صار ينبح عليهم فطردوه فعاد، فطردوه مرارًا ورموه بالحجارة مخافة أن ينتبه الكفّار إلى مكانهم بسماعهم نباحه، فرفع الكلب يديه إلى السّماء كالدّاعي وأنطقه الله تعالى فقال: «يا قوم، لِمَ تطردونني؟ لِمَ ترجمونني؟ لِمَ تضربونني؟ لا تخافوا منّي فوالله إنّني لا أكفر بالله»، وكان اسم الكلب قطمير، فاستيقن الفتية أنّ الله تعالى سيمنع الأذى عنهم، واشتغلوا بالدّعاء والالتجاء إليه سبحانه فقالوا: «ربّنا آتنا من لدنك رحمة، وهيّئ لنا من أمرنا رشدا».

وما زالوا في سيرهم حتَّى وصلوا إلى الكهف؛ وهناك وجدوا ثمارًا فأكلوها، وماءً فشربوه، ثمّ استلقوا قليلًا لترتاح أقدامهم، وما هي إلاّ لحظات حتَّى أحسّوا بالنّعاس يداعب أجفانهم فتثاقلت رؤوسهم وناموا على الأرض نومًا عميقًا، من دون أن يغمضوا أعينهم.

وتعاقب ليل إثر نهار، ومضى عام وراء عام، والفتية راقدون، والنّوم مضروب على آذانهم، أي مُنِعوا من أن يسمعوا شيئًا، لأنّ النّائم إذا سمع استيقظ، لا تزعجُهُم زمجرة الرّياح، ولا يوقظهم قصف الرّعد، تطلع الشّمس فلا تصيبهم بحرّها كرامة لهم، فإذا طلعت مالت عن يمين كهفهم وإذا غربت تمرّ عن شماله فلا تصيبهم في ابتداء النّهار ولا في آخره، ولا تعطيهم إلاّ اليسير من شعاعها، ولا تغيّر ألوانهم ولا تبلي ثيابهم.

وكانوا لو نظر إليهم ناظر لحسبهم مستيقظين وهم رقود، لأنّ أعينهم

مفتوحة لئلاّ تفسد بطول الغمض ولأنّها إذا بقيت ظاهرة للهواء كان أنسب لها.

وكانوا كذلك يُقلَّبون يمينًا وشمالًا مرّتين في العام، وذلك لئلاّ تأكل الأرض لحومهم، وقيل إنّ ملَكًا من الملائكة الكرام كان موكّلًا بتقليبهم.

ولو نظر إليهم شخص لهرب وملئ رعبًا منهم لمّا غشيتهم من الهيبة وحفّوا به من رعب، لوحشة مكانهم، وكان النّاس محجوبين عنهم، حماهم الله من أن يطّلع عليهم النّاس فلا يجسر أحد منهم على الدّنوّ إليهم.

ولمّا مضت ثلاثمائة وتسع من السّنوات منذ نومهم في الكهف، بعثهم الله تعالى من نومهم وهم لا يكادون يمسكون أنفسهم من الجّوع وتساءلوا فيما بينهم: «كم لبثنا؟» فقال بعضهم: «لبثنا يومًا أو بعض يوم»، وقال أحدهم: «نحن رقدنا في الصّباح وهذه الشّمس تقارب الغروب»، وقال الرابع: «دعونا من تساؤلكم، فالله أعلم بما لبثتم، ولكن فلنبعث واحدًا منّا ولنعطه من دراهمنا ليجلب لنا طعامًا، وليكن حذرًا ذكيًا، حتَّى لا يعرفه أحد، فيلحق به ويصل إلينا، فيخبر الملك «دقيانوس» وجماعته فيعلموا بمكاننا ويعذّبونا بأنواع العذاب أو يفتنونا عن ديننا».

وكان «دقيانوس» ملك تلك المدينة قد مات وتولى ملك المدينة رجل مسلم صالح، وفي زمانه اختلف أهل بلده في الحشر وبعث الأجساد من القبور، فشكّ في ذلك بعض النّاس واستبعدوه وقالوا: «إنّما تحشر الأرواح فقط وأمّا الأجساد فيأكلها التّراب» ولا تعود، وقال بعضهم: «بل يبعث الرّوح والجسد جميعًا»، وقولهم هذا هو الحقّ، فاغتمَّ الملك

لهذا وكادت أن تحصُلَ فتنة، فتضرّع إلى الله تعالى أن يسهّل الحجّة والبيان لإظهار الحقّ، وفي هذا الوقت دخل إلى المدينة «أفسوس» واحد من أصحاب الكهف اسمه «أمليخا» لجلب الطّعام، وكان خائفًا حذرًا، ودهش من تغيُّر المعالم وشكل الأبنية، فهذه النّاحية لم تكن إلّا مساحات لرعي الغنم فصارت قصورًا عالية، وهناك قصور صارت خرائب مدمّرة، وتلك وجوه لم يعرفها، وصور لم يألفها، وتحيّرت نظراته، وكثرت لفتاته، وظهر الاضطراب في مشيته، فالتفت إليه أحدهم قائلًا: «أغريب أنت عن هذا البلد؟ وعمّ تبحث؟» قال: «لست غريبًا، ولكنّي أبحث عن طعام أشتريه، فلا أرى مكان بيعه الّذي كنت أعرفه»، فمضى به إلى بائع طعام، فلمّا أخرج دراهمَه وأعطاها للتّاجر، استغرب منظرها إذ كان عليها صورة الملك «دقيانوس» الّذي مات منذ ثلاثمائة سنة وأكثر، فحسب أنّه عثر على كنز، وأنّ معه أموالًا كثيرة ودراهم وفيرة، فاجتمع النّاس من حوله وأخذوه إلى الملك الصّالح.

ووصل الخبر إلى الملك الصّالح، فكان ينتظر بفارغ الصّبر رؤية هذا الشّخص الّذي سمع عنه من أجداده، فسأله عن خبره، فحكى له «أمليخا» ما جرى معه ومع أصحابه. فسُرّ الملك بذلك وقال لقومه: «لعل الله قد بعث لكم آية لتبيّن ما اختلفتم فيه». وسار الملك مع أهل المدينة يرافقهم «أمليخا»، فلمّا دنوا من الكهف قال لهم: «أنا أدخل عليهم لئلّا يفزعوا»، فدخل عليهم فأعلمهم الأمر وطمأنَهم أنّ الملك «دقيانوس» مات وأن الملك الحاليّ مسلم صالح، فسرّوا بذلك وخرجوا إلى الملك وحيّوه وحيّاهم ثمّ رجعوا إلى كهفهم، فلمّا رآهم مَن شكَّ في بعث الأجساد تراجع واعتقد الصّواب أنّ الحشر يكون بالرّوح والجسد معًا.

وحينئذ أعمى الله تعالى أبصار النّاس عن أثر الكهف وحجبه عنهم فقال بعضهم: «ابنوا بنيانًا ليكون معلمًا لهم ودليلًا على مكانهم».

وقال آخرون: «ابنوا مسجدًا للتّبرك بهم».

وهكذا كانت قصّة أصحاب الكهف الّتي جعلها الله تعالى تذكرة للنّاس وعبرة وموعظة ودليلًا على قدرته العظيمة وأنّه لا يعجزه شيء.



الأنفاسُ معدودةٌ والأيامُ محدودةٌ

تقسيمُ العاقِلِ أوقاتَ يومِهِ

أوصيكم باغتنام أوقاتكم في طاعة الله تعالى وهو ما أُوصِيَ به سيّدنا إبراهيم عليه السّلام بصحفه: على المرء العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكّر فيها فيما صنع الله وساعة يخلو فيها لمطعمه ومشربه وعلى العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه وألّا يتكلّم فيما لا يعنيه فمن حسب كلامه من عمله قَلَّ أن يتكلّم فيما لا يعنيه»، فالعاقل ينبغي أن يكون له كلّ يوم أوقات؛ وقت يناجي فيه ربّه ومناجاة الله عبادته بالصّلاة والذّكر ونحو ذلك، ووقت يحاسب فيه نفسه أي ينظر في حال نفسه فإن كان مسيئًا تاب إلى الله وإن كان جاهلًا تعلّم ما فرض الله، وإن كان تاركًا لبعض الفرائض عمل على أدائها، ومن وجد نفسه محسنًا يثبت على الإحسان ويزيد، فالعاقل ينبغي أن يكون يومه أحسن من أمسه، وغده أحسن من يومه. وينبغي أن يكون للعاقل وقت في يومه لتحصيل الطّعام والشّراب، ويجب أن يكون ذلك من الحلال لأنّ طلب الرّزق من الحرام حرام.

كما ينبغي للعاقل أن يكون له وقت في يومه يتفكّر فيه في صنع الله،

معناه يتفكّر فيه في مخلوقات الله، فينظر في حال نفسه مثلًا كيف خرج من بطن أمّه لا يعلم شيئًا ثمّ كبر فعُلّم أشياء، وكان ضعيفًا لا يقدر على المشي ولا على مضغ الطّعام، ثمّ قَوِيَ فصار يمشي ثمّ ينتقِل إلى الضّعف مرّة أخرى فيتفكّر ويقول: «كنت ضعيفًا ثمّ صرت قويًّا ثمّ رجعت ضعيفًا، معنى ذلك أنّني أتغيّر من حال إلى حال، وأنّني لا أستطيع أن أعطي نفسي قوّة، ولا أستطيع أن أحافظ على القوّة الّتي أُعطيتها، فلا بدّ لي من خالق خلقني لا يشبهني بأيّ وجه من الوجوه، أنا جسم فيه روح وتطرأ عليَّ صفات، ولي مكان وجهة، ولي ابتداء وانتهاء، فخالقي لا يجوز أن يكون كذلك»، وهذا التّفكّر يفيد المؤمن تقوية الإيمان وزيادة حبّ الله وتنزيه الله وغير ذلك.

دعاء

يُقالُ في الاستخارةِ بعد أن يركع ركعتين من غير الفريضة: «**اللَّهُمَّ إِنّي أستَخِيرُكَ بِعِلمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ من فضلِكَ العظيم، فإنَّكَ تعلَمُ ولا أعلَمُ وتقدِرُ ولا أقدِرُ، وأنتَ علَّامُ الغيوبَ، اللَّهمَّ إن كُنتَ تعلمُ أنَّ هذَا الأمرَ خيرٌ لي في دِينِي ومَعَاشِي وعَاقِبَةِ أمرِي فاقدِرْهُ لي ويَسِّرْهُ لي، وإنْ كنتَ تعلَمُ أنَّ هذَا الأمرَ شرٌّ لي في دِينِي ومعَاشِي وعاقبَةِ أمرِي فاصْرِفْهُ عنِّي واصرِفْنِي عنهُ، واقدُرْ لي الخيرَ حيثُ كانَ ورضِّنِي بهِ**» ويُسَمِّي حاجتَهُ باسمِها.

الدّرس الثامن عشر

(**فصْلٌ**) فِي بيانِ شُرُوطِ صِحّةِ الطّهارةِ وأحْكامِ التّيمُّمِ.

(**شُرُوطُ الطّهارةِ**) مِنْ وُضُوءٍ وغُسْلٍ خمْسةٌ أحدُها (**الإِسْلامُ**[١]) فلا تصِحُّ طهارةُ الْكافِرِ مِن الْحدثيْنِ[٢].

(**و**) ثانِيْها (**التّمْيِيزُ**) فلا تصِحُّ طهارةُ غيْرِ الْمُميّزِ كطِفْلٍ ومجْنُونٍ (**و**) ثالِثُها (**عدمُ الْمانِعِ مِنْ وُصُولِ الْماءِ إِلى**) الْعُضْوِ (**الْمغْسُولِ**) أوِ الْممْسُوحِ فإِنْ كان هُناك مانِعٌ كالشّحْمِ اللاّصِقِ بِالْجِلْدِ الْمانِعِ مِنْ وُصُولِ الْماءِ إِلَيْهِ لمْ تصِحّ الطّهارةُ بِخِلافِ ما يسْتُرُ اللّوْن مِنْ غيْرِ أنْ يكُون مانِعًا مِنْ وُصُولِ الْماءِ إِلى الْعُضْوِ فإِنّهُ لا يمْنعُ صِحّة الطّهارةِ كالْحِبْرِ[٣].

(**و**) رابِعُها (**السّيلانُ**) وهُو أنْ يجْرِي الْماءُ على الْجِلْدِ بِطبْعِهِ ولوْ بِواسِطةِ إِمْرارِ الْيدِ فلا يُجْزِئُ الْمسْحُ فِي موْضِعِ الْغسْلِ (**و**) خامِسُها (**أنْ يكُون الْماءُ**) الْمُسْتعْملُ فِي الطّهارةِ طاهِرًا فِي نفْسِهِ (**مُطهّرًا**) لِغيْرِهِ وهُو الْماءُ الْمُطْلقُ أيِ الّذِي يُطْلقُ اسْمُ الْماءِ علَيْهِ بِلا قيْدٍ لازم كماءِ الْمطرِ وذلِك (**بِأنْ لا يُسْلب اسْمُهُ**) أيْ إِطْلاق اسْمِ الْماءِ علَيْهِ بِلا قيْدٍ (**بِمُخالطةِ**) أيْ بِسببِ مُخالطةِ شيْءٍ (**طاهِرٍ يسْتغْنِي الْماءُ عنْهُ**) أيْ يسْهُلُ

---

(١) ويستثنى من اشتراط الإسلام للطّهارة غُسلُ الزّوجة الكافرة بلا نيّة لتحلّ لزوجها المسلم من حيضها أو نفاسها فإنّه يصحّ للضّرورة بلا نيّة منها فالكتابيّة عندما تغتسل من الحيض لتحلّ لزوجها المسلم لا تنوي شيئًا ثمّ لو أسلمت وجب عليها إعادة ذلك الغسل.
كذلك غُسل الصبيّ غير المميّز للطّواف فإنه يصحّ وكذا يوضّئه وليّه للطّواف وتقوم نيّة الوليّ مقام نيّة الطّفل.

(٢) إذ لا يُقبل العمل الصّالح إلّا من المسلم.

(٣) الوسخ الّذي تحت أظفار اليدين والرّجلين يُعفى عنه.

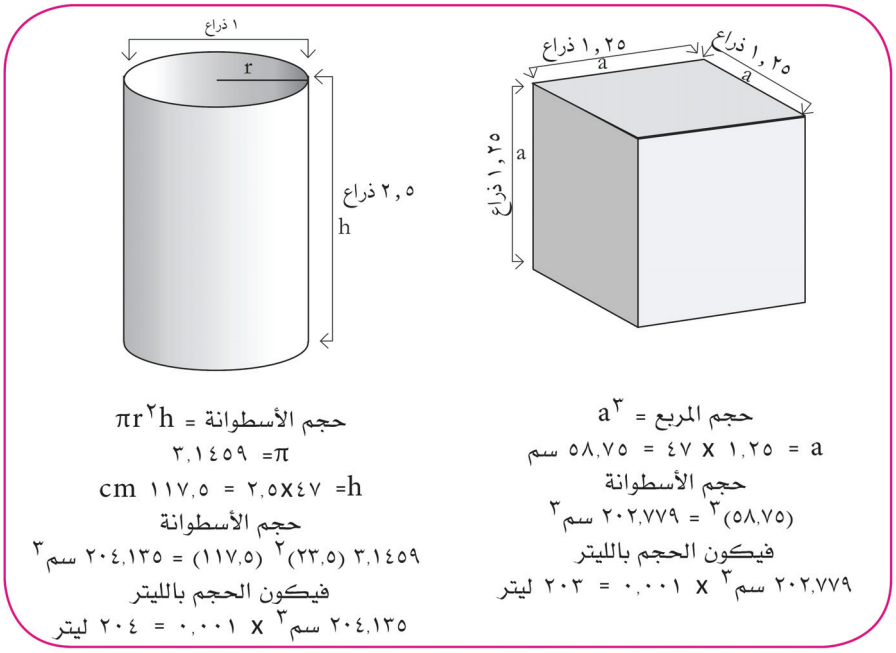
صوْنُ الْماءِ عنْهُ (أي) بِسببِ (امْتِزاجِ شيْءٍ طاهِرٍ كالْحلِيبِ والْحِبْرِ وشِبْهِ ذلِك) بِالْماءِ بِحيْثُ يُغيّرُهُ تغْيِيرًا ظاهِرًا، والْمُخالِطُ هُو ما لا ينْفصِلُ فِي رأْيِ الْعيْنِ عنِ الْماءِ بِخِلافِ ما لمْ يكُنْ مُخالِطًا مِمّا جاور الْماء فقطْ فإِنّهُ لا يُؤثّرُ على طهُورِيّةِ الْماءِ. (فلوْ تغيّر الْماءُ بِهِ) أيْ بِالْمُخالِطِ تغيُّرًا كثِيرًا فِي لوْنِهِ أوْ طعْمِهِ أوْ رِيْحِهِ (بِحيْثُ) سُلِب عنْهُ اسْمُ الْماءِ فصار (لا يُسمّى ماءً) مُطْلقًا (لمْ يصْلُحْ لِلطّهارةِ) وأمّا إِنْ كان التّغيُّرُ بِهِ يسِيرًا بِحيْثُ لا يُسْلبُ عنْهُ اسْمُ الْماءِ فإِنّهُ يبْقى طهُورًا.

(وأمّا تغيُّرُهُ بِما لا يسْتغْنِي الْماءُ عنْهُ) أيْ بِما يشُقُّ صوْنُ الْماءِ عنْهُ (كأنْ يتغيّر بِما فِي مقرّهِ) كالْعُشْبِ (أوْ ممرّهِ) كأرْضٍ كِبْرِيتِيّةٍ (أوْ نحْوِ ذلِك مِمّا يشُقُّ صوْنُ الْماءِ عنْهُ فلا يضُرُّ[1]) فِي طهُورِيّةِ الْماءِ (فيبْقى) طاهِرًا (مُطهّرًا وإِنْ كثُر تغيُّرُهُ). (و) يُشْترطُ أيْضًا لِصحّةِ الطّهارةِ بِالْماءِ (أنْ لا يتغيّر بِنجِسٍ) كبوْلٍ سواءٌ كان الْماءُ قلِيلًا أمْ كثِيرًا (ولوْ تغيُّرًا يسِيرًا) لِأنّ ما تغيّر بِالنّجاسةِ فهُو نجِسٌ يسِيْرًا كان التّغيُّرُ أوْ كثِيرًا فإِنْ كان الْماءُ كثِيرًا ولمْ يتغيّرْ بِالنّجاسةِ فإِنّهُ طهُورٌ، (وإِنْ كان الْماءُ) قلِيلًا بِأنْ كان (دُون الْقُلّتيْنِ) وهُما بِالْمُربّعِ ما يسعُ حُفْرةً طُولُها وعرْضُها وعُمْقُها ذِراعٌ ورُبْعٌ (اشْتُرِط) لِصِحّةِ الطّهارةِ بِالْماءِ (أنْ لا يُلاقِيهُ نجِسٌ غيْرُ معْفُوٍّ عنْهُ) لِتنجُّسِ الْماءِ بِهذِهِ الْمُلاقاةِ فإِنْ كانتِ النّجاسةُ معْفُوًّا عنْها كالْحشراتِ الّتِي لا نفْس لها سائِلةٌ إِذا ماتتْ فِي الْماءِ أوْ وقعتْ فِيْهِ ألْقتْها الرّيْحُ ميْتةً ولمْ تُغيّرْهُ فإِنّها لا تُنجّسُهُ. (و) يُشْترطُ أيْضًا لِصحّةِ الطّهارةِ بِالْماءِ.

---

(١) وكذلك لا يضرُّ التغيُّر بما لا يخالط الماء بل يجاوره كالماء الّذي تتغيّر رائحته بالعود الصُّلب الّذي لا يتحلّل في الماء لأن هذا العود الّذي يُتبخّر به إذا وضع في الماء لا ينحلّ منه شيء في الماء فإذا صارت رائحة الماء عطرة جازت الطّهارة بذلك الماء.

(**أنْ لا يكُون**) الْماءُ الْقلِيلُ قدِ (**اسْتُعْمِل فِي رفْعِ حدثٍ**) بِخِلافِ ما اسْتُعْمِل فِي الْغسْلةِ الثّانِيةِ والثّالِثةِ ونحْوِ ذلِك فإِنّهُ طهُورٌ (**أوِ**) اسْتُعْمِل فِي (**إِزالةِ نجسٍ**) ولمْ يتغيّرِ الْماءُ بِالنّجاسةِ ولا زاد وزْنُهُ بِسببِها فإِنّهُ يكُونُ عِنْد ذلِك طاهِرًا غيْر مُطهّرٍ.



حجم الأسطوانة = $\pi r^2 h$
π =٣,١٤٥٩
h =٢,٥x٤٧ = ١١٧,٥ cm
حجم الأسطوانة
٣,١٤٥٩ (٢٣,٥)^2 (١١٧,٥) = ٢٠٤,١٣٥ سم^3
فيكون الحجم بالليتر
٢٠٤,١٣٥ سم^3 x ٠,٠٠١ = ٢٠٤ ليتر

حجم المربع = a^3
a = ١,٢٥ x ٤٧ = ٥٨,٧٥ سم
حجم الأسطوانة
(٥٨,٧٥)^3 = ٢٠٢,٧٧٩ سم^3
فيكون الحجم بالليتر
٢٠٢,٧٧٩ سم^3 x ٠,٠٠١ = ٢٠٣ ليتر

(**ومنْ لمْ يجِدِ الْماء**) بلْ فقدهُ حِسًّا بِأنْ طلب الْماء فلمْ يجِدْهُ معهُ ولا مع رُفْقتِهِ الْمُسافِرِين معهُ ولا فِي الْقدْرِ الّذِي يجِبُ عليْهِ الطّلبُ فِيهِ مِن الْمِساحةِ[1] أوْ فقدهُ معْنًى بِأنْ كان مُحْتاجًا لِلْماءِ الموْجُوْدِ لِشُرْبِهِ (**أوْ**)

---

(١) المساحة وهو حدّ القرب فإن كان الماء في مسافة تبعد عن المكان الّذي هو فيه فوق حدّ القرب فإنه لا يجب طلبه في هذه الحالة. وحدُّ القرب قُدّرَ بنحو نصف فرسخ فمن علم وجوده أي علم بوجود الماء في حدّ القرب فإنّه يعدّ واجدًا للماء فلا يصحّ تيمّمه، وأمّا إن لم يتأكّد من وجود الماء بل كان عنده احتمال فقط فيجب عليه الطّلب في حدّ الغوث وهو المسافة الّتي يُسْمِع فيها رفقاءه لو نادى، وقُدّرَت هذه المسافة بثلاثمائة ذراع شرعيّ وهو أي الذّراع مقدار شبرين فإن لم يجد الماء فهذا يُعَدُّ فاقدًا له. =

وجدّهُ لكِنْ (**كان**) يخافُ مِن اسْتِعْمالِهِ أنْ يهْلِك أوْ يتْلف عُضْوٌ مِنْ أعْضائِهِ[١] أوْ أنْ (**يضُرّهُ الْماءُ**) بِطُولِ مرضِهِ مثلًا (**تيمّم**). ويُشْترطُ لِصِحّةِ تيمُّمِهِ أنْ يكُون (**بعْد دُخُولِ الْوقْتِ**) أيْ وقْتِ الْعِبادةِ الّتِي يُرِيدُ أنْ يُؤدّيها بِهذا التّيمُّمِ مِنْ صلاةٍ أوْ طوافٍ (و) أن يكُون بعْد (**زوالِ النّجاسةِ الّتِي لا يُعْفى عنْها**) عنْ بدنِهِ فلوْ تيمّم وعلى بدنِهِ نجاسةٌ لمْ يصِحّ تيمُّمُهُ، هذا إنْ كان عِنْدهُ مِن الْماءِ ما يُزِيلُ بِهِ النّجاسة وإلّا فقدْ قِيل حُكْمُهُ كحُكْمِ فاقِدِ الطّهُوريْنِ. ويكُونُ التّيمُّمُ (**بِتُرابٍ**) فلا يصِحُّ التّيمُّمُ بِغيْرِ التُّرابِ كالْحجرِ (**خالِصٍ**) مِن الرّمادِ ونحْوِهِ (**طهُورٍ لهُ غُبارٌ**[٢]) فلا يصِحُّ التّيمُّمُ بِتُرابٍ مُتنجّسٍ بِنحْوِ بوْلٍ.

ويكُونُ التّيمُّمُ (**فِي الْوجْهِ**) أيْ بِمسْحِهِ (**و**) مسْحِ (**الْيديْنِ**) مع الْمِرْفقيْنِ (**يُرتِبُهُما**) فلا بُدّ فِي الْمسْحِ مِن التّرْتِيبِ بِتقْدِيمِ مسْحِ الْوجْهِ على مسْحِ الْيديْنِ، وأقلُّ ما يكُونُ ذلِك (**بِضرْبتيْنِ**) أيْ بِنقْلتيْنِ لِلتُرابِ فلا تكْفِي ضرْبةٌ واحِدةٌ ولهُ الزّيادةُ عليْهِما. ويُشْترطُ لِصِحّةِ التّيمُّمِ أنْ يكُون ذلِك

= وأمّا الفقد المعنوي فهو كأن يحول بينه وبين الماء الّذي هو بالقرب منه سبع أو عدوّ وكأن يحتاج الماء لشربه أو لشرب حيوانه المحترم فيصحّ له التّيمّم مع وجود الماء. ومن تيمّم بدون طلب أي في الموضع الّذي يجب فيه الطّلب لا يصحّ تيمّمه لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ﴾.

(١) التّيمّم عن محلّ العلّة يكون على حسب ترتيب العضو الممسوح بالتّيمّم. ومن كان في يده إصابة ويضرّه الماء لا يمسح بالماء إن لم يكن على موضع الإصابة جبيرة، وكذلك لا يمسح بالتّراب إن كان المسح به يضرّه وعليه القضاء.

(٢) ولا مستعملًا في تيمّم بأن يكونه تناثر من العضو عند التّيمّم فإن كان استعمل للتّيمّم بأن تناثر من الوجه مثلًا فهو غير صالح للتّيمّم مرّة ثانية. ولا يجزئ الحَجَر ويجزئ في بعض المذاهب، وفي ذلك تيسير وفسحة فيجوز للشّافعيّ أن يقلّد في ذلك غير الإمام الشافعي.
والذي يبطل التّيمّم ثلاثة أشياء: ما أبطل الوضوء ورؤية الماء في غير وقت الصّلاة والرّدّة.
أما إذا رأى الماء في أثناء الصّلاة فإن كان الموضع الّذي تيمّم فيه يغلب فيه وجود الماء بطلت صلاته وإلا فلا. انظر كفاية الأخيار.

(**بِنِيّةِ اسْتِباحةِ فرْضِ الصّلاةِ**) وأنْ تكُون النّيّةُ (**مع النّقْلِ**) أيْ تحْوِيلِ التُّرابِ إِلى عُضْوِ التّيمُّمِ (**ومسْحِ أوّلِ**) جُزْءٍ مِن (**الْوجْهِ**).



«مَكَّنَّا لَهُ في الأرض»... نِعَمْ بأسًا وعزم سدًّا بِهِمَمْ

ذو القرنَينِ رضيَ اللهُ عنهُ

ممّا ذكر في القرءان الكريم قصّة سيّدنا ذي القرنين رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاه الّذي كان من أولياء الله الصّالحين الكبار، فما اسمه وماذا فعل؟

اسمه الصّعب بن الحارث وقيل الصّعب بن ذي مرائد وهو أشهر التّبابعة الّذين هم ملوك اليمن وذكره أحد أحفاده في شعر قديم منه:

قد كانَ ذو القرنَينِ جَدِّي مُسلمًا ملِكًا علَا في الأرضِ غَيرَ مبعَّدِ

بلغَ المشارِقَ والمغَارِبَ يبتَغِي أسبَابَ مُلكٍ من كَرِيمٍ سيّدِ

ويروى أنّ سيّدنا الخضر كان وزيره وعلى مقدّمة جيشه. وقد حجّ ذو القرنين ماشيًا من اليمن إلى مكّة المكرّمة، والتقى بسيّدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام، وطاف معهما حول الكعبة المشرّفة وذبح الذّبائح لله تعالى، ولمّا سمع سيّدنا إبراهيم بقدومه استقبله ودعا له وأوصاه بوصايا، وجيء له بفرس ليركبها فقال تأدُّبًا: لا أركب في بلد فيه الخليل إبراهيم عليه السّلام، فسخّر الله تعالى له السّحاب وبشّره سيّدنا إبراهيم بذلك فكانت تحمله إذا أراد.

وكان من أمره أنّ الله مدَّ له في عمره، ونصره حتّى قهر البلاد وفتح

المدائن وسار حتَّى أتى المشرق والمغرب فمن اتّبع دين الإسلام سلم، وإلاّ فقد أخزاه.

وممّا أكرمه الله به من الكرامات الباهرة أنْ علّمه معالم الأرض وآثارها وكان لديه فَهمٌ للّغات المختلفة، فكان لا يغزو قومًا إلاّ انتصر عليهم. ومن النّعم الّتي أعطيت له أنّ الله سخَّر له نورًا وظلمة، فكان إذا مشى في اللّيل ينوّر طريقه ويكون الظّلام خلفه، وأحيانًا تسلّط الظّلمة بإذن الله على أقوام رفضوا دين الإسلام وحاولوا محاربة ذي القرنين، فتدخل الظّلمة أفواههم وبيوتهم، وتغشاهم من جميع الجّهات حتَّى يتراجعوا، وهذا ما حصل معه حين سار ذات يوم إلى موضع في المغرب حيث تغرب الشّمس فرأى هناك قومًا كافرين، قد ظلموا وأجرموا وأكثروا الفساد وسفكوا الدِّماء، فخيّرهم بين أن يعذَّبوا بعذاب شديد ويوضعوا في ثيران نحاسية محمَّاة وبعد موتهم يكون لهم عذاب أكبر يوم القيامة، وبين أن يؤمنوا ويعملوا الصّالحات فيكون لهم النّعيم الكبير في الجنّة، وأقام فيهم مدّة ينشر الهدى والخير.

ثمّ بدا له أن يذهب من مغرب الشّمس إلى مشرقها ومطلعها، حتَّى وصل إلى أرض ليس فيها عمران ولا جبال ولا أشجار، وهناك وجد قومًا أمرهم عجيب، وهو أنّهم إذا طلعت عليهم الشّمس دخلوا في أنفاق حفروها في الأرض هربًا من حرِّ الشّمس القويّ اللاّهب، أو غاصوا في الماء، فإذا غابت الشّمس خرجوا واصطادوا السّمك. ومرة جاءهم جيش في اللّيل فقالوا لعساكره: لا تبقوا هنا لئلاّ تطلع الشّمس عليكم. فقال العساكر: لن نترك حتَّى تطلع الشّمس، ثمّ التفتوا فوجدوا عظامًا كثيرة، فسألوا القوم عنها فقالوا: هذه عظام جيش وجثته طلعت عليهم الشّمس منذ وقت هٰهنا فماتوا، فولّى الجيش هاربًا.

انطلق سيّدنا ذو القرنين غازيًا مجاهدًا، منصورًا مظَفّرًا، حتَّى وصل

إلى بلاد ما بين الجبلين، وهما جبلان متقابلان عاليان أملسان ويسكن بينهما قوم لا تكاد تعرف لغتهم، قد جاوروا قومًا خبثاء هم قوم يأجوج ومأجوج، وهم قوم في الأرض مفسدون ضالّون مضلّون.

ولمّا رأى أهل ما بين الجبلين أنّ ذا القرنين ملك قويّ، شديد المراس، واسع السّلطان، كثير الأعوان، التجأوا إليه طالبين أن يقيم سدًّا بينهم وبين جيرانهم، يفصل بلادهم، ويمنع عنهم عدوانهم، على أن يعطوه أجره، فقال ذو القرنين بعفّة وصلاح: «ما مكنني فيه ربّي وأعطاني من الملك خير لي من الّذي تجمعونه، ولكن ساعدوني بقوّة عملكم وبآلات البناء لعمل السّد»، فجاؤوه بقطع الحديد الضّخمة على حسب طلبه فكانت كلّ قطعة تزن قِنطارًا أو أكثر، ووضعها بين الجبلين الواحدة فوق الأخرى من الأساس حتَّى إذا وصل قمَّة الجبلين أحاط القطع الحديديّة بالفحم والخشب وأضرم النّار فيها، وأمر بالنّفخ عليها بالمنافخ حتَّى تحمَّى، ثمّ جاء بالنّحاس المذاب مع الرّصاص فأفرغهما على تلك القطع الحديديّة فالتأمت واشتدّت والتصقت ببعضها حتَّى صارت سدًّا شامخًا أملس سميكًا جدًا يصل ارتفاعه إلى مائتين وخمسين ذراعًا يصعب الصعود عليه إذ لا نتوء ولا ثقوب فيه ويصعب بالتّالي ثقبه.

ولمّا بنى ذو القرنين السّدّ بعون الله وتوفيقه ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾[1] وحُجِز قومُ يأجوج ومأجوج خلفه، وقد أخبر عنهم رسول الله ﷺ أنّه لا يموت أحدهم حتَّى يلد ألفًا من صلبه أو أكثر، وسيصير عددهم قبل خروجِهْم كبيرًا جدًا، حتَّى إنّ البشر يوم القيامة بالنّسبة لهم من حيث العدد كواحد من

(١) سورة الكهف، اية (٩٨).

مائة، ولم يثبت ما يروى أنّ آذانهم طويلة ينامون على واحدة ويتغطَّون بالأخرى وأنّهم قصار القامة. وهم يحاولون أن يخترقوا هذا السّد كلّ يوم فلا يستطيعون، ويقولون كلّ يوم بعد طول عمل وجهد: «غدًا نكمل»، فيعودون في اليوم القابل فيجدون ما فتحوه قد سدّ، ويبقون هكذا يعملون كلّ يوم إلى أن يقولوا: «غدًا نكمل إن شاء الله»، فيعودون في اليوم القابل فيجدون ما بدأوا به قد بقي على حاله، فيكملون الحفر حتَّى يتمكّنوا من الخروج، ويكون خروجُهُم علامةً من علامات القيامة الكبرى حفظنا الله وإيّاكم من أهوالها. وعاش ذو القرنين مئات السّنين حتَّى توفّاه الله تعالى وقد تزوَّد لآخرته بزاد التّقوى والعمل الصّالح.

والصَّعبُ ذو القَرنينِ أمسَى مُلْكُهُ ألفَينِ عَامًا ثمَّ صارَ رَمِيمًا

حُدودَ الشَّرعِ فالتَزِمْ
خَالفْ أهواءَكَ بحزمٍ ولشهواتِك لا تنهَزِمْ

تحذيرُ المُعلِّمِ منَ الخَوضِ فيمَا لا يعلَمُهُ صَوابًا

أوصيكم بعدم التّسرع في الحكم على من بلغه بأنّ فلانًا قال كذا بأنّه كفر، من سأله سائل عن كلمة ليسأله: «ماذا تفهم من هذه الكلمة؟ أيُّ معنى تفهم»، لأنّ الكلمة قد تكون صريحة في معنى كفريّ لكنّ قائلها لا يفهم منها ذلك المعنى بل يفهم منها معنى ليس كفرًا، أمّا إن سأله فذكر ما هو كفر فليقل له تشهّد منه إن كنت قلته بإرادة. وكثيرًا ما كان يبلّغ عن بعض المدرّسين أنّه أفتى بأنّ كلمة كذا كفر فكفّر قائلها ويكون

ذلك التّكفير في غير محله إمّا لكون تلك الكلمة تحتمل معنيين معنى كفريًا ومعنى غير كفريّ فيتسرّع المدرّس فيقول هذا كفر فيكون أهلك نفسه وأهلك السّائل. الحذرَ الحذرَ من هذا التّسرع، الحسن بن عليّ قال: «العار خيرٌ من النّار». وأوصيكم بالتزام التّواضع ونبذ التّرفُّع على النّاس. عليكم بتحسين الظّنّ ببعضكم البعض وأن يرى الواحد منكم الفضل في أخيه.

ثمّ من الأمر المهمّ للمعلّم أن لا يخوض فيما لا يعلمه صوابًا، ولا سيّما إذا سئل سؤالًا لا ينبغي أن يتكلّف الجواب من غير أن يَعلمَ مِن نفسهِ أنّ ما يقولَه حقّ، فعن عليّ بن أبي طالب الّذي قال فيه الرّسول ﷺ أنّه باب مدينة العلم قال: «وابردها على الكبد أن أُسْأَلَ عن شيء لا أعلمه فأقول لا أدري».

أمّا الّذي وصل إلى حدّ الفتوى فعليه أن يبذل جهده في الجّواب للسّائل والمستفتي كي يفتيه بالصّواب، وما أشكل عليه فليقل فيه: «لا أدري»، أمّا الّذي لم يصل إلى حدّ الفتوى إنّما هو حصّل بعض المسائل فإذا كان يقرئ غيره في كتاب فلا يتجاوز حلّ متن الكتاب الّذي يقرؤه وإلّا هلك. وليتذكر قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الإسراء].



يُقال في دُبرِ أي عقب الصّلاة المكتوبة بعد السّلام: «**اللَّهمَّ إِنّي أَعوذُ بِكَ مِنَ البُخلِ وأعوذُ بكَ من الجُبْنِ، وأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلى أَرْذَلِ العُمُرِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيا، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»، ويقالُ دبرَ الصّبحِ والمغربِ: «**اللّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ عِلمًا نافعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا**».



الدّرس التاسع عشر

(**فصْلٌ**) فِي ما يحْرُمُ على الْمُحْدِثِ[١] والْجُنُبِ والْحائِضِ والنُّفساءِ.

(**ومنْ**) أحْدث حدثًا أصْغر بِأنِ (**انْتقض وُضُوؤُهُ حرُم علىْهِ**) أرْبعةُ أُمُورٍ أحدُها (**الصّلاةُ**) فرْضًا كانتْ أوْ نفْلًا أوْ صلاة جِنازةٍ (**و**) ثانِيها (**الطّوافُ**) فرْضًا كان أوْ نفْلا (**و**) ثالِثُها (**حمْلُ الْمُصْحفِ**) ومِثْلُهُ ما كُتِب علىْهِ قُرْءانٌ لِلدّراسةِ لا لِلْحِرْزِ[٢] (**و**) رابِعُها (**مسُّهُ**) أيْ مسُّ ورقِ الْمُصْحفِ وجِلْدِهِ الْمُتّصِلِ بِهِ وحواشِيهِ.

(**ويُمكّنُ مِنْ ذلِك**) أيْ مِنْ حمْلِهِ بِغيْرِ وُضُوءٍ (**الصّبِيُّ**) أوِ الصّبِيّةُ الْمُميّزانِ بِشرْطِ أنْ يكُون ذلِك (**لِلدّراسةِ**) والتّعلُّمِ فِيهِ لا لِغيْرِ ذلِك كنقْلِهِ مِنْ إِنْسانٍ إِلى ءاخر، (**ويحْرُمُ على الْجُنُبِ هذِهِ**) الأُمُورُ الأرْبعةُ (**و**) أمْرانِ ءاخرانِ أحدُهُما (**قِراءةُ الْقُرْءانِ**) باللّسانِ بِحيْثُ يُسْمِعُ نفْسهُ ولوْ حرْفًا مِنْهُ بِقصْدِ تِلاوةِ الْقُرْءانِ (**و**) ثانِيْهِما (**الْمُكْثُ فِي الْمسْجِدِ**) أوِ التّردُّدُ فِيهِ لا مُجرّدُ الْمُرُورِ.

(**و**) يحْرُمُ (**على الْحائِضِ والنُّفساءِ هذِهِ**) الأُمُورُ السّتّةُ (**و**) أمْرانِ ءاخرانِ أحدُهُما (**الصّوْمُ قبْل الِانْقِطاعِ**) أمّا بعْدهُ فيجُوزُ ولوْ قبْل الْغُسْلِ

---

(١) روى البخاريّ في صحيحه عن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ قال «**لا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ**» ا.هـ.
روى أبو داود في السّنن أنّه ﷺ قال «**إِنِّي لَا أُحِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا جُنُبٍ**» وهو حديث ثابت وأمّا المرور في المسجد كأن كان للمسجد بابان يُدخل من أحدهما ويُخرج من الآخر من دون توقّف ولا تردّد فيجوز إلّا أن تخافا تلويثه بالدّم، فإن أمنتا التّلويث كُرِه المرور.

(٢) أمّا مسّ تفسير القرءان للجنب فقد قال بعض الشّافعيّة: «إذا كان التّفسير أكثر حروفًا جاز». كما هو الكثير من كتب التّفسير المندمجة الآيات مع تفسيرها ويجوز عند الشّافعيّة كتابة القرآن للمحدث حدثًا أصغر من دون أن تمسّ الكفّ ما يكتب.

ولا بُدّ مِنْ قضاءِ ما فاتهُما مِنْ صوْمِ رمضان بِسببِ ذلِك[١] (و) ثانِيهِما (تمْكِينُ) الزّوْجةِ (الزّوْج و) الأمةِ (السّيّد مِن الِاسْتِمْتاعِ بِما بيْن السُّرّةِ والرُّكْبةِ) بِنظرٍ أوْ مُباشرةٍ بِلا حائِلٍ أيْ بِحيْثُ تلْتقِي الْبشرتانِ (قبْل الْغُسْلِ) ولوْ بعْد الِانْقِطاعِ (وقِيل لا يحْرُمُ) الِاسْتِمْتاعُ بِما بيْن السُّرّةِ والرُّكْبةِ (إلّا الْجِماعُ).

(فصْلٌ) فِي الطّهارةِ عنِ النّجاسةِ وكيْفِيّةِ إزالتِها.

(ومِنْ شُرُوطِ) صِحّةِ (الصّلاةِ الطّهارةُ عنِ النّجاسةِ فِي الْبدنِ) حتّى داخِلِ أنْفِهِ وفمِهِ (و) فِي (الثّوْبِ والْمكانِ) الّذِي يُلاقِيهِ بدنُهُ مِن الأرْضِ (والْمحْمُولِ لهُ كقِنّينةٍ) فِيها نجِسٌ أوْ ورقةٍ مُتنجّسةٍ (يحْمِلُها فِي جيْبِهِ فإنْ لاقاهُ) أيْ لاقى بدن الْمُصلّي أوْ ثِيابهُ (نجِسٌ أوْ) لاقى (محْمُولهُ) كرِداءٍ يضعُهُ على كتِفيْهِ (بطلتْ صلاتُهُ) سواءٌ كانتِ النّجاسةُ يابِسةً أمْ رطْبةً (إلّا أنْ يُلْقِيهُ حالًا) كأنْ وقعتْ نجاسةٌ جافّةٌ على ثوْبِهِ فألْقاها فوْرًا أوْ وقعتْ على رِدائِهِ نجاسةٌ رطْبةٌ أوْ يابِسةٌ فألْقاهُ فوْرًا فلا تبْطُلُ صلاتُهُ (أوْ يكُون) النّجِسُ (معْفُوًّا عنْهُ كدمِ جُرْحِهِ) فلا تبْطُلُ أيْضًا. (ويجِبُ إزالةُ نجِسٍ لمْ يُعْف عنْهُ) لِصحّةِ الصّلاةِ وذلِك (بِإزالةِ الْعيْنِ) أيْ عيْنِ النّجاسةِ (أيْ جِرْمِها[٢]) وأوْصافِها (مِنْ طعْمٍ ولوْنٍ وريحٍ بِالْماءِ الْمُطهّرِ) فلا يُزِيلُ غيْرُهُ من المائِعاتِ النّجاسة إذْ هُو ءالةُ التّطْهِيرِ. هذا فِي النّجاسةِ الْعيْنِيّةِ (و) أمّا النّجاسةُ (الحُكْمِيّةُ) فتُزالُ (بِجرْيِ الْماءِ) أيْ يكْفِي لِإزالتِها جرْيٌ

---

(١) الحكمة من قضاء الحائض الصّيام وعدم قضائها الصّلاة أنّ الصّلاة تتكرّر أمّا الصّوم فإنّما هو شهر واحد يفترض مرّة في السّنة.

(٢) والمراد هنا إزالة جرمها وأوصافها من طعم ولون وريح فبعد إزالة جرمها يشترط إزالة أوصافها أي اللّون والطّعم والرّائحة. وأمّا أثر لون النّجاسة الّذي يبقى على الثّوب بعد غسله جيدًا فلا يضرّ بل يعفى عنه وتصحّ الصّلاة مع وجوده. وقوله «بالماء المُطهّر» يفهم منه أنّ الشّمس والرّيح لا تطهّران بل المطهّر هو الماء.

الْماءِ الْمُطهّرِ (**عليْها**) أيْ على محلّها مرّةً واحِدةً، (**والنّجاسةُ الحُكْمِيّةُ هِي**) النّجاسةُ (**الّتِي لا يُدْركُ لها لوْنٌ ولا طعْمٌ ولا رِيحٌ**) كبوْلٍ جفّ لا رِيْح ولا طعْم ولا لوْن لهُ. (**و**) أمّا النّجاسةُ (**الكلْبِيّةُ**) وهِي نجاسةُ الْكلْبِ والْخِنْزِيرِ وما تولّد مِنْهُما أوْ مِنْ أحدِهِما فتكُونُ إِزالتُها (**بِغسْلِها سبْعًا**) مِن الْمرّاتِ بِشرْطِ أنْ تكُون (**إِحْداهُنّ**) أيْ إِحْدى هذِهِ الْغسلاتِ (**ممْزُوجةً بِالتُّرابِ الطّهُورِ**) بِحيْثُ يتكدّرُ بِهِ الْماءُ ويصِلُ بِواسِطتِهِ إِلى جمِيعِ أجْزاءِ الْمحلّ (**و**) الغسْلةُ (**الْمُزِيلةُ لِلْعيْنِ وإِنْ تعدّدتْ**) أي الغسْلُ الْمُحْتاجُ إِليْهِ لإِزالةِ جِرْمِ النّجاسةِ الْكلْبِيّةِ مع الْوصْفِ مِن الطّعْمِ واللّوْنِ والرّيحِ إِنْ كان غسْلةً أوْ أكْثر يُعدُّ غسْلةً (**واحِدةً**) فيبْقى علىْهِ غسْلُ الْمحلّ سِتّ مرّاتٍ أُخر. (**ويُشْترطُ**) فِي إِزالةِ النّجاسةِ بِأنْواعِها (**وُرُودُ الْماءِ**) على النّجاسةِ لا وُرُودُها علىْهِ (**إِنْ كان**) الْماءُ (**قلِيلًا**) بِأنْ كان دُون الْقُلّتيْنِ لِأنّها إِذا وردتْ علىْهِ تنجّس بِمُلاقاتِها بِخِلافِ الْماءِ الْكثِيرِ فإِنّهُ لا يُشْترطُ فِيهِ ذلِك لأنّهُ لا يتنجسُ بِمُلاقاةِ النّجاسةِ إِلّا أنْ يتغير.

تحذيرٌ مهمٌ:

كلام باطل قول من قال: الّذي ينام وهو جنب تلعنه الملائكة، الرّسول ﷺ نام وهو جُنب من غير أن يمسّ ماءً ليُعلّمنا أنّه لا بأس إذا الإنسان نام وهو جنب، والقول إنّه إذا خرج الجنب تلعنه كلّ شعرة في جسمه فهذا الكلام باطل، وقد ثبت أنّ حمزة بن عبد المطلب رضيَ اللهُ عنهُ خرج وهو جنب فاستشهد، وحنظلة عليه رضوان الله كذلك خرج وهو جنب فاستشهد فرآه الرّسول عليه الصّلاة والسّلام تغسله الملائكة، وأبو هريرة وحُذيفة رضيَ اللهُ عنهُما لقيا رسول الله ﷺ في الطّريق وهما على جنابة، فأمّا أبو هريرة فانسل، استحيا أن يقعد مع رسول الله ﷺ وهو جنب فذهب فاغتسل فرجع فقال له الرّسول ﷺ: «**إلى أينَ ذهبتَ يا أبَا هرٍّ؟** قال: يا رسول الله كُنتُ جُنُبًا فذهبت لأغتَسِل فقال: «**سُبْحَانَ**

الله إِنَّ المُسْلِمَ لا يَنْجُسُ» معناه لو بقيت معنا ما عليك بأس من أجل الجنابة.

البعض يُعَلِّمون عكس شريعة الله، فإنَّهم يقولون: الجنب إذا نام تلعنه الملائكة وإذا خرج إلى القريب تلعنه كلّ شعرة في جسمه وهذا القول باطل.



أَيُّ شَرَفٍ تختار... رَكْبَ المختار

سيّدنا عمرُ بنُ الخطَّابِ تابَ وأنابَ

سيّدنا عمر بن الخطّاب رضيَ اللهُ عنهُ هو أبو حفص عمر بن الخطّاب بن نُفيْل وأمّه حنْتمةُ بنت هاشم، لقّبه رسول الله ﷺ بالفاروق لأنّه يُفرِّق بين الحقّ والباطل، أسلم في السّنة السّادسة من النّبوة وكان عمره ستّة وعشرين عامًا، بعد نحو أربعين رجلًا، وفي قصّة إسلامه عدّة روايات منها ما ذكر في كتب السِّيَر أنّ عمر رضيَ اللهُ عنهُ قال: خرجت أتعرَّض لرسول الله ﷺ فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فلحقت به فإذا هو في الصّلاة فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقّة فبدأت أتعجب من نظم القرءان فقلت: «هذا والله شاعر كما قالت قريش»، فقرأ رسول الله قول الله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[1] فقال عمر: «إذا هو كاهن» فقرأ النّبيّ ﷺ قوله تعالى

(١) سورة الحاقة، ءاية (٤٠ - ٤١).

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[١]. فقال عمر: وقع الإسلام في قلبي أشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله.

والرّواية الأخرى قيل إنّ عمر خرج متقلّدًا السّيف فوجده رجل من بني زُهرة فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال أريد أن أقتل محمّدًا فقال: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمّدًا؟ فقال له عمر: أراك قد تركت دينك الّذي أنت عليه، فقال الرجل: أفلا أدلّك على العجب؟ إن أختك وختنك «أي صهرك» قد تركا دينك، فأتاهما عمر وكانوا يقرؤون ﴿طه ﴿١﴾﴾ سمع شيئًا من قراءة القرءان من خلف الباب وكان عندهم أحد الصّحابة وهو الخبَّاب، فطرق عمر الباب وفتحوا له، فقال أسمعوني، فقالوا هو حديث تحدّثناه بيننا، ثمّ قال عمر: أتّبعت محمّدًا؟ فقال له صهره: أرأيت يا عمر، إن كان الحقّ في غير دينك؟ فبدأ يضرب صهره ضربًا شديدًا فجاءت أخته تريد أن تدافع عن زوجها فضربها، فقالت بقلب ثابت متوكّل على الحيّ الّذي لا يموت: أرأيت إن كان الحقّ في غير دينك؟ أشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأنّ محمّدًا رسول الله. فتوقّف عمر عن ضرب صهره ثمّ طلب الصّحيفة فلمّا أعطيت له الصّحيفة ورأى فيها ﴿طه ﴿١﴾مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾[٢] إلى أن وصل إلى قوله تعالى ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾[٣] فقال: «دلّوني على محمّد، فلمّا سمع الخبّاب خرج وقال له: «أبشر يا عمر فإنّي أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ ليلة الخميس لك، اللّهمَّ أعزّ الإسلام بعمر بن الخطّاب

---

(١) سورة الحاقة، ءاية (٤٢).

(٢) سورة طه، ءاية (١ - ٤).

(٣) سورة طه، ءاية (١٤).

أو بعمرو بن هشام «أي أبي جهل»، فقال: «دلّوني على رسول الله» صلوات الله وسلامه عليه وكان النّبيّ ﷺ في بيت الأرقم في الصّفا وراح إلى هناك، وضرب الباب وكان من أشَّد النّاس على رسول الله ﷺ في الجاهليّة، فقال الصّحابة: «يا رسول الله هذا عمر»، ففتح الباب وتقدّم نحو النّبيّ فأخذه الرّسول الأعظمُ ﷺ أشجعُ خلق الله أخذَهُ بمجامع قميصه وقال: «**أَسْلِم يَا ابْنَ الخَطّابِ، اللّهُمَّ اهْدِه**». فما تمالك عمر أن وقع على ركبتيه فقال له النّبيّ ﷺ: «**مَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ يا عُمَرْ؟**» فقال: أشهد أن لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، فكبّر أهل الدّار تكبيرة سمعها أهل المسجد الحرام.

لنرقَ بالعِلمِ ونتَحَلَّ بالحِلْم ونتوجَّهَ للطّالب بطيبِ الكَلِمِ

أهمّيَّةُ تحلِّي المُعلِّم بالحِلْمِ

أوصيكم بالحلم، فمن آداب المعلّم أن يكون حليمًا، لأنّه بالحلم يتحقّق معنى التّعليم، قال ﷺ: «**بَشِّروا ولا تنفِّروا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**». كذلك تحمّل المتاعب من المتعلّمين والمتعلّمات هذا أيضًا ييسّر فائدة التّعليم والتّحصيل، ثمّ ليكن التّعليم بحلم أيضًا، قال العلماء: «الحِلْمُ زَينُ العِلْمِ»، المعلّم إذا كان حليمًا ينفع أكثر ممّا إذا لم يكن حليمًا، الأنبياء لولا أنّهم حلماء ما نفعوا أقوامهم، لكن التزموا الحلم والصّبر فنفعوا أممهم، فالحلم من أفضل الخصال، من فقد

الحلم لا يكثر نفعه، قال ربّنا عزّ وجلّ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴿٨٣﴾﴾ [سورة البقرة].

فكونوا على هذه الحال مع النّيّة الخالصة لله تعالى فإنّما الأعمال بالنّيات. فمهما كان العمل شاقًّا من أعمال العبادات لا يقبله الله إلّا بنيّة خالصة لله تعالى، الله لا يقبل عملًا أشرك العبد فيه غيره، المجاهد في سبيل الله يتعرّض لأن يقتل فإذا كانت نيّته خالصة فهذا إن قتل فهو شهيد وإنْ رجع سالمًا فله أجر عظيم، أمّا إن نوى أن يقول النّاس عنه: «فلان بطل» فليس له شيء إن قتل وإن لم يقتل.

دعاء

يُقالُ عند الصّباح وعند المساء سيّد الاستغفار: «**اللَّهمَّ أنتَ ربِّي لا إلٰهَ إلّا أنتَ، خلقتَني وأنا عبدُكَ وأنا على عهدِكَ ووعدِكَ ما استطَعْتُ، أعوذُ بكَ من شرِّ ما صنَعْتُ، أبوءُ لكَ بنعمتِكَ عَليَّ، وأبوءُ بذنبِيّ فاغفِرْ لي فإنَّهُ لا يغفرُ الذّنُوبَ إلّا أنتَ**».

الدّرس العشرون

(**فصْلٌ**) فِي بيانِ شُرُوطٍ أُخْرى مِنْ شُرُوطِ الصّلاةِ.

(**ومِنْ شُرُوطِ**) صِحّةِ (**الصّلاةِ اسْتِقْبالُ**) جِرْمِ (**الْقِبْلةِ**)[1]. . . .

---

(١) كان الرّسول ﷺ قبل الهجرة يستقبل إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرًا توجّه إلى بيت المقدس ثمّ أُمِرَ بالتّوجه إلى الكعبة. وأمّا من اعترض على اتّجاه القبلة في أمريكا وكندا فنقول له:

القبلة في أمريكا الشّماليّة وكندا فهي إلى الجنوب الشّرقيّ، وبقي الأمر على هذا الحال سنوات طويلة حتّى جاء هؤلاء المرجفون فغيّروا الاتّجاه في مساجدهم إلى الشّمال الشّرقي، وكأنَّ أمر القبلة عندهم ملعبة، ولكنّ المساجد الأخرى لم توافقهم ومقابر المسلمين القديمة كمقبرة سكرامنتو كاليفورنيا القديمة الّتي يرجع دفن موتى المسلمين فيها إلى ما قبل عام ١٩٣٧، ومقبرة «ترورو» في مقاطعة نوفاسكوتيا الكنديّة الّتي يرجع دفنهم فيها إلى ما قبل خمسين سنة شاهد على أنّ المسلمين كانوا يتوجّهون إلى الجنوب الشّرقيّ، فهؤلاء خالفوا إجماع الصّحابة رضوان الله عليهم كما هو معروف عند وضعهم (أي الصّحابة) للمحاريب على النّظر في جهة البلد بالنّسبة لمكّة، فإن كان شمالها وجّهوا المحراب جنوبًا، وإن كان جنوبها وجّهوا المحراب شمالًا، وإن كان شرقها وجّهوا المحراب إلى غربها وبالعكس. وهذا منصوص عليه في كتب المذاهب الأربعة ككتاب «تبيين الحقّائق» على المذهب الحنفي، وكتاب «فتح العزيز» للرّافعي الشّافعي، وكتاب «الإنصاف» الحنبلي وكتاب «المعيار» للونشريسي المالكي.

وعلى هذا شيخ الأزهر بمصر، فقد ورد إليه السّؤال عن اتجاه القبلة في كندا من بعض ساكنيها المسلمين فقال ما نصّه: «وبإعادة النّظر فيما كتب في موضوع اتجاه القبلة في كندا تقضي القواعد الشّرعيّة بأنّ الاتّجاه الصّحيح للقبلة في هذا الموضوع هو اتجاه الجنوب الشّرقي، فإنَّهُ الامتداد الصّحيح لخطّ القبلة من الموقع الّذي فيه المسجد فأمّا قصر خط الشّمال الشّرقي فذلك يستخدم في السّير إليها لا في اتّخاذه قبلة» انتهت فتوى شيخ الأزهر بمصر بتاريخ ٧/ ٢/ ١٩٩٤، وعلى هذا رئيس جامعة الأزهر الدّكتور عبد الفتّاح حسين الشّيخ، انظر فتواه ٨/ ٩/ ١٩٩٢، وكذلك رئيس لجنة الفتوى في الأزهر الشّيخ عطيّة صقر الّذي قال: «إنّ اتّجاه القبلة بالنّسبة لأهل الولايات المتّحدة الأمريكيّة وكندا هو الجنوب الشّرقي وذلك لأن أمريكا الشّماليّة=

[١] وهِي الْكعْبةُ أوْ ما يُحاذِي جِرْمها إِلى السّماءِ السّابِعةِ أوْ إِلى الأرْضِ السّابِعةِ[٢] وذلِك بِأنْ يسْتقْبِلها بِالصّدْرِ فِي الْقِيامِ والْقُعُودِ وبِمُعْظمِ الْبدنِ فِي الرُّكُوعِ والسُّجُودِ[٣]. (و) تُشْترطُ معْرِفةُ (دُخُولِ وقْتِ الصّلاةِ) إِمّا يقِينًا بِالْمُراقبةِ[٤] وإِمّا ظنًّا كالْمُتّخِذِ وِرْدًا يعْلمُ أنّهُ لا ينْتهِي إِلاّ بعْد دُخُولِ الْوقْتِ.

(و) يُشْترطُ (الإِسْلامُ) فلا تصِحُّ الصّلاةُ مِنْ كافِرٍ (و) يُشْترطُ (التّمْيِيزُ) فلا تصِحُّ الصّلاةُ مِنْ غيْرِ الْمُميّزِ (و) التّمْيِيزُ (هُو أنْ يكُون الولدُ بلغ مِن السِنّ إِلى حيْثُ يفْهمُ الْخِطاب ويرُدُّ الْجواب و) يُشْترطُ أيْضًا (الْعِلْمُ بِفرْضِيّتِها) فِيْ الصّلاةِ المفْرُوْضةِ أيْ عِلْمُ الْمُصلّي بِكوْنِ الصّلاةِ فرْضًا فإِنْ كان يعْتقِدُ أنّها نفْلٌ لمْ تصِحّ صلاتُهُ، (و) يُشْترطُ (أنْ لا يعْتقِد) الْمُصلّي (فرْضًا) بِعيْنِهِ (مِنْ فُرُوضِها) اتّفق الشّافِعِيّةُ على أنّهُ فرْضٌ مِنْ فُرُوضِ الصّلاةِ كقِراءةِ الْفاتِحةِ أوِ الرُّكُوعِ أنّهُ (سُنّةٌ و) يُشْترطُ أيْضًا (السّتْرُ) لِلْعوْرةِ ولوْ خالِيًا أوْ فِي ظُلْمةٍ ويكُونُ السّتْرُ (بِما) أيْ بِشيْءٍ

= واقعة في الرّبع الشّمالي الغربي بالنّسبة لمكّة وجوابه هذا بتاريخ (٢٨/ ١١/ ١٩٩٣). ومن صلّى إلى الشّمال الشّرقي فاتّجاهه غير صحيح وصلاته كذلك» انتهى.

(١) وقد قال الفقهاء بأنّ أقوى أدلّة القبلة القطب الشّمالي، والصّغير إذا لم يكن يعرف الاستدلال للقِبلة يأخذ بقول من يدلّه من الثّقات.

(٢) قال بعض العلماء يجب على المسافر أن يتعلّم دلائل القِبلة وجوبًا عينيًا، وبعضهم قال إذا كان الرّكب الّذي فيه فيهم من يعرف دلائل القِبلة لا يجب عليه. ومن دلائل القبلة المشرق والمغرب وكذلك القمر.

(٣) من دخل في الصّلاة بلا اجتهاد لمعرفة القبلة لم تنعقد صلاته، وإذا دخل الشّخص إلى بيت وكان يعرف هو الاستدلال لا بدّ أن يستدلّ بنفسه. أمّا إذا ضاق الوقت عن الاستدلال فيأخذ بقول من يدلّه من الثّقات.

(٤) بعض الصّحابة كان يأمر جاريته بالمدينة لتصعد إلى السّطح وتخبره إذا غربت الشّمس. هذا يدلّ على جواز أن تأخذ بخبر الدّينة لدخول الوقت.

(**يسْتُرُ لوْن الْبشرةِ**) بِحيْثُ لا يُميّزُ لوْنُها فِي مجْلِسِ التّخاطُبِ فما تُميّزُ مِنْ خِلالِهِ الْبشرةُ السّمْراءُ مِن الْبيْضاءِ غيْرُ كافٍ (**لِجمِيعِ بدنِ**) الْمرْأةِ (**الْحُرّةِ إِلّا الْوجْه والْكفّيْنِ**) لأنّهُما ليْسا بِعوْرةٍ[١].

(**و**) يكُونُ السّتْرُ (**بِما يسْتُرُ ما بيْن السُرّةِ والرُّكْبةِ**) بِالنّسْبةِ (**لِلذّكرِ**[٢] **والأمةِ**) لِأنّ عوْرتهُما ما بيْن السُّرّةِ والرُّكْبةِ ويكُونُ سترُ ذلِك (**مِنْ كُلّ الْجوانِبِ لا الأسْفلِ**) أيْ لا مِمّا هُو أسْفلُ مِن الْعوْرة.

(**فصْلٌ**) فِي بيانِ مُبْطِلاتِ الصّلاةِ.

(**وتبْطُلُ الصّلاةُ بِالْكلامِ**) أيْ بِما كان مِنْ كلامِ الْبشرِ لا دُعاءً أوْ ذِكْرًا أوْ تِلاوة قُرْءانٍ أيْ إِنْ تكلّم بِهِ الْمُصلّي عامِدًا ذاكِرًا أنّهُ فِي الصّلاةِ عالِمًا بِالتّحْرِيْمِ (**ولوْ**) كان نُطْقُهُ (**بِحرْفيْنِ**) سواءٌ كانا مُفْهِميْنِ أمْ لا (**أوْ**) كان نُطْقُهُ (**بِحرْفٍ**) واحِدٍ (**مُفْهِمٍ**) كقِ فإِنّهُ يُفْهمُ مِنْهُ الأمْرُ بِالْوِقايةِ (**إِلّا أنْ نسِي**) الْمُصلّي كوْنهُ فِي الصّلاةِ (**وقلّ**) الْكلامُ الّذِي تكلّم بِهِ كسِتّ

---

(١) نقل الحافظ المجتهد محمّد بن جرير الطّبريّ في تفسيره إجماع الأمّة على أنّ عورة المرأة الأجنبيّة أمام الرّجل الأجنبيّ جميع بدنها سوى وجهها وكفّيها. الطّبريّ، تفسير الطّبريّ (جامع البيان في تفسير القرءان)، (١٨/ ٩٤).

(٢) أمّا من اعترض على اختلاف المجتهدين في حدّ العورة للرّجل:
يقول المحدّث الشّيخ عبد الله الهرريّ رحمه الله في «البغية» [(٤٧٤)]: «ومن شروط الصّلاة السّتر ما بين السّرّة والرّكبة للذّكر» اهـ، وهذا ما نعمل به والحمد لله. وليعلم أنّ هذه المسئلة من المسائل الّتي اختلف فيها العلماء فقال الشّافعيّ وكثير غيره «إنّ عورة الرّجل ما بين سرّته وركبته». وقال الإمام المجتهد محمّد بن جرير الطبري و التّابعي الجليل عطاء بن أبي رباح والإمام مالك في قول له وكذلك الإمام أحمد بن حنبل في قول له: «أنّ عورته السّوأتان فقط»، ولهم في ذلك أحاديث في البخاري وغيره كحديث أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ يوم خيبر حسر الإزار عن فخذه، قال أنس: «حتّى إنّي لأنظر إلى بياض فخذ نبيّ الله ﷺ» رواه البخاري.

كلِماتٍ عُرْفِيّةٍ أوْ أقلّ فلا تبْطُلُ صلاتُهُ حِينئِذٍ[١].

(و) تبْطُلُ الصّلاةُ أيْضًا (بِالْفِعْلِ الْكثِيرِ و) اخْتلف الشّافِعِيّةُ فِي بيانِهِ إِذْ (هُو عِنْد بعْضِ الْفُقهاءِ) الشّافِعِيّةِ (ما) أي الْعملُ الّذِي (يسعُ قدْر ركْعةٍ مِن الزّمنِ) مُتوالِيًا (وقِيل) الْفِعْلُ الْكثِيرُ هُو (ثلاثُ حركاتٍ مُتوالِياتٍ) ولوْ بِأعْضاءٍ مُتعدّدةٍ ومِنْ ذلِك ما لوْ خطا ثلاث خطواتٍ مُتوالِياتٍ وهُو الْمشْهُورُ فِي الْمذْهبِ وقِيل غيْرُ ذلِك. قال الشّيْخُ رحِمهُ الله (و) الْقوْلُ (الأوّلُ) وهُو ما يسعُ قدْر ركْعةٍ مِن الزّمنِ (أقْوى دلِيلًا) لِأنّهُ أوْفقُ لِظاهِرِ بعْضِ الأحادِيثِ.

(و) تبْطُلُ الصّلاةُ (بِالْحركةِ) الْواحِدةِ (الْمُفْرِطةِ) كالْوثْبةِ الْفاحِشةِ (وبِزِيادةِ رُكْنٍ فِعْلِيّ) عمْدًا كأنْ ركع رُكُوعيْنِ فِي ركْعةٍ واحِدةٍ مِن الْفرِيضةِ (وبِالْحركةِ الْواحِدةِ) إِذا كانتْ (لِلّعِبِ) ولوْ لمْ تكُنْ مُفْرِطةً. (و) تبْطُلُ الصّلاةُ (بِالأكْلِ والشُّرْبِ) أيْ بِإيصالِ الطّعامِ أوِ الشّرابِ إِلى الْجوْفِ (إِلّا أنْ نسِي) الْمُصلّي أنّهُ فِي الصّلاةِ (وقلّ) ما أكلهُ أوْ شرِبهُ. (و) تبْطُلُ الصّلاةُ (بِنِيّةِ قطْعِ الصّلاةِ) فِي الْحالِ أوِ بعْدهُ (وبِتعْلِيقِ قطْعِها) أي الصّلاةِ (على شيْءٍ) كأنْ علّق قطْعها على وُصُولِ زيْدٍ بطلتْ حالًا (وبِالتّردُّدِ فِيهِ) أيْ فِي قطْعِها فإِنّها تبْطُلُ حالًا بِخِلافِ ما يخْطُرُ على القلْبِ مِنْ غيْرِ إِرادةٍ مِمّا لا يُورِثُ تردُّدًا أوْ جزْمًا بِالْقطْعِ فلا تأْثِير لهُ. (و) تبْطُلُ أيْضًا (بِأنْ يمْضِي رُكْنٌ) مِنْ أرْكانِ الصّلاةِ (مع) وُجُودِ (الشّكّ فِي نِيّةٍ) الصّلاةِ هلْ أتى بِها أوْ لا فِي تكْبِيرةِ (التّحرُّمِ) كأنْ ينْتقِل مِنْ رُكْنٍ فِعْلِيّ إِلى رُكْنٍ فِعْلِيّ ءاخر مع الشّكّ فِي نِيّةِ التّحرُّمِ (أوْ يطُول زمنُ الشّكّ) ولوْ لمْ يمْضِ رُكْنٌ فإِنّ الصّلاة تبْطُلُ بِذلِك.

---

(١) إذا ذكر الله أثناء صلاته فقال الله أكبر بقصد تنبيه شخص بسبب حادث حصل أمامه فعند بعضهم إذا كان بغير نيّة الذّكر تفسد لكن قال بعضهم لا تفسد مطلقًا.

(**فصْلٌ**) فِي بيانِ شُرُوطِ قبُولِ الصّلاةِ عِنْد اللهِ تبارك وتعالى.

(**وشُرِط مع ما مرّ**) مِن الشُّرُوطِ (**لِقبُولِها عِنْد اللهِ سُبْحانهُ وتعالى**) أيْ لِتكُون مقْبُولةً فينال بِها الثّواب مِن اللهِ (**أنْ يقْصِد بِها وجْه اللهِ**) أي امْتِثال أمْرِ اللهِ (**وحْدهُ**) ولا يكُون قصْدُهُ ثناء النّاسِ عليْهِ وإلّا كان مُرائِيًا (**وأنْ يكُون مأْكلُهُ**) الّذِي فِي بطْنِهِ حال صلاتِهِ (**وملْبُوسُهُ**) الّذِي يلْبسُهُ حال صلاتِهِ (**ومُصلاهُ**) أي الْمكانُ الّذِي يُصلّي فِيهِ (**حلالًا وأنْ يخْشع للهِ قلْبُهُ فِيها**) أي الصّلاةِ (**ولوْ**) كان خُشُوعُهُ (**لحْظةً فإِنْ لمْ يحْصُلْ ذلِك**) مِنْهُ فِي كُلّ الصّلاةِ أيْ إِنْ لمْ يخْشعْ فِي صلاتِهِ ولوْ لحْظةً (**صحّتْ صلاتُهُ بِلا ثوابٍ**) والْخُشُوعُ[1] هُو اسْتِشْعارُ خوْفِ التّعْظِيمِ[2] والإِجْلالِ للهِ تعالى.

---

(١) الخشوع عمل قلبيّ يتوصّل إليه بالأسباب على حسب مشيئة الله. جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَاتِ المَوْتِ**» أي قاطع اللّذات. فمن أسباب الخشوع الإكثار من ذكر الموت لاسيَّما عند الدّخول في الصّلاة ويقول في نفسه: «لعلّ هذه الصّلاة ءاخر صلاتي» أي لعلّي لا أعيش بعدها فيصير في قلبه خوف من الله. فاحرص أن لا تكون من هؤلاء الّذين إذا دخلوا في الصّلاة تشغلهم أموالهم وأولادهم وأزواجُهم وأعمالهم الدّنيويّة عن الخشوع في الصّلاة. الخشوع هو أن يظلّ مستشعرًا بالخوف من الله إمّا كلّ الصّلاة أو بعض الصّلاة لكن هذا يستلزم سكون الجوارح أمّا الّذي ما يزال متحرّكًا هذا لا يقال عنه خاشع، هو يعوّد نفسه استشعار عظمة الله، يستشعر الخوف من الله، هذا يجرّه إلى الخشوع.

(٢) وقد جاء رجل إلى النّبيّ ﷺ فقال: «عِظْني وَأَوجِز» فقال: «**إذا قُمْتَ في صَلاتِكَ فَصَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ**» الحديث. أحمد، في مسنده، (٣٨/ ٤٨٤). أي كأنّها ءاخر صلاة يصلّيها لا يعيش بعدها، فيحسّنها ويُجمّلها بالخشوع ويأتي بآدابها. وكان عليه الصّلاة والسّلام يقول لبلال بن ربّاح الحبشي: «**يا بِلالُ أَرِحْنا بالصّلَاةِ**». أحمد، في مسنده، (٦/ ٢٣٠). فالصّلاة لذّة المتّقين.



لجريجٍ كرامة بِصَلاةٍ وَإِقامَة سلامة بالإستقامة

جريج العابد

يُروى أنّ فتًى يُقالُ لهُ: جُريجٌ كان في صومعةٍ يترهّبُ فيها، فجاءتهُ أُمُّهُ تُسلّمُ عليه، فقال: الصّلاةُ أحقُّ والصّلاةُ آثرُ، فلم يُجبها، ثُمّ جاءتهُ الثّانيةَ فكذلك، ثُمّ الثّالثةَ فَغَضِبَت، فقالت: لا أماتني الله حتّى أراكَ مَعَ المُومساتِ - تعني مع الزّانياتِ - فمكث ما شاء الله، فجاء راعي غنمٍ يومًا فاستظلَّ في صومعتِه، ثُمّ مرَّت جاريةٌ فقام إليها الرّاعي فوطئها، فحملت، فسألُوها فقالت: مِن الرّاهب، فذهبُوا إليه فكلّمُوهُ فلم يُكلِّمْهُم، فأرادُوا أن يهدمُوا صومعتهُ فكلّمهُم، وسأل الله أن يُفرّج عنهُ، فقالُوا: يا مُرائي، هذه الجاريةُ قد حَمَلَتْ منك، فعرفَ أنّها دعوةُ أُمِّهِ، فقال: دعُوني أُصلّي سجدتَين، قال: فصلّى سجدتَين، فسألَ الله أن يُفرِّج عنهُ، فقام إليها، فوضع إصبعهُ على بطنِ الغُلام، فقال: مَن أبُوكَ؟ قال: راعي آلِ فُلانٍ، فنجا. وهذه كرامة له لأنّه كان على الإسلام الّذي هو دينُ كلِّ الأنبياء.



للإجادةِ بجهادِ البيانِ وبيانِهِ

إخلَاصُ العمَلِ وإتقانُه

أوصيكم بإخلاص العمل فيما يرضي الله تعالى، فالله تبارك وتعالى أمر عباده بأن يتّقنوا عملهم بالإخلاص له فيما يوافق الشّرع، ووعد

العاملين على هذا المنهج بالفوز العظيم. أخلصوا النيّة لله، الله تعالى لا يقبل عملًا إلّا ما كان خالصًا له، فمطلوب من العاملين الّذين يعملون فيما يرضي الله أن يبذلوا جهدهم بلا توانٍ ولا كسل رغبة بالأجر من الله، مع الاحتياط التّام للمحافظة على المصلحة الشّرعية، فمن قام بهذا فقد نال أجرًا عظيمًا عند الله لأنّ هذا العمل أُسّس لحفظ عقيدة أهل السّنّة والجماعة، فالعامل في ذلك مخلصًا لله تعالى له أجر عظيم وفوز عظيم ويثاب ثواب المجاهد في سبيل الله، لأنّ الجهاد جهادان: «جهاد بالسّنان وجهاد بالبيان»، نحن عملنا جهاد بالبيان، ابذلوا جهودكم في هذا المجال تفوزون من الله تبارك وتعالى بالفوز العظيم. إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾ [سورة ءال عمران].

وإيّاكم والكسل لأنّ الكسل استعاذ منه رسول الله ﷺ، في جملة دعواته ذكر الاستعاذة من الكسل، والصّحابة كانوا أصحاب همّة عظيمة في الدّعوة إلى الله، لو كانوا كسالى ما وصل الدّين إلينا. المقصود من ذلك ترك التّواني في كلّ عمل خير يحبّه الله تعالى، أي أداؤه بإخلاص وهمّة قويّة. احمدوا الله أنّكم لا تحملون دعوة ضلالة، وبعضكم همَّته ضعيفة في نشر الحقّ الّذي يحمل، أمّا تستحون من أنفسكم؟!!



يُقالُ إذا تعارّ[١] من فراشه: «**لا إلٰهَ إلّا أنْتَ سُبحَانَكَ، اللَّهمَّ أستغفِرُكَ لذنبِي، وأسألُكَ رحمتَكَ، اللَّهمَّ زِدني عِلمًا ولَا تُزِغْ قَلبِي بعدَ إذ هدَيتَنِي وهَبْ لي من لدُنكَ رحمةً إنَّكَ أنتَ الوهابُ**».



(١) تعار: هب من نومه واستيقظ. ابن منظور، لسان العرب، (٤/ ٩١)، مادة ت ع ر.

الدّرس الحادي والعشرون

(**فصْلٌ**) فِي بيانِ أرْكانِ الصّلاةِ[١].

(**أرْكانُ الصّلاةِ سبْعة عشر**) رُكْنًا فالرُّكْنُ (**الأوّلُ**) هُو (**النّيّة بِالْقلْبِ لِلْفِعْلِ**) أيْ لِفِعْلِ الصّلاةِ فلوْ لمْ يُجْرِ لفْظًا على لِسانِهِ لمْ يضُرّهُ إنِ اسْتحْضر النّيّة بِقلْبِهِ، ولا بُدّ أنْ تكُون النّيّةُ عِنْد التّكْبِيرِ[٢] (**ويُعيّن**) فِي النّيّةِ الصّلاة (**ذات السّببِ**) كالْخُسُوفِ والِاسْتِسْقاءِ (**أوْ**) ذات (**الْوقْتِ**) كالْعصْرِ والضُّحى[٣] (**و**) لا بُدّ أنْ (**ينْوِي الْفرْضِيّة فِي الْفرْضِ**) فتكُون النّيّةُ مثلًا أُصلّي فرْض الْعصْرِ ونحْو ذلِك.

---

(١) قال الله تعالى ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [سورة البقرة]. فالصّلاة شأنها عظيم، فإنّها أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله ﷺ. وقُرِنَ ذكر الصّلاة بالإيمان بالله ورسوله ﷺ في القرءان المبين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾ [سورة البقرة]. وكم قرن ذكر ترك الصّلاة بالكفر والعياذ بالله، قال تعالى إخبارًا عن ملائكة العذاب يسألون أهل النّار توبيخًا لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦﴾ [سورة المدثر].

قال رسول الله ﷺ: «**خمسُ صَلَواتٍ كَتَبَهُنَّ الله على العِبادِ مَنْ أتى بِهِنَّ بِتَمامِهِنَّ كانَ لَهُ عَهْدٌ عندَ الله أن يُدخلَهُ الجنّة ومَنْ لَمْ يأتِ بِهِنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَهْدٌ عِندَ الله أنْ يُدخِلَهُ الجَنّة إنْ شَاءَ عَذّبَهُ وإنْ شاءَ عَفَا عَنهُ**» رواه الطّبراني والإمام أحمد.

(٢) استصحاب النّيّة أي استدامة النّيّة في الوضوء والصّلاة فيه ثواب لو قال وهو يصلّي بقلبه: «أصلّي الظّهر أصلّي الظّهر» له ثواب، أو «أنا في صلاة الظّهر أنا في صلاة الظّهر».

(٣) **فائدة**: مقارن الكسوف متقدّم الطّوف تطوف ثمّ تصلّي متأخرًا مثل ركعتي الطّريقة نصلّي ثمّ نأخذ الطّريقة كذلك صلاة ركعتي الإحرام. مثل تنوي الإحرام بحجّ أو عمرة ثمّ تصلّي ركعتي الإحرام.

أمّا الّتي لها سبق متقدّم (ركعتين بعد الطّواف) أو مقارن (مثل الكسوف) يجوز أن نصلّيها بعد أوقات الصّلوات الخمس.

(و) الرُّكْنُ الثّانِي هُو أنْ (يقُول) الْمُصلّيْ (بِحيْثُ يُسْمِعُ نفْسهُ ككُلّ رُكْنٍ قوْلِيٍّ) مِثْلِ الْفاتِحةِ والتّشهُّدِ الأخِيرِ (الله أكْبرُ) ويُشْترطُ فِيهِ أنْ لا يمُدّ الْهمْزة فِي أوّلِ لفْظِ الْجلالةِ ولا الْباء وأنْ لا يزِيد واوًا قبْل لفْظِ الْجلالةِ أوْ بيْن لفْظِ الْجلالةِ وكلِمةِ أكْبر وأنْ لا يُبْدِل الواو بِهمْزةِ أكْبر فإنْ أخلّ بِشرْطٍ مِنْ ذلِك لـمْ تنْعقِدْ صلاتُهُ (وهُو) أي التّكْبِيرُ (ثانِي أرْكانِها) أي الصّلاةِ كما مرّ[1].

(الثّالِثُ) هُو (الْقِيامُ فِي الْفرْضِ[2]) ولوْ نذْرًا وجِنازةً (لِلْقادِرِ[3]) عليْهِ وشرْطُ الْقِيامِ الِاعْتِمادُ على قدميْهِ ونصْبُ فقارِ ظهْرِهِ وأمّا غيْرُ الْقادِرِ فيُصلّي قاعِدًا فإنْ عجز فعلى جنْبٍ فإنْ عجز فمُسْتلْقِيًا.

والرُّكْنُ (الرّابِعُ) هُو (قِراءةُ) سُورةِ (الْفاتِحةِ) لِلْمُنْفرِدِ والإمامِ والْمأْمُومِ ويُشْترطُ قِراءةُ جمِيعِ ءاياتِها (بِالْبسْملةِ) فإنّها أوّلُ ءاياتِها (و) لا بُدّ أنْ

---

(١) الحكمة من رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام أنّ فيه قرنُ تعظيم الله بالفِعْل مع القول، كأنّه يقول أنا لا أعبد هذه الأوثان الّتي في الأرض بل أعبد الله.

(٢) فإن عجز عن القيام بنفسه أو بالاستعانة بأن كانت تلحقه مشقّة شديدة لا تحتمل عادة صحّت صلاته قاعدًا، ويكون ركوع القاعد بأن يحاذي رأسه ما قُدَّام ركبتيه والأفضل أن يحاذي موضع سجوده، فإن عجز عن القعود وجب عليه أن يُصلّي الفرض مضطجعًا على جنب وجب عليه أن يصلّيها مستلقيًا ويرفع رأسه ومقدّم صدره وجوبًا ولو قليلًا بوجهه إلى القبلة لأنّه إن لم يفعل ذلك يكون استقبل السّماء فلا تصحّ صلاته فإن لم يستطع رفع رأسه اقتصر على توجيهه اخمصيه إلى القِبلة، فإن عجز عن ذلك كلّه كأن يكون لا يستطيع إلّا أن ينبطح على وجهه صلّى وهو على هذه الحال ورفع رأسه إن أمكن وأشار به للرّكوع وللسّجود أخفض فإن عجز عن تحريك رأسه صلّى بطرفه أي بجفنه أي يحرك جفنه بنيّة الرّكوع ثمّ بنيّة السّجود ويخفض للسّجود أشدّ ولا يصحّ الإغماض إشارة للرّكوع. فإن عجز عن ذلك كلّه أجرى الأركان الفعليّة على قلبه. وأمّا الأركان القوليّة فيقرؤها بلسانه فإن ارتبط لسانه أجراها أيضًا على قلبه.

(٣) ولا يجب نصب الرّقبة بل يُسنُّ خفض رأسه إلى الأمام قليلًا ويسنُّ وضع يديه بعد التحرّم تحت صدره وفوق سُرَّته.

يأْتِي (**بِالتّشْدِيداتِ**) وعددُها أرْبع عشْرة شدّةً (**ويُشْترطُ**) مُراعاةُ (**مُوالاتِها**) بِأنْ لا يفْصِل بيْن كلِماتِها بِأكْثر مِنْ سكْتةِ التّنفُّسِ (**و**) مُراعاةُ (**ترْتِيبِها**) بِأنْ يأْتِي بِها على نظْمِها الْمعْرُوفِ (**و**) مُراعاةُ (**إِخْراجِ الْحُرُوفِ مِنْ مخارِجِها**) وأوْلى الْحُرُوفِ عِنايةً بِذلِك الصّادُ إِذْ إِنّ كثِيرًا مِن النّاسِ لا يُخْرِجُونها مِنْ مخْرجِها فيُخْرِجُونها بيْن السّينِ والصّادِ لا هِي سِينٌ محْضةٌ ولا صادٌ محْضةٌ (**وعدمُ اللّحْنِ**[1] **أي الْخطأِ فِي الْقِراءةِ (الْمُخِلّ بِالْمعْنى**) أي الْمُغيّرِ أوِ الْمُبْطِلِ لهُ فالْمُغيّرُ (**كضمّ تاءِ أنْعمْت**) أوْ كسْرِها والْمُبْطِلُ كقِراءةِ الّذِين بِالزّايِ بدل الذّالِ فإِنّهُ لا معْنًى لهُ.

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**تَعَلَّمُوا القُرْءَانَ واقْرَؤُوهُ وارْقُدُوا، فَإِنَّ مَثَلَ القُرْءَانِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍ مِسْكًا يَفُوحُ رِيحُهُ في كُلِّ مَكَانٍ ومَثَلُ مَنْ تَعَلَّمهُ فَيرقُدُ وَهُوَ فِي جَوفِهِ كَمَثَلِ جِرابٍ أُوكِئَ عَلَى مِسْكٍ**» رواه التّرمذيّ وابن حبّان. ومعنى قوله «**وَارْقُدُوا**» اجعلوا ءاخر عملكم باللّيل قراءة شيء منه قبل النّوم. والجراب وعاء معروف. ومعنى «**أُوكِئَ**» أقفل. ومعنى قوله «**وَقَامَ بِهِ**» أي عمل بما فيه ويشمل ذلك العقيدة والأحكام. قال «**تَعَلّمُوا كِتابَ الله وتَعَاهَدُوهُ وتَغنَّوا بِهِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ المَخاضِ في العُقُلِ**» رواه أحمد. قوله: «**تَعَاهَدُوهُ**» أي إلزموه، وقوله «**تَغَنَّوا بِهِ**» أي اقرأوه بتحزين وترقيق مع مراعاة تصحيح القراءة وأحكام التّجويد، وقوله «**تَفَلُّتًا**» أي ذهابًا، والمخاض النوق الحوامل، والعُقُل جمع عِقال وهو ما يربط به البعير.

قال ﷺ «**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعدِلُ ثُلُثَ القُرءانِ وقُلْ يا أيُّها الكَافِرونَ تَعدِلُ رُبُعَ القُرءان**» رواه الطّبراني والحاكم، ومعنى «**تَعْدِلُ**» تشبه إذ لا يصحّ أن يكون من قرأ سورة الإخلاص مثلًا أجره مساويًا تمامًا لمن قرأ ثلث القرءان. وعن جابر بن عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ الله أحد كُلَّ يَوْمٍ خَمْسِينَ مَرَّةً نُودِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ منْ قَبْرِهِ قُمْ يَا مَادِحِ الله فَادْخُلِ الجنَّة**». رواه الطّبراني. وقال ﷺ «**الصِّيامُ والقُرْءانُ يَشْفَعانِ لِلعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَواتِ بِالنَّهَارِ فَشفِّعْنِي فِيهِ ويَقُولُ القُرْءانُ رَبِّ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعنِي فِيهِ فَيُشْفَعَانِ**» رواه أحمد والطّبراني.

من أحكـــام التجويـــد

أحكام النّون الساكنة والتّنوين

١ـ الإظهـار: وحروفه ستّة وهي:

الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء.

أمثـلة: ﴿مَنْ أَتَى﴾ و﴿مَنْ هَاجَرَ﴾ و﴿سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ و﴿مِنْ غَيْرِ﴾ و﴿مِّنْ خَوْفٍ﴾.

٢ـ الإدغـام: وحروفه ستّة مجموعة في «يرملون».

أمثلة: ﴿مَن يَعْمَلُ﴾ و﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ و﴿صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ و﴿إِن نَّشَأْ﴾ و﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ و﴿مِّن رَّبِّ رَّحِيمٍ﴾.

ملاحظة: الإدغام قسمان: بغنّة ـ وبلا غنّة.

١ـ الإدغام بغنّة وحروفه مجموعة في «ينمو».

٢ـ الإدغام بلا غنة له حرفان اللّام والرّاء.

٣ـ الإقلاب: وله حرف واحد وهو الباء. فتُقلب النّون السّاكنة والتّنوين ميمًا مخفاة بغنّة. مثلا: ﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ و﴿مِنۢ بَعْدِ﴾.

٤ـ الإخفـاء: وحروفه هي المتبقّية من حروف الهجاء وعددها خمسة عشر حرفًا.

أمثلة: ﴿أَنتُمْ﴾ و﴿مَآءَ ثَجَّاجًا﴾ و﴿أَندَادًا﴾ و﴿مَّنضُودٍ﴾ و﴿قَرْيَةً كَانَتْ﴾ و﴿مِن قَبْلُ﴾ و﴿مِن سُوٓءٍ﴾.

–الميم والنّون المشدّدتان: ينبغي غنّهما بقدر حركتين مع الإشباع.

أمثلة: ﴿لَمَّا﴾ و﴿ثُمَّ﴾ و﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ و﴿ٱلنَّاسِ﴾.

– الميم السّاكنة لها ثلاثة أحكام:

١ـ الإخفاء عند الباء مع غنّة. مثلا: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

٢ـ الإدغام مع الميم المتحرّكة (بغنّة). مثلا: ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾.

٣ـ الإظهار عند بقيّة الحروف.

مثلا: ﴿عَلَيْهِمْ وَلَا﴾ و﴿ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ﴾.

– إذا التقى حرفان متماثلان الأول ساكن والثّاني متحرّك فينبغي إدغامهما مثلا: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ﴾ و﴿قُل لَّا﴾ و﴿وَقَد دَّخَلُواْ﴾.

وإذا كان الحرفان نونين أو ميمين فينبغي غنّهما.

مثلا: ﴿إِن نَّشَأْ﴾ و﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾.

– حروف القلقلة مجموعة في «قطب جد».

أمثلة: أحد – الفلق – كسب – مع الوقف عندها.

– حروف الهمس مجموعة في: «فحثّه شخص سكت» حال سكونها.

أمثلة: «يَكْتُبَ» و«يُصْرَفْ» و﴿يَفْعَلْ﴾ و﴿تَبَّتْ﴾

– حروف التّفخيم مجموعة في: «خُصّ ضغْطٍ قِظ».

أمثلة: «خرج» «صار» «ضرب».



(**ويحْرُمُ اللّحْنُ الّذِي لمْ يُخِلّ**) ككسْرِ نُونِ نعْبُدُ (**ولا يُبْطِلُ**) الصّلاة، والرُّكْنُ (**الْخامِسُ**) هُو (**الرُّكُوعُ**) وذلِك (**بِأنْ ينْحنِي**) الْمُصلّي مِنْ غيْرِ انْخِناسٍ[1] (**بِحيْثُ تنالُ**) أيْ تبْلُغُ (**راحتاهُ رُكْبتيْهِ**) لوْ وضعهُما عليْهِما مع اعْتِدالِ الْخِلْقةِ فلا يكْفِي بُلُوغُ الأصابِعِ وحْدها.

والرُّكْنُ (**السّادِسُ**) هُو (**الطُّمأْنِينةُ فِيهِ**) أيْ فِي الرُّكُوعِ (**بِقدْرِ سُبْحان اللهِ و**) الطُّمأْنِينةُ (**هِي سُكُونُ كُلّ عظْمٍ**) واسْتِقْرارُهُ (**مكانهُ دُفْعةً واحِدةً**)، والرُّكْنُ (**السّابِعُ**) هُو (**الِاعْتِدالُ**) وذلِك بِأنْ يعُود الرّاكِعُ إِلى ما كان علَيْهِ قبْل الرُّكُوعِ فإِنْ كان قبْل الرُّكُوعِ قائِمًا فيكُونُ اعْتِدالُهُ (**بِأنْ ينْتصِب بعْد الرُّكُوعِ قائِمًا**) وهكذا، والرُّكْنُ (**الثّامِنُ**) هُو (**الطُّمأْنِينةُ فِيهِ**) أيْ فِي الِاعْتِدالِ، والرُّكْنُ (**التّاسِعُ**) هُو (**السُّجُودُ مرّتيْنِ**) فِي كُلّ ركْعةٍ وذلِك (**بِأنْ يضع جبْهتهُ**) وهِي ما بيْن الْجبِينيْنِ (**كُلّها أوْ بعْضها على مُصلّاهُ**) أيْ موْضِعِ سُجُودِهِ حالة كوْنِها (**مكْشُوفةً ومُتثاقِلًا بِها**) بِحيْثُ لوْ كان تحْتهُ قُطْنٌ لانْكبس وظهر أثرُهُ على يدِهِ لوْ فُرِضتْ تحْت الْقُطْنِ (**و**) أنْ يكُون مع ذلِك (**مُنكّسًا أيْ**) بِأنْ (**يجْعل أسافِلهُ أعْلى مِنْ أعالِيهِ و**) يُشْترطُ أنْ (**يضع شيْئًا**) ولوْ جُزْءًا يسِيرًا (**مِنْ رُكْبتيْهِ ومِنْ بُطُونِ كفّيْهِ ومِنْ بُطُونِ أصابِعِ رِجْليْهِ**) على مُصلاهُ ولوْ لمْ تكُنْ مكْشُوفةً (**وقال بعْضُ الْعُلماءِ خارِج الْمذْهبِ**) الشّافِعِيّ وهُمُ الْحنابِلةُ (**ليْس شرْطًا فِي السُّجُودِ التّنْكِيسُ فلوْ**) سجد بِحيْثُ (**كان رأْسُهُ أعْلى مِنْ دُبُرِهِ صحّتِ الصّلاةُ عِنْدهُمْ**).

والرُّكْنُ (**الْعاشِرُ**) هُو (**الطُّمأْنِينةُ فِيهِ**) أيْ فِي السُّجُودِ، والرُّكْنُ (**الْحادِي عشر**) هُو (**الْجُلُوسُ بيْن السّجْدتيْنِ**)، و(**الثّانِي عشر الطُّمأْنِينةُ فِيهِ**) والرُّكْنُ (**الثّالِث عشر**) هُو (**الْجُلُوسُ لِلتّشهُّدِ الأخِيرِ وما بعْدهُ مِن الصّلاةِ على النّبِيّ**) ﷺ[2].

---

(١) أي ثني الرّكبتين كثيرًا إلى حدّ لا يعدّ ركوعًا.

(٢) صلاة الله على نبيّه زيادةُ التّعظيم، ومعنى صلاة الملائكة أنّهم يطلبون من الله زيادة البركة لنبيّه أي أن يزيد سيّدنا محمّدًا تعظيمًا.

(والسّلام)، والرُّكْنُ (الرّابع عشر) هُو (التّشهُّدُ الأخِيرُ فيقُولُ التّحِيّاتُ الْمُباركاتُ الصّلواتُ الطّيّباتُ للهِ السّلامُ عليْك أيُّها النّبِيُّ ورحْمةُ اللهِ وبركاتُهُ السّلامُ عليْنا وعلى عِبادِ اللهِ الصّالِحِين أشْهدُ أنْ لا إِله إِلا الله وأشْهدُ أنّ مُحمّدًا رسُولُ اللهِ) وهُو أكْملُ التّشهُّدِ (أوْ) يقُولُ (أقلّهُ وهُو التّحِيّاتُ للهِ سلامٌ عليْك أيُّها النّبِيُّ ورحْمةُ اللهِ وبركاتُهُ سلامٌ عليْنا وعلى عِبادِ اللهِ الصّالِحِين أشْهدُ أنْ لا إِله إلّا الله وأنّ مُحمّدًا رسُولُ اللهِ).

والرُّكْنُ (الْخامِس عشر) هُو (الصّلاةُ على النّبِيّ وأقلُّها) (اللّهمَّ صلّ على مُحمّدٍ) أوْ نحْوُهُ مِثْلُ صلّى الله على مُحمّدٍ[1]، والركن (السّادِس عشر) هُو (السّلامُ) الأوّلُ (وأقلُّهُ السّلامُ عليْكُمْ) ويُشْترطُ فِيهِ الإِتْيانُ بأل وبِمِيمِ عليْكُمْ والْمُوالاةُ بيْن كلِمتيْهِ.

والرُّكْنُ (السّابع عشر) هُو (التّرْتِيبُ) لِأرْكانِ الصّلاةِ كما ذُكِرتْ (فإِنْ تعمّد) الْمُصلّيْ (تركهُ) أي التّرْتِيبِ بِأنْ قدّم رُكْنًا قوْلِيًّا هُو السّلامُ أوْ رُكْنًا فِعْلِيًّا على محلّهِ (كأنْ سجد قبْل رُكُوعِهِ بطلتْ) صلاتُهُ لِتلاعُبِهِ (وإِنْ سها) بِترْكِهِ التّرْتِيب (فلْيعُدْ إليه) أيْ إِلى الْمتْرُوكِ ولْيُتِمّ صلاتهُ (إِلّا أنْ يكُون) السّاهِي لمْ يتذكّرْ ترْك الرُّكْنِ إِلّا بعْد شُرُوعِهِ (فِي) رُكْنٍ (مِثْلِهِ) أيْ مِثْلِ الْمتْرُوكِ (أوْ) لمْ يتذكّرْ إِلّا بعْد شُرُوعِهِ فِي رُكْنٍ (بعْدهُ) أيْ بعْد مِثْلِ الْمتْرُوكِ (فتتِمُّ بِهِ) أيْ بِمِثْلِ الرُّكْنِ الْمتْرُوكِ (ركعتُهُ) الّتِي نقص مِنْها رُكْنًا (ولغا) حِينئِذٍ (ما سها بِهِ) أيْ ما فعلهُ حالة سهْوِهِ وهُو ما بيْن الْمتْرُوكِ والْمِثْلِ الْمفْعُولِ الّذِي تمّتْ بِهِ الرّكْعةُ (فلوْ لمْ يذْكُرْ ترْكهُ لِلرُّكُوعِ) مثلًا (إِلّا بعْد أنْ ركع فِي الْقِيامِ الّذِي بعْدهُ أوْ فِي السُّجُودِ الّذِي بعْدهُ) تمّتْ بِرُكُوعِهِ ركْعتُهُ و(لغا ما فعلهُ بيْن ذلِك).

---

(١) إذا لم يقل في الجّلوس الأخير في الصّلاة على النّبيّ «وعلى آل محمّد» مكروه، لكن ليس كراهة شديدة، والصّلاة على الآل في الصّلاة في التّشهد الأخير من أبعاض الصّلاة، فإن تركها يسجد للسّهو.

اعلم أنّ أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله الصّلاة. يجب أداء كلّ من الصّلوات الخمس في أوقاتها لا قبلها ولا بعدها. وفيما يلي أركان الصّلاة وبعضًا من سننها:

أركان الصّلاة



- **استقبالُ القِبْلة :** قِفْ مستقبلًا الكعبة الشّريفة بصدرك.
- **النّيّة :** تكونُ بالقلب مقرونةً بتكبيرة الإحرام، كأنْ تقول في قلبك مثلًا: أصلّي الظّهر أو أصلّي فرض الظّهر، ويكفيه عند الإمام مالك وأبي حنيفة أن ينوي قبل التّكبير بقليل. وهذا من الأركان.
- **تكبيرةُ الإحرام:** تقولُ: «الله أكبرُ» وأنت ترفع يديك إلى محاذاة الأذنين، وهذا الرّفع من سنن الصّلاة.
- **القيامُ في الفرض للقادر.**
- **قراءة سورة الفاتحة.**
- **الرُّكوع:** بأن تنحني بحيثُ تصلُ راحتاك إلى ركبتيْك. والرّاحتانِ: هما ما عدا الأصابع من باطن الكفّين.

ويُسنُّ أن تقول عند ابتداءِ الرّكوعِ: «الله أكبرُ»، وأن تقول في الرّكوع: «سبحان ربي العظيم» ثلاث مرات.



- **الطُّمأنينةُ في الرّكوع:** معناهُ أنْ تستقرّ كلُّ أعضائك دفعةً واحدةً بقدْر قولِ: «سبحان الله».
- **الاعتدال:** أي أن تعود إلى ما كنت عليه قبل أنْ تركّع.

ويُسنُّ أن تقول عند الرفع من الرّكوع: «سمع الله لمن حمده» ، وإذا استويت قائمًا تقول: «ربنا لك الحمدُ» أو: «ربّنا ولك الحمد».

- **الطُّمأنينةُ في الاعتدال.**
- **السّجود:** وهو أن تضع شيئًا من جبهتك مكشوفة وشيئًا من ركبتيْك وشيئًا من بطون كفّيْك وبطون أصابع رجليْك على الأرض.



ويسنُّ أن تقول عند النّزول إلى السّجود: «الله أكبرُ».

- **الطّمأنينةُ فيه :** ويُسنُّ أن تقول في السّجود: «سبحان ربي الأعلى» ثلاث مرات.
- **الجلوسُ بين السّجدتيْن:** أيْ أنْ ترتفع من السّجود إلى الجلوس وتجلس.



ويُسنُّ أن تقول عند الرّفع من السّجود: الله أكبر. ويسّن أن تقول في الجلوس بين السّجدتين: «ربّ اغفر لي وارحمني واجْبُرني وارفعْني وارزقني واهدني وعافني».

- **الطُّمأنينةُ في هذا الجلوس:** وهي ركنٌ من أركانِ الصّلاة.
- **السّجودُ الثّاني:** تفعلُ كما فعلت في السجودِ الأولِ وهو من الأركان.
- **الطّمأنينةُ في هذا السجود:** وهي من الأركان.
- **القيامُ إلى الرّكعة الثّانية :** تقومُ معتمدًا على يديْك أو على قدميْك. ويسنُّ أن تقول عند ابتداءِ القيام: «الله أكبرُ».

وبهذا تكونُ قد أتممْت الرّكعة الأولى.

واعلمْ أنّ التّشهّد الأول والصّلاة على النّبيّ هنا سنّةٌ أمّا في التّشهدِ الثاني فهما من الأركان.

- **تقرأُ التّشهد:** وهو: «التّحيّاتُ المُباركاتُ الصلواتُ الطيّباتُ لله، السّلامُ عليك أيُّها النّبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُهُ، السّلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصّالحين، أشهدُ أنْ لا إله إلّا الله وأشْهدُ أنّ محمّدًا رسولُ الله».
- **تصلّي على النّبيّ:** والأكملُ في الصّلاةِ على النّبيّ أن تقول: «اللهمّ صلّ على محمّدٍ وعلى ءالِ محمّد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى ءالِ إبراهيم إنّك حميدٌ مجيد، اللّهمّ بارِكْ على محمدٍ وعلى ءالِ محمد، كما باركْت على إبراهيم وعلى ءالِ إبراهيم إنك حميدٌ مجيد»، ولو اقتصرت على قول: «اللّهمّ صل على محمّد» صحّت الصّلاة.

ثُمّ تدْعُو بعد ذلك بما أحببْت من أمورِ الخير كأن تقول مثلًا: «ربّنا ءاتنا في الدّنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقنا عذاب النّار. ربّنا لا تُزِغْ قُلُوبنا بعد إذْ هديْتنا، وهبْ لنا من لدُنْك رحمةً إنّك أنت الوهّاب».

- **السّلامُ:** لإنهاء صلاتك تقولُ: السّلامُ عليكُم ، والأكملُ أن تقول: السّلامُ عليكُم ورحمةُ الله. ويُسنُّ أن تبدأ بالسّلامِ مستقبلًا القبلة بوجهك. ويُسنُّ الالتفاتُ في التسليمة الأُولى إلى الجانبِ الأيمنِ والالتفاتُ في الثّانية إلى الجانبِ الأيسرِ.
- **التّرتيبُ في أركانِ الصّلاةِ:** أي تفعلُ أركان الصّلاةِ كما ذُكرتْ.



تدارَسْ تفَقَّهْ تَلَقَّنْ تَلَقَّ العلمَ لتستنِيرَ

كيفيةُ الدراسَةِ والتّحضيرِ

أوصيكم بالثّبات على طلب العلم وتحصيله، فمن أراد الله به خيرًا كثيرًا يكون قويّ الهمّة في العلم، ومن كان ضعيف الهمّة في العلم فهو قليل الخير عند الله. وينبغي لطالب العلم أن يكرّر سبق الأمس خمس مرّات والسّبق هو تحضير الدّرس ومدارسته قبل الحضور بين يدي المدرّس، أو المراد التّلقي مطلقًا، وسبق اليوم الّذي قبل الأمس أربع مرّات والسّبق الّذي قبله ثلاث مرّات والّذي قبله اثنتين والّذي قبله مرّة واحدة فهذا أدعى إلى الحفظ. الشّيخ رغّب أنّ أفضل وقت للحفظ هو وقت السّحر وقال: مَن حازَ العِلمَ وَذاكَرَهُ صَلُحَتْ دُنياهُ وَآخِرَتُهُ فَأَدِمْ لِلعِلمِ مُذاكرةً فحياةُ العلمِ مُذَاكَرةٌ.

كما ينبغي أن لا يعتاد المخافتة في التّكرار لأنّ الدّرس والتّكرار ينبغي أن يكونا بقوّة ونشاط، ولا يجهر جهرًا يجهد نفسه كي لا ينقطع عن التّكرار. وينبغي أن لا يكون لطالب العلم فترة أي انقطاع عن التّحصيل والمذاكرة فإنَّها آفته. وصادق الهمّة في العلم يحبّ تكرار ما تلقَّاه.



جاء بالحقِّ والهدى. . . بالمعجزات مؤيَّدا. . .
لاَحَ بُرهانَ بعثِهِ الأمينَ محمدًا

لخيرِ الكائناتِ معجزاتٌ باهرات

إنَّ المُعجزاتِ الّتي حصلتْ لِرَسُولِ اللهِ مُحمَّدٍ ﷺ فِي حالِ حياتِهِ قِيلَ بين الألفِ والثَّلاثَةِ ءالافٍ، وأَعظمُ المُعجزاتِ مُعْجِزَةُ القُرءَانِ الكريم، المُعْجزِ المُبين وَحَبْلِ الله المتينِ الَّذي وصفَهُ رَبُّنا تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة فصّلت] وقد قال الشَّافعيُّ رضي اللهُ عنه: «ما أَعطى اللهُ نَبيًّا مُعْجِزَةً إِلَّا وَأَعْطَى مُحَمَّدًا مِثْلَهَا أَوْ أَعْظَمَ مِنْهَا». فقيلَ للشَّافعيّ أَعْطى اللهُ عِيسَى إحياءَ الموتى، فقال رضي اللهُ عنه: «أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ حَنِينَ الجِذْعِ حتَّى سُمِعَ صَوْتُهُ فَهَذَا أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ». فقد جاء عن جابرِ بن عبد الله: «إِنَّ امْرَأَةً مِنَ الأنصَارِ قالت يا رَسُولَ اللهِ أَلا أَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا تَقْعُدُ عليهِ فإِنَّ لِي غُلامًا نَجَّارًا، قال: إِنْ شِئْتِ، قالَ فَعَمِلَتْ لَهُ مِنْبَرًا فلمَّا كانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ قَعَدَ على المِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ لَهُ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كان يَخطُبُ عندها حتّى كادت تَنْشَقُّ، فنزل رسولُ اللهِ ﷺ حتَّى أخذها، فضمَّها إليهِ فجعلت تئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ، حتّى استقرَّت، وكان الحسنُ لمَّا يروي هذه الحادثة يبكي ويقولُ: يا مَعْشَرَ المسلمين، الخشبةُ تَحِنُّ إلى رسول اللهِ ﷺ شوقًا إليه، أفليسَ الرِّجالُ الّذين يرجون لقاءه أحقَّ أن يشتاقوا إليهِ».

مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ، مُحَمَّدٌ حبيبُ اللهِ الّذي اضطجع يومًا تحت شجرةٍ فجاء إليه أعرابِيٌّ مُشرِكٌ يريدُ قتلَهُ فقام على رأسِ رسولِ اللهِ ﷺ بالسَّيْفِ

مشهورًا وقال يا مُحَمَّدُ مَن يَمْنَعُكَ مِنِّي اليومَ، فقال النَّبيُّ ﷺ بِقَلْبٍ ثابتٍ: «**اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**» فجاء جبريلُ ودفعَ المُشْرِكَ في صَدْرِهِ فوقَ السَّيْفُ مِنْ يدِهِ فأَخذهُ رسُولُ اللهِ ﷺ وقامَ على رأسِهِ فقال مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي فقالَ لا أَحَدَ، أشْهَدُ أَنْ لا إلٰهَ إِلَّا اللهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ».

وَمِنْ مُعجزاتِهِ أَنَّهُ لمَّا كان الصَّحابةُ الكرامُ يحفُرُونَ الخَنْدَقَ يَومَ الخَنْدَقِ عَرَضَتْ لهم صخرَةٌ كبيرَةٌ فَأَخْبَرُوا بذلك قائدهم مُحَمَّدًا فَجَاءَ ﷺ فأخذَ المِعْوَلَ فَسَمَّى ثلاثًا ثُمَّ ضرب الصَّخْرَةَ فَنَزَلَتْ رَمْلًا سَائِلًا.

ومنْ مُعجزاتِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَنَّهُ أتاه رجُلٌ من أَهْلِ اليَمَامَةِ بِغُلامٍ يَوْمَ وُلِدَ وقد لفَّهُ في خِرْقَةٍ فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا غُلامُ مَنْ أَنَا**» فَأَنطَقَ اللهُ تعالى الغُلامَ فقالَ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فقال لَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَارَكَ اللهُ فيك**» فكان هذا الغُلامُ يُسمَّى مُبارَكَ اليَمَامَةِ.

ومِنْ مُعجزاتِهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ انَّه كان يرى أصحابَهُ وهُم وراء ظهرِهِ فعن أنسَ بنِ مالِكٍ رضيَ اللهُ عنه قال: بَينما رسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْم إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ فقال: «**أيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أَمَامَكُم فلا تَسْبِقُونِي في الرُّكُوعِ وَلا فِي السُّجُودِ ولا تُرْفَعُوا رُؤُسَكُمْ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي وَمِنْ خَلفِي**» الحديثَ.

وفي يومِ حُنَيْنٍ هزم النَّبيُّ ﷺ الكُفَّارَ بحَصَياتٍ رماهُم بها كما روى العبَّاسُ عمُّ النَّبيِّ ﷺ قال: «ثُمَّ أَخَذَ رسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ فِي وُجُوهِ الكُفَّارِ ثُمَّ قالَ: «**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**».

فائِدَةٌ: إِنَّ الّذي يُظهِرُهُ اللهُ تعالى على أيْدِي الأنبياءِ مِنَ الخَوَارِقِ لا يُعارَضُ بالمِثْلِ لأَنَّهُ لَيْسَ سِحرًا، السِّحرُ يُعارَضُ بسِحْرٍ مثلِهِ، أمَّا المُعجِزَةُ لا تُعَارَضن بالمِثْلِ، فالمُعجزَةُ أمرٌ خارِقٌ للعادةِ أي مُخالِفٌ للعادةِ يأتي على وَفْقِ دَعْوَى مَنِ ادَّعَوا النُّبُوَّة سالمٌ من المُعارضةِ بالمثلِ صالحٌ للتَّحدِّي.



يُقالُ عند استفتاح الصّلاة «**اللّهُمّ باعِدْ بَيني وبينَ خَطَاياىَ كَما بَاعَدتَ بينَ المَشرِقِ والمَغْرِبِ، اللَّهمَّ نَقِّني من خطَاياىَ كما يُنقَّى الثّوبُ الأبيضُ منَ الدَّنسِ، اللَّهُمَّ اغسِلْني من خطَايَاىَ بالماءِ والثَّلْجِ والبَردِ**».



الدّرس الثّاني والعشرون

(**فصْلٌ**) فِي شُرُوطِ وُجُوبِ الْجماعةِ والْجُمُعةِ وشُرُوطِ صِحّةِ الْجُمُعةِ وفِي أرْكانِ الْخُطْبتيْنِ وشُرُوطِهِما.

(**الْجماعةُ**)[١] فِي الصّلواتِ الْخمْسِ[٢] (**على الذُّكُورِ الأحْرارِ الْمُقِيمِين**

---

(١) روى البخاريّ ومسلم أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلا تَأْتُوهَا وَأَنْتُم تَسْعَونَ وَائتوها وَأَنْتُمْ تَمْشُون وعَلَيكُمْ السّكِينَةُ فَما أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**» ومعنى قوله: «**وَأَنْتُمْ تَسْعَوْن**» أي تهرولون. وفي هذا الحديث أنّه يندب لقاصد الجماعة المشي إليها بسكينة ووقار وإنْ خاف فوت التّحرّم وأن لا يعبث في طريقه إليها ولا يتعاطى ما لا يليق بها أي لا يتعاطى أثناء توجّهه لصلاة الجّماعة ما لا خير فيه من القول والعمل وذلك لخبر مسلم: «**إِنّ أَحَدَكُمْ فِي صَلَاةٍ ما دَامَ يَعْمَدُ إلى الصَّلَاة**». ومعنى قوله «**إنَّ أَحَدَكُم في صَلَاة**» أي هو في طاعة ما دام متوجّهًا إلى الصّلاة مخلصًا نيّته لله تعالى.
وروى البخاريّ ومسلم أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من غَدَا إلى المَسْجِدِ أو راح أَعَدَّ الله لَهُ نُزُلًا مِنَ الجَنّة كُلّمَا غَدا أو رَاح**» ومعنى «**غَدَا أَوْ رَاحْ**» ذهب ورجع ومعنى «**نُزُلًا**» محلًا ينزله.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَوُوا ولا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُم**». حديث صحيح، رواه مسلم، في صحيحه، كتاب الصّلاة، باب تسوية الصّفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، (٢/ ٣٠). ومعناه الاختلافُ في الصّفوفِ يسبّبُ تنافرًا، لأنّ الشّيطان يُعجِبُهُ ذلك فيُشوّش عليهِم. تسويةُ الصّفّ يُقوّي تآلُف القلوب. وقد قال رسول الله ﷺ: «**أَقِيمُوا الصُّفُوفَ فَإِنَّمَا تَصُفُّونَ بِصُفُوفِ الملائِكَةِ، وَحَاذُوا بَيْنَ المَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الخَلَلَ، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلا تَذَرُوا فُرُجاتٍ لِلشَّيطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ الله، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ**» (أي أبعده من ثوابه ومزيد رحمته، رواه أحمد وأبو داود والطّبراني، قال الشّيخ: حسن.
ومعنى أقيموا الصُّفوف: أي سوُّوها في الصَّلاة فإنَّما تصفُّون بصفوف الملائكة. جاء بيانه في خبر كيف تصفُّ الملائكة قال يُتمّون الصّفوف المقدّمة ويتراصُّون. وحاذوا بين المناكب: أي اجعلوا منكب كلّ مسامتًا لمنكب الآخر. وسدُّوا الخلل: الفُرج الّتي في الصُّفوف. ولينوا بأيدي إخوانكم: أي إذا جاء من يريد الدخول في الصف فوضع يده على منكبه لان وأوسع له ليدخل. ولا تذروا فرجاتٍ للشّيطان: أي لا تتركوا. ومن وصل صفًّا وصله الله: أي برحمته ورفع درجته.

الْبالِغِين) الْعاقِلِين (**غيْرِ الْمعْذُورِين فرْضُ كِفايةٍ**) فلا تجِبُ على النّساءِ والْعبِيدِ والْمُسافِرِين ومنْ هُو دُون الْبُلُوغِ وغيْرِهِمْ مِن الْمعْذُورِين بِعُذْرٍ مِن الأعْذارِ الْمُسْقِطةِ لِوُجُوبِ الْجماعةِ وذلِك كالْمطرِ الّذِي يبُلُّ الثّوْب والْخوْفِ مِن الْعدُوّ بِذهابِهِ إِلى مكانِ الْجماعةِ، ويحْصُلُ الْفرْضُ بِإِقامتِها بِحيْثُ يظْهرُ الشّعارُ.

(**و**) الْجماعةُ[1] (**فِي**) صلاةِ (**الْجُمُعةِ**[2] **فرْضُ عيْنٍ علىْهِمْ**) أيْ على الذُّكُورِ الأحْرارِ الْمُقِيمِين الْبالِغِين الْعاقِلِين غيْرِ الْمعْذُورِين (**إِذا كانُوا أرْبعِين**) ولوْ مع الإِمامِ (**مُكلّفِين مُسْتوْطِنِين فِي أبْنِيةٍ**) سواءٌ كانتْ مِنْ خشبٍ أمْ حجرٍ أمْ طِينٍ و(**لا**) تجِبُ على الْمُسْتوْطِنِين (**فِي الْخِيامِ لأنّها**)

---

(١) وصلاة المسلم مع الجماعة في المساجد يجعله في عداد الرّجال الّذين مدحهم الله ووعدهم بجزيل الثّواب: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة النور]. وصلاة المسلم مع الجماعة تفضل على صلاته وحده بسبع وعشرين درجة، قال النّبيّ ﷺ: «**صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَة، وذلكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى المَسجِدَ لا يَنْهزُهُ - لا تنهضه وتقيمه - إِلَّا الصَّلَاة، لا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلاة، فَلَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، فَإِذا دَخَلَ المَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ ما كانَتِ الصَّلاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالمَلائِكَة يُصَلُّونَ على أَحدِكُمْ ما دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذي صَلَّى فِيه يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ**». مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصّلاة، (٢/١٢٨).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**الصَّلَواتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إلى الجُمعَةِ ورَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ مُكَفِّراتٌ لِما بينَهُنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الكَبائِر**» رواه مسلم.

وقد ورد في صحيح مسلم باب التّغليظ في ترك الجمعة: «وحدثني الحسن بن عليّ الحُلوانيُّ حدّثنا أبو توبة حدّثنا معاوية - وهو ابن سلام - عن زيدٍ - يعني أخاه - أنّه سمع أبا سلام قال حدّثني الحكم ابن ميناء أنّ عبد الله بن عمر وأبا هريرة حدّثاه أنّهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ الله على قُلُوبِهِم ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلين**».

أيِ الْجُمُعة (**لا تجِبُ على أهْلِ الْخِيامِ إذا لم يسمعوا نداء الجمعة وإلا وجبت عليهم أي إذا سمعوا نداء الجمعة**)، (**وتجِبُ**) الْجُمُعةُ عيْنًا أيْضًا (**على منْ**) كان مُسافِرًا ثُمّ (**نوى الإِقامة عِنْدهُمْ أرْبعة أيّامٍ صِحاحٍ أيْ**) كوامِل (**غيْر يوْمي الدُّخُولِ والْخُرُوجِ**) أوْ أكْثر مِنْ ذلِك لِأنَّ السّفر ينْقطِعُ بِذلِك. (**و**) تجِبُ عيْنًا أيْضًا (**على منْ**) أيْ شخْصٍ ولوْ كان ساكِنًا فِي خيْمةٍ (**بلغهُ نِداءُ**) أيْ أذانُ شخْصٍ (**صيّتٍ**) أيْ قوِيّ الصّوْتِ (**مِنْ**) واقِفٍ فِي (**طرفٍ يلِيهِ**) أيْ لا فِي الْوسطِ (**مِنْ بلدِها**) أيْ مِن الْبلدِ الّذِي تُقامُ فِيهِ الْجُمُعةُ وذلِك بِاعْتِبارِ كوْنِهِ واقِفًا بِمُسْتوٍ مع اعْتِبارِ سُكُونِ الرّيحِ بِحيْثُ يعْلمُ أنّ ما يسْمعُهُ نِداءُ الْجُمُعةِ ولوْ لمْ تتبيّنِ الْكلِماتُ وبِاعْتِبارِ كوْنِهِ مُعْتدِل السّمْعِ.

(**وشرْطُها**) أيْ شرْطُ صِحّةِ الْجُمُعةِ أرْبعةٌ الأوّلُ أنْ تكُون فِي (**وقْتِ الظُّهْرِ**) فإنْ فاتتْهُ قضاها ظُهْرًا (**و**) الثّانِي (**خُطْبتانِ قبْلها**) أيْ قبْل الصّلاةِ (**فِيهِ**) أيْ فِي وقْتِ الظُّهْرِ (**يسْمعُهُما**) أيْ أرْكان الْخُطْبتيْنِ (**الأرْبعُون و**) الثّالِثُ (**أنْ تُصلّى**) الْجُمُعةُ (**جماعةً بِهِمْ**) فلا تصِحُّ فُرادى (**و**) الرّابِعُ (**أنْ لا تُقارِنها**) أيِ الْجُمُعة أوْ تسْبِقها جُمُعةٌ (**أُخْرى بِبلدٍ واحِدٍ فإِنْ سبقتْ إِحْداهُما**) الأُخْرى (**بِالتّحْرِيْمةِ**) أيْ بِتكْبِيرةِ الإِحْرامِ أيْ عُلِم سبْقُها (**صحّتِ**) الْجُمُعةُ (**السّابِقةُ ولمْ تصِحّ**) الْجُمُعةُ (**الْمسْبُوقةُ**) والْعِبْرةُ فِي السّبْقِ والْمُقارنةِ هُو بِالنُّطْقِ بِالرّاءِ مِنْ تكْبِيرةِ الإِحْرامِ. قال بعْضُ الشّافِعِيّةِ (**هذا**) الْحُكْمُ مِنْ تصْحِيحِ صلاةِ السّابِقةِ وعدمِ تصْحِيحِ صلاةِ الْمسْبُوقةِ (**إِذا كان يُمْكِنُهُمُ الِاجْتِماعُ فِي مكانٍ واحِدٍ**) ولمْ يفْعلُوا (**فإِنْ شقّ ذلِك**) عليْهِمْ جاز لهُمْ تعْدِيْدُها بِحسبِ الْحاجةِ و(**صحّتْ**) عِنْدئِذٍ (**السّابِقةُ والْمسْبُوقةُ**)[1].

---

(١) الأذان الثّاني الّذي أحدثه عثمان بن عفّان على رأي أي أنّ عثمان أحدث هذا الأذان=

(**وأرْكانُ الْخُطْبتيْنِ**) خمْسةٌ الأوّلُ (**حمْدُ اللهِ**) بِلفْظِ الْحمْدُ للهِ أوْ للهِ الْحمْدُ أوْ نحْوِ ذلِك (**و**) الثّانِي (**الصّلاةُ على النّبِيّ**) بِلفْظِ صلّى الله على مُحمّدٍ أوْ اللّهمَّ صلّ على مُحمّدٍ أوْ نحْوِ ذلِك (**و**) الثّالِثُ (**الْوصِيّةُ بِالتّقْوى**) وذلِك بِالْحثّ على الطّاعةِ والزّجْرِ عنِ الْمعْصِيةِ أوْ أحدِهِما، ولا بُدّ مِنْ حمْدِ اللهِ والصّلاةِ على النّبِيّ ﷺ والْوصِيّةِ بِالتّقْوى (**فِيهِما**) أيْ فِي كُلٍّ مِن الْخُطْبتيْنِ (**و**) الرّابعُ قِراءةُ (**ءايةٍ مُفْهِمةٍ فِي إِحْداهُما**) أيْ فِي إِحْدى الْخُطْبتيْنِ فلا يكْفِي نحْوُ ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾[1] (**و**) الْخامِسُ (**الدُّعاءُ لِلْمُؤْمِنِين فِي**) الْخُطْبةِ (**الثّانِيةِ**) كأنْ يقُول اللّهمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِين.

(**وشُرُوطُهُما**) زِيادةً على ما مرّ سبْعةٌ أحدُها (**الطّهارةُ عنِ الْحدثيْنِ**) الأصْغرِ والأكْبرِ (**وعنِ النّجاسةِ**) الّتِي لا يُعْفى عنْها (**فِي الْبدنِ والْمكانِ والْمحْمُولِ**) مِنْ ثوْبٍ وغيْرِهِ (**و**) ثانِيها (**سِتْرُ الْعوْرةِ**) وهِي ما بيْن السُّرّةِ والرُّكْبةِ كما مرّ (**و**) ثالِثُها (**الْقِيامُ**) فِيهِما لِلْقادِرِ (**و**) رابِعُها (**الْجُلُوسُ بيْنهُما**) وأقلُّهُ قدْرُ الطُّمأْنِينةِ (**و**) خامِسُها (**الْمُولاةُ بيْن أرْكانِهِما**) بِأنْ لا يُطِيل الْفصْل بيْنهما عُرْفًا بِما لا تعلُّق لهُ بِالْخُطْبةِ (**و**) سادِسُها أنْ لا يُطِيل الْفصْل (**بيْنهُما**) أي الْخُطْبتيْنِ (**وبيْن الصّلاةِ**) عُرْفًا (**و**) سابِعُها (**أنْ تكُونا**) أي الخُطْبتيْنِ أيْ أرْكانُهُما (**بِالْعربِيّةِ**).

= الّذي يقال عند دخول الوقت، وعلى رأي أحدث الّذي بعد صعود الخطيب على المنبر وهذا هو الرّاجح.

كان بلال يؤذّن على مكان مرتفع عندما يدخل الوقت. بعد الأذان الثّاني يوم الجمعة يجوز استئجار سيّارة للذّهاب لصلاة الجمعة، لكن يحرم البيع والشّراء في ذاك الوقت، أمّا الهبة إن كانت تشغله عن الجمعة فلا يفعل، أمّا إن كانت لا تشغله فيجوز، وفي مذهب الشّافعيّ يحرم الخروج من البلد للسّفر بعد الفجر إلّا إذا كان يمرّ بمسجد في طريقه يصلّي الجمعة فيه فإنّهُ لا يحرم.

(١) سورة المدثر، ءاية (٢١).



فالله خيرٌ حافظًا . . .

دعاءٌ مستجابٌ

يحكى يا أهل النّجدة والفكرة، قصّة فيها الموعظة والعبرة، دخل مرة أحد الكرام، على بيت الله الحرام، فوجد امرأة لله مُسْلِمة، وبِحُكْمِهِ مُسلِّمة، تنادي وتقول: يا ربّ الجبال والسّهول، يا ربّ الأفهام والعقول، يا كريم يا كريم، العهد القديم العهد القديم، وعليها أمارات الخشوع، وتذرف من الخَوف الدّموع، فسألها عبد من عباد الله: ما بالك يا أمة الله؟ فقالت: إنّ لي قصّة عجيبة، وأحداثها غريبة، كنت وزوجي وولد لنا رضيع، نخوض في سفينة هذا البحر الوسيع، وإذا بعاصفة هوْجاء، تهبّ من كلّ الأنحاء، قلبت السّفينة وأغرقتها في منظر عجيب، وساقتني الأمواج مع رجل غريب، إلى جزيرة كلّها أشجار وثمار وأزهار وأعطار، لكنّها غريبة الأطوار، وهناك لم يعتبر الرّجل بما كان، أن قد نجّانا الله الرّحمٰن، فمدّ يده إليّ ليلمسني بالحرام، فقلت: يا رحمٰن يا علاّم، يا أكرم الأكرمين، نجّني من هذا الظالم يا أرحم الرّاحمين، فيبست يده في الحال، وصار يستعطفني لأدعو له الله المتعال، فلمّا عادت يده تعمل، لم يراع ولم يخجل ورمى بالطّفل الرّضيع، في البحر الوسيع، وأعاد الكرّة من جديد، فدعوت عليه الله المجيد، ذا البطش الشّديد، فخرجت من البحر دابّة عجيبة، غريبة مريبة، أخذت الظّالم إلى قاع الماء، فهلك وعمّ السّكون الأنحاء، ثمّ مرّت سفينة، مضاءة بالزّينة، فأقبلوا عليّ: ما بالك وحيدة؟ فقلت وأنا

بنجاتي سعيدة، لي قصّة يا سادة، وهي غير معتادة، فذكرت ما الّذي جرى فقالوا: قصّتك تقشعرّ منها الأبدان، وما عندنا يعجب له الإنس والجان، كنّا نسير البارحة بأمان الله، فسمعنا هاتفًا ينادي، يا عباد الله، أركبوه معكم، وإلا هلكتم، فنظرنا، فدهشنا، طفل صغير، على ظهر حوت كبير، قالت: أروني إيّاه، قالت: ولداه، ثمّ تعاهد من في السّفينة على التّوبة إلى الله، والتزام درب الخير وهداه.



لِتَعلُ بالمقام إيَّاك والإضاعَة لِصُحْبَةِ الكِرام بِصلاةِ الجماعَة

صلاةُ الجماعة

صلاة الجماعة فيها تعاون على البرّ والتّقوى والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر؛ يقف المسلمون فيها صفًّا واحدًا خلف إمام واحد يناجون الله ويدعونه كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضًا، فتظهر قوّة المسلمين واتّحادهم، وفي صلاة الجماعة اجتماع كلمة المسلمين وائتلاف قلوبهم وتعارفهم وتفقّد بعضهم لأحوال بعض، وفيها التّعاطف والتّراحم، ودفع الكبر والتّعاظم، وفيها تقوية الأخوّة الدّينيّة، فيقف الكبير إلى جانب الصّغير، والغنيّ إلى جانب الفقير، والملك والقويّ إلى جانب الضعيف، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتّقوى، ممّا به تظهر عدالة الإسلام، وحاجة الخلق إلى الخالق الملك العلّام. ونقول لمن ضيّع صلاة الجماعة: يا من ضيّعت الصّلاة مع الجماعة، ورضيت بالتّفريط والإضاعة، لقد خسرت وربّ الكعبة كلّ هذه الفضائل وفاتتك كلّ هذه الخيرات.

صلاة الجماعة تُؤخذ منها الدّروس الإيمانية، وتُسمع فيها الآيات

القرءانيّة، فيتعلّم بها الجاهل ويتذكّر فيها الغافل ويتوب المذنب، وتخشع فيها القلوب لعلّام الغيوب.

صلاة المسلم في جماعة أقرب إلى الخشوع وحضور القلب والطّمأنينة.

وإنّ الإنسان ليجد الفارق العظيم بين ما إذا صلّى وحده وإذا صلّى مع الجّماعة، الخطا الّتي يمشيها المسلم لصلاة الجماعة تحتسب له عند الله أجرًا وثوابًا فلا يخطو خطوة إلا رُفعت له بها درجة وحُطّت عنه بها سيئة.

وقال النّبيّ ﷺ «**بَشِّرِ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ**» رواه التّرمذي وأبو داود وابن ماجه والطبراني والحاكم وغيرهم.

وثبت في الصّحيحينِ عن النّبيّ ﷺ «**صلاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ في بَيتِهِ وصلاتِهِ فيْ سُوقِهِ بِضْعًا وَعِشْرينَ دَرَجَةً**».

يا عبدَ الله، يا من يتوانى ويتثاقل ويتساهل ويتشاغل، لقد فاتك الخير الكثيرُ والأجر الوفير، فإنَّ من تطهّرَ في بيته ثمّ مضى إلى بيت من بيوت الله لِيقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحُطّ خطيئة، والأخرى ترفع درجة، وإنّ أعظم النّاس أجرًا في الصّلاةِ أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم.

وقال عليه الصّلاة والسّلام «**مَنْ صَلَى الْعِشَاءَ في جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّما صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ**» رواه مسلم.

حافظ على الصّلاة مع الجماعة، وإن شقّ عليك مخالفة هواك ورأيت كثيرًا من النّاس في غفلة وهم معرضون.

لقد كثر المتخلّفون في زماننا هذا عن صلاة الجماعة في المساجد، رجالٌ قادرون أقوياء يسمعون النّداء صباح مساء، فلا يجيبون ولا هم يذكرون، ألسنتهم لاغية، وقلوبهم لاهية، ران عليها كسبها، شُغلوا عن الصّلاة بتثمير كسبهم ولهوهم ولعبهم، ولو كانوا يجدون من الصّلاة في المساجد كسبًا دنيويًّا ولو حقيرًا دنيًا لرأيتهم إليها مسرعين ولندائها مذعنين مُهطعين.

دعاء

قالَ رسول الله ﷺ إذا خرج الرجل من بيته إلى الصّلاة فقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذا فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا وَلا بَطَرًا وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، أَسْأَلُكَ أن تُنْقِذَنِي مِنَ النّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَكَّلَ اللهُ بِهِ سَبْعِين أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَأَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ** (أي برضاه) **حَتّى يَقْضِي صَلَاتَهُ**» رواه ابن ماجه.

الدّرس الثّالث والعشرون

(**فصْلٌ**) فِي شُرُوطِ الاِقْتِداءِ.

(**ويجِبُ على كُلّ منْ صلّى مُقْتدِيًا**[١]) بِغيْرِهِ (**فِي جُمُعةٍ أوْ غيْرِها**) سبْعةُ أُمُورٍ أحدُها (**أنْ لا يتقدّم**) الْمأْمُومُ (**على إِمامِهِ فِي الْموْقِفِ**[٢]) أيْ فِي الْمكانِ الّذِي يقِفُ فِيهِ ولا تُبْطِلُ مُساواتُهُ فِيهِ لكِنْ تُكْرهُ (**و**) أنْ لا يتقدّم على إِمامِهِ فِي تكْبِيرةِ (**الإِحْرامِ**) فيجِبُ تأْخِيرُ جمِيعِ تكْبِيرةِ الْمأْمُومِ عنْ جمِيعِ تكْبِيرةِ الإِمامِ (**بلْ تُبْطِلُ الْمُقارنةُ**) أيْ تمْنعُ مِن الاِنْعِقادِ إِذا كانتْ (**فِي الإِحْرامِ وتُكْرهُ**) الْمُقارنةُ (**فِي غيْرِهِ**) أيْ فِي غيْرِ الإِحْرامِ مِنْ الأفْعالِ وتفُوتُ بِها فضِيلةُ الْجماعةِ (**إِلّا التّأْمِين**) أيْ قوْل ءامِين عقِب الْفاتِحةِ فيُسنُّ لِلْمأْمُومِ أنْ يُقارِن الإِمام فِيهِ.

---

(١) من شروط القدوة أن ينوي المأمومُ القدوة أو الجماعة في التّكبيرة أو فيما بعدها، وفي تكبيرة التّحرّم في الجمعة والصّلاة المعادة والمجموعة للمطر فيُشترط في هذه المذكورات نيّةُ الاقتداء في أثناء تكبيرة التَّحرُّم وكذلك المنذورةُ جماعة، وما سوى هؤلاء الأربع يشترط فيه أن تكون النيّةُ قبل المتابعة بحيث لو تابع بلا نيّةٍ فسدت صلاته أي إن طال انتظاره بخلاف ما إذا انتظره انتظارًا طويلًا بلا متابعة فإنه لا تفسد صلاته، أي أنَّ الّذي يتابع شخصًا لم ينو الاقتداء به قصدًا أي ينتظرُ ركوعَهُ فيركعُ بعد ركوعه أو ينتظر سجوده فيسجد بعد سجوده كأنّه مأموم وهو ليس بمأموم فسدت صلاته إن طال انتظاره، بخلاف ما لو تابعه اتفاقًا أي مصادفةً لا بقصدٍ فإنَّ صلاته لا تفسد ولا تُفْسِدُ متابعتُه في الأقوال إلّا في السّلام، وكذلك إن انتظره انتظارًا طويلًا ولم يتابعه في الفعل فلا تفسد صلاته.

(٢) أن لا يتقدّم على إمامه في الموقف، والعبرة بالتّقدّم بعقب الرّجل في القائم المعتمد عليها فإن تقدّم بعقبه على الإمام لم تصحّ صلاته، والثّاني المتابعة له في التّحرُّم فيجب أن لا يتقدّم عليه بتكبيرة الإحرام بل تُبطل المقارنة للإمام يقينًا أو شكًّا بالتّحرّم فيجب تأخير جميع تكبيرة المأموم عن جميع تكبيرة الإمام وأمّا المقارنة في غيره من سائر الأفعال فمكروهة وتفوت بها فضيلة الجماعة، ويُستثنى ممّا ذُكر التّأمين أي قول ءامين فالأفضل فيه المقارنة أي لا يسبقه ولا يتأخّر عنه.

(**ويحْرُمُ**) على الْمأْمُوم (**تقدُّمُهُ**) على الإمام (**بِرُكْنٍ فِعْلِيٍّ**) تامّ كأنْ ركع ثُمّ اعْتدلّ والإمامُ لَمْ يرْكعْ بعْدُ (**و**) لا (تبْطُلُ الصّلاةُ) بِذلِك وتبْطُلُ (**بِالتّقدُّمِ على الإمامِ بِرُكْنيْنِ فِعْلِيّيْنِ مُتوالِيَيْنِ طوِيلَيْنِ أوْ طوِيلٍ وقصِيرٍ بِلا عُذْرٍ**) كأنْ يرْكع الْمأْمُومُ ويعْتدِل ويهْوِي لِلسُّجُودِ والإمامُ بعْدُ قائِمٌ، (**وكذا**) يُبْطِلُ الصّلاة (**التّأخُّرُ**) أيْ تأخُّرُ الْمأْمُوم (**عنْهُ**) أيْ عنِ الإمامِ (**بِهِما**) أيْ بِرُكْنيْنِ فِعْلِيّيْنِ مُتوالِيَيْنِ طوِيلَيْنِ أوْ طوِيلٍ وقصِيرٍ إِذا كان ذلِك (**بِغيْرِ عُذْرٍ**) كأنْ رفع الإمامُ رأْسهُ مِن الرُّكُوعِ واعْتدلّ وبدأ بِالْهُوِيّ لِلسُّجُودِ والْمأْمُومُ بعْدُ قائِمٌ لَمْ يرْكعْ بِلا عُذْرٍ بطلتْ صلاتُهُ (**و**) تبْطُلُ الصّلاةُ أيْضًا بِتأخُّرِ الْمأْمُومِ عنِ الإمامِ (**بِأكْثر مِنْ ثلاثةِ أرْكانٍ طوِيلةٍ**) كالرُّكُوعِ والسُّجُودَيْنِ (**ولوْ**) كان تأخُّرُهُ (**لِعُذْرٍ**) كبُطْءِ قِراءتِهِ لِلْفاتِحةِ (**فلوْ تأخّر**) الْمأْمُومُ عنِ الإمامِ (**لِإتْمامِ**) قِراءةِ (**الْفاتِحةِ**) مثلًا (**حتّى فرغ الإمامُ مِن الرُّكُوعِ والسُّجُودَيْنِ فجلس لِلتّشهُّدِ أوْ قام**) لِلرّكْعةِ الّتِي بعْدها ترك الْمأْمُومُ فوْرًا ترْتِيب نفْسِهِ و(**وافق الإمام فِيما هُو فِيهِ وأتى بِركْعةٍ بعْد سلام إمامِهِ**) لِفواتِها عليْهِ فإِنْ لَمْ يُتابِعْهُ واسْتمرّ على ترْتِيبِ نفْسِهِ بطلتْ صلاتُهُ (**و**) أمّا (**إِنْ أتمّها**) أيِ الْفاتِحة (**قبْل ذلِك**) أيْ قبْل أنْ يسْبِقهُ الإمامُ بِأكْثر مِنْ ثلاثةِ أرْكانٍ طوِيلةٍ أيْ قبْل أنْ يتلبّس الإمامُ بِالرُّكْنِ الرّابِعِ (**مشى**) الْمأْمُومُ (**على ترْتِيبِ نفْسِهِ**)، (**و**) ثانِيها (**أنْ يعْلم**) الْمأْمُومُ (**بِانْتِقالاتِ إمامِهِ**) بِرُؤْيةِ الإمامِ أوْ بعْضِ الْمأْمُومِين مِمّنْ يرى الإمام أوْ بِسماعِ صوْتِ الإمامِ أوِ الْمُبلِّغِ[1]، (**و**) ثالِثُها (**أنْ يجْتمِعا**) أيِ الإمامُ والْمأْمُومُ (**فِي مسْجِدٍ**) وإِنْ بعُدتِ الْمسافةُ بيْنهُما أكْثر مِنْ ثلاثِمِائةِ ذِراعٍ (**وإِلّا**) بِأنْ كانا خارِج الْمسْجِدِ (**ففِي مسافةِ ثلاثِمِائةِ ذِراعٍ يدوِيّةٍ**) تقْرِيبًا فإِنْ كان الْمأْمُومُون صُفُوفًا مُتتابِعةً اشْتُرِط أنْ لا تزِيد الْمسافةُ بيْن الْمأْمُومِ والصّفّ الّذِي قبْلهُ على ثلاثِمِائةِ ذِراعٍ وإِنْ بلغ ما بيْن الإمامِ والْمأْمُومِ

(١) عند بعضهم يكفي العلم بانتقالات الإمام بأي طريقة كان.

فراسِخ (و) رابِعُها (أنْ لا يحُول) فِي خارِجِ الْمسْجِدِ (بيْنهُما) أي الإمامِ والْمأْمُومِ (حائِلٌ يمْنعُ الِاسْتِطْراق) أي الْمُرُور إِلى الإِمامِ كجِدارٍ أوْ بابٍ مُغْلقٍ أوْ حائِلٌ يمْنعُ الرُّؤْية كبابٍ مرْدُودٍ، (و) خامِسُها (أنْ يتوافق نظْمُ صلاتيْهِما) أي الإِمامِ والْمأْمُومِ وذلِك بِأنْ يتّفِقا فِي الأفْعالِ الظّاهِرةِ وإِنِ اخْتلفا عددًا ونِيّةً (فلا تصِحُّ قُدْوةُ مُصلّي الْفرْضِ) كظُهْرٍ (خلْف) مُصلّي (صلاةِ الْجِنازةِ) لِعدمِ اتّفاقِهِما فِي النّظْمِ، (و) سادِسُها (أنْ لا يُخالِف) الْمأْمُومُ (الإِمام فِي سُنّةٍ تفْحُشُ الْمُخالفةُ فِيها) وذلِك (فِعْلًا كالتّشهُّدِ الأوّلِ أيْ جُلُوسِهِ) بِأنْ تركهُ الإِمامُ وفعلهُ الْمأْمُومُ فتبْطُلُ صلاتُهُ بِذلِك (وترْكًا كسُجُودِ السّهْوِ) بِأنْ فعلهُ الإِمامُ وتركهُ الْمأْمُومُ بِخِلافِ ما لا تفْحُشُ الْمُخالفةُ فِيهِ كجِلْسةِ الِاسْتِراحةِ فإِنّها لا تبْطُلُ، (و) سابِعُها (أنْ ينْوِي) الْمأْمُومُ (الِاقْتِداء) أوِ الِائْتِمام بِالإِمامِ أوِ الْجماعة (مع التّحرُّمِ) أيْ مع تكْبِيرةِ الإِحْرامِ (فِي الْجُمُعةِ) والْمُعادةِ والْمجْمُوعةِ لِلْمطرِ والْمنْذُورةِ جماعةً (و) أنْ ينْوِي ذلِك (قبْل الْمُتابعةِ) لِلإِمامِ (وطُولِ الِانْتِظارِ) لهُ ولوْ بعْد التّكْبِيرةِ (فِي غيْرِها) أي الْمذْكُوراتِ فإِنْ تابعهُ بعْد انْتِظارٍ طوِيلٍ بِلا نِيّةِ اقْتِداءٍ بطلتْ صلاتُهُ وأمّا إِنِ انْتظرهُ ولمْ يُتابِعْهُ أوْ تابعهُ مُصادفةً بِغيْرِ قصْدٍ أوْ تابعهُ قصْدًا مِنْ غيْرِ انْتِظارٍ طوِيلٍ لمْ تبْطُلْ.

(ويجِبُ على الإِمامِ نِيّةُ الإِمامةِ فِي الْجُمُعةِ والْمُعادةِ) فِي تكْبِيرةِ الإِحْرامِ (وتُسنُّ) نِيّةُ الإِمامةِ (فِي غيْرِهِما) أي الْجُمُعةِ والْمُعادةِ لِيحُوز فضِيلة الْجماعةِ. (و) الصّلاةُ (الْمُعادةُ[1] هِي الصّلاةُ الّتِي يُصلّيها) الشّخْصُ (جماعةً مرّةً ثانِيةً بعْد أنْ) كان قدْ (صلّاها) قبْلُ (جماعةً أو مُنْفرِدًا).

---

(١) **فائدة**: من صلّى منفردًا أو جماعة ثمّ رأى من يصلّي معه جماعة يُسنّ له إعادتها لأنّ النّبيّ ﷺ صَلَّى الصُّبْحَ فَرَأَى رَجُلَيْنِ لَمْ يُصَلِّيا مَعَهُ فقالَ «**مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تُصَلِّيَا مَعَنَا**» قَالَا صَلَّيْنا فِي رِحَالِنَا فَقالَ: **إِذَا صَلَّيْتُمَا فِي رِحَالِكُمَا ثُمَّ أَتَيْتُمَا مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَصَلِّيَاهَا مَعَهُمْ فَإِنَّهَا لَكُمَا نَافِلَة**» رواه أبو داود وغيره وصحّحه التّرمذيّ وغيره.
وتكون نيّة المعادة بأن يقول في قلبه مثلًا أصلّي فرض الظُّهر معادًا جماعة.



عِلمًا ورُشدًا وطولَ عُمُر للعبد الصّالح سيّدُنا الخضِر

طولُ عمرِ الخضرِ عليهِ السّلامُ

رُوي أنّ آدم عليه السّلام لمّا حضرته الوفاة جمع بنيه فقال: «يا بَنِيَّ، إنّ الله سينزل على أهل الأرض عذابًا»، وأخبرهم أنّ طوفانًا سيقع بالنّاس، وأوصاهم إذا كان ذلك أن يحملوا جسده معهم في السّفينة، وأن يدفنوه في غار عيّنه لهم قربَ بلاد الشّام، فكان جسده معهم وتناقل الأبناء عن الآباء هذه الوصيّة، حتَّى بعث الله نوحًا عليه السّلام، وقبل أن يحدث الطّوفان حمل جسد آدم معه في السّفينة، وغرقت الأرض زمانًا، فجاء نوح حتَّى نزل بأرض بابل وأوصى بنيه الثّلاثة وهم «سام» و«حام» و«يافث» أن يذهبوا بجسد «آدم» إلى الغار الّذي أمرهم أن يدفنوه به فقالوا: «الأرض وحشيّة لا أنيس بها ولا نهتدي الطّريق، ولكن لننتظر حتَّى يعظم النّاس ويكثروا»، فقال لهم نوح: «إنّ آدم قد دعا الله أن يطيل عمر الّذي يدفنه إلى يوم القيامة»، فلم يزل جسد آدم من جيل إلى جيل حتَّى كان الخضر عليه السّلام هو الّذي تولّى دفنه، فأعطاه الله ما وعده فهو يحيا ما شاء الله له أن يحيا.



أُخَيَّ الدّنيا فاحذَرْ إيثارُها وبال نعيمُها يفنَى ولذّاتُها إلى زوال

إيثارُ الآخرَةِ على الدُّنيا

أوصيكم بإيثار الآخرة على الدّنيا الفانية وذلك بمخالفة النّفس وإيثار ما يبقى على ما يفنى متذكّرين قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [سورة النّساء]. فلذلك أدعوكم إلى بذل الجهد لمكافحة الجهل بالضّروريّات، وتعليم العقيدة الّتي هي أساس الدّين والأحكام الّتي يميّز بها الكفر من الإيمان بالأقوال والأفعال، لأنّ من ترك الأمر بالمعروف وبيان المنكر هالك. فإن حرصتم على الجدّ والاجتهاد وسعيتم لمكافحة الكفر الاعتقاديّ والفعليّ والقوليّ غاية وسعكم صرتم من الّذين يجاهدون الكفر والفساد. ومن كان كذلك كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله.

عليكم بذكر أحوال السّلف الصّالح والاقتداء بهم، ولا تنظروا إلى الرّاحات والملذّات خالفوا أنفسكم واقنعوا بالقليل من الرّزق، وإياكم أن يشغلكم مراعاة خواطر نسائكم في التّنعُّم.

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْت يَا رَسُولَ اللهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: **لَقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ**، ثُمَّ قَالَ: **أَلَا أَدُلُّك عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ**، ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ

جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة السجدة] ثُمَّ قَالَ: **أَلَا أُخْبِرُك بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟** قُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: **رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ، ثُمَّ** قَالَ: **أَلَا أُخْبِرُك بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟** فقُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: **كُفَّ عَلَيْك هَذَا**. قُلْت: يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ**، رواه التّرمذي وقال: حديث حسن صحيح.

دعاء

يُقال في دُبر - أي عقب - الصّلاة المكتوبة بعد السّلام: «**اللَّهمَّ أنتَ السّلَامُ ومنكَ السّلَامُ تبارَكْتَ يا ذَا الجلَالِ والإكرَامِ**». ويقالُ: «**لا إلٰهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، له المُلكُ وله الحَمدُ وهوَ على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ، اللَّهمَّ لا مانعَ لِمَا أعطَيتَ، ولا مُعطِيَ لمَا منَعْتَ، ولا ينفعُ ذَا الجَدِّ منكَ الجَدّ**».

الدّرس الرابع والعشرون

(**فصْلٌ**) فِي بيانِ كيْفِيّةِ تجْهِيزِ الْميّتِ وصلاةِ الْجِنازةِ[١].

(**غسْلُ الْميّتِ وتكْفِينُهُ**)[٢] بعْد الْغسْلِ (**والصّلاةُ عليْهِ ودفْنُهُ فرْضُ كِفايةٍ**) على كُلّ منْ علِم بِحالِهِ (**إذا كان**) الْميّتُ (**مُسْلِمًا**) ولوْ طِفْلًا إذا (**وُلِد حيًّا**) بِأنْ عُلِمتْ حياتُهُ بِنحْوِ صِياحٍ أوْ تحرُّكٍ اخْتِيارِيّ وأمّا الْكافِرُ الْحرْبِيُّ والْمُرْتدُّ فلا يجِبُ لهُما شيْءٌ مِنْ ذلِك.

(**ووجب لِذِمّيٍّ**) أيْ كافِرٍ يدْفعُ الْجِزْية لِخلِيفةِ الْمُسْلِمِين (**تكْفِينٌ ودفْنٌ**) إنْ لمْ يقُمْ بِذلِك أهْلُ مِلّتِهِ لكِنْ لا يكُونُ دفْنُهُ فِي مقابِرِ الْمُسْلِمِين.

(**و**) وجب (**لِسِقْطٍ ميّتٍ**) وهُو الّذِي لمْ تظْهرْ فِيهِ أمارةُ الْحياةِ (**غسْلٌ وكفنٌ ودفْنٌ**) إنْ ظهرتْ فِيهِ خِلْقةُ آدمِيٍّ وإلّا نُدِب لفُّهُ بِخِرْقةٍ ودفْنُهُ (**ولا يُصلّى عليْهِما**) أيْ على الذّمّيّ والسّقْطِ[٣].

---

(١) يروى عن رسول الله ﷺ: «**سَيَأْتِي زَمَانٌ عَلَى أُمَّتِي يُحِبُّونَ خَمْسَةً وَيَنْسَوْنَ خَمْسَة: يُحِبُّونَ الدُّنْيَا وَيَنْسَوْنَ الآخرة، وَيُحِبُّونَ المَالَ وَيَنْسَونَ الحِسابَ، وَيُحِبُّونَ الخَلْقَ وَيَنْسَوْنَ الخَالِقَ، وَيُحِبُّونَ الذَّنْبَ وَيَنْسَونَ التَّوبَةَ، وَيُحِبُّونَ القُصُورَ وَيَنْسَوْنَ القُبور**». وهو حديث ضعيف تجوز روايته في المواعظ.
وقال رسول الله ﷺ: **عَجِبْتُ لِطَالِبِ الدُّنيَا وَالمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَعَجِبْتُ لِغَافِلٍ** (أغفل الشّيء تركه على ذكر) **وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، وَعَجِبْتُ لِضاحِكٍ مِلءَ فِيْهِ وَلَا يَدْرِي أَرُضِيَ عَنه أم سُخِط** (السخط والسُّخْطُ خلاف الرضا وقد سخط أي غضب). رواه البيهقيّ.

(٢) يجوز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة، فعن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرّحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ**»، ثمّ أتبعها بأخرى، فقال: «**إنّ العَيْنَ تَدْمَعُ والقَلْبَ يَحْزَنُ ولا نَقولُ إلّا مَا يُرضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**». رواه البخاري.

(٣) الّذي لم يُنفخ فيه الرّوح وخرج من بطن المرأة هذا لا يُحشر يوم القيامة ولا يشفع لأبويه.
=

(**ومنْ مات**) مُسْلِمًا (**فِي قِتالِ الْكُفّارِ**) ولوْ كافِرًا واحِدًا (**بِسببِهِ**) أيْ الْقِتالِ (**كُفّن فِي ثِيابِهِ**) الْمُلطّخةِ بِالدّمِ ندْبًا (**فإِنْ لمْ تكْفِهِ**) ثِيابُهُ هذِهِ (**زِيد عليْها**) إِلى ثلاثِ لفائِف (**ودُفِن**) فِي مقابِرِ الْمُسْلِمِين (**ولا يُغسّلُ ولا يُصلّى عليْهِ**) وذلِك لِأنّهُ شهِيدُ معْركةٍ.

(**وأقلُّ الْغُسْلِ**) لِلْميّتِ (**إِزالةُ النّجاسةِ**) إِنْ كانتْ على بدنِهِ (**وتعْمِيمُ**) أيِ اسْتِيعابُ (**جمِيعِ**) جسدِهِ (**بشرِهِ وشعرِهِ وإِنْ كثُف**) الشّعرُ (**مرّةً**) واحِدةً (**بِالْماءِ**) الطّاهِرِ (**الْمُطهّرِ**) والأفْضلُ التّثْلِيثُ.

(**وأقلُّ الْكفنِ**) لِلْميّتِ (**ساتِرٌ**) يسْتُرُ (**جمِيع الْبدنِ**) إِلاّ رأْس مُحْرِمٍ ووجْه مُحْرِمةٍ فلا يُسْتران (**وثلاثُ لفائِف لِمنْ ترك تركةً زائِدةً على ديْنِهِ**) أوْ لمْ يكُنْ عليْهِ ديْنٌ أصْلًا (**ولمْ يُوصِ بِترْكِها**) أي بِترْكِ تكْفِينِهِ بِالثّلاثِ فإِنْ أوْصى بِترْكِ تكْفِينِهِ بِالثّلاثِ فالْواجِبُ فِي حقِّهِ تكْفِينُهُ بِالسّاتِرِ لِلْبدنِ.

= **فائدة**: أخرج البخاريّ ومسلم أنّ النّبيّ ﷺ مَرّت به جنازة فقام فقيل إنّها جنازة يهودي فقال: «**أَلَيْسَتْ نَفْسًا**» اهـ

هذا ليس معناه أنّه وقف تعظيمًا لها ولا أنّه قام احترامًا إنّما وقف تعظيمًا للملائكة الذين معها بدليل ما رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو أنّه سأل رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله تمرّ بنا جنازة الكافر أفنقوم لها، فقال: «**نَعَمْ قُومُوا فَإِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَقُومُونَ لَهَا إِنَّمَا تَقُومُونَ إِعْظَامًا لِلَّذِي يَقْبِضُ النُّفُوسَ**» اهـ

وعن النّسائي في سننه عن قتادة عن أنس: أنّ جنازة مرّت برسول الله ﷺ فقام، فقيل: إنّها جنازة يهودي، فقال: «**إِنَّمَا قُمْنَا لِلْمَلَائِكَةِ**» اهـ



طبت حيًّا وميتًا...

وفاةُ سيّدِنا محمَّدٍ ﷺ

قال الله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾[1].

ويقول الله تبارك وتعالى مخاطبًا نبيّه المصطفى في القرءان الكريم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2] أي إنّك ستموت وهم سيموتون.

الموتُ بابٌ وكلُّ النّاسِ داخلُهُ يا ليتَ شِعرِيَ بعدَ البابِ ما الدَّارُ

خرج ﷺ من بيت زوجته السّيدة ميمونة فوصل إلى بيت السّيّدة عائشة رضيَ اللهُ عنهُا وقد اشتدّ عليه المرض، ومرّة كان ينتظره النّاس لصلاة العشاء فقام للوضوء فأغمي عليه من شدّة المرض، ثمّ قام من الإغماء فقال: «أصلّى النّاس يا عائشة؟» فتقول: لا يا رسول الله، هم ينتظرونك، قال: «**مُروا أبَا بَكرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنّاسِ إمامًا**». وكان أبو بكر أرقَّ الصّحابة وأثبتهم قلبًا.

ثمّ وجد القائد الأعظم ﷺ في نفسه خفّة فخرج إلى المسجد بين رجلين والنّاس ينتظرون، فجلس على المنبر فاجتمعوا عليه فقال بعد أنْ حمد الله وأثنى عليه واستغفر لأهل بدر وأحد: «**أُوصِي المُهَاجِرِينَ بِالأَنْصَارِ خَيْرًا وَأُوصِي الأَنْصَارَ بِالمُهَاجِرِينَ خَيْرًا**». ثمّ قال: «**إِنَّ عَبْدًا**

---

(١) سورة ءال عمران، ءاية (١٨٥).

(٢) سورة الزمر، ءاية (٣٠).

خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ زَهْرَةِ الدُّنْيا وَبَيْنَ ما عِنْدَهُ فَاخْتارَ مَا عِنْدَ رَبِّهِ» فقال أبو بكر: «نفديك بأبنائنا وأمّهاتنا يا رسول الله» فَهِمَ الصّدّيق رضيَ اللهُ عنهُ أنّه إعلامٌ بِقُربِ الأجل.

ثمّ قال لهم ﷺ: «**بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَخَافُونَ مِنْ مَوْتِ نَبِيِّكُمْ وَهَلْ خُلِّدَ نَبِيٌّ قَبْلِي فَأُخَلَّدَ فِيكُمْ؟ قال الله تعالى** ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾»[1].

وعاد بعد ذلك إلى بيت عائشة رضيَ اللهُ عنهُا واشتدّ عليه المرض، وجاءه جبريل قائلًا: «السّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ إنّ رَبّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ يَسْأَلُكَ عَمَّا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ كَيْفَ تَجِدُكَ؟» (أي كيف تجد نفسك) فقالَ عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «**أَجِدُنِي وَجِعًا يا أَمِينَ الله**» ثُمَّ جَاءَهُ فِي اليَوم الثّانِي وَقَالَ: «يَا مُحمّد إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ كَيفَ تَجِدُكَ؟» فَيَقُولُ ﷺ: «**أَجِدُنِي وَجِعًا يَا أَمِينَ الله**» ثُمَّ جَاءَهُ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ فِي هَذِهِ المَرَّةِ مَعَهُ مُرَافِقٌ. قال له: «يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السّلام ويقول كيف تجِدُك؟» فقال الحبيب المصطفى: «**أَجِدُنِي وَجِعًا يَا أَمِينَ الله، مَنْ هَذَا الّذِي مَعَك؟**» فقال: «هَذا مَلَكُ المَوْتِ عَزْرَائِيلُ». تقول عائشة رضيَ اللهُ عنهُا: «رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماء فيدخل يده في القدح ثمّ يمسح وجهه بالماء، ويقول: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ المَوْتِ**». تقول عائشة: «فرأيت وجهه يحمّر ويعرقُ ولم أكن رأيت ميتًا قط» فقال لها ﷺ: «**أَقْعِدِينِي**»، فأسندتُه إليّ ووضعت يدي عليه فقبّلْتُ رأسه، فرفعت يدي عنه وظننت أنّه يريد أن يصيب من رأسي فوقعت مِنْ فِيهِ نقطة باردة على صدري، ثمّ مال فسقط على الفراش فسجّيته بثوب ولم أكن رأيت ميّتًا قط، فجاء عمر يستأذن ومعه المغيرة بن شعبة فأذنت لهما ومددت الحجاب فقال عمر يا عائشة

---

(١) سورة الزمر، ءاية (٣٠).

ما لنبيّ الله ﷺ؟ قلت غشي عليه منذ ساعة فكشف عن وجهه فقال واغمّاه، إنّ هذا لهو الغمّ، ثمّ غطّاه ولم يتكلّم المغيرة، فلمّا بلغ عند الباب قال المغيرة: مات رسول الله ﷺ يا عمر، فقال عمر كذبت، ما مات رسول الله. وجاء أبو بكر فقال ما لرسول الله يا عائشة؟ قلت غشي عليه منذ ساعة، فكشف الصّديق عن وجه رسول الله ﷺ صاحبه وحبيبه ووضع فمه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه وقال: وانبيّاه واصفِيّاه واخليلاه، صدق الله ورسوله ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1].



التّقوى أساسُ الدِّين رأسُ الحكمة مُنتَهى اليَقين

الحثُّ على التُّقى

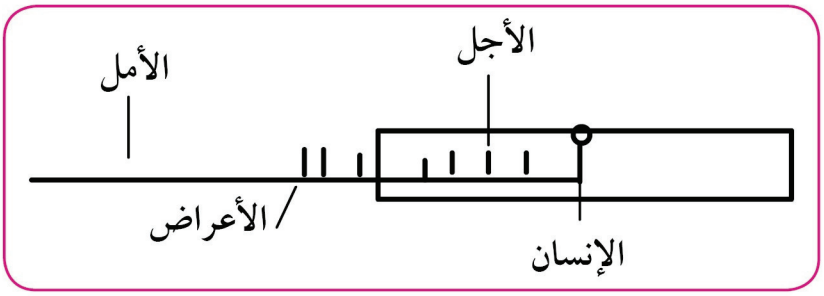
أوصيكم بتقوى الله تعالى، فأقرب النّاس إلى الرّسول عليه الصّلاة والسّلام وأحّبهم إلى الله هم المؤمنون الّذين يتّقون الله، يؤدّون الواجبات ويتجنّبون المحرّمات، وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ «**إِنَّ أَوْلَى النّاسِ بِيَ المُتَقُونَ، مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا**». الرّسول ﷺ قال عنهم إنّهم أولى النّاس به مَن كانوا، أي من أيّ ألوان البشر كانوا، أي أنّه لو كان التّقيّ بعيدًا عن الرّسول بالمسافة إلّا أنّه قريب منه القرب المعنوي، فالفضل عند الله بالتّقوى، والتّقي هو أكرم عباد الله على الله تعالى، وسيّدنا محمّد ﷺ كان أكرم الخلق على الله لأنّه أتقاهم لله وأخشاهم له.

---

(١) سورة الزمر، ءاية (٣٠).

ثمّ التّقوى منبعها القلب ثمّ يفيض أثرها على الجوارح، والقلب من الجسد بمثابة الملك من الرّعيّة، وإنَّما سمّي القلب قلبًا لشدّة تقلّبه، فالقلب أميرٌ على البدن، أمير على الجوارح، كلّ الجوارح من اليدين والعينين واللّسان والرّجلين وغيرها تحت إمرة القلب، فإذا صلح القلب صلحت الجوارح، وإذا استقام القلب استقامت الجوارح، فكان سيّدنا محمّد ﷺ أفضل الأنبياء وأكرم خلق الله، كذلك كلّ الأنبياء والملائكة يخشون الله ويتّقونه مع إيمانهم به. سبحانه القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات].

عن عبد الله بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال: خطّ النّبيُّ ﷺ خطًّا مربّعًا وخطّ خطًّا في الوسط خارجًا منه وخطّ خُططًا صغارًا إلى هذا الّذي في الوسط من جانبه الّذي في الوسط، فقال: «**هَذا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ به** - أو قد أحاط به - **وهذا الّذي هو خارجٌ أملُهُ وهذه الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْراضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذا نَهَشَهُ هَذا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذا نَهَشَهُ هذا**». رواه البخاري، وهذه صورة تقريبيّة:





يُقالُ في تلقين الميت: «**لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ**»، ويقال عند إنزال الميت في قبره: «**بِسْمِ اللهِ وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»، وعند المصيبة يقال: «**إِنَّا لِلّٰهِ وإِنَّا إِليهِ راجِعُونَ، اللَّهمَّ أَجِرْني في مُصِيبَتِي واخْلُفْ لي خَيرًا منهَا**».



الدّرس الخامس والعشرون

قال الله تعالى

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾

هل أنت جاهِزٌ للقاء ملكِ الموْتِ؟



الموتُ يعمُّنا والقبرُ يضُمُّنا وإلى اللهِ مرجِعُنا

قُبورُنَا تُبْنَى وما تُبْنَا يا ليتَنَا تُبنَا من قبلِ أن تُبْنَى

لِدُوا للمَوتِ وابنُوا للخرَابِ فكلُّكُمُ يصيرُ إلى التُّرَابِ

(**وأقلُّ الصّلاةِ عليْهِ**) أيْ على الْميّتِ (**أنْ ينْوِي فِعْل الصّلاةِ عليْهِ والفرْض ويُعيّن**) أنّهُ يُصلّي الْجِنازة[١] (**ويقُول الله أكْبرُ وهُو قائِمٌ إنْ قدر ثُمّ يقْرأ الْفاتِحة**) ولا بُدّ مِنْها لكِنْ يُنْدبُ أنْ تكُون بعْد التّكْبِيرةِ الأُولى ولوْ أخّرها لِما بعْد ذلِك جاز. ولا بُدّ مِنْ مُراعاةِ شُرُوطِ الْفاتِحةِ كما فِي الصّلواتِ الْمكْتُوباتِ (**ثُمّ**) يُكبّر مرّةً ثانِيةً أيْ (**يقُول الله أكْبرُ ثُمّ يقُول**) بعْد التّكْبِيرةِ الثّانِيةِ (**اللّهمّ صلّ على مُحمّدٍ**) وليْس لهُ تقْدِيْمُ الصّلاةِ على رسُولِ اللهِ ﷺ على التّكْبِيرةِ الثّانِيةِ أوْ تأْخِيرُها إلى ما بعْد الثّالِثةِ بلْ لا بُدّ أنْ يأْتِي بِها بعْد الثّانِيةِ (**ثُمّ**) يُكبّر مرّةً ثالِثةً أيْ (**يقُول الله أكْبرُ**) ويدْعُو لِلْميّتِ بِخُصُوصِهِ بِدُعاءٍ أُخْروِيٍّ مِنْ نحْوِ (**اللّهمّ اغْفِرْ لهُ وارْحمْهُ**) والأكْملُ الدُّعاءُ الْمأْثُورُ[٢] عنْ رسُولِ الله ﷺ (**ثُمّ**) يُكبّر مرّةً رابِعةً أيْ (**يقُول الله أكْبرُ**) ثُمّ يُسلّم فيقُول (**السّلامُ عليْكُمْ**)[٣] والأحْسنُ الْعوْدُ إلى الدُّعاءِ بعْد التّكْبِيرةِ الرّابِعةِ[٤].

---

(١) في صلاة الجنازة يقول: «أصلّي على هذا الشّخص»، ليس شرطًا أن يقول: «الميت» أو «الميتة». فإن كانت الميتة أنثى يقال: «أصلّي على هذا الميت» بنيّة الشّخص، لا بنيّة أنّها ذكر وهو يعلم الواقع. ولو قال في الدّعاء في صلاة الجنازة: «اللّهمَّ اغفر لهذا الشّخص» يجوز.

(٢) الدّعاء المأثور هو: «**اللّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنا، وَصَغيرنا وَكَبيرِنا، وذَكَرِنا وأُنْثانا، اللّهُمَّ مَنْ أَحْيَيتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ على الإِسْلام، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَان**» اهـ. هذا ثبت عن النّبيّ ﷺ أنّه قال في الصّلاة على بعض الموتى، رواه البيهقيّ في سننه في الجنائز في باب الدّعاء في صلاة الجنازة، ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ «**اللّهُمَّ مَنْ أَحْيَيتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلى الإِيمانِ وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنّا فَتَوفَّهُ عَلى الإِسلام**» اهـ انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، كتاب الجنائز، فصل في الصّلاة على الجنازة.
فائدة: الّذي يستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعًا وعشرين مرّة ورد في الحديث أنّه إذا لزم هذا يُستجابُ دعاءُه لو بقي على هذا مدّة من الزّمن، الحديث رواه ابن السُّنّي.

(٣) من أدرك صلاة الجنازة مع الإمام في التّكبيرة الرّابعة صحّت صلاته ويكمل لنفسه.

(٤) يجوز جمع ميّتين أو عدد في مكان واحد ويصلّى عليهما أو عليهم صلاة واحدة ويقول المصلّي في قلبه: «أصلّي على هؤلاء»، وإن أفرد كلّ واحد منهم بصلاة يجوز.

(**ولا بُدّ فِيها**) أيْ صلاةِ الْجنازةِ (**مِن**) اسْتِيفاءِ (**شُرُوطِ الصّلاةِ**) كاسْتِقْبالِ الْقِبْلةِ والطّهارةِ (**وترْكِ الْمُبْطِلاتِ**) فما أبْطل الصّلاة أبْطلها.

(**وأقلُّ الدّفْنِ**) لِلْميّتِ أنْ يُدْفن فِي (**حُفْرةٍ تكْتُمُ رائِحتهُ**) بعْد ردْمِها (**وتحْرُسُهُ مِن السّباعِ**) أنْ تنْبُشهُ وتأْكُل جسدهُ. (**ويُسنُّ**) لِلإِتْيانِ بِالأكْملِ (**أنْ يُعمّق**) الْقبْرُ (**قدْر قامةٍ وبسْطةٍ**) بِأنْ يقُوم فِيهِ ويبْسُط يدهُ مُرْتفِعةً وذلِك أرْبعةُ أذْرُعٍ ونِصْفٌ (**و**) أنْ (**يُوسّع**) الْقبْرُ. (**ويجِبُ توْجِيهُهُ**) أيْ الْميّتِ أيْ توْجِيهُ صدْرِهِ (**إِلى الْقِبْلةِ**) بِأنْ يُضْجع على جنْبِهِ مُسْتقْبِلًا الْقِبْلة[1].

(**ولا يجُوزُ الدّفْنُ فِي الْفِسْقِيّةِ**) وهِي بِناءٌ يُدْخلُ فِيهِ الْميّتُ على ءاخر قبْل بِلاهُ ولا يمْنعُ الرّائِحة[2].

---

(١) عند إدخال الميت الكبير أو الصّغير في القبر يقال: «بسم الله وعلى ملّة رسول الله». ويستحبّ أن يلقّن الميت بعد الدّفن فيقال: «يا عبد الله يا ابن أمة الله، اذكر العهد الّذي خرجت عليه من الدّنيا: شهادة أن لا إلٰه إلّا الله وأنّ محمّدًا رسول الله، وأنّ الجنّة حقّ، وأنّ النّار حقّ، وأنّ البعث حقّ وأنّ السّاعة ءاتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور، وأنّك رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمّد نبيًّا، وبالقرءان إمامًا، وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخوانًا». ابن حجر العسقلاني، التلخيص الحبير، (٢/ ٣١٠). ولا يلقن الصّغير لأنّه لا يسأل في القبر، فمن لقّن الصّبي فهذه عبادة فاسدة، فالتّلقين للميت البالغ. وروى الطّبراني أيضًا في المعجم الكبير عن ابن عمر رضي الله عنه أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا مَاتَ أَحَدُكُم فلا تَحْبِسُوهُ وأسْرِعُوا بِهِ إلى قَبرِهِ ولْيُقْرَأَ عِندَ رأسِهِ بِفاتِحَةِ الكتابِ وعِندَ رِجلَيْهِ بِخَاتِمَةِ البَقَرَة في قَبرِهِ**».
وممّا استدلّ به العلماء على جواز قراءة القرءان على قبر الميت المسلم وانتفاعه بالقراءة حديث البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ النّبيّ ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكّة فسمع صوت إنسانين يُعذّبان في قبورهما، فقال النّبيّ ﷺ: «**يُعذَّبَانِ، وَمَا يُعذّبَانِ فِي كَبِيرٍ**»، ثمَّ قال: «**بَلى، كَانَ أَحَدُهُما لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَولِهِ، وَكانَ الآخَرُ يَمشِي بالنَّميمَة**»، ثمّ دعا بجريدة (نبات أخضر) فكسرها كِسرتين، فوضع على كلّ قبر منهما كِسرة، فقيل له: يا رسول الله لِم فعلت هذا؟ قال: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفّفَ عَنْهُما مَا لَمْ تَيْبَسَا**» أو قال: «**إِلَى أَنْ يَيْبَسا**».

(٢) يسنّ تعزية المسلم في كلّ قريب مسلم له مات أو مسلم عزيز عليه ولو لم يكن قريبه.

فائدةٌ مهمةٌ من مات بمرضٍ وكان هذا المرض في جوفه أي في بطنه فهو شهيد، أمّا إذا كان نزل المرض برأسه أو نحو ذلك فليس شهيدًا، الرّسول ﷺ قال: «**المَبْطونُ شَهيدٌ**» «**مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ** - أي مات بمرض البطن - **فَهْوَ شَهِيدٌ**» رواه التّرمذي والنّسائي، إن كان مات بإسهال فهو شهيد لأنّه مرض بالبطن، أمّا السّرطان ما كان له ذكر، ما ورد في الحديث، الرّسول عليه الصّلاة والسّلام ما قال من يموت بالسّرطان فهو شهيد إنّما قال: «**المَبْطُونُ شَهِيدٌ والمَطْعُونُ شَهِيدٌ**»، والمطعون هو الّذي يصيبه الطّاعون، الطّاعون ورم يحدُث منه إسهال وقيء غالبًا يموت المصاب به، في الماضي كان يحصل كثيرًا فهذا الرّسول ﷺ عدّه في الشّهادة، الورم يحصُل في المواضع الطّريّة من الجسم، سببه كما ورد في الحديث «**وَخْزُ أَعْدَائكُم مِنَ الجِنّ**» الجِنّ يطعنون ابن آدم.

روى الطّبرانيّ في المعجم الكبير عن سعيد بن عبد الله الأودي قال: شهدت أبا أمامة الباهليّ وهو في النّزع فقال: إذا أنا متّ فاصنعوا بي كما أمر رسول الله ﷺ، فقال: «**إِذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ فَسَوَّيْتُمْ التُّرَابَ عَلَيْهِ فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عَلَى رَأْسِ قَبْرِهِ ثُمَّ لِيَقُلْ: يَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانَةَ فَإِنَّهُ يَسمَعُهُ وَلَا يُجِيبُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا فُلَانُ ابْنُ فَلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَسْتَوِي قَاعِدًا. ثُمَّ يَقُولُ: يَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: أَرْشِدْنَا رَحِمَكَ الله، وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ، فَلْيَقُلْ: اذْكُرْ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّكَ رَضِيتَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَبِالْقُرْءَانِ إِمَامًا، فَإِنَّ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا يَأْخُذُ كُل وَاحِدٌ مِنْهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ يَقُولُ: انْطَلِقْ بِنَا مَا نَقْعُدُ عِنْدَ مَنْ لُقِّنَ حُجَتَهُ فَيَكُونُ اللهُ حَجِيجَهُ دُونَهُمَا**». قَال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف أمّه؟ قال: «**فَيَنْسُبُهُ إِلَى حَوَّاءَ يا فُلانُ ابنَ حَوَّاءَ**».



توجّه لله بتمكينه من الصّلاة في قبرِهِ. . . فاستجيب دعاه

ثابتُ البُنَانِي رضيَ اللهُ عنهُ

من النّاس المؤمنين الأتقياء كان قد سأل الله تعالى أن يُمكّنهُ من الصّلاة في القبر بعدما توفي بعد برهة من الزمن حُفِر قبر بجوار قبره فأُهيل جدار القبر فرُؤيَ قبره موسّعًا يصلّي فيه، فذهبوا إلى ابنته فسألوها على أي حال كان أبيك فقالت لهم ما علمته قام ليلًا يصلّي إلا وسأل الله، قال في دعائه: «اللَّهمَّ إن كنت مكّنت أحدًا من الصّلاة في القبر فمكنّي من الصّلاة فيه». بعدما توفّي شاهده النّاس يقظة يصلّي وهو في قبره، يقظة ليس منامًا، هذا يقال له ثابتُ البُناني، هذا ما رأى الرّسول ﷺ لكن رأى أصحاب رسول الله، كان لازم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، الّذي خدم الرّسول عشر سنوات بالمدينة، رءاه وأخذ منه العلم وكان يحبّه ويتعلّق به، لازمه ملازمة شديدة، كان عابدًا تقيًّا عالمًا، من علماء الحديث ثابتُ البُناني، الله تعالى حقّق له دعوته فشاهده النّاس عيانًا وهو يصلّي في قبره.



تَحَرَّ واسأَلْ، قبلَ أن تفعَلْ

بيانُ حُرمةِ المُسلِمِ

الله تعالى جعل للمسلم حرمة في حياته وبعد مماته، وقد قال نبيّنا

عليه الصّلاة والسّلام: «**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**» صحيح مسلم، وقال: «**إِنَّ كَسْرَ عَظْمِ المُؤْمِنِ مَيْتًا مِثْلَ كَسْرِهِ حَيًّا**» رواه الإمام أحمد. فأخْذُ عينه أو كليته هتك لحرمة المسلم، من الكافر خذ إن استطعت، الكافر الحربيُّ خذ منه، فلو قال هذا المسلم إذا متّ فخذوا عيني فأعطوها لمن يحتاج لعلاج العين لا يجوز أن يؤخذ منه وفي حياته بالأولى لا يجوز.

الجزء الّذي ينفصل من ابن آدم يدفن هذا أحسن، حتَّى الظّفر والشّعر إذا الإنسان قلّم ظفره وحلق شعره يسنّ دفنه في التّراب لأنّ فيه احترامًا لجزء الآدمي المسلم، أمّا الدّم يجوز التّبرع به لأنّ الدّم شيء فضلة مثل البول، ليس جزءًا أصليًا يطلب بقاؤه في الجسم، يجوز أن يتبرّع به أمّا أن يبيعه فلا.

دعاء

يُقال في القُنُوت: «**اللَّهمَّ اهدِني فيمَنْ هدَيتَ، وعَافِني فيمَنْ عَافَيتَ، وتوَلَّنِي فيمَنْ تولَّيتَ، وبارِكْ لي فيمَا أعطَيتَ، وقِني شرَّ ما قضَيتَ، فإنَّكَ تَقْضِي ولا يُقضَى علَيكَ، وإنَّهُ لا يذِلُّ مَنْ والَيتَ، ولَا يعِزُّ من عادَيتَ، تبارَكْتَ ربَّنا وتعَالَيتَ**».

الدّرس السادس والعشرون

(كِتابُ الزّكاةِ)

بعْد أنْ أنْهى الْمُصنّفُ رحِمهُ الله الْكلام على الطّهارةِ والصّلاةِ شرع كعادةِ الْمُؤلّفِين فِي الْكلامِ على الزّكاةِ وهِي اسْمٌ لِما يُخْرجُ عنْ مالٍ أوْ بدنٍ على وجْهٍ مخْصُوصٍ فقال رحِمهُ الله (**فصْلٌ**) فِي بيانِ أحْكامِ الزّكاةِ[1].

(**وتجِبُ الزّكاةُ**) فِي أنْواعٍ مخْصُوصةٍ مِن الأمْوالِ وفِي الْبدنِ، وبدأ الْكلام على الأمْوالِ فقرّر أنّها تجِبُ (**فِي**) الأنْعامِ مِن الْبهائِمِ وهِي (**الإِبِلُ**) عِرابًا وبخاتِي روى البيهقِيُّ في كتابِ الأدبِ وهو أنّ رسول اللهِ قال: «الْمُؤمِنُ كالجملِ الأنِفِ إنْ قِيد انقاد وإنَّ استُنِيخ على صخرةٍ استناخ» الرّسولُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ شبّه المؤمن بالجملِ الأنفِ أي الّذي في أنفِهِ قرحةٌ. (**والْبقرُ**) ومِنْها الْجوامِيسُ (**والْغنمُ**) ضأْنًا ومعْزًا (**و**) تجِبُ فِي ثِمارِ النّخْلِ والْكرْمةِ أيْ (**التّمْرُ والزّبِيبُ و**) تجِبُ فِي (**الزُّرُوع الْمُقْتاتة**) أي الّتِي يتّخِذُها النّاسُ قُوتًا يقُومُ بِهِ الْبدنُ بِشرْطِ أنْ يكُون اتّخاذُهُمْ لها (**حالة الِاخْتِيارِ**) وذلِك كالْحِنْطةِ والشّعِيرِ والْحِمّصِ والْفُولِ بِخِلافِ ما لا يُقْتاتُ إلّا حالة الضّرُورةِ كالْحُلْبةِ (**و**) تجِبُ فِي

---

(١) قال الله تعالى ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة البقرة].
ولمّا جاء جبريل عليه السّلام وسأل رسول الله ﷺ ليعلّم الصّحابة عن الإسلام فأجابه الصّادق المصدوق ﷺ قائلًا: **الإسلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلهَ إلّا الله وأنّ مُحَمَّدًا رَسولُ الله وَتُقيمَ الصّلاةَ وتُؤتي الزكاة**. الحديث رواه الطبراني. ومنع الزكاة وتأخير دفعها عن وقتها من غير عذر من الكبائر فقد قال ﷺ: «**لَعَنَ الله ءاكِلَ الرِبّا ومُوكِلَهُ وَمَانِعَ الزَّكاةَ**» فمن منعها وهو معتقد وجوبها فلا يكفر.

النّقْديْنِ وهُما (**الذّهبُ والْفِضّةُ**[١]) الْمضْرُوبانِ مع الْخِلافِ فِي الْحُلِيّ الْمُباحِ مِنْهُما.

(**و**) تجِبُ فِي (**الْمعْدِنِ والرّكازِ مِنْهُما**) فأمّا الْمعْدِنُ فهُو ما كان مِنْهُما مُسْتخْرجًا مِن الْمكانِ الّذِي خلقهُما الله فِيهِ فتجِبُ فِيهِما الزّكاةُ بعْد التّنْقِيةِ مِن التُّرابِ وأمّا الرّكازُ فهُو دفِينُ الْجاهِلِيّةِ مِن الذّهبِ أوِ الْفِضّةِ (**و**) تجِبُ الزّكاةُ أيْضًا فِي (**أمْوالِ التّجارةِ**) أيْ فِي الأمْوالِ الّتِي لا زّكاة فِي أعْيانِها إِنْ قلّبها شخْصٌ لِغرضِ الرّبْحِ بِنِيّةِ التّجارةِ كما إِذا فعل ذلِك بِالثّيابِ أوِ السُّكّرِ أوِ الْمِلْحِ أوِ الْخيْلِ ونحْوِ ذلِك.

(**و**) أمّا زكاةُ الْبدنِ فهِي زكاةُ (**الْفِطْرِ**) ويأْتِي الْكلامُ عليْها إِنْ شاء الله.

وبعْد أنْ بيّن الْمُصنّفُ رحِمهُ الله الأمْوال الّتِي تجِبُ فِيها الزّكاةُ شرع فِي الْكلامِ على شُرُوطِ وُجُوبِ الزّكاةِ فِي كُلٍّ مِنْها فقال (**وأوّلُ نِصابِ الإِبِلِ**) أيْ أوّلُ قدْرٍ تجِبُ فِيهِ الزّكاةُ على منْ ملك شيْئًا مِن الإِبِلِ (**خمْسٌ و**) أوّلُ نِصابِ (**الْبقرِ ثلاثُون و**) أوّلُ نِصابِ (**الْغنمِ أرْبعُون فلا زكاة قبْل ذلِك**) أيْ قبْل بُلُوغِ الإِبِلِ والْبقرِ والْغنمِ الْعدد الْمذْكُور (**ولا بُدّ**) فِي وُجُوبِ الزّكاةِ (**مِنْ**) مُضِيّ (**الْحوْلِ**) أيْ مِنْ مُضِيّ سنةٍ قمرِيّةٍ (**بعْد ذلِك**) أيْ بعْد النّصابِ (**ولا بُدّ**) أيْضًا لِوُجُوبِ الزّكاةِ فِي الأنْعامِ (**مِن السّوْمِ**) أيِ الرّعْيِ مِن الْمالِكِ أوْ نائِبِهِ (**فِي كلأٍ مُباحٍ أيْ أنْ يرْعاها**

---

(١) وتجب في النّقد أي الذّهب والفضّة المضروب من ذلك وغيره وأمّا غير الذّهب والفضّة من الأثمان فلا زكاة فيه عند الإمام الشّافعيّ والإمام مالك رضي الله عنهما وتجب فيه عند الإمام أبي حنيفة فهذه العملة المستعملة في هذا العصر لا تجب فيها الزّكاة عند الإمامين الشّافعي ومالك وتجب عند أبي حنيفة لأنّها تروج رواج الذّهب والفضّة، ومن أخذ بمذهب أبي حنيفة فزكّاها أخذ بالاحتياط.
وأمّا الحليّ المباح من ذهب أو فضّة فقد اختلف فيه الأئمّة فأبو حنيفة يرى وجوب الزّكاة في حُليّ النّساء وأمّا الشّافعيّ فقال فيه قولين مرة قال تجب الزّكاة في حليّ النّساء ومرة قال لا تجب، والاحتياط أن يزكّى الحليّ.

مالِكُها أوْ منْ أذِن لهُ) الْمالِكُ (**فِي كلأٍ مُباحٍ أيْ مرْعًى**) يشْترِكُ النّاسُ فِيهِ و(**لا مالِك لهُ**) مِن النّاسِ مخْصُوصٌ فلا زكاة فِي الأنْعامِ الْمعْلُوفةِ أوِ السّائِمةِ بِنفْسِها.

(**و**) لا بُدّ لِلْوُجُوبِ أيْضًا مِنْ (**أنْ لا تكُون**) الأنْعامُ السّائِمةُ (**عامِلةً**) فِي نضْحِ ماءٍ أوْ حرْث أرْضٍ (**فالْعامِلةُ فِي نحْوِ الْحرْثِ لا زكاة فِيها فيجِبُ فِي كُلّ خمْسٍ مِن الإِبِلِ شاةٌ**) ضأْنٍ أكْملتْ سنةً أوْ أسْقطتْ مُقدّم أسْنانِها أوْ معْزٌ أكْملتْ سنتيْنِ وفِي عشْرٍ شاتانِ وفِي خمْس عشْرة ثلاثُ شِياهٍ وفِي عِشْرِين أرْبعُ شِياهٍ وفِي خمْسٍ وعِشْرِين بِنْتُ مخاضٍ مِن الإِبِلِ (**و**) يجِبُ (**فِي**) كُلّ (**أرْبعِين مِن الْغنمِ شاةٌ جذعةُ ضأْنٍ**) أيْ لها سنةٌ (**أوْ ثنِيّةُ معْزٍ**) أيْ لها سنتانِ (**و**) يجِبُ (**فِي كُلّ ثلاثِين مِن الْبقرِ تبِيعٌ ذكرٌ**) وهُو ما لهُ سنةٌ مِن الْبقرِ وفِي كُلّ أرْبعِين مُسِنّةٌ وهِي ما لها سنتانِ والأنْعامُ الّتِي بيْن النّصابيْنِ عفْوٌ لا زكاة فِيها (**ثُمّ إِنْ زادتْ ماشِيتُهُ على ذلِك**) الْمذْكُورِ (**ففِي ذلِك الزّائِدِ**) تفْصِيلٌ يُعْلمُ مِنْ كُتُبٍ أوْسع مِنْ هذا الْمُخْتصرِ.

(**ويجِبُ علیْهِ**) أيْ على منْ ملك شيْئًا زائِدًا مِن الأنْعامِ عنِ النّصابِ الذِي ذكرْناهُ (**أنْ يتعلّم ما أوْجبهُ الله تعالى علیْهِ**) مِن الزّكاةِ (**فِيها**) أيِ فِي ماشِيتِهِ.

(**وأمّا التّمْرُ والزّبِيبُ والزُّرُوعُ**) الْمُقْتاتةُ حالة الِاخْتِيارِ (**فأوّلُ نِصابِها خمْسةُ أوْسُقٍ**) فلا زكاة فِيما دُون ذلِك (**وهِي**) أيِ الْخمْسةُ الأوْسُقُ (**ثلاثُمِائةُ صاعٍ بِصاعِهِ علیْهِ الصّلاةُ والسّلامُ**) وذلِك لِأنّ الْوسْق سِتُّون صاعًا فتكُونُ الْخمْسةُ الأوْسُقُ ثلاثمِائةِ صاعٍ والصّاعُ أرْبعةُ أمْدادٍ والْمُدُّ هُو مِلْءُ كفّيْ رجُلٍ مُعْتدِلٍ ولِهذا قال المصنِفُ رحِمهُ الله بِصاعِهِ علیْهِ الصّلاةُ والسّلامُ اهـ (**و**) صاعُ النّبِيّ ﷺ (**مِعْيارُهُ**) أيْ قدْرُهُ (**موْجُودٌ**) إِلى الآن (**بِالْحِجازِ**).



للمفتون فيهم موعظة. . . ولِلمُغْتَرِّ بهم معتبرُ. . .
لله دَرُّكَ ماذا تَستُر الحُفَرُ

المُتكبِّرُ المَفْتون قارون

كان قارون من بني إسرائيل وهو ابن عمّ سيّدنا موسى عليه السّلام، وقد رزقه الله تعالى سعة في الرّزق، وكثرة في الأموال حتَّى فاضت بها خزائنه، واكتظّت صناديقه بما حوته منها، فلم يعد يستطيع حمل مفاتيحها مجموعة من الرّجال الأقوياء، وكان يعيش بين قومه عيشة التّرف، فكان يلبس الملابس الفاخرة ولا يخرج إلّا في زينته، ويسكن القصور، ويختار لنفسه الخدم والعبيد، ويستمتع بملذّات الدّنيا الفانية.

لكنّ قارون لم يكن عبدًا شكورًا، فبدلًا من أن يطيع الله، أخذ يغترّ بنفسه ويتكبّر على قومه ويفتخر بكثرة ما ءاتاه الله تعالى من الأموال والكنوز، فنصحه النّصحاء من قومه ووعظوه ونهوه عن فساده وبغيه، ولكنّه أجابهم جواب مغتر مفتون مستكبر، مدّعيًا أنّه لا يحتاج إلى نصائحهم لأنّه اكتسب ماله بعلمه وفضله، معتقدًا على زعمه أنّ الله يحبّه ولذلك أعطاه المال الكثير.

ويروى أنّه عندما أنزلت فريضة الزّكاة على سيّدنا موسى عليه السّلام أخبر قومه بما يجب عليهم، وقال لقارون مذكّرًا إيّاه بتقوى الله وحقّه عليه أنّ على كلّ ألف دينار دينارًا، وعلى كلّ ألف درهم درهمًا، فحسب قارون ما يترتّب عليه من الزّكاة فاستكثره، فشحّت نفسه فكفر بما جاء به موسى عليه السّلام. ثمّ جمع قارون بعض من يثق بهم من أتباعه وقال لهم: إنّ موسى أمركم بكلّ شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أخذ أموالكم، فقالوا له: مرنا بما شئت. قال: ءامركم أن تحضروا

«سبرتا» العاصية فتجعلوا لها أجرة على أن تزعم أنّ موسى أراد الزّنى بها، والعياذ بالله تعالى، ففعلوا ذلك وأرسلوا لها طستًا من ذهب مملوءًا قطعًا ذهبية. فلمّا كان يوم عيد لهم أتى قارون لعنه الله إلى سيّدنا موسى عليه السّلام متظاهرًا بالودّ، فقال له: إنّ قومك قد اجتمعوا لك لتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم نبيُّ الله موسى عليه السّلام فقال لهم: «من سرق قطعنا يده، ومن زنى وهو غير متزوّج جلدناه، وإنَّ تزوّج وزنى رجمناه حتَّى يموت».

فقال له قارون: وإنْ كنت أنت؟ قال موسى: «أعوذ بالله منك، إنّني لا أقرب هذه الفواحش». فقال له قارون: إنّ بني إسرائيل يزعمون أنّك فجرت بـ«سبرتا»، فقال عليه السّلام: «ادعوها»، فلمّا جاءت استحلفها موسى عليه السّلام بالله الّذي فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق، فتداركها الله تعالى برحمته فتابت وتبرّأت ممّا نسبوا إلى موسى وقالت: كذبوا، بل جعل لي قارون أجرة على أن أتّهمك بالزّنى، فسجد موسى عليه السّلام ودعا الله على من ظلمه فأوحى الله تعالى إليه: «مر الأرض بما شئت فإنَّها مطيعةٌ لك». وفي اليوم التالي خرج قارون كعادته في موكب كبير يضمّ ءالاف الخدم والحشم، وقد تزيّنت ثيابهم بالذّهب والجواهر، وركبوا على بغالهم وأفراسهم وهو يتقدّمهم على بغلة شهباء زيّنها، وقد ارتدى أجمل ثيابه وأفخرها مزهوًّا بنفسه متطاولًا، والنّاس على الجانبين ينظرون إليه بدهشة، ومنهم من اغترّ به فقال: هنيئًا لقارون إنّه ذو حظٍّ عظيم، مال وجاه. فلمّا سمعهم بعض الصّالحين من قومهم نصحوهم أن لا يغترّوا بزهرة الدّنيا فإنَّها غرّارة.

وقيل إن قارون مرّ في مسيره على مجلس لسيّدنا موسى عليه السّلام فأوقف الموكب وخاطبه قائلًا: يا موسى أمّا لئن كنت فُضِّلت عليَّ بالنّبوّة، فلقد فُضِّلتُ عليك بالمال، ولئن شئت فاخرج فادعُ عليَّ وأدعو

عليك، فخرج سيّدنا موسى عليه السّلام ثابت القلب متوكّلًا على ربّه سبحانه وتعالى، وبدأ قارون بالدّعاء فلم يُسْتَجَبْ له، ودعا سيّدنا موسى وقال: «اللَّهمَّ مر الأرض فلتطعني اليوم»، فاستجاب الله له، فقال موسى: «يا أرض خذيهم»، فأخذت الأرض قارون الملعون ومن معه من أتباعه الخبثاء إلى أقدامهم ثمّ قال: «يا أرض خذيهم»، فأخذتهم إلى ركبهم ثمّ إلى مناكبهم ثمّ قال: «أقبلي بكنوزه وأمواله»، فاهتزّت الأرض تحت داره وما فيها من أموال، ثمّ أشار موسى عليه السّلام بيده فقال: «يا أرض خذيهم فابتلعتهم جميعًا». ولمّا حلّ بقارون ما حلَّ من خسف الأرض وذهاب الأموال وخراب الدّار وخسفها ندم من كانوا تمنَّوا مثل ما أوتي، وشكروا الله تعالى الّذي لم يجعلهم كقارون طغاة متجبّرين متكبّرين فيخسف بهم الأرض.

في أموالهم حقٌّ معلوم...

الزَّكاة

دين الإسلام دينُ الملّةِ المستقيمة والشّريعةِ العادِلة، تتجلَّى في أحكامهِ حِكَمُه ومقاصده، وفي تشريعاتِه محاسِنُه وفضائلُه، وفي أركانه عظَمَته ورِفعته، ورُكن الزّكاة هو ثالِث أركان الإسلام ومبانِيهِ العِظام.

الزّكاة نسبة محدّدة من المال يخرجها المسلم الغنيّ من ماله او ملكه بعد معرفة نصابها وشروطها ومقدارها ووقت إخراجها ومصرفها، وغير ذلك من تفاصيلها.

تحرّوا بزكاتكم المستحقّين لها، فكم سدَّ بها مِن حاجة، وكَم جبر

بها من فاقَة، وكم فرَّج بها عن معسِر وأغنى من مسكين، فضائلُها لا تعَدّ وبَركاتها لا تحصى.

فرض الزّكاة على المسلمين من أظهر محاسن الإسلام، فمن فوائدها تثبيت أواصر المودّة بين الغنيّ والفقير؛ لأنّ النّفوس مجبولة على حبّ من أحسن إليها.

ومنها تطهير النّفس وتزكيتها، والبعد بها عن خُلُقِ الشّحّ والبخل، كما اشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة التوبة].

ومنها تعويد المسلم صفة الجود والكرم والعطف على ذي الحاجة.

ومنها استجلاب البركة والزّيادة والرزق من الله.

وقد جاء الوعيد الشّديد في حقّ من بخل بها أو قصّر في إخراجها، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة التوبة].

أخلصوا نيّاتكم لله ولا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى فإنّ الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴿٢٦٤﴾﴾ [سورة البقرة].



«اللَّهمَّ أَغْنِنَا بالعِلْمِ، وزَيِّنَّا بالحِلمِ، وأكرِمْنَا بالتَّقْوَى، وَجَمِّلْنا بالعَافيةِ».



الدّرس السابع والعشرون

(و) مِنْ أحْكامِ الزُّرُوعِ أنّهُ (يُضمُّ زرْعُ الْعامِ بعْضُهُ إلى بعْضٍ فِي إكْمالِ النّصابِ) إنِ اتّحد الْجِنْسُ وكان الْحصادُ فِي عامٍ واحِدٍ، فإذا كمُل النّصابُ بِضمّ الزّرْعِ الأوّلِ إلى الزّرْعِ الثّانِي وجبتِ الزّكاةُ ولوِ اخْتلف النّوْعُ (ولا يُكمّل جِنْسٌ) مِن الزُّرُوعِ (بِجِنْسٍ[1]) ءاخر لإتْمامِ النّصابِ (كالشّعِيرِ مع الْحِنْطةِ) فلوْ كان عِنْدهُ شعِيرٌ وحِنْطةٌ وكُلٌّ مِنْهُما أقلُّ مِنْ خمْسةِ أوْسُقٍ فلا تجِبُ عليْهِ الزّكاةُ ولوْ كان مجْمُوعُهُما خمْسة أوْسُقٍ لِأنّهُما جِنْسانِ فلا يُضمُّ هذا إلى هذا فِي إكْمالِ النّصابِ بِخِلافِ النّوْعيْنِ مِنْ جِنْسٍ واحِدٍ كبُرٍّ شامِيٍّ وبُرٍّ مِصْرِيٍّ فإنّهُما يُضمّانِ.

(وتجِبُ الزّكاةُ) فِي التّمْرِ والزّبِيبِ (بِبُدُوّ الصّلاحِ) ولوْ فِي حبّةٍ ومعْنى بُدُوّ الصّلاحِ أنْ تظْهر علامةُ بُلُوغِهِ صِفةً يُطْلبُ فِيها لِلأكْلِ غالِبًا كظُهُورِ التّلوُّنِ فِي الْعِنبِ الّذِي يتلوّنُ ومبادِئِ النُّضْجِ فِي غيْرِهِ (و) تجِبُ فِي الزُّرُوعِ عِنْد (اشْتِدادِ الْحبّ) ولا يصِحُّ الإخْراجُ إلّا بعْد جفافِ التّمْرِ والزّبِيبِ وتصْفِيةِ الْحبّ مِنْ سُنْبُلِهِ ونحْوِ ذلِك.

(ويجِبُ فِيها) أي التّمْرِ والزّبِيبِ والزُّرُوعِ (الْعُشْرُ إنْ لمْ تُسْق بِمُؤْنةٍ) كما إذا سُقِيتْ بِماءِ الْمطرِ أوِ النّهْرِ فيُخْرِجُ عنْ ثلاثِمِائةِ صاعٍ ثلاثِين صاعًا (و) يجِبُ فِيها (نِصْفُهُ[2]) أيْ نِصْفُ الْعُشْرِ (إنْ سُقِيتْ بِها) أيْ بِمُؤْنةٍ كما إذا سُقِيتْ بِماءٍ نقلتْهُ الدّوابُّ مِنْ محلّهِ إلى الزّرْعِ على

---

(١) لا زكاة فيما كان من الحبّ والثّمر أقل من النّصاب إلّا أن يتطوّع مالكه خلافًا لمذهب أبي حنيفة فإنّه يوجب الزّكاة فيما دون النّصاب في الثّمار والزّروع.

(٢) قال القاضي ابن كَجّ لو اشترى الماء كان الواجب نصف العشر وكذا لو سقاه بماء مغصوب لأنّ عليه ضمانَهُ اهـ.

ظُهُورِها أوْ بِالدُّولابِ الّذِي تُدِيرُهُ الدّابّةُ أوْ بِالنّاعُورةِ أوْ بِمِضخّةِ الْماءِ فيُخْرِجُ عنِ الثّلاثِمِائةِ صاعٍ حِينئِذٍ خمْسة عشر صاعًا (**وما زاد على النّصابِ**) الْمذْكُورِ وهُو خمْسةُ أوْسُقٍ (**أُخْرِج مِنْهُ**) أي الزّائِدِ (**بِقِسْطِهِ**) ولوْ كان يسِيرًا لِأنّ الْعفْو لا يدْخُلُ هُنا بِخِلافِ الْماشِيةِ كما مرّ (**ولا زكاة فِيما دُون النّصابِ**) وهُو خمْسةُ أوْسُقٍ (**إِلّا أنْ يتطوّع**) مالِكُهُ.

فائدة: قال العلماءُ: «إنّ الصدقة الحلال المُخرجة من المالِ تقربًا إلى اللهِ تعالى واحتسابًا للأجرِ منه سبحانه يبارِكُ الله عزّ وجلّ في مالِ صاحِبِها بالبركةِ الخفيّةِ الّتي تحصُلُ في مالِ صاحِبِها».

وقالوا «إنّ المال الّذي خرجت منه الصّدقةُ وإنْ نقصت صورتُه لكنْ ثوابُه المعدُّ لهُ في الآخرةِ جابرٌ لنقصه».

ويشهدُ لذلك ما أخبر به الرّسولُ العظيمُ ﷺ بقوله «**بينما رَجُلٌ بِفَلاةٍ منَ الأرضِ فَسَمِعَ صَوْتًا في سَحابَةٍ**: «**إِسْقِ حَديقَةَ فُلانٍ**» فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ في حُرَّةٍ وهِيَ الأرضُ المُلبّسةُ حِجارةً سُوْدًا فإذا شرْجةٌ وهي مكانُ مسيلِ الماءِ من تلك الشّراجِ قد استوعبتْ ذلك الماء كُلّهُ فَتَتَبَّعَ الماءَ فَإذا رَجُلٌ قائِمٌ في حَديقَتِهِ يحوّلُ الماء بِمِسْحاتِهِ، فقال له: يا عَبدَ الله ما اسْمُك؟ قال صَاحبُ الحديقةِ فلانٌ للاسْمِ الّذي سَمِعَ في السّحابةِ أي هو نفسُ الاسمِ الّذي سَمِعَهُ مِنَ السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ أيْ صَاحِبُ الحَديقَةِ: يا عَبدَ الله لِم تسْألُنِي عن اسْمي؟ فقال له: إنّي سَمِعْتُ صَوتًا في السَّحابِ الّذي هذا ماؤُهُ يقولُ اسقِ حديقة فلانٍ لاسْمِك فما تَصْنَعُ فيه؟ قال أمّا إذا قُلتَ هذا فإنّي أنظرُ إلى ما يَخْرُجُ منها فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَءاكُلُ أنا وعِيالي ثُلُثًا وأَرُدُّ فيها ثُلثهُ» رواه مسلم.

(**وأمّا الذّهبُ فنِصابُهُ عِشْرُون مِثْقالًا**) والْمِثْقالُ وزْنُ اثْنتيْنِ وسبْعِين حبّة شعِيرٍ مُتوسّطةً مِنْ شعِيْرِ الحِجازِ غيْر منْزُوعةِ الْقِشْرِ بعْد أنْ يُقْطع

مِنْها ما دقّ وطال. (و) أمّا (الْفِضّةُ[١]) فنِصابُها (مِائتا دِرْهمٍ) والْدِرْهمُ وزْنُهُ خمْسُون وخُمُسا حبّةِ شعِيرٍ مُتوسّطةٍ (ويجِبُ فِيهِما) أي الذّهبِ والْفِضّةِ إذا بلغا النّصاب (رُبْعُ الْعُشْرِ وما زاد) على النّصابِ (فبِحِسابِهِ) ولوْ كان الزّائِدُ يسِيرًا كما مرّ فِي الزُّرُوعِ. (ولا بُدّ فِيهِما) أي الذّهبِ والْفِضّةِ (مِنْ) مُضِيّ (الْحوْلِ) لِتجِب الزّكاةُ فِيهِما (إِلّا) أنّ (ما حصّل) مِن الذّهبِ والْفِضّةِ (مِنْ معْدِنٍ أوْ رِكازٍ) وقدْ بلغ النّصاب لا يُشْترطُ فِيهِ الْحوْلُ (فيُخْرِجُها) أي الزّكاة (حالًا) فِي كُلٍّ مِنْهُما أيْ بعْد التّنْقِيةِ مِن التُّرابِ فِي الْمعْدِنِ ولا ينْتظِرُ حتّى يحُول الْحوْلُ عليْهِما. ويخْتلِفُ الْقدْرُ الْواجِبُ فِي الْمعْدِنِ عنِ الْقدْرِ الْواجِبِ فِي الرّكازِ ففِي الْمعْدِنِ رُبْعُ الْعُشْرِ كغيْرِهِ مِن الذّهبِ والْفِضّةِ (وفِي الرّكازِ[٢] الْخُمْسُ) وذلِك لِأنّ فِي الْمعْدِنِ مُؤْنة التّنْقِيةِ مِن التُّرابِ بِخِلافِ الرّكازِ.

---

(١) **فائدة**: نصاب الفضّة عشرة ءالاف وثمانون حبة شعير (١٠٠٨٠) أي ما يساوي خمسمائة وأربعة وتسعين غرامًا ومائة وأربعة وعشرين جزءًا من الألف من الغرام من الفضّة تقريبًا (٥٩٤,١٢٤) وقدّره بعضهم بخمسمائة وخمسة وتسعين غرامًا (٥٩٥). ونصاب الذّهب ألف وأربعمائة وأربعون حبّة شعير (١٤٤٠) أي ما يساوي تقريبًا أربعة وثمانين غرامًا وثمانمائة وخمسة وسبعين جزءًا من الألف من الغرام من الذّهب الخالص (٨٤،٨٧٥) وقدّره بعضهم بخمسة وثمانين غرامًا وما يساوي ستّة وثمانين غرامًا (٨٦) من عيار أربعة وعشرين، وسبعة وتسعين غرامًا (٩٧) من عيار واحد وعشرين، ومائة وأربعة عشر غرامًا (١١٤) من عيار ثمانية عشر. وبقيّة العيارات ينظر فيها على حسب الغشّ الّذي فيها ويعرفه أهل الاختصاص.

(٢) الرّكاز هو الدّفين الجاهليّ أي الّذي كان دفن قبل بعثة سيّدنا محمّد ﷺ أي ما دفنه النّاس قبل بعثة الرّسول ﷺ فمن عثر عليه في أرض موات أو ملكها بالإحياء أي كانت غير مملوكة لأحد إنّما هو أحياها أي اتّخذها مزرعة أو بستانًا أو نحو ذلك فملكها بذلك وجب عليه أن يزكّيه في الحال أي مع بلوغ النّصاب أي القدر الّذي تجب فيه الزّكاة من الذّهب أو الفضّة. ويُعرف كونه دفينًا جاهليًا بوجود اسم مَلِكٍ من ملوك تلك الأزمان عليه.

تنبيهٌ وتحذيرٌ:

كثيرٌ من النّاسِ لا يُخرجون الزّكاة، أو يُخرجون دون القدرِ الواجبِ، أو يخرجونها لمن لا يستحقُّها. فالمكلّفُ الّذي يملكُ شيئًا ممّا تجبُ فيه الزّكاةُ يجبُ عليه أن يتعلّم التّفاصيل المتعلّقة بها. فمن فاته شيءٌ من تعلُّم أمورِ الزّكاةِ الواجبةِ عليه أو قصّر في إيتاءِ الزّكاة الواجبةِ عليه فليتداركْ نفسه قبل الفواتِ، فإنّ منْع الزّكاةِ من الكبائِرِ، وكذا تأخيرُ دفعِها عن وقتِها من غيرِ عذرٍ كما قال ﷺ: «**لَعَنَ الله ءاكِلَ الرِّبا ومُوكِلَهُ وَمَانِعَ الزَّكاةِ**» رواه ابن حبان.

حذارِ يا أخي المسلم أن تكون من هؤلاءِ، وكنْ من الّذين قال الله فيهم ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾[1] فاتّقوا الله عباد الله وأدّوا ما فرض الله عليكم قبل الفواتِ، قبل أن يأتي يومٌ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

(**وأمّا زكاةُ التّجارةِ**[2] **فنِصابُها نِصابُ ما اشْتُرِيتْ**) أيْ عُرُوضُ التّجارةِ (**بِهِ مِن النّقْديْنِ والنّقْدانِ هُما الذّهبُ والْفِضّةُ**) وذلِك لِأنّ زكاة التّجارةِ تُقوّمُ بِما اشْتُرِيتْ بِهِ فإنِ اشْتُرِيتْ بِالذّهبِ فبِالذّهبِ وإنِ اشْتُرِيتْ بِالْفِضّةِ فبِالْفِضّةِ وإنِ اشْتُرِيتْ بِغيْرِهِما فتُقوّمُ بِالنّقْدِ الْغالِبِ فِي ذلِك الْبلدِ (**ولا يُعْتبرُ**) النّصابُ (**إلّا ءاخِر الْحوْلِ**) فإذا بلغتْ أمْوالُ التّجارةِ ءاخِر الْحوْلِ نِصابًا وجبتِ الزّكاةُ وإلّا فلا. (**ويجِبُ فِيها**) أيْ زكاةِ التّجارةِ

---

(١) سورة النور، ءاية (٣٧).

(٢) التّجارة تقليب المال لغرض الاسترباح بأن يشتري ويبيع ثمّ يشتري ويبيع لغرض الرّبح. أمّا ما يصرفه الإنسان من هذا المال في أثناء الحول قبل حولان الحول لحاجاته أو يتصدّق به على النّاس أو يأخذه ليتّخذه قِنية أي يمسكه للانتفاع بعينه أكلًا أو شربًا أو لبسًا أو غير ذلك فهذا لا يدخل في الحساب عند الزّكاة.

(**رُبْعُ عُشْرِ الْقِيمةِ**) أيْ قِيمةِ أمْوالِ التّجارةِ ويُخْرِجُ الزّكاة ذهبًا إنْ كان تقْوِيْمُها بِهِ أوْ فِضّةً إنْ كان تقْوِيْمُها بِها. (**ومالُ**) الشّخْصيْنِ (**الْخلِيطيْنِ أوِ**) الأشْخاصِ (**الْخُلطاءِ كمالِ**) الشّخْصِ (**الْمُنْفرِدِ فِي**) قدْرِ (**النّصابِ و**) الْقدْرِ (**الْمُخْرجِ**) فإذا حصّلتِ الْخُلْطةُ وكان الْمجْمُوعُ نِصابًا أخْرجُوا جمِيعًا كما لوْ كان الْمالِكُ لِهذا الْمالِ شخْصًا واحِدًا (**إذا كملتْ شُرُوطُ الْخُلْطةِ**) وهِي تُعْلمُ مِنْ كُتُبٍ أكْثر بسْطًا.

نِصابُ الذَّهبِ والفِضَّةِ[1]

ت	نَوْعُ النَّقْدِ	النِّصابُ[2]	وَزْنُ المِثْقالِ	وَزْنُ الدِّرْهَمِ	الوَزْنُ بِحَسَبِ حَبّاتِ الشَّعيرِ[3]	وَزْنُ النِّصابِ بِالغرامِ	
						نَوْعُ	نَوْعُ
١	الذَّهَبُ	٢٠ مِثقالًا	٧٢ حَبَّةَ شَعيرٍ		١٤٤٠ حَبَّةً		
٢	الفِضَّةُ	٢٠٠ دِرْهَم		٥٠ ٢/٥ حَبَّةَ شَعيرٍ	١٠٠٨٠ حَبَّةً	نَوْعُ	نَوْعُ

(١) يَجِبُ في نِصَابِ الذّهب وَالفِضَّةِ رُبْعُ العُشْرِ أَيْ ٥ ,٢٪ وَمَا زَادَ فَبِحِسَابِهِ.

(٢) النِّصابُ: هُو القَدْرُ الذِي تَجِبُ فيهِ الزَّكاةُ.

(٣) المُرَادُ بِالشَّعيرِ: الشَّعيرُ الحِجَازِيُّ المُتَوَسِّطُ والّذي لَمْ يُقْشَر وَلَكِنْ قُطِعَ مِنْ أَطْرافِهِ ما دَقَّ وَطالَ.



أدُّوا الزَّكاة قبل الفوات
وٱبذلوا الخيرات لنيل المبرّات

أصحابُ الجنَّةِ «أي البُستانِ»

ذكر الله تعالى في القرءان الكريم في سورة القلم شيئًا من قصّة أصحاب الجنّة أي البستان الّذين لم يؤدّوا حقّ الله تعالى فيه، فحرمهم منه عقابًا على نيّتهم الخبيثة، فما تفاصيل هذه القصّة؟.

كانت اليمن مشهورة بكثرة بساتينها وأراضيها الخصبة، وبالقرب من أهمّ مدنها صنعاء في ناحية اسمها «ضوران» عاش رجل صالح مع أولاده عيشة طيبة، حيث كان له أرض عظيمة الاتساع، منوّعة الزّروع، كثيرة الأشجار، وافرة الثّمار، فهناك نخيل، وهناك أعناب، وهنالك بُقُول، فغدت متعة للنّاظرين، ونزهة للقاصدين، يأتونها للرّاحة والتّمتع بمنظرها الجميل.

وكان الرّجل الصّالح مسلمًا من أتباع سيّدنا عيسى المسيح عليه السّلام يشكر الله تعالى على ما أنعم عليه وأعطاه، وكان كلّما حان وقت حصاد الزّروع يدعو البستانيَّ أعوانَهُ، فيقطعون بالمناجل ما يقطعونه، ويقطفون الثّمار، ثمّ يبعث بطلب جماعات الفقراء على ما عوَّدهم عليه كلّ عام، فلا يمنعهم من الدّخول بل يعطيهم نصيبًا وافرًا، هذا يملأ أوعيته الّتي أتى بها، وذاك يحمل في ثيابه، ثمّ بعد ذلك ما أخطأه المنجل فلم يقطعه كان لهم، وكذلك ما سقط من القمح بعد أن يجمع فوق البساط، وما تركه الحاصد، وما تناثر بين أشجار النّخيل بعد فرط ثمارها، رزقًا حلالًا طيّبًا، وجرى على هذا كلّ عام.

لم يتحمّل بعض أبناء الرّجل الصّالح رؤية جزء من مال أبيهم موزّعًا بين الفقراء، وأنّ بستانه مفتوح للمساكين والمحتاجين، وأنّهم مثلهم سواء، فقال واحد منهم لوالده: «إنّك بعطائك للفقراء، تمنعنا حقّنا، وتضيّق علينا في رزقنا»، وقال الابن الآخر: «قد نعود بعدك فقراء نمدّ الأيدي للنّاس، نشحذ منهم»، وهمّ الثّالث بالكلام، فأسكته الوالد وأدار عينيه على الجميع وقال: «ما أراكم إلّا خاطئين في الوهم والتّقدير، هذا المال مال الله مكّنني فيه، وأمرني أن أخرج منه حقوقًا زكاة للفقراء والمساكين، والمال بهذا الأمر يزيد ويبارك فيه، وعلى هذا تعوّدت منذ كنت شابّا، وقد التزمت به رجلًا كهلًا، فكيف بي أن أتركه اليوم وأنا شيخ وموتي قريب؟» ولم يمكث الرّجل الصّالح طويلًا، إذ أصيب بمرض وتوفّي تاركًا أولاده وبستانه الواسع.

ومضت الأيّام سريعة، وحان وقت الحصاد، وترقَّب الفقراء والمساكين حوله ليأتوا ويأخذوا نصيبهم كما عوّدهم الرّجل الصّالح كلّ عام.

واجتمع الأبناء البخلاء يعدّون للحصاد، فقال أحدهم: «لن نعطي بعد اليوم من البستان شيئًا لفقير أو محتاج، ولن يعود مأوى لقاصد أو ابن سبيل فإنّنا إذا فعلنا هذا زاد مالنا وعلا شأننا».

وقال أوسطهم وكان كأبيه طيّبًا يحبّ عمل الخير: «إنّكم تقدمون على أمر تظنّونه أوفر لكم، ولكنّه يحوي الشّر، وسيقضي على بستانكم من جذوره، إنّكم لو حرمتم الفقراء ولم تعطوا المساكين والمستحقّين زكاة الزّرع أخاف عليكم عقاب الله تعالى».

ولكنّهم لم ينصاعوا واتّفقوا فيما بينهم سِرًّا أن يقوموا أول الصّبح قبل أن يستيقظ النّاس فيأتوا إلى بستانهم ويقطفوا ثماره ويحصدوا زرعه ويقتسموه فيما بينهم، فلا يبقى شيء للفقراء.

وكان الله تعالى عالمًا بما يكيدونه وما اتّفقوا عليه، فأرسل سيّدنا جبريل عليه السّلام ليلًا ببلاء شديد، فاقتُلِعت نباتاتهم وأُحرِقت شجراتهم، وجفّت أوراقهم وأنْهارهم، وأصبح بستانهم أسود كاللّيل.

وطلع عليهم النّهار وهم على مشارف بستانهم يتساءلون: أهذا بستاننا، وقد تركناه بالأمس مورقًا بأشجاره، وافرًا بثماره؟ ما نظنّ هذا بستاننا وإنَّنا ضالّون عنه.

قال أوسطهم: «بل هي جنّتكم، حُرِمتم منها قبل أن يُحْرَم الفقير منها، وجوزيتم على بخلكم وشُحّكم» فأقبل بعضهم يلوم البعض الآخر، فالأول يقول: «أنت أشرت علينا بمنع المساكين»، ويقول الآخر: «بل أنت زيّنت لنا حرمانهم»، فيجيبه أحدهم: «أنت خوّفتنا الفقراء»، ويقول ءاخرهم: «بل أنت الّذي رغّبتنا بجمع المال» ثمّ قالوا: «يا ربّنا إنّا كنّا طاغين» أي عصينا ربّنا بمنع الزكاة.

وأدركهم الله تعالى برحمته عندما أظهروا استعدادهم للتّوبة وقالوا: «إنْ أبدلنا الله خيرًا منها سنصنع كما صنع والدنا»، فدعوا الله وتضرّعوا وتابوا إليه فأبدلهم من جنّتهم ما هو خير منها، وأمر جبريل عليه السّلام أن يقتلع بستانهم المحروق ويجعله في مكان بعيد، وأن يأخذ من أرض الشّام بستانًا عامرًا ويجعله مكان الأول، فكانت البركة فيه ظاهرة إذ كان عنقود العنب فيه ضخمًا جدًا، وعادوا إلى ما كان عليه والدهم لا يمنعون فقيرًا ولا مسكينًا، يطهّرون أموالهم وأنفسهم بما يرضي الله عزّ وجلّ.



لنغْنَمَ قَبلَ الأُفول
بِفِطْنَةٍ. . . ذوي العُقول

الحَثُّ على عمَلِ الخيرِ

أوصيكم بعمل الخير وإدامة النّيّة والسّعي في عمل البِرّ، ويعين على ذلك إكثار ذكر الموت فإنّ من يكثر ذكر الموت يكون أكثر استعدادًا للآخرة، فعليكم بأن لا تنقطعوا عن مجالس العلم وقد حثّ الرّسول ﷺ على ذلك فقال: «**لَا يَشْبَعُ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةُ**» حديث صحيح. وأن ينبّه بعضكم بعضًا على هذا الأمر فإنّ التّعاون على الخير خير عظيم. ثمّ إنّ الّذي يقوم بالعبادة بحقّها يؤدّي الفرائض ويجتنب المعاصي في الهرج، أي في وقت الفتن واختلاط الأمور، في مثل هذه الحالات الّتي يكون فيها خوف وقلق ثوابه كثواب من هاجر من مكّة إلى المدينة لمّا كانت الهجرة فرضًا، معناه ثوابه يشبه ثواب أولئك المهاجرين بلال وخَبَّاب وأمثالهما.



يُقال عند الكرب والشّدائد دعوات المكروب: «**اللَّهُمَّ رَحمتَكَ أرجُو فلا تَكِلْنِي إلى نفسِي طَرْفَةَ عَينٍ، أَصلِحْ لي شَأنِي كُلَّه، لَا إلٰهَ إلّا أنتَ**»، ويقالُ: «**لَا إلٰهَ إلَّا اللهُ العظِيمُ الحلِيمُ، لا إلٰهَ إلّا اللهُ ربُّ العرْشِ العظِيمِ، لا إلٰهَ إلّا اللهُ ربُّ السّمَٰواتِ وربُّ الأَرضِ ربُّ العَرْشِ الكرِيمِ**».



الدّرس الثامن والعشرون

(**وزكاةُ الْفِطْرِ**[١]) إنّما (**تجِبُ بِإِدْراكِ**) ءاخِرِ (**جُزْءٍ مِنْ رمضان**) وهُو غُرُوبُ شمْسِ اليوْمِ الأخِيرِ مِنْهُ (**و**) أوّلِ (**جُزْءٍ مِنْ شوّالٍ**) وهُو حيٌّ حياةً مُسْتقِرّةً فإذا مات شخْصٌ قبْل الْغُرُوبِ أوْ وُلِد بعْدهُ فلا يجِبُ إِخْراجُ الزّكاةِ عنْهُ، وهِي تجِبُ (**على كُلّ**) شخْصٍ (**مُسْلِمٍ**) حُرٍّ (**عليْهِ وعلى منْ**) وجبتْ (**عليْهِ نفقتُهُمْ إذا كانُوا**) أيْ منْ تجِبُ عليْهِ نفقتُهُمْ (**مُسْلِمِين**) كزوْجتِهِ وولدِهِ الصّغِيرِ ووالِديْهِ الْفقِيريْنِ (**على كُلّ واحِدٍ صاعٌ مِنْ غالِبِ قُوتِ الْبلدِ**) وهُو الْقمْحُ فِي بِلادٍ كالشّامِ ومِصْر والرُّزُّ كما فِي بعْضِ نواحِي الْهِنْدِ وأنْدنُوسْيا والذُّرةُ فِي نواحٍ مِن الْحبشةِ وغيْرُ ذلِك فِي بِلادٍ أُخْرى فيُخْرِجُ صاعًا عنْ نفْسِهِ وصاعًا عنْ كُلّ واحِدٍ وجبتْ عليْهِ نفقتُهُ على ما ذُكِر. وإِنّما تجِبُ على الْمُسْلِمِ (**إِذا فضلتْ**) أيْ فضل ما يُخْرِجُهُ لِلْفِطْرةِ (**عنْ دِيْنِهِ**) ولوْ مُؤجّلًا (**و**) عنْ (**كِسْوتِهِ**) وكِسْوةِ منْ عليْهِ نفقتُهُ اللاّئِقتيْنِ بِهِمْ (**و**) عنْ (**مسْكنِهِ**) ومسْكنِ منْ عليْهِ نفقتُهُ اللاّئِقيْنِ بِهِمْ (**و**) عنْ (**قُوتِهِ وقُوتِ منْ عليْهِ نفقتُهُمْ يوْم الْعِيدِ وليْلتهُ**) الْمُتأخّرة عنْهُ، ويحْرُمُ

---

(١) زكاة الفطر لا تجب على من لم يدرك ءاخر جزء من رمضان وأول جزء من شوّال وذلك فيما حدث بعد الغروب من ولد أو غنى أو نكاح الزّوجة أو إسلام الشّخص أو شكّ في حدوثه بعد الغروب.

والمراد بالغنى في هذا الموضع أن يكون للشّخص مال يخرجه زكاة فاضلًا عن دينه ومسكنه وعن قوته وقوت من عليه نفقته يوم العيد وليلته فمن كان عند الغروب حيًّا وكان له مال يفضل عن ذلك هو غنيّ في باب زكاة الفطرة فإن كان حال الغروب بصفة الوجوب ثمّ حدث له موت أو طلاق لم تسقط زكاته.

ولا يصحّ إخراج الفطرة عن الأصل الغنيّ والولد البالغ إلّا بإذنه فليتنبه لذلك فإنّ كثيرًا من النّاس يغفلون عن هذا الحكم فيخرجون عن الولد البالغ بدون إذنه. قال الأنصاري في شرح الرّوض: لا عن ولد كبير له، فلا تسقط بإخراجه عنه إلّا بإذنه لعدم استقلاله بتمليكه اهـ.

تأْخِيرُ دفْعِها عنْ غُرُوبِ شمْسِ يوْمِ الْعِيدِ بِلا عُذْرٍ.

(**وتجِبُ النّيّةُ**) فِي الْقلْبِ (**فِي جمِيعِ أنْواعِ الزّكاةِ**) فتكْفِي (**مع الإِفْرازِ لِلْقدْرِ الْمُخْرجِ**) زكاةً كأنْ ينْوِي أنّها زكاةُ مالِي الْمفْرُوضةُ أوْ صدقةُ مالِي الْواجِبةُ أوْ أنّها زكاةُ بدنِي، والإِفْرازُ هُو عزْلُ الْقدْرِ الّذِي يُرِيدُ أنْ يُزكّيهُ عنْ باقِي مالِهِ.

(**ويجِبُ صرْفُها**) أيِ الزّكاةِ (**إِلى منْ وُجِد فِي بلدِ الْمالِ مِنْ الأصْنافِ الثّمانِيةِ**) الّذِين ذكرهُمُ الله تعالى فِي الْقُرْءانِ (**مِن الْفُقراءِ**) جمْعُ فقِيرٍ وهُو منْ لا نفقة على غيْرِهِ واجِبةٌ لهُ ولا يجِدُ إِلاّ أقلّ مِنْ نِصْفِ كِفايتِهِ كالّذِي يحْتاجُ لِعشرةٍ ولا يجِدُ إِلاّ أرْبعةً.

(**والْمساكِينِ**) جمْعُ مِسْكِينٍ وهُو الّذِي لهُ ما يسُدُّ مسدًّا مِنْ حاجتِهِ لكِنّهُ لا يكْفِيهِ كِفايةً لائِقةً بِحالِهِ كمنْ يحْتاجُ إِلى عشرةٍ فلا يجِدُ إِلاّ ثمانِيةً (**والْعامِلِين علىْها**) أيْ على الزّكاةِ جمْعُ عامِلٍ وهُو منِ اسْتعْملهُ الإِمامُ على أخْذِ الزّكواتِ مِنْ أصْحابِ الأمْوالِ ودفْعِها لِمُسْتحِقّيها ونحْوِ ذلِك ولمْ يجْعلْ لهُ أُجْرةً مِنْ بيْتِ الْمالِ (**والْمُؤلّفةِ قُلُوبُهُمْ**) وهُمْ أقْسامٌ مِنْها منْ كان كافِرًا ثُمّ أسْلم ولمْ يتلفْ مع الْمُسْلِمِين بعْدُ فيُعْطى مِنْ مالِ الزّكاةِ حتّى تقْوى نِيّتُهُ بِالإِسْلامِ (**وفِي الرّقابِ**) وهُمُ الأرِقّاءُ الْمُكاتبُون كِتابةً صحِيحةً أيِ الّذِين تشارطُوا مع أسْيادِهِمْ على أنْ يكُون لهُمُ الْحُرِيّةُ إِذا دفعُوا لهُمْ قدْرًا مُعيّنًا مِن الْمالِ فهؤُلاءِ يُعْطوْن مِنْ مالِ الزّكاةِ لِإعانتِهِمْ على الْحُرّيّةِ (**والْغارِمِين وهُمُ الْمدِينُون الْعاجِزُون عنِ الْوفاءِ**) أيِ الّذِين اسْتدانُوا مالًا مِنْ غيْرِهِمْ فِي غيْرِ معْصِيةٍ ثُمّ حلّ الدّيْنُ وعجزوا عنْ ردّهِ أوِ اسْتدانُوا فِي معْصِيةٍ وتابُوا وعجزُوا عنِ الرّدّ (**وفِي سبِيلِ اللهِ وهُمُ الْغُزاةُ الْمُتطوّعُون**) بِالْجِهادِ ولوْ كانُوا أغْنِياء فيُعْطوْن ما يحْتاجُونهُ لِلْجِهادِ بِخِلافِ منْ كان لهُ سهْمٌ فِي دِيوانِ الْمُرْتزِقةِ و(**ليْس معْناهُ كُلّ عملٍ خيْرِيٍّ**) فلا يجُوزُ دفْعُ الزّكاةِ لِبِناءِ مُسْتشْفًى أوْ مسْجِدٍ أوْ

مدْرسةٍ بِدعْوى أنّ ذلِك عملُ خيْرٍ فِي سبِيلِ اللهِ لِأنّهُ ثبت أنّ الْمقْصُود مِنْ سبِيلِ اللهِ فِي الآيةِ ما ذكرْنا (**و**) تُصْرفُ الزّكاةُ أيْضًا إِلى (**ابْنِ السّبِيلِ وهُو الْمُسافِرُ**) أوْ مُرِيدُ السّفرِ (**الّذِي ليْس معهُ ما يُوصِلُهُ إِلى مقْصِدِهِ**) فيُعْطى مِنْ مالِ الزّكاةِ ما يكْفِيهِ إِذا كان سفرُهُ مُباحًا ولوْ لِنُزْهةٍ (**ولا يجُوزُ ولا يُجْزِئُ صرْفُها**) أي الزّكاةِ (**لِغيْرِهِمْ**[1]) أيْ لِغيْرِ الْمُسْتحِقّين لها. وهُمُ الأصْنافُ الثّمانِيةُ الّذِين ذكرهُمُ الله فِي الْقُرْءانِ وإِنّما تُصْرفُ إِليْهِمْ بِشرْطِ أنْ يكُونُوا مُسْلِمِين مِنْ غيْرِ بنِيْ هاشِم وبنِي الْمُطّلِبِ وأمّا بنُو هاشِم وبنُو الْمُطّلِبِ فلا تحِلُّ لهُمُ الزّكاةُ ولوْ كانُوا فُقراء.

ومن جملة الأباطيل الّتي نُسبت للشّيخ عبد الله الحبشي قولهم إنّ الشّيخ الحبشيّ أبطل ركنًا من أركان الإسلام ألا وهو الزّكاة، ونسب ذلك بعض الكذابين إلى كتاب «بغية الطّالب»[2].

إنّ هذا كذب محض، إذ إنّ المحدّث الشّيخ الهرريّ رحمه الله عقد في كتابه «بغية الطّالب» بابًا في الزّكاة وبيان أحكامها، فكيف يفترون عليه وهو يعلّم النّاس قول رسول الله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ**» وعدّ منهم «**وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ**» الحديث.

قال المحدّث الفقيه الشّيخ عبد الله الهرريّ في «صريح البيان»: «اعلم أنّه تجب الزكاة في النّقد أي الذّهب والفضّة المضروب من ذلك وغيره، وأمّا غير الذّهب والفضّة من الأثمان فلا زكاة فيه عند الإمام الشّافعيّ ومالك وأحمد رضيَ اللهُ عنهُم، وتجب عند الإمام أبي حنيفة رضيَ اللهُ عنهُ.

---

(١) قال السّيوطيّ في شرح التنبيه وقيل يجزئ في زكاة الفطر أن تصرف إلى ثلاثة من الفقراء لقلّتها وأجيب بأنّه يمكن صاحبها أن يجمعها مع زكاة غيره فتكثر وعليه قيل تختصّ بالفقراء والمساكين وقيل بثلاثة من أيّ صنف كان اهـ.

(٢) بغية الطّالب (ص٢٧٠).



أَحَبّ الخيرَ لِلغَير

والي سِجِسْتَانَ طلحَةَ الطّلحَاتِ

أهل القرون الثّلاثة كان يواسي بعضهم بعضًا بما رزقهم الله تعالى إلى حدّ كبير، يَعرف ذلك من قرأ التّواريخ، يوجد رجل كان في القرن الثّاني الهجري واليًا على بلد من بلاد العجم اسمها سجستان يسمّى طلحة الطّلحات، هذا الوالي كان كريمًا ذا مروءة، حكي أنّه زوَّج مائة عربيّة في تلك البلاد بمائة عربيٍّ مع تحمّل الكلف عنهم. في أيّامنا أين الّذي يفعل مثل هذا الفعل؟



ابذُلِ النّفيسَ والنَّارَ توقَّ فالجنَّةُ خيرٌ وأبقَى

بَذلُ المالِ بالمعروف

أوصيكم بصرف المال الصّالح فيما يرضي الله تعالى، فإنّ نعمة المال من النّعم الظّاهرة الدّنيويّة، وهي تقسم إلى قسمين: إحداهما محمودة العاقبة، والأخرى عاقبتها وبال على العبد، كالنّعم الّتي أنعم الله بها على الكفّار فإنَّهُم وإنْ تنعّموا بها في الدّنيا، ولكنّها في الآخرة وبال عليهم، لأنّهم يُسْألون يوم القيامة عن الشّكر عليها. وحقيقة شكرهم عليها هو أن يؤمنوا بالله ورسوله، ويؤدّوا حقّ الله فيما رزقهم من نعمة المال والصّحة وغيرهما.

إنّ المال الحلال هو نِعْمَ المعونة للعبد الصّالح لأنّه يساعد على الخير وقد حثّ رسول الله ﷺ على ذلك بقوله: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُربَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، والله فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**» رواه مسلم، سواء صرف الشّخص المال في حاجات بنيّة إعفافِ نفسهِ عن الحرام، أو تصدّق به على المحتاجين، أو على عياله أو على أبويه أو غيرهما وكانت نيّته حسنة.

المال الحلال الّذي صرفه الرّجل المسلم على الوجه الّذي يرضاه الله تبارك وتعالى هو نعمة عظيمة من الله على عبده المؤمن. فالمعتبر عند الله ما يعمله العبد ممّا يوافق الشّرع. وهكذا فإنّ الكفّار يسألون يوم القيامة عن سائر الفرائض الّتي فرضها الله على عباده، ذلك أنّهم لو آمنوا بالله ورسوله وأدّوا هذه الفرائض على الوجه الصّحيح لصحّت منهم وقبلت، ولأنّهم بتركهم لأعظم حقوق الله على عباده وهو توحيده تعالى وأن لا يُشرك به شيئًا صارت أعمالهم الّتي يعملونها كالهباء المنثور.

دعاء

يُقالُ عند الصّباح وعند المساء: «**اللَّهمَّ عافِني في بَدني، اللَّهمَّ عافِني في سَمْعِي، اللَّهمَّ عافِني في بَصَرِي، اللَّهمَّ إِنّي أَعُوذُ بكَ منَ الكُفرِ والفَقرِ، اللَّهمَّ إِنّي أَعُوذُ بكَ من عذَابِ القبرِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أنتَ**».

الدّرس التاسع والعشرون

(كِتابُ الصّيامِ)

بعْد أنْ أنْهى الْمُصنّفُ رحِمهُ الله تعالى الْكلام على الزّكاةِ شرع فِي الْكلامِ على الصّيامِ وهُو إِمْساكٌ عنِ الْمُفطّراتِ كُلّ النّهارِ بِنيّةٍ على وجْهٍ مخْصُوصٍ.

فقال (**فصْلٌ**) فِي بيانِ أحْكامِ الصّيامِ وما يتْبعُ ذلِك. (**يجِبُ صوْمُ شهْرِ رمضان**)[١]

---

(١) قال عليه الصّلاة والسّلام: «**صُوموا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِروا لِرُؤيَتِهِ، فإنْ غُمَّ عَليكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبان ثَلاثينَ يومًا**»، وروى البخاريّ ومسلم وغيرهما عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «**الشَّهْرُ تِسْعٌ وعُشرونَ لَيلةَ فَلَا تَصوموا حتَّى تَروحُوا، فإنْ غُمَّ عَلَيْكُم فَأَكْمِلُوا العِدَّة ثَلاثِينَ يَومًا**»، وروى البخاريّ وغيرُهُ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**لا تُقَدِّمُوا رَمَضَانَ بِيَوْمٍ أو يَومَينِ صُوموا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فإنْ غُمَّ عَلَيكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبانَ ثلاثينَ**».

فلا يجوز اعتماد قول الفلكيّين في إثبات رمضان، فكلٌّ من الشهور العربيّة يُعرَف بَدْؤه ويُعْرَف انتهاؤُه بمراقبة الهلال، والمسلمون سَلَفهم وخَلَفهم على هذا ثابتون، وقد نصّ الفقهاء على أنّه لا يجوز اعتماد قول فلكيٍّ في إثبات هلال رمضان، وبالتالي فلا بدّ في ليلة الثّلاثين من شعبان أن يراقب هلال رمضان فإن بان ثبت صيامه وإلا «**فَإنْ غُمَّ عَلَيكُمْ فأكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثينَ يَوْمًا**». وقد اتّفق علماء المذاهب الأربعة على أنّ الأصل في تحديد أول رمضان هو التّالي: يُراقَبُ الهلال بعد غروب شمس التّاسع والعشرين من شعبان، فإن رُئِيَ الهلال كان اليوم التّالي أول رمضان، وإن لم يُرَ الهلال يكون اليوم التّالي الثّلاثين من شعبان والّذي بعده هو أول أيّام رمضان، فالعمدة على هذا ولا التفات إلى أقوال أهل الحساب والفلكيّين ولا عبرة بكلامهم لتحديد ابتداء الصّيام أو انتهائه.

وقد قال الحافظ ولي الدّين العراقيّ المتوفى سنة ٨٢٦هـ: إنّ جمهور أصحاب الشّافعيّ على ذلك وإنَّ الحكم يتعلّق بالرّؤية دون غيرها، قال: وبه قال مالك وأبو حنيفة والشّافعيّ وجمهور العلماء من السّلف والخلف. انتهى. =

بِشهادةِ عدْلٍ[١] أنّهُ رأى هِلال رمضان أوْ بِاسْتِكْمالِ شعْبان ثلاثِين (**على كُلّ**) شخْصٍ (**مُسْلِمٍ مُكلّفٍ**) قادِرٍ على الصّيامِ فلا يجِبُ على كافِرٍ أصْلِيٍّ ومجْنُونٍ وصبِيٍّ إلّا أنّهُ يجِبُ على ولِيّ الصّبِيّ والصّبِيّةِ الْمُميّزيْنِ أنْ يأْمُرهُما بِالصّيامِ بعْد سبْعِ سِنِين إِذا أطاقا الصّيام ويضْرِبهُما على ترْكِهِ بعْد عشْرٍ كما مرّ فِي الصّلاةِ، ولا يجِبُ على منْ لا يُطِيقُ الصّيام لِكِبرٍ أوْ مرضٍ.

(**ولا يصِحُّ**) الصّيامُ (**مِنْ حائِضٍ ونُفساء**) ولا يجُوزُ (**ويجِبُ عليْهِما الْقضاءُ**) لِلأيّامِ الّتِي أفْطرتا فِيها.

(**ويجُوزُ الْفِطْرُ لِمُسافِرٍ سفر قصْرٍ**) بِأنْ كان السّفرُ طَوِيلًا وفارق عُمْران الْبلدِ قبْل الْفجْرِ (**وإِنْ لمْ يشُقّ عليْهِ الصّوْمُ**) إلّا أنّ إِتْمام الصّيامِ لهُ إِنْ لمْ يشُقّ عليْهِ أفْضلُ مِن الْفِطْرِ وأمّا منْ أنْشأ سفرهُ بعْد الْفجْرِ فلا يجُوزُ لهُ أنْ يُفْطِر فِي هذا الْيوْمِ.

= وقال ابن عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ في حاشيته على الدُرِّ وهي من أشهر كتب السّادة الحنفيّة: «قوله لا عبرة بقول المؤقّتين أي في وجوب الصّوم على النّاس، وقال: لا يعتبر قولهم بالإجماع ولا يجوز للمنجّم أن يعمل بحساب نفسه». لو رأى مسلم عدل ثقة هلال رمضان في أي بقعة من بقاع الدّنيا جاز لنا أن نصوم في مذهب الإمام أبي حنيفة النّعمان بناء على رؤيته. لذلك ينبغي التّيقن من رؤية الهلال قبل النّوم أمّا من استيقظ صبيحة رمضان ووجد المسلمين صائمين وهو لم ينو اللّيلة الماضية يمسك ويقضي، فلا بدّ إذًا من الاعتماد على رؤية هلال رمضان، والاعتماد في ذلك كما هو مقرّر عند الفقهاء سلفًا وخلفًا يكون على قول ثقة، أمّا الاعتماد على الفلك في تحديد أوائل الشّهور العربية فتلك مخالفة واضحة وصريحة لما جاء عن النّبيّ ﷺ.

(١) يثبت عند القاضي بالبالغ العدل الحرّ بقوله «أشهد أنّي رأيت اللّيلة هلال رمضان»، والعدل من يؤدّي الفرائض ويجتنب المحرّمات الكبائر ولا يكثر من الصّغائر حتّى تغلب حسناته ويحافظ على مروءة أمثاله كما تقدّم، فإذا شهد العدل برؤية الهلال عند القاضي فأثبت القاضي هذه الشّهادة وجب الصّيام على أهل بلد الإثبات وسائر أهل البلاد القريبة من بلد الرؤية باتّحاد المطالع لا من خالف مطلعهم مطلعها بأن لم يتّحد البلدان في الشّروق والغروب كدمشق وبغداد فلا يعمُّها الحكم بل لا يجوز لأهلها أن يصوموا لأنّه خالف مطلعهم مطلعها.

(و) يجُوزُ أيْضًا (لِمريضٍ وحامِلٍ ومُرْضِعٍ يشُقُّ) الصّوْمُ (عليْهِمْ مشقّةً لا تُحْتملُ) وهِي الّتِي تُبِيحُ التّيمُّم (الْفِطْرُ ويجِبُ عليْهِمُ الْقضاءُ) لِلأيّامِ الّتِي أفْطرُوا فِيها كما يجِبُ الْقضاءُ على منْ أفْطر لِغيْرِ عُذْرٍ أيْضًا إلّا منْ أفْطر لِكِبرٍ أوْ مرضٍ لا يُرْجى بُرْؤُهُ فليْس عليْهِ إلّا الْفِدْيةُ.

(ويجِبُ) فِي صِيامِ الْفرْضِ (التّبْيِيتُ) لِلنّيّةِ بِأنْ يُوقِعها ليْلًا بعْد غُرُوبِ الشّمْسِ وقبْل الْفجْرِ (والتّعْيِينُ فِي النّيّةِ) بِأنّهُ مِنْ رمضان أوْ عنْ نذْرٍ أوْ كفّارةٍ، ولا بُدّ مِنْ تبْيِيتِ النّيّةِ (لِكُلّ يوْمٍ) فلا يكْفِي أنْ ينْوِي أوّل الشّهْرِ[1] عنِ الشّهْرِ كُلِّهِ.

(و) يجِبُ (الإِمْساكُ عنِ) الْمُفطّراتِ ومِنْها (الْجِماعُ) فِي فرْجٍ ولوْ دُبُرًا مِنْ آدمِيٍّ أوْ غيْرِهِ مع الْعِلْمِ والتّعمُّدِ والِاخْتِيارِ فهُو مُفْسِدٌ لِصِيامِ الْواطِئِ والْموْطُوءةِ (و) مِنْها (الِاسْتِمْناءُ وهُو اسْتِخْراجُ الْمنِيِّ) مِنْ غيْرِ جِماعٍ (بِنحْوِ الْيدِ) سواءٌ كان بِيدِهِ هُو أمْ بِيدِ زوْجتِهِ أمْ غيْرِها فإِنّهُ مُفْسِدٌ لِلصّيامِ مع الْعِلْمِ والتّعمُّدِ والِاخْتِيارِ.

(و) مِنْها (الِاسْتِقاءةُ) مع الْعِلْمِ بِحُرْمتِها وتذكُّرِ الصّوْمِ والِاخْتِيارِ، والِاسْتِقاءةُ هِي طلبُ الْقيْءِ عمْدًا بِنحْوِ إِدْخالِ إِصْبعِهِ إِلى فمِهِ فإِنّهُ يُفطّرُ أيْ إِذا وصل الخارِجُ إِلى مخْرجِ الحاءِ ولوْ لمْ يبْلغْ شيْئًا مِن الْقيْءِ[2].

(و) يجِبُ الإِمْساكُ (عنِ الرّدّةِ) فمنِ ارْتدّ ولوْ لحْظةً فِي النّهارِ بطل صوْمُهُ (و) الإِمْساكُ (عنْ دُخُولِ عيْنٍ) مِنْ منْفذٍ مفْتُوحٍ كالْفمِ والأنْفِ ولوْ كانتِ الْعيْنُ قلِيلةً كحبّةِ سِمْسِمٍ أوْ غيْرِ مأْكُولةٍ كحصاةٍ (جوْفًا) كباطِنِ

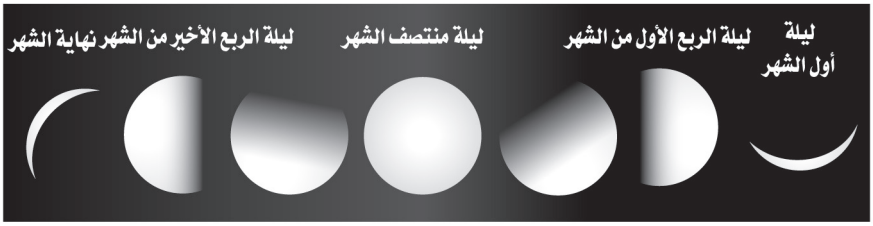
---

(١) الشهور الهجرية هي: محرّم، صفر، ربيع الأول، ربيع الآخر، جُمادى الأول، جُمادى الآخر، رجب، شعبان، رمضان، شوّال، ذو القَعْدة، ذو الحِجَّة. والأشهرُ الحُرُم هي: محرّم، رجب، ذو القعدة، ذو الحجّة.

(٢) الّذي تنجّس فمه بسبب القيء فبالغ بالمضمضة فابتلع شيئًا من الماء مغلوبًا لا يفطر لأنّ هذا مطلوب أن يبالغ بالمضمضة ليطهّر فمه.

الحلْقِ وهُو ما جاوز مخْرج الحاءِ والبطْنِ والأمْعاءِ وباطِنِ الرّأسِ سواءٌ كان يُحِيلُ الْغِذاء كالْمعِدةِ أمْ لا كالإِحْلِيلِ مع الْعِلْمِ بِالتّحْرِيْمِ ومع تذكُّرِ الصّوْمِ والِاخْتِيارِ فمنْ أكل أوْ شرِب وهُو ناسٍ لمْ يفْسُدْ صِيامُهُ (**إِلّا**) أنّ منِ ابْتلع (**رِيقهُ الْخالِص الطّاهِر مِنْ معْدِنِهِ**) فلا يُفْطِرُ أيْ ما لمْ ينْفصِلِ الرّيقُ عنِ الْفمِ قبْل ابْتِلاعِهِ ولا بُدّ أنْ يكُون خالِصًا طاهِرًا فمنِ ابْتلع رِيقهُ الْمُخْتلِط بِغيْرِهِ مِن الطّاهِراتِ أوْ رِيقهُ الْمُتنجّس أفْطر ولا يُفْسِدُ الصّيام شمُّ الْعِطْرِ أوِ الْبخُورِ لِأنّهُ ليْس عيْنًا.

بعض أحجام وأشكال الهلال من أول الشهر إلى منتصفه وإلى آخره



الحمد لله ربِّ العالمين الّذي قال:"وما ءاتاكم الرسول فَخُذُوهِ وما نهاكم عنه فانتهوا" وصلّى الله على سيّدنا محمّد الّذي خجل من أنواره الأهلّة والأقمار وعلى ءاله وصحبه وسلّم.

عدد وأسماء الأشهر القمرية:

الأشهر القمرية أو الهجرية أو العربية تعرف بحسب القمر وهي اثنا عشر شهرًا:

المحرّم - صفر - ربيع الأول - ربيع الآخر (نقول ربيع الآخر وليس ربيع الثاني لأنه لا ربيع ثالث ولا رابع)

جُمادى الأولى - جُمادى الآخرة - رجب - شعبان - رمضان - شوال - ذو القعدة - ذو الحِجة.

أيام الأشهر:

الأشهر الرومية أو الشّمسية تُعرف بحسب الشّمس أمّا الأشهر القمرية تُعرف بحسب القمر وتكون إمّا تسعة وعشرين يومًا أو ثلاثين يومًا كما هو نصُّ حديث البخاري ومسلم: إنّا أمّة أمّيّة لا نكتبُ ولا نحسُب الشهر هكذا وهكذا. يعني مرة تسعة وعشرون ومرة ثلاثون.

أمّا الأشهر الشّمسية تكون إمّا ثمانية وعشرين يومًا وإما تسعة وعشرين يومًا (شباط) وإما ثلاثين يومًا وإما واحدًا وثلاثين يومًا.

- متى تكون المراقبة:

ليلة المراقبة هي العبرة ولا تكون ليلة المراقبة إلّا في ليلة واحدة وهي ليلة الثلاثين أي يوم التاسع والعشرين مغربًا فتكون إمّا ليلة الثلاثين أو ليلة أول الشهر التالي وتتمُّ المراقبة لمدّة مابين النصف ساعة والثّلاثة أرباع الساعة لا أكثر من بعد مغيب الشّمس من جهة المغرب.

الاحتمالات



والقرار في كلّ الاحتمالات بحسب الشّرع لأنّ الدّين ليس بالرّأي ولو كان الدّين بالرّأي لكان مسح الخفّ من أسفل لا من أعلى، ولكنّ الرسول ﷺ مسح أعلاه، الحكم إن ظهر الهلال بحسب الشرع، والحكم إن لم يظهر الهلال بحسب الشّرع، والحكم إن غُمّ الهلال أيضًا بحسب الشّرع. فإن ظهر الهلال فيكون اليوم يوم الأول من الشّهر الجديد، وإن لم يظهر الهلال فيكون اليوم يوم الثّلاثين من نفس الشّهر واليوم الّذي يليه هو اليوم الأول من الشّهر الجديد، وإن غم علينا فنكمل هذا الشّهر إلى ثلاثين واليوم الّذي يليه هو اليوم الأول من الشّهر الجديد.



وآتيناه الحكم صبيًّا . . .

نبيُّ اللهِ يحيَى عليهِ السَّلامُ

قتل كفّار بني إسرائيل عددًا كثيرًا من الأنبياء، هذا يحيى عليه السّلام ابن خالة عيسى عليهما السّلام أُوْذِي أذى شديدًا وبلغ به الأذى إلى أن قُتِل، كيف؟ كان هنالك ملك ظالم متزوّج بامرأة، هذه المرأة كبرت، ذهب جمالها الّذي كان بها، وكان لها بنت هي ربيبة هذا الملك ليست بنته، قالت له: «تزوّج بنتي هذه»، حتَّى لا تكون بعيدة من النّعمة الّتي هي تتقلّب فيها بسبب هذا الملك، قال: «أستفتي يحيى أيجوز هذا أم لا»، فسأل نبيَّ الله يحيى فقال له: «حرام»، فقال لها: «قال لي يحيى حرام» فقالت له: «هذا اقتله كيف يحرّم عليك، كيف يحول بينك وبين ما تريده أنت؟» فأخذ بكلامها فقتله، فَحُمِلَ رأس سيّدنا يحيى عليه السّلام إليه في طستٍ، وبعضُ دمِهِ سائلٌ على الأرض فظلّ الدّم يغلي، ما كان يهدأ، والأرض ما كانت تبلعه، فسلَّط الله عليهم كافرًا اسمه بخت نصّر، فجاء هذا الكافر من العراق فقتل منهم سبعين ألفًا فهدأ دم يحيى الّذي ظلّ يغلي حتَّى قتل من جماعة الملك الّذي فعل هذا الفعل الخبيث سبعون ألفًا. سيّدنا يحيى عليه السّلام نبيّ كريم على الله، لم يكن هيّنًا على الله، إنّما سلّط الله تعالى عليه هذا الكافر حتَّى تمكّن من قتله ليزيده الله تبارك وتعالى بهذا شرفًا عنده، ويقال إنَّ جسد سيّدنا يحيى عليه السّلام بمكان ورأسه بمكان، في صيداء يقال إنّ هناك مقامًا يقال له مقام نبيِّ الله يحيى، النّاس يزورونه - لكنّه غير ثابت -، ومكان ءاخر أيضًا، وكذلك أبوه سيّدنا زكريا نبيّ الله قتله الكفّار، هذان عُرِفا بأسمائهما أمّا الّذين قتلهم الكفّار من الأنبياء فكثير، لكن لم

تُعْرَف أسماؤهم، الله تبارك وتعالى ما سمّاهم بأسمائهم، وإنَّما قال: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴿١٨١﴾﴾[1]. أي اليهود قتلوا أنبياء كثيرين.



ثَبِّتْنا على الإسلَامِ منهج... ألسنتِنَا بالدَّعاءِ تلهَجُ

إِحْياءُ ليلةِ القدرِ

أوصيكم بإحياء ليلة القدر لأنّها ليلة عظيمة الشّأن، ولا يحصل الإحياء بمجرد صلاة العشاء والفجر جماعة، الإحياء أن يقوم كلّ اللّيل أو معظمه أو نصف اللّيل، ليس شرطًا بقراءة القرءان، لو اقتصر على سبع ركعات ثمّ نام قليلًا ثمّ قام فصلّى هذا يقال له: «إحياء»، لا بدّ أن يكون مستيقظًا أكثر من نصف اللّيل ولو بقليل. وليلة القدر لا تكون إلا في شهر رمضان ولا يشترط أن تكون ليلة السّابع والعشرين منه.

فيحتمل أن تكون أيّ ليلةٍ من ليالي رمضان، والغالب أنّها تكون في العشر الأواخر من رمضان.

ليلة القدر هي اللّيلة الّتي قال الله تعالى فيها: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة الدخان].

أي فيها يُطلع اللهُ تعالى ملائكتَه الكرام على أخبارِ السّنةِ القابلة، يُطلعُ اللهُ في ليلةِ القدرِ الملائكةَ المقربين.

وتتميّزُ ليلةُ القدر بالنّسبة لمن يراها يقظةً أنّه يرى أنوارًا غير أنوار

---

(١) سورة ءال عمران، ءاية (١٨١).

الشّمس والقمر والكهرباء، أو قد يرى أنّ شروق الشّمس في غد تلك اللّيلة المباركة العظيمة في صبيحتها يختلف عن شروق شمس صبيحة باقي الأيام.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي ملائكة الرّحمة.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾.

أي تهبط الملائكةُ من كلِّ سماء إلى الأرض. والمراد بالرّوح جبريلُ عليه السّلام وهو أشرفُ الملائكة.

ومن النّاس من يراها في المنام، كأن يرى الأشجارَ ساجدةً لله وقد يرى ذلك يقظة والأكملُ والأقوى رؤيتُها يقظة، ومن رءاها في المنام ففي ذلك خير. فمن أكرمه الله تعالى برؤيتها في تلك اللّيلة فليدعُ اللهَ أن يفرّجَ الكربَ عن المسلمين وأن يرفعَ البلاءَ والغلاء عن المسلمين وأن يرفعَ عنهم ويفرّجَ عنهم ما أهَمّهم وأغمّهم وليقل اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّي. (وعنا).

وعن أبي هريرة أنّ الرّسول ﷺ قال: «**مَنْ قَام لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ**».

واعلموا أنّه ينبغي للإنسان المؤمن أن يعملَ بالطّاعات في ليالي رمضان كلِّها حتّى يصيب تلك اللّيلة كي لا يفوته ثواب إحيائها ولو لم ير علاماتها في اليقظة أو في المنام، فهيّئوا الزّاد ليوم المعاد وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا واستعدّوا ليوم لا بدّ فيه من أن تدخلوا حفرة القبر، والقبر بابٌ وكلُّ النّاس داخله وملَكُ الموتِ لا يستأذنُ كبيرًا كما لا يستأذنُ صغيرًا ولا يتركُ قويًا معافًى كما لا يتركُ مريضًا سقيمًا أو شيخًا هَرِمًا فأقبلوا إلى ءاخرتكم بالطّاعة والتّوبة قبل الموت.



يُقال بعد التشهد الأخير: «**اللَّهمَّ اغفِرْ لي ما قدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسرَرْتُ وما أعلَنْتُ، وما أسرَفْتُ وما أنتَ أعلَمُ بهِ منِّي، أنتَ المُقدِّمُ وأنتَ المؤخِّرُ لا إلٰهَ إلّا أنتَ**». وليتعَوَّذْ باللهِ من أربعٍ: «**من عذَابِ جهنَّمَ، ومن عذَابِ القَبرِ، ومن فتنَةِ المحيَا والممَاتِ، ومن شَرِّ المسِيحِ الدّجَّالِ**» وممّا يُستَحَبُّ أن يقالَ عندَ الإفطارِ: «**اللَّهمَّ لكَ صُمْتُ، وعلَى رزقِكَ أفطَرْتُ، وبكَ ءامَنْتُ وعلَيكَ توكَّلْتُ، ذهبَ الظَّمَأُ وابتلَّتِ العُروقُ وثبَتَ الأَجرُ إن شَاءَ اللهُ**».



الدّرس الثلاثون

(و) يُشْترطُ لِصِحّةِ الصّوْمِ (أنْ لا يُجنّ) الصّائِمُ فمنْ كان صائِمًا ثُمّ جُنّ (ولوْ) كان جُنُونُهُ (لحْظةً) بطل صِيامُهُ.

(و) يُشْترطُ أيْضًا (أنْ لا يُغْمى عليْهِ) أي الصّائِمِ (كُلّ الْيوْمِ) فإنْ لمْ يسْتغْرِقْ إغْماؤُهُ كُلّ النّهارِ صحّ صِيامُهُ وإلّا بِأنْ أُغْمِي عليْهِ مِن الْفجْرِ إلى الْمغْرِبِ لمْ يصِحّ.

(ولا يصِحُّ) ولا يجُوزُ (صوْمُ) يوْمي (الْعِيديْنِ) الْفِطْرِ والأضْحى وهُما الْيوْمُ الأوّلُ مِنْ شوّالٍ والْيوْمُ الْعاشِرُ مِنْ ذِي الْحِجّةِ (و) لا يصِحُّ أيْضًا صِيامُ (أيّامِ التّشْرِيقِ) وهِي ثَلاثةُ أيّامٍ بعْد يوْمِ عِيدِ الأضْحى.

(وكذا) لا يصِحُّ صوْمُ (النّصْفِ الأخِيرِ مِنْ) شهْرِ (شعْبان[1] و) لا (يوْمِ الشّكّ) وهُو يوْمُ الثّلاثِين مِنْ شعْبان إذا تحدّث النّاسُ الّذِين لا يثْبُتُ الصّيامُ بِشهادتِهِمْ كالصّبْيانِ والْفُسّاقِ أنّهُمْ رأوُا الْهِلال (إلّا أنْ يصِلهُ) أيْ يصِل النّصْف الأخِير مِنْ شعْبان (بِما قبْلهُ) بِأنْ صام الْخامِس عشر مِنْهُ ووصلهُ بِما بعْدهُ فهذا يجُوزُ (أوْ) كان صوْمُهُ لِلنّصْفِ الأخِيرِ مِنْ شعْبان (لِقضاءِ) أيّامٍ فاتتْهُ فيصِحُّ بِلا إثْمٍ (أوْ) كان صوْم (نذْرٍ أوْ وِرْدٍ) وهُو ما يُعْتادُ صوْمُهُ تطوُّعًا (كمنِ اعْتاد صوْم الإثْنيْنِ والْخمِيسِ) أوْ صوْم يوْم وإفْطار يوْم فيجُوزُ لهُ الصّيامُ فِي هذِهِ الْحالِ.

(ومنْ أفْسد صوْم يوْمٍ مِنْ رمضان ولا رُخْصة لهُ فِي فِطْرِهِ) وكان

---

(١) لا يصحّ ولا يجوز صوم النّصف الأخير من شعبان لورود النّهي عن صومه في حديث أبي داود مرفوعًا «إِذا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلَا تَصُومُوا».

إِفْسادُهُ لِلصّيامِ (**بِجِماعٍ**[1] **فعليْهِ الإِثْمُ والْقضاءُ**) بعْد الْعِيدِ (**فوْرًا**) إِنْ تمكّن (**وكفّارةُ ظِهارٍ وهِي عِتْقُ رقبةٍ**) مُؤْمِنةٍ سلِيمةٍ عمّا يُخِلُّ بِالْكسْبِ والْعملِ (**فإِنْ لمْ يسْتطِعْ**) أنْ يُعْتِق (**فصِيامُ شهْريْنِ مُتتابِعيْنِ**) ويَنْقطِعُ التّتابُعُ بِإِفْطارِ يوْمٍ ولوْ لِعُذْرٍ (**فإِنْ لمْ يسْتطِعِ**) أنْ يصُوم (**فإِطْعامُ سِتّين مِسْكِينًا**) أوْ فقِيرًا (**أيْ تمْلِيكُ كُلّ واحِدٍ مِنْهُمْ مُدًّا**) مِمّا يصِحُّ دفْعُهُ عنْ زكاةِ الْفِطْرةِ (**مِنْ قمْحٍ أوْ غيْرِهِ مِمّا هُو غالِبُ قُوتِ الْبلدِ والْمُدُّ هُو مِلْءُ الْكفّيْنِ الْمُعْتدِلتيْنِ**) كما تقدّم.

فوائد تتعلّق بأحكام الصّيام:

- من قطّر في عينه لا يفطر حتَّى لو وجد طعم ذلك في جوفه عند الإمام الشّافعيّ.
- من أكل أو شرب وهو صائم ناسيًا لا يفطر لأنّه ورد في الحديث عن أبي هريرة: «**مَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّما أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ**».
- عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا واحتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِهِ**» رواه البخاريّ ومسلم.

---

(١) لا كفّارة على الواطىء إن كان ناسيًا للصّوم أو جاهلًا معذورًا كأن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة عن العلماء، وكذلك إن جامع مكرهًا فلا كفّارة عليه كما أنّه لا يفسُد صومه. ومن أفسد صوم يوم في غير رمضان ولو كان صومًا واجبًا بنذر أو نحوه فلا كفّارة عليه.

يُعلم من ذلك أنّه لا تجب الكفّارة على من أفسد صومه بالتّعدّي بغير الجماع، وأنّه لا كفّارة ولا إثم على من جامع في نهار رمضان بنيّة التّرخُّص بسفر أو مرض بأن كان مسافرًا سفرًا يبيح الفطر أو مريضًا يجوز له الإفطار فأراد أن يترخَّص بالإفطار بالجماع أمّا إذا جامع المريض أو المسافر في نهار رمضان بغير نيّة التّرخّص فعليهما الإثم لكن بلا كفّارة.

بيان: التّرخُّص معناه العمل بالرّخصة الشّرعيّة وهي هنا أن يأخذ المريض والمسافر بالرّخصة الشّرعيّة ليفطر.

- وعنه رضيَ اللهُ عنهُ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا جَاءَ رَمَضانُ، فُتِّحَتْ أَبْوابُ الجَنَّةِ وغُلِّقَتْ أَبْوابُ النّار، وصُفِّدَتِ الشَّيَاطِين**» رواه البخاريّ ومسلم.

- وعن ابن عبّاس رضيَ اللهُ عنهُما قال: كان رسول الله ﷺ أجود النّاس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كلّ ليلة من رمضان فيدارسه القرءان، فَلَرسُول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الرّيح المرسلة. رواه البخاريُّ ومسلم.

- وعنه رضيَ اللهُ عنهُ قال قال رسول الله ﷺ: «**لا تَصُومُوا قَبْلَ رَمَضان، صُومُوا لِرُؤيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤيَتِهِ، فإنْ حَالَتْ دُونَهُ غَيابَةٌ فَأَكْمِلوا شَعْبانَ ثَلاثِينَ يَومًا**» رواه التّرمذيّ. والغيابة: السّحابة.

- عن أبي يقظان عمّار بن ياسر رضيَ اللهُ عنهُما قال: «**مَنْ صَامَ يَومَ الشَّكِ فَقَدْ عَصَى أَبا القَاسِمَ**». رواه أبو داود.

- وكان النّبيّ ﷺ إذا رأى الهلال قال: «**اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنا بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ، والسَّلَامَةِ والإِسْلَامِ، رَبّي وَربُّكَ الله، هِلالَ رُشْدٍ وَخَيْر**» رواه التّرمذيّ من حديث طلحة بن عبيد الله.

ومن المستحبّ في رمضان ترك الهجر من الكلام كما قال العلماء، أي ترك الكلام الّذي لا خير فيه. وهذا حسن في رمضان وفي غيره ولكن يزداد تأكُّدُ ذلك في رمضان.

- فروق لُغَوية الوَضوء: هو الماء الّذي يُتَوضّأ به، الوُضوء: عمليّة الوضوء للصّلاة نفسها. الطَّهور: هو الماء الّذي يُتطهّر به، الطُّهور: هي الطّهارة نفسها. السَّحور: المأكول: هو ما يُتسحَّر به من تمر أو غيره، والسُّحور: هو فعل الأكل في ذلك الوقت.



أطِع الإلٰه كما أمر واملأ فؤادك بالحذر
وخُذْ بَلِيغَ العِبَرِ ممَّنْ عَبَر

قصَّةُ أصحَابِ السّبتِ

قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾[1]. على شاطئ البحر الأحمر كانت قرية «أيلة» الّتي ذكرت قصّتها في القرءان الكريم حيث كان أصحاب السّبت الّذين فسقوا فمسخهم الله قردةً وخنازيرَ. كان اليهود قبل بعثة النّبيّ يكتمون هذه القصّة لِمَا فيها من التّوبيخ والذّلّ لهم على ما جرى مع بعض أسلافهم من بني إسرائيل من الإهلاك والمَسْخ، لكنّ الله فضحهم في القرءان الكريم عندما أوحى إلى نبيّه محمّد ﷺ تلك القصّة، ليحذر اليهود من تعنّتهم وتكبّرهم ورفضهم الإيمان به عليه الصّلاة والسّلام، مذكّرًا إياهم بما حلّ بإخوانهم في قرية «أيلة»، فما هي تلك القصّة؟

كان المسلمون من بني إسرائيل أيّام نبيّهم داود وقبلها يمتنعون عن العمل والتّجارة والصّناعة والصّيد يوم السّبت، إذ كان هذا الأمر حرامًا في شريعتهم ابتلاء لهم من الله، وليظهر للنّاس من يلتزم بأوامره ومن يعصيه. وكانت الحيتان والأسماك تأتي يوم السّبت حتَّى إنّها تكاد أن تُصادَ باليد من قربها، لأنّها أُلْهِمَتْ أنّها لا تُصادُ في هذا اليومِ لنهيه تعالى بني إسرائيل عن صيدها، فكانت تأتي بكمّيّات كبيرة إلى شاطئ قرية «أيلة» وتتزاحم هناك، فلا يخوّفونها ولا يفزّعونها، وإذا كان غير

---

(١) سورة البقرة، ءاية (٦٥ - ٦٦).

يوم السّبت لزمت الحيتان والأسماك قاع البحر فلم يُر منها شيء حتَّى يأتي السّبت التّالي. ولكنّ النّفس الخبيثة سرعان ما يقودها الشّيطان إلى العصيان والفساد، فإنّ أحد أهل القرية اشتهى أكل السّمك فأغواه الشّيطان وزيّن له القيام بحيلة لاصطياد ما يشتهي منها، فأتى إلى شاطئ البحر يوم السّبت ورأى سمكة كبيرة تسبح قريبة منه فربط ذيلها بحبل ووضع الطّرف الآخر في وتد الشّاطئ وذهب، فلمّا انقضى النّهار عاد هذا الرّجل وأخذ السّمكة إلى المنزل ونظّفها وشواها، فانبعثت رائحتها حول داره، فأتاه جيرانه يسألونه عن ذلك، فأنكر ما فعل، ولمّا أصرّوا عليه قال لهم: «إنّه جلد سمكة وجدته وشويته»، فلمّا كان السّبت الآخر فعل مثل ذلك، فشمّ النّاس رائحة الشّواء فسألوه، فقال لهم: «إن شئتم صنعتم كما أصنع»، فقالوا له: «وما صنعت؟» فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل.

ونوّعوا في استعمال الحيلة فقام بعضهم يوم الجمعة بحفر حفر متّصلة بالبحر بواسطة ممرّات يسهل سدّها، فإذا كان يوم السّبت استخرجوها وكثر هذا الأمر حتَّى فعله الكثيرون، ووصل بهم الأمر أن اصطادوها يوم السّبت علانية وباعوها في الأسواق، فكان هذا من جملة الاعتداء.

ولمّا جاهر الفسّاق بطريقتهم قام علماء بني إسرائيل المسلمون ونهوهم عن هذا، وخوّفوهم فلم يقبلوا، فجعلوا بينهم وبين الفسّاق جدارًا في القرية ولم يعودوا يساكنوهم. وفي اللّيل جاء أمر الله تعالى فانتقم من الّذين فسقوا فمسخ شبّانهم قردةً وعجائزهم خنازير كما قيل، فقام الّذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر صباحًا وذهبوا إلى أعمالهم والأماكن الّتي كانوا يتعبّدون بها وتسمّى بِيَعٌ وصلواتٌ (كالمساجد في أيّامنا) ومجتمعاتهم فلم يروا أحدًا من الفاسقين، فاستغربوا وتساءلوا فيما بينهم وقام أحدهم ووضع سُلَّمًا على الجدار

وصعد عليه فلمّا أشرف على القوم رأى عجبًا، إذ أصبح الفسّاق قردة لها أذناب يتعاوون ويقفزون على بعضهم، وخنازير تصدر أصواتًا قبيحة، ففتحوا عليهم الأبواب ودخلوا، وصار كلّ قرد يأتي قريبه من الإنس فيشمّ ثيابه ويبكي، فيقول الإنسي: «ألم ننهكم؟» فيشير القرد برأسه «نعم».

وكانوا قبل المسخ قد افترقوا كما قيل إلى ثلاث فرق: فرقة عصت وصادت وكانوا نحوًا من سبعين ألفًا وهم الّذين مُسِخوا، وفرقة نهت وتنحّت وكانوا اثني عشر ألفًا، وفرقة تنحّت ولم تنه ولم تعص وهذه الفرقة الأخيرة قالت للفرقة الثّانية الّتي نهت عن الحرام: «لم تعظون قومًا عصاة سيهلكهم الله وسيعذّبهم» على ما كانوا يتوقّعونه بعد مخالفة أمر الله تعالى وما عُرِفَ مِن فعل الله بالأمم العاصية السّابقة، فقال النّاهون عن المنكر: «موعظتنا من باب التّذكير لعلهم يتّقون ويتراجعون». ولم تهلك إلّا الفرقة الأولى العاصية وأنجى الله الّذين نهوا والّذين لم يعصوا. ولم يبق الّذين مسخوا أحياء أكثر من ثلاثة أيّام، ولم يأكلوا خلالها ولم يشربوا ولم يخرج منهم نسل. وكانوا عبرة بالغةً لمن أتى بعدهم من الأمم ولمن رءاهم وعرف قصتهم.

عنكُمُ كيفَ أكتُبُ وأُعبِّر وفيكُمُ للمَكْرُماتِ أسطُر

شيءٌ من حَالِ الأنبيَاءِ والأوليَاءِ

أوصيكم باقتفاء طريق الأنبياء والصّالحين في ترك التّنعّم، فإنّ الاستمرار كلّ اليوم على الطّعام اللّذيذ لا خير فيه، أهل الله لا

يشكّلون، شكلًا واحدًا من الطّعام يأكلون. تعويد النّفس على ذلك فيه خير، الرّسول ﷺ كان أيّامًا عديدة يواصل على التّمر والماء، الغداء والعشاء تمر وماء تمر وماء، وأحيانًا خبز مفتوت والمرق، هذا في الأقلّ، خبزه كان من الشّعير ما أكل قطّ خبزًا مرقّقًا. والخبز المرقّق هو الصّافي اللّين الخفيف.

يروى عن سيّدنا عيسى أنّه قال: «إنّ لبس المسوح واستفاف الرّماد والنّوم على المزابل كثير على من يموت»، فالنّوم على المزابل أهون من القبر إلّا من رَحم الله، القبر بيت ظلمة ووحشة وأشياء أخرى، على من ينتظره القبر النّوم على المزبلة كثير. وهذا سيّدنا عيسى المسيح ما بنى بيتًا، كان ينام في المسجد أو في مكان صادفه.

دعاء

«اللّهمَّ اجْعَل سَعْيَنا فِي رَمَضَانَ مَشْكُورًا وَذَنْبَنَا فِيهِ مَغْفُورًا وعَيْبَنَا فِيهِ مَسْتُورًا وَعَمَلَنَا فِيهِ مُتَقَبَّلًا».

يُقال عند الصّباح وعند المساء: **«يا حيُّ يا قيُّومُ برحمتِكَ أستغِيثُ، أَصلِحْ لي شَأني كُلَّهُ ولا تكِلْني إلى نَفسِي طَرْفَةَ عَينٍ»**، ويقال: **«حَسْبِيَ اللهُ لا إلٰهَ إلّا هو علَيهِ توكَّلْتُ وهوَ ربُّ العرشِ العظيمِ»** سبعَ مراتٍ.

الدّرس الحادي والثلاثون

(كِتابُ الْحجّ)

بعْد أنْ أنْهى الْمُؤلّفُ رحِمهُ الله الْكلام على الصّيام شرع فِي الْكلام على الْحجّ وهُو قصْدُ الْكعْبةِ بِأفْعالٍ مخْصُوصةٍ وعلى العُمْرةِ وهِي زِيارةُ الكعْبةِ بِأفْعالٍ معْلُومةٍ فقال: (**فصْلٌ**) فِي بيانِ أحْكامِ الْحجّ والْعُمْرةِ[1].

(**يجِبُ الْحجُّ**) وهُو قصْدُ الكعْبةِ بِالأفْعالِ المعْلُومةِ (**والْعُمْرةُ**) وهِي زِيارةُ الكعْبةِ لِلأفْعالِ المعهُودةِ وُجُوبًا مُوسّعًا إلى الْموْتِ (**فِي الْعُمُرِ مرّةً**) واحِدةً (**على الْمُسْلِمِ**) فلا يجِبانِ على الْكافِرِ الأصْلِيّ وُجُوب مُطالبةٍ فِي الدُّنْيا (**الْحُرّ**) فلا يجِبانِ على منْ فِيهِ رِقٌّ (**الْمُكلّفِ**) أي الْبالِغِ الْعاقِلِ فلا يجِبانِ على الصّبِيّ والْمجْنُونِ (**الْمُسْتطِيعِ بِما يُوصِلُهُ**) إلى مكّة (**ويرُدُّهُ إلى وطنِهِ**) مِنْ زادٍ وما يتْبعُهُ وأنْ يكُون ذلِك (**فاضِلًا عنْ ديْنِهِ**) ولوْ مُؤجّلًا (**ومسْكنِهِ**) ولوْ كان بِالأُجْرةِ (**وكِسْوتِهِ اللّائِقيْنِ بِهِ و**) أنْ يكُون فاضِلًا عنْ (**مُؤْنةِ منْ**) تجِبُ (**عليْهِ مُؤْنتُهُ**) مِنْ زوْجةٍ أوْ أبٍ أوْ أُمٍّ فقِيريْنِ ونحْوِهِمْ (**مُدّة ذهابِهِ**) لِلْحجّ والْعُمْرةِ (**وإِيّابِهِ**) وإِقامتِهِ هُناك.

(**وأرْكانُ الْحجّ سِتّةٌ**) ونعْنِي بِالرُّكْنِ فِي بابِ الْحجّ الأعْمال الّتِي لا يصِحُّ الْحجُّ بِدُونِها ولا تُجْبرُ بِالدّمِ فالرُّكْنُ (**الأوّلُ الإِحْرامُ وهُو**) نِيّةُ الدُّخُولِ فِي النُّسُكِ[2] وكيْفِيّةُ ذلِك (**أنْ يقُول بِقلْبِهِ دخلْتُ فِي عملِ الْحجّ**) مثلًا إِنْ أراد الْحجّ (**أوْ**) فِي عملِ (**الْعُمْرةِ**) إِنْ أراد الْعُمْرة ولهُ أنْ

---

(١) يصحّ إهداء ثواب العمرة لحيّ أو لميت، ويكون الإهداء بعد الانتهاء، ويصل إن كان قبل الانتهاء لو قال: اللَّهُمَّ أوصل ثواب حجّي هذا أو عمرتي هذه إلى فلان قبل أن يبدأ.

(٢) التَّلفُّظ بالنّيّة لم يرد أنّه سنّة في العبادات إلّا في الحجّ فيقول: «لبّيك اللَّهُمَّ بحجّ»، هذه سُنَّة منصوص عليها في الحجّ والنّسك، والنّسك يشمل العمرة.

يقْرِن فِي النّيّةِ بيْنهُما. (و) الرُّكْنُ الثّانِي مِنْ أرْكانِ الْحجّ هُو (الْوُقُوفُ بِعرفة) أيْ أنْ يكُون بِأيّ جُزْءٍ مِنْ أرْضِ عرفة فِيما (بيْن زوالِ شمْسِ يوْمِ عرفة) وهُو الْيوْمُ التّاسِعُ مِنْ ذِي الْحِجّةِ (إلى فجْرِ ليْلةِ الْعِيدِ[1] أيْ إلى فجْرِ الْعاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجّةِ. والرُّكْنُ (الثّالِثُ الطّوافُ بِالْبيْتِ) سبْعًا ويدْخُلُ وقْتُهُ بعْد مُنْتصفِ ليْلةِ الْعاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجّةِ.

والرُّكْنُ (الرّابِعُ السّعْيُ بيْن) جبلِ (الصّفا و) جبلِ (الْمرْوةِ سبْع مرّاتٍ) يبْتدِئُ بِالصّفا وينْتهِي بِالْمرْوةِ ويكُونُ السّعْيُ (مِن الْعقْدِ إلى الْعقْدِ) وهُو الْعلامةُ الّتِي كانتْ جُعِلتْ فِي كُلٍّ مِن الصّفا والْمرْوةِ لِلدّلالةِ على الْموْضِعِ الّذِي لا بُدّ مِن الْوُصُولِ إلِيْهِ لِيصِحّ السّعْيُ وقدْ هُدِمتْ فِي أيّامِنا وجُعِل بدلها علامةٌ أُخْرى. والرُّكْنُ (الْخامِسُ الْحلْقُ) وهُو اسْتِئْصالُ الشّعرِ بِالْمُوسى (أوِ التّقْصِيرُ) وهُو أنْ يُؤْخذ مِنْهُ ثلاثُ شعراتٍ أوْ أكْثرُ مِنْ غيْرِ اسْتِئْصالٍ ويدْخُلُ وقْتُهُ بعْد مُنْتصفِ ليْلةِ الْعِيدِ. والرُّكْنُ (السّادِسُ التّرْتِيبُ فِي مُعْظمِ الأرْكانِ) فيجِبُ تقْدِيمُ الإِحْرامِ على الْكُلّ وتأْخِيرُ الطّوافِ والْحلْقِ أوِ التّقْصِيرِ عنِ الْوُقُوفِ (وهِي) أي الأرْكانُ الْمذْكُورةُ (إلّا الْوُقُوف) بِعرفة (أرْكانٌ لِلْعُمْرةِ) فيُعْلمُ مِنْ ذلِك أن أرْكان الْعُمْرةِ خمْسةٌ وهِي الإِحْرامُ والطّوافُ والسّعْيُ والْحلْقُ أوِ التّقْصِيرُ والتّرْتِيبُ. (ولِهذِهِ الأرْكانِ فُرُوضٌ وشُرُوطٌ لا بُدّ) لِلْحاجّ والْمُعْتمِرِ (مِنْ مُراعاتِها) حتّى يكُون عملُهُ صحِيحًا (و) مِنْ ذلِك أنّهُ (يُشْترطُ لِلطّوافِ قطْعُ مسافةٍ) حدّدها الشّرْعُ (وهِي) أنْ يطُوف (مِن الْحجرِ الأسْودِ إلى الْحجرِ الأسْودِ سبْع مرّاتٍ ومِنْ شُرُوطِهِ سترُ الْعوْرةِ والطّهارةُ)[2] عنِ

---

(١) الحجّ الأكبر هو يوم العيد لأنّ أركان الحجّ تنتهي يوم العيد. وليس صحيحًا كما شاع أنّ الحجّ الأكبر هو الّذي يوافق فيه الوقوف بعرفة يوم جمعة.

(٢) قالت عائشة رضي الله عنها: «خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكر إلّا الحجّ حتّى جئنا سَرِفَ فطمِثْتُ فدخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقال: «مَا يُبْكِيكِ» فقلت: «والله لوددت=

الْحدثيْنِ كما فِي الصّلاةِ (**وأنْ يجْعل الْكعْبة عنْ يسارِهِ**) عِنْد طوافِهِ (**لا يسْتقْبِلُها ولا يسْتدْبِرُها**) بلْ يمْشِي إِلى الأمامِ.

تنْبِيْهٌ: لايصِحُّ السّعْي فِي المسْعى الجدِيْدِ الّذِيْ يخْرُجُ عنِ الحُدُوْدِ الّتِيْ حدّها رسُولُ اللهِ ﷺ لِلْسعْي، قال النّووِيُّ فِيْ بابِ صِفةِ الحجّ والعُمْرةِ مِنْ كِتابِ الحجّ مِن المجْمُوعِ فرْعٌ قال الشّافِعِيُّ والأصْحابُ لا يجُوزُ السّعْيُ فِيْ غيْرِ موضِعِ السّعْي فلوْ مرّ وراء موْضِعِ السّعْي فِيْ زُقاقِ العطّارِيْن أوْ غيْرِهِ لمْ يصِحّ سعْيُهُ لأنّ السّعْي مُخْتصٌّ بِمكانٍ فلا يجُوزُ فِعْلُهُ فِيْ غيْرِهِ كالطّوافِ انتهى.

أُولي الإيمَانِ التَّصدُّقُ والإحسَانُ تجارَةٌ بلا خُسرَانِ

ابنُ المبَارَكِ رحمَهُ اللهُ

رُوي أنّ عبد الله بن المبارك كان يغزو عامًا ويحجّ عامًا، ففي عام من أعوام حجّه في سفره إلى الحجّ وجد في مغارة امرأة تلتقط هرّة وتذبحها للأكل فذكّرها بالآية ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴿١٧٣﴾﴾[1]، فأجابته بباقي الآية: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾[2].

= أنّي لم أكن خرجت العام» قال: «**ما لَكِ لَعَلَّكِ نُفِسْتِ**» - أي حضت - قلت: «نعم» قال: «**هذا شَيء كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ افْعَلِي ما يَفْعَل الحاج غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالبَيْتِ حَتَّى تَطَّهَرِي**». مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنّه يجوز إفراد الحجّ والتّمتّع والقران، (٤/ ٣٠).

(١) سورة البقرة، ءاية (١٧٣).

(٢) سورة البقرة، ءاية (١٧٣).

فلمَّا عَلِمَ بأنّها مضطّرة لتطعم أولادها الجياع الّذين عضّهم الجّوع بنابه وشارفوا على الهلاك ولم يجدوا سوى الميتة أعطاها ما كان معه من مال وطعام إلّا ما يكفيه للرّجوع إلى بلده ولم يحجّ تلك السّنة، فلمّا رجع النّاس من الحجّ جاؤوا يهنّئونه بالحجّ فقال لهم بأنّه لم يتيسر له هذه السّنة فقالوا له كيف هذا وقد اجتمعنا بك ورأيناك في عرفات وعند الكعبة وفي منى والمسعى.. فقال أهل العلم هذا ملك أرسل بصورته فحج عنه.



تألّق بِخُلُقٍ وَأَعْلِ الهِمَّةَ تحمَّلْ واصبِرْ إنَّها الجنَّةُ

حُسنُ الخُلُقِ

أوصيكم بحسن الخلق، فإنّ من أسباب النّجاة أن يكون المسلم كما يحبّ أن يعامله النّاس بالعفو والمسامحة والإغضاء والصّبر على ما يبدو منه من الهفوات، ينبغي أن يعامل النّاس بالمثل أي يصبر على أذاهم ويعمل المعروف معهم لمن عرف له ولمن لم يعرف له، الواحد منّا يحبّ أن يستر عليه أخوه هفوته فينبغي أن يعامل النّاس بمثل ذلك أي يتحمّل هفوات النّاس، هفوات إخوانه.

ثمّ إنّ حسن الخلق أمر واسع والسّبيل للوصول إلى ذلك لا يحصل إلّا بتحمّل أذى الغير وكفّ الأذى عن الغير وبذل المعروف لمن يعرف له ولمن لا يعرف له. وعليكم بتحسين الظّنّ، تحسين الظّنّ يحتاج إلى ذكاء، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة، أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنّ فَإِنّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**».

وعليكم بتقليل الكلام إلّا من خير وعليكم بتقليل الرّفاهية وترك الغضب. ترك الغضب أمر مهمّ، الغضب يؤدّي إلى المهالك، وكفُّ النّفس عن المعاصي بترك الهوى وإخلاص النّيّة في الأعمال في الصّلاة والصِّيام والزّكاة والحجّ والذّكر في كل ذلك.

وعليكم بإعداد الزّاد للآخرة وذلك بالإكثار من ذكر الله من تهليل أو تسبيح أو تحميد أو تكبير. شخص سأل الرّسول ﷺ فقال له: «**لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**». سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا إلٰه إلا الله ولا حول ولا قوّة إلَّا بالله كل هذا ذكر. الّذي يكون لسانه مستمِرًّا بذكر الله يلقى خيرًا كثيرًا. إن قال سبحان الله وبحمده تغرس له في الجنّة شجرة ساقها من ذهب. الشّجر الّذي يكون في الجنّة لا يموت يبقى على الدّوام الشّجرة تعطي ثمرًا لونها لا يفسد، كُلَّما قال سبحان الله وبحمده غرست له شجرة ساقها من ذهب، الذِّكر فيه نفع كبير للآخرة أمّا إن قال سبحان الله بدون وبحمده غرست له شجرة لكن ليس شجرة ساقها من ذهب مقدار سوط من أرض الجنّة خير من الدّنيا وما فيها السّوط ماذا يأخذ من الأرض إذا وضع على الأرض كم يأخذ قدر سوط من أرض الجنّة خير من الدّنيا وما فيها.



يُقال عند الخروج في سفرٍ: «**اللَّهُمَّ أنتَ الصّاحبُ** (أي الحافظُ) **في السَّفرِ، والخليفةُ في الأهلِ والمالِ والولدِ، اللَّهمَّ اصْحَبْنَا في سفرِنَا، واخلفنا في أهلِنا، اللَّهمَّ إنّي أعُوذُ بكَ من وعثَاءِ السَّفرِ وكآبَةِ المنقلَبِ، ومن الحَوْرِ بعد الكَوْرِ، ومن دَعوَةِ المظلُومِ، ومن سُوءِ المنظَرِ في الأهلِ والمالِ**» رواه عبد الله بن سرجس.



الدّرس الثّاني والثلاثون

ثُم بعْد أنْ أنْهى الْكلام على أرْكانِ الْحجّ والْعُمْرةِ شرع فِي الْكلامِ على مُحرّماتِ الإِحْرامِ[1] فقال رحِمهُ الله (**وحرُم على منْ أحْرم**) بِحجّ أوْ عُمْرةٍ ثمانِيةُ أشْياء الأوّلُ (**طِيبٌ**) أيِ اسْتِعْمالُ ما تُقْصدُ مِنْهُ رائِحتُهُ غالِبًا كالْمِسْكِ فِي ملْبُوسٍ أوْ بدنٍ سواءٌ كان ذكرًا أمْ أُنْثى وفِيهِ فِدْيةٌ، (**و**) الثّانِي (**دهْنُ رأْسٍ ولِحْيةٍ**) لِلْمُحْرِمِ (**بِزيْتٍ**) أوْ دُهْنٍ أوْ سمْنٍ أوْ زُبْدٍ (**أوْ شحْمٍ أوْ شمْعٍ عسلٍ ذائِبيْنِ**) وأمّا اسْتِخْدامُهُ فِيما سِوى ذلِك كالأكْلِ فلا يحْرُمُ ما لمْ يكُنْ مُطيّبًا، (**و**) الثّالِثُ (**إِزالةُ ظُفْرٍ**) مِنْ يدٍ أوْ رِجْلٍ (**و**) إِزالةُ (**شعرٍ**) مِنْ رأْسِهِ أوْ غيْرِهِ، (**و**) الرّابِعُ (**جِماعٌ**) فِي قُبُلٍ أوْ دُبُرٍ (**ومُقدّماتُهُ**) أيْ ومُقدّماتُ الْجِماعِ منْ تقْبِيلٍ بِشهْوةٍ ونظرٍ بِشهْوةٍ، ولمْسٍ بِها ولوْ بِحائِلٍ، (**و**) الْخامِسُ (**عقْدُ النّكاحِ**) لهُ أو لِغيْرِهِ كبِنْتِهِ ولا يصِحُّ، (**و**) السّادِسُ (**صيْدُ مأْكُولٍ برّيّ وحْشِيّ**) أيِ التّعرُّضُ لهُ ولوْ بِشراءٍ بِخِلافِ غيْرِ الْمأْكُولِ والْبحْرِيّ والإِنْسِيّ، (**و**) السّابِعُ يحْرُمُ (**على الرّجُلِ**) الْمُحْرِمِ (**سترُ رأْسِهِ**) بِما يُعدُّ ساتِرًا عُرْفًا كقلنْسُوةٍ (**و**) يحْرُمُ (لُبْسُ مُحِيطٍ) للبدنِ كُلّهِ أوْ بعْضِهِ (**بِخِياطةٍ**) أيْ ما تحْصُلُ بِهِ الإِحاطةُ بِسببِ خِياطةٍ كقمِيصٍ.

---

(١) **فائدة**: يجب تعلّم علم الدّين الّذي يعرف به الحلال والحرام تلَقّيًا من أهل المعرفة والثّقة فلا يجوز استفتاء من ليس له كفاءة في علم الدّين ولا استفتاء العالِم الفاسق. قال الإمام المجتهد التّابعيّ الجليل محمد بن سيرين رضي الله عنه «إنّ هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم» رواه مسلم في مقدمة صحيحه.

ومعنى قوله إن طلب الحلال فريضة على كلّ مسلم أنّه لا يجوز تناول رزق من طريق حرام بل على من أراد تحصيل المال لحاجة نفسه أو حاجة عياله أن يسعى للتّحصيل بطريق مباح شرعًا، وليس معنى ذلك أنّه يحرم على الشّخص أن يمكث من دون تعاطي عمل بل لو ترك الشّخص العمل وهو قادر عليه غير معتمد على السّؤال من شخص معيّن أو على الشّحاذة بل كان غير متعرّض لذلك واثقًا بربّه أنّه يسوقُ إليه رزقه فلا إثم عليه.

(**أوْ لِبْدٍ**[١] **أوْ نحْوِهِ و**) الثّامِنُ يحْرُمُ (**على**) الْمرْأةِ (**الْمُحْرِمةِ سَتْرُ وجْهِها**) بِما يُعدُّ ساتِرًا (**وقُفّازٌ**) أيْ لُبْسُهُ وهُو شيْءٌ يُعْملُ لِلْكفّ والأصابِعِ لِيقِيها مِن الْبرْد. (**فمنْ**) كان مُحْرِمًا ثُمّ (**فعل شيْئًا مِنْ هذِهِ الْمُحرّماتِ فعليْهِ الإِثْمُ والْفِدْيةُ**) إِنْ كان قاصِدًا مُخْتارًا عالِمًا بِالتّحْرِيْمِ (**ويزِيدُ الْجِماعُ**) على ما ذُكِر إِنْ كان قبْل التّحلُّلِ الأوّلِ (**بِالإِفْسادِ**) لِلنُّسُكِ الّذِي هُو فِيهِ (**ووُجُوبِ الْقضاءِ**) أيْ إِعادةِ ما أفْسدهُ (**فوْرًا وإِتْمامِ**) النُّسُكِ (**الْفاسِدِ فمنْ أفْسد حجّهُ**) مثلًا (**بِالْجِماعِ يمْضِي فِيهِ ولا يقْطعُهُ ثُمّ يقْضِي فِي السّنةِ الْقابِلةِ**) وأمّا مُفْسِدُ الْعُمْرةِ فيمْضِي فِيها حتّى إِذا أتمّ أفْعالها شرع فِي الْقضاءِ بِلا تأْخِيرٍ.

وبعْد أنْ أنْهى الْمُؤلّفُ رحِمهُ الله رحْمةً واسِعةً الْكلام على مُحرّماتِ الإِحْرامِ شرع فِي الْكلامِ على واجِباتِ الْحجّ ونعْنِي بِالْواجِبِ فِي بابِ الْحجّ ما يُجْبرُ بِدمٍ ولا يفْسُدُ الْحجُّ بِترْكِهِ فقال (**ويجِبُ**) فِي الْحجّ والْعُمْرةِ (**أنْ يُحْرِم مِن الْمِيقاتِ**[٢]

---

(١) اللِّبْدُ وزان حِمْل ما يتلبّد من شعر أو صوف واللّبدة أخصّ منه ولبد الشّيء من باب تعب بمعنى لصق، ويتعدّى بالتّضعيف فيقال: لبّدْتُ الشّيء تلبيدًا ألزقتُ بعضه ببعض حتَّى صار كاللّبدِ ولبّد الحاج شعره بخطمِيّ ونحوه كذلك حتَّى لا يتشعّث. الفيومي، المصباح المنير، (٢/٥٤٨)، مادة ل ب د.

(٢) ميقات أهل المدينة ومن يمرّ بطريق المدينة إلى مكّة هو: ذو الحُلَيْفَةِ، ويقال له اليوم: آبار عليّ، وبها اليوم مسجد كبير، وميقات أهل الشّام ومصر والمغرب ومن يمرّ بطريقهم: الجُحْفَة أو رابغ، وميقات أهل تهامة اليمن ومن يمرّ بطريقهم يلَمْلَم، وميقات أهل العراق ومن يمرّ بطريقهم: ذات عِرْقٍ، وميقات أهل نجد الحجاز واليمن ومن يمرّ بطريقهم: قَرْن الثعالب. ومريد الحجّ من أهل مكّة ميقاته بيته. هذه المواقيت تسمّى الميقات المكانيّ، أمّا الميقات الزّمانيّ للحجّ فهو: شوّال، وذو القَعدة، وذو الحِجّة، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ ﴿١٩٧﴾﴾ [سورة البقرة]، أمّا ميقات العمرة الزّمانيّ الأبد أي ليس لها وقت محدّد. فمن جاوز أحد المواقيت متوجهًا إلى مكّة بقصد النّسك ثمّ أحرم من بعد الميقات لزمه الدّم.

والْمِيقاتُ هُو الْمَوْضِعُ الّذِي عيّنهُ رسُولُ اللهِ لِيُحْرِم) مُرِيدُ النُّسُكِ (مِنْهُ) وهُو لِغيْرِ أهْلِ مكّة خمْسةُ أماكِن وذلِك (**كالأرْضِ الّتِي تُسمّى ذا الْحُلَيْفةِ**) وهِي الْمعْرُوفةُ الْيوْم بِآبارِ علِيّ فهِي الْمِيقاتُ (**لأهْلِ الْمدِينةِ**) الْمُنوّرةِ (**ومنْ يمُرُّ بِطرِيقِهِمْ**) مِنْ غيْرِ أهْلِها[1]. (و) يجِبُ (**فِي الْحجّ**) دُون الْعُمْرةِ (**مبِيتُ**) الْحاجّ فِي أرْضِ (**مُزْدلِفة**) ونعْنِي بِالْمبِيتِ هُنا مُرُورهُ فِي شيْءٍ مِنْ أرْضِها بعْد نِصْفِ ليْلةِ النّحْرِ ولوْ لحْظةً هذا (**على قوْلٍ**) عِنْد الإِمامِ الشّافِعِيّ وعلى قوْلٍ هُو سُنّةٌ لا إِثْم بِترْكِهِ ولا دم. (**و**) يجِبُ مبِيتُهُ (**بِمِنًى**) ونعْنِي بِالْمبِيتِ هُنا أنْ يحْضُر أرْض مِنًى مُعْظم ليْلِ أيّامِ التّشْرِيقِ الثّلاثِ إِنْ لمْ ينْفِرْ مِنْ مِنًى قبْل غُرُوبِ شمْسِ الْيوْمِ الثّانِي مِنْ أيّامِ التّشْرِيقِ وإِلاّ سقط عنْهُ مبِيتُ الْيوْمِ الثّالِثِ هذا (**على قوْلٍ**) عِنْد الإِمامِ الشّافِعِيّ رضِي الله عنْهُ وعلى قوْلٍ لهُ الْمبِيْتُ بِمِنًى سُنّةٌ فلا إِثْم بِترْكِهِ ولا دم. (**و**) يجِبُ (**رمْيُ جمْرةِ الْعقبةِ يوْم النّحْرِ**) بِسبْعِ حصياتٍ ويدْخُلُ وقْتُهُ بِنِصْفِ اللّيْلِ ويمْتدُّ إِلى آخِرِ أيّامِ التّشْرِيقِ. (**و**) يجِبُ (**رمْيُ الْجمراتِ الثّلاثِ**) كُلّ واحِدةٍ بِسبْعِ حصياتٍ فِي كُلّ يوْمٍ مِنْ (**أيّامِ التّشْرِيقِ**) بعْد الزّوالِ مُرتّبًا فيبْدأُ بِالْجمْرةِ الّتِي تلِي مسْجِد الْخيْفِ ثُمّ الّتِي تلِيها ثُمّ الّتِي تلِيها ولهُ تأْخِيرُ رمْيِ الْيوْمِ الأوّلِ والثّانِي إِلى الثّالِثِ[2]. (**و**) يجِبُ (**طوافُ الْوداعِ على قوْلٍ فِي الْمذْهبِ**) ويُسنُّ على قوْلٍ. (**وهذِهِ الأُمُورُ السّتّةُ**) هِي مِن الْواجِباتِ لا مِن الأرْكانِ ولِذا (**منْ لمْ يأْتِ بِها لا يفْسُدُ حجُّهُ إِنّما يكُونُ علَيْهِ إِثْمٌ وفِدْيةٌ بِخِلافِ**) منْ ترك

---

(١) في الحجّ من كان في مكّة فميقاتُه مكّة، أمّا في العمرة فميقاته أدنى الحلّ.

(٢) **تنبيهٌ**: الأُضحية يجزئ فيها من الشّياه ضأن أتمَّ سنة أو أسقط مقدّم أسنانه، ومن المعز ما كان عمره سنتين، يأكل منها ويوزّع على الفقراء ويُهدي حتَّى لو أهدى الأغنياء يجوز، وهي سنّة عند الشّافعيّة وواجبة عند الحنفيّة لمن كان يملك نصاب الزّكاة كمائتي درهم فضّة. توزع الأُضحية يوم العيد وأيّام التّشريق.

شيْئًا مِن (**الأرْكانِ الّتِي مرّ ذِكْرُها فإنّ الْحجّ لا يحْصُلُ بِدُونِها ومنْ تركها**) أيِ الأرْكان (**لا يجْبُرُهُ دمٌ أيْ ذبْحُ شاةٍ**).

تنبيهٌ مهمٌّ معنى حديث رسول الله ﷺ «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرفُثْ وَلَمْ يَفسُق رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». هذا ليس لكلّ حاجّ، هذا لمن حجّ من مال حلال، وحفظ نفسه في حال الإحرام، من قول الحرام ومِن عملِ الحرام، لأنّه كثير من الحجّاج يؤذي بعضهم بعضًا ويقع في الكبائر وهم مُحْرِمُوْن.

(**ويحْرُمُ صيْدُ الْحرميْنِ**) حرمِ مكّة والْمدِينةِ (**ونباتُهُما**) فلا يجُوزُ قطْعُ شجرِهِما أوْ قلْعُهُ وحُرْمةُ ذلِك (**على مُحْرِمٍ وحلالٍ**) وهُو غيْرُ الْمُحْرِمِ (**وتزِيدُ مكّةُ**) على الْمدِينةِ (**بِوُجُوبِ الْفِدْيةِ**) فِي الصّيْدِ والنّباتِ (**فلا فِدْية فِي صيْدِ حرمِ الْمدِينةِ وقطْعِ نباتِها و**) حدُّ (**حرمِ الْمدِينةِ ما بيْن جبلِ عيْرٍ وجبلِ ثوْرٍ**).

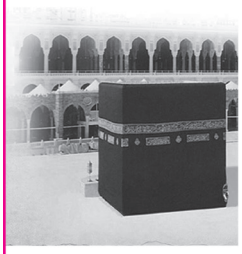
تنْبِيْهٌ. زِيارةُ قبْرِ النّبِيّ ﷺ مسْنُونةٌ بِالإِجْماعِ سواءٌ كان الزّائِرُ مِنْ أهْلِ الْمدِينةِ أمْ لا وسواءٌ كان حاجًّا أمْ لا، وقدْ درج الْمُسْلِمُون على ذلِك سَلَفًا وخَلَفًا وقام إِجْماعُهُمْ على مشْرُوعِيّةِ هذا الأمْرِ ورُوِي فِي ذلِك أحادِيثُ مِنْها حدِيْثُ الدّارقُطْنِيّ: «**مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعتِي**» اهـ حسّنهُ الْحافِظُ السُّبْكِيُّ والحافِظُ الْعلائِيُّ وغيْرُهُما[1].

---

(١) روى الذّهبي في سيره في ترجمة بلال أنّه لما كان في الشّام رأى في المنام رسول الله ﷺ يقول له: «ما هَذِهِ الجَفْوَةُ يا بِلال، أَمَا آنَ لَكَ أَنْ تَزورَني» فانْتَبَهَ مِن نَومِهِ حَزينًا، فَرَكِبَ راحِلتَهُ وقَصَدَ المَدِينة فأتى قَبْرَ النَّبيِّ ﷺ وجَعَلَ يَبكي عِنْدَهُ وَيَمْرِغُ وَجْهَهُ عَليهِ، فَأَقْبَلَ الحَسَنُ والحُسَينُ رَضِيَ الله عَنهُما فجعل يَضُمُّهُما ويُقَبِّلُهُما، فقالا لَهُ: نَشتهي أنْ نَسمعَ أَذَانَكَ، فَعَلا السَّطْح وَوَقفَ، فلمَّا أنْ قال: الله أكبَرُ الله أكبَرُ، ارْتجَّتِ المدينةُ، فلمَّا قال: أشهدُ أنْ لا إلٰه إلَّا الله، ازدادَتْ رجَّتها، فلمَّا قال: أشهدُ أنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله، خرج العَواتِقُ مِن خُدورِهِنَّ، فما رُئِيَ يومٌ أشدَّ بُكاءً بالمدينةِ بعد رسولِ الله ﷺ من ذلك اليوم.
فهذه القصّة تدلّ على أنّ بلالًا رضي الله عنه قد تبرّك وتمسّح بقبر النّبيّ ﷺ، وهي دليل على جواز السّفر وشدّ الرّحال لذلك، إذ فعله صحابيّ جليل بشّره رسول الله ﷺ بالجنّة وأثنى عليه الثّناء الحسن الكثير.

لبَّيك اللّهُمَّ لبَّيك لبَّيك لاشَريكَ لك لبَّيك

• أنواع الإحـــرام



المفرد بالحجّ وحده: هو الّذي يحرم بالحجّ وحده ثمّ يحرم بالعمرة إن شاء وليس عليه دم.
القارن بين الحجّ والعمرة: هو الّذي يحرم بالحجّ والعمرة معًا فيطوف طوافًا واحدًا للحجّ والعمرة وكذلك يسعى سعيًا واحدًا للحجّ والعمرة ويجب عليه الدّم.
المتمتّع بالعمرة إلى الحجّ: هو الّذي يُحرم بالعمرة في أشهر الحجّ ثمّ يتحلّل ويُحْرِم للحجّ من داره (أو محل إقامته) وعليه دم واجب إن لم يرجع إلى الميقات ويحرم منه للعَمرة.

• أركـــان الحـــجّ

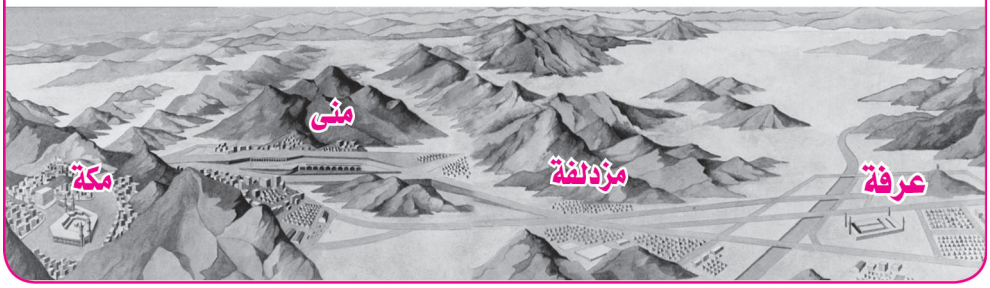
الإحرام: وهو نيّة الدّخول في النُّسُك.
الوقوف بعرفة: وقت الوقوف من زوال شمس يوم التّاسع من ذي الحجّة (من دخول وقت الظّهر) إلى طلوع فجر يوم العاشر (يوم العيد).
الطّواف بالبيت: وهو طواف الإفاضة ووقته من بعد منتصف ليلة العيد.
السّعي بين الصّفا والمروة: سبع مرات من العقد إلى العقد يبدأ بالصّفا وينتهي بالمروة ولا يكون السّعي إلّا بعد طواف، ولا تشترط له الطّهارة.



الحلق أو التّقصير: الحلق هو استئصال الشّعر بالموسى والتّقصير هو قصّ شيء من الشّعر قليل أو كثير من غير استئصال، والمرأة تقصر ويبدأ وقته من النّصف الثّاني من ليلة العيد.
التّرتيب في معظم الأركان: لا بد من تقديم الإحرام على كلّ الأركان وتأخير الطّواف والحلق أو التّقصير عن الوقوف بعرفة.

• التّحلّل من الإحرام

(التّحلل الأول) يكون بفعل اثنين من ثلاثة طواف الإفاضة والحلق أو التّقصير ورمي جمرة العقبة، فيجوز له بذلك أن يفعل ما يفعله الحلال إلّا أمور النساء. (التّحلّل الثّاني) ويكون بإتمام الثّلاثة طواف الإفاضة والحلق أو التّقصير ورمي جمرة العقبة، وبهذا تحلّ له كلّ محرمات الإحرام.





بِذِبْحٍ فداه إذ تلَّهُ للجبين تنفيذًا لِأَمرِ الله كانا من الصّابرين

الذّبيحُ إسماعيل عليه السّلام

يقول الله تعالى في القرءان العظيم ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١﴾[١].

إنّ نبيّ الله إبراهيم عليه السّلام آتاه الله الحُجَّة على قومه وجعله نبيًّا رسولًا، فكان عارفًا بالله يعبد الله تعالى وحده، ويؤمن ويعتقد أنّ الله خالق كلّ شيء وهو الّذي يستحقّ العبادة وحده من غير شكٍّ ولا ريب.

ثمّ إنّه ذات يوم طلب من ربّه أن يرزقه أولادًا صالحين، قال فيما أخبر الله به في القرءان ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١﴾[٢] فرزقه الله تعالى إسماعيلَ وإسحاقَ. ولمّا كبر إسماعيل وصار يرافق أباه ويمشي معه رأى ذات ليلة سيّدنا إبراهيم عليه السّلام في المنام أنّه يذبح ولده إسماعيل. قال تعالى إخبارًا عن إبراهيم ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ١٠٢﴾[٣] الآية.

ورؤيا الأنبياء وحي، فأخبر بذلك ولده كما جاء في القرءان ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ١٠٢﴾[٤] لم يقصد إبراهيم أن يشاور ولده في تنفيذ أمر الله ولا كان متردّدًا، إنّما أراد أن يعرف ما في نفسيّة ولده تجاه أمر الله من غير أن يسيء الظّنّ بابنه إسماعيل، ليظهر شدّة استعداده وتعاونه

---

(١) سورة الصافات، ءاية (١٠٩ - ١١١).

(٢) سورة الصافات، ءاية (١٠٠ - ١٠١).

(٣) و(٤) سورة الصافات، ءاية (١٠٢).

للنّاس. فجاء جواب إسماعيل جواب الولد المحبّ لله أكثر من حبّه للحياة فقال ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾[1] وأمّا قوله: إن شاء الله لأنّه لا حركة ولا سكون إلّا بمشيئة الله تكون. أخذ إبراهيمُ النّبيُّ ابنه إسماعيل وابتعد به حتَّى لا تشعر الأمّ وأضجعه على جبينه. قال تعالى ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾[2]. فقال إسماعيل: «يا أبتِ اشدد رباطي حتَّى لا أضطرب، واكفف عنّي ثوبك حتَّى لا يتلطّخ من دمّي فتراه أمّي فتحزن، وأسرع مرّ السّكّين على حلقي ليكون أهون للموت عليَّ. فإذا أتيت أمّي فاقرأ عليها السّلام منّي». فأقبل عليه إبراهيم يقبّله ويبكي ويقول: «نِعْم العون أنت يا بنيّ على أمر الله». فأمرّ السّكّين على حلقه فلم تحكِ شيئًا، وقيل انقلبت. فقال له إسماعيل: «ما لك؟» قال: «انقلبت»، وذلك لأنّ الله هو خالق كلّ شيء وهو الّذي يخلق القطع بالسّكين متى شاء. وقد علم الله تعالى بعلمه الأزليّ الّذي لا يزيد ولا ينقص ولا يتجدّد الصّدق في تسليمِهما. ونودي: «يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا هذا فداء ابنك» فنظر إبراهيم فإذا جبريل معه كبش من الجنّة. قال تعالى ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾[3] أي أنّ الله تعالى خلّص إسماعيل من الذّبح بأن جعل فداء له كبشًا أقرن عظيم الحجم والبركة.

---

(١) سورة الصافات، ءاية (١٠٢).

(٢) سورة الصافات، ءاية (١٠٣).

(٣) سورة الصافات، ءاية (١٠٧).



من كُلِّ فَجّ بموسم الحَجّ... لبيك...

مواسِمُ الحجِّ

في كل عام تثور في نفوس المسلمين نوازع الشّوق للسّفر إلى بيت الله الحرام في مكّة المكرّمة لأداء فريضة الحجّ المباركة. حيث يجتمعون على صعيد واحد في بيت شريف في نسبته، عتيق في موضعه... إنّه البيت العتيق موئل كل مستجير وعائِذ، وهو أوّل بيت مشرّف وضع للنّاس. شاء الله له أن يكون قبلة الصّلاة للمسلمين عامّة من كافّة بقاع الأرض، حيث تتطلّع إليه عيونهم، وتحنّ إليه أفئدتهم، يفدون إليه من كلّ حدب وصوب، في جموع كبيرة، على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأعراقهم وأوطانهم، وتباين ألسنتهم ليقيموا شعائر الله... يؤدّون مناسكهم، ويطوفون بالبيت العتيق، ويتشاورون في أمور دينهم ودنياهم.

حلول موسم الحجّ يستدعي الذّكريات العطرة، سيرة نبيّ الهدى والرّحمة وصحابته الأبرار، وأحبابه وأهل بيته الأطهار، والمهاجرين والأنصار، وفي زهدهم وتقشّفهم وحُسن خُلقهم وما يتحلّون به من صفات الصّبر والقناعة والإيثار. وأداء العبادات في الإسلام كالصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ فيها حكمٌ عظيمة، فضلًا عن كون هذه الفريضة سبيلًا ليعبّر العبد عن شكره لخالقه ورازقه.

وفي الحجّ تجتمع حكمٌ كثيرة ففيه من حكمة الصّيام الصّبر على تحمّل المشقّات، ومن الصّلاة الطّاعة والتّذلّل ومناجاة المولى، ومن الزّكاة معنى بذل المال في سبيل الله. وفيه تذكر سُنّة نبي الله إبراهيم

عليه السّلام في الانصياع لأوامر الله، والالتزام بطاعته، وفيه ذبح الهَدْي، والتّوسعة على الفقراء.

وقبل أداء الشّعائر يبدأ الحاجّ بالتّوبة من كلّ المعاصي، وردّ المظالم، وقضاء الدّين، وإعداد نفقته، وردّ الودائع، والحرص أن يكون مال حجّه حلالًا، والتماس صحبة صالحة تعينه على الخير والطّاعة. ومن مآثر فريضة الحجّ أنّها تعمل على توثيق عُرى التّعاون والأخوّة بين المسلمين. ومن منافعه العامّة تعارف المسلمين فيما بينهم في هذا اللّقاء الجامع الّذي يتكرّر كلّ عام. فمن نعم الله تبارك وتعالى على عباده المؤمنين أن شرّع لهم من العبادات ما يتعارفون فيه ويتآلفون ويتعاضدون. ففي أداء الصّلوات الخمس جماعة في المساجد يتعارف المؤمنون، ويتفقّد بعضهم أحوال بعض، فهم يلتقون خمس مرات في اليوم، فتوثّق الصّلات بينهم. ثمّ شرّع لهم الالتقاء على مستوى أكبر في صلاة الجمعة والعيدين. ثمّ شرّع لهم اللّقاء في أمّ القرى في بيت الله الحرام، وعلى جبل عرفة في موقف واحد وعلى صعيد واحد حيث يجتمع شملهم ويتشاورون فيما أهمّهم، وهي فرصة عظيمة لتبادل المعارف والخيرات إذا صفت النّفوس وحسُنت النّيّات.



يقولُ إذا رجع المسافر من سفره: «**آيبُونَ تائِبُونَ عابدُونَ لرَبِّنَا حامِدُونَ**»، ويقولُ إذَا رأَى قريةً أو مكانًا وأرادَ النّزولَ فيهِ: «**اللَّهمَّ ربَّ السّموَاتِ السَّبعِ ومَا أَظْلَلْنَ، وربَّ الأرضِينَ السَّبعِ وما أقلَلْنَ، وربَّ الشّياطِينِ وما أَضْلَلْنَ، ورَبَّ الرّياحِ وما ذَرَيْنَ، فإنَّا نسأَلُكَ خيرَ هذهِ القريةِ وخيرَ أهلِها، ونعوذُ بكَ من شَرِّها وشرِّ ما فِيها**».



الدّرس الثالث والثلاثون

(كِتابُ الْمُعاملاتِ)

بعْد أنْ أنْهى الْمُؤلّفُ الْكلام على كِتابِ الْحجّ شرع فِي الْكلامِ على الْمُعاملاتِ فقال رحِمهُ الله (**فصْلٌ**) فِي بيانِ أهمِيّةِ مُراعاةِ الْحلالِ وترْكِ الْحرامِ ومعْرِفةِ بعْضِ أحْكامِ الْبيْعِ وغيْرِهِ مِن الْمُعاملاتِ[١].

لِيُعْلمْ أنّهُ (**يجِبُ على كُلّ مُسْلِمٍ مُكلّفٍ**) أيْ بالِغٍ عاقِلٍ (**أنْ لا يدْخُل فِي شيْءٍ حتّى يعْلم ما أحلّ الله تعالى مِنْهُ وما حرّم لأنّ الله سُبْحانهُ وتعالى تعبّدنا أيْ كلّفنا**) وأمرنا (**بِأشْياء**) ونهانا عنْ أشْياء (**فلا بُدّ مِنْ مُراعاةِ ما تعبّدنا**) الله تعالى بِهِ وذلِك يكُونُ بِتعلُّمِ عِلْمِ الدّينِ الضّرُورِيّ وأداءِ الْواجِباتِ كُلّها واجْتِنابِ الْمُحرّماتِ كُلّها، (**وقدْ أحلّ**) الله (**الْبيْع وحرّم الرّبا**)[٢] فوجب علينا مُراعاةُ ذلِك (**وقدْ قيّد الشّرْعُ هذا الْبيْع**)

---

(١) كسب اليد أنفع من غيره، النّجارة والحدادة هذه الحِرف أشرف من بعض الحِرف. التّجارة محمودة أيضًا إذا كان الشّخص يلتزم الصّدق. والزّراعة أيضا فيها خير، الّذي يزرع لا للبطر والفخر بل لينفع نفسه وغيره هذه الأرض المزروعة كلّما أكل منها إنسان أو طير فله ثواب الصّدقة.

(٢) البيع بالتّقسيط يكون حرامًا إذا افترق الطّرفان ولم يحدّدا البيع هل هو نقدٌ أو بالتّقسيط، كأن يقول البائع للمشتري: بعتك هذه السّيارة بخمسة آلاف دولار نقدًا، وبستّة آلاف دولار تقسيطًا إلى سنة، ثمّ يأخذ المشتري السّيارة من غير أن يختار إحدى الطّريقتين. ومن الرّبا ما يفعله بعض النّاس من أنّهم يبيعون الشّيء بأقساط مؤجّلة إلى آجال معلومة، مع شرط أنّه إن أخّر شيئًا من هذه الأقساط يضاف عليه كذا من الزّيادة. وكالتّأمين الصّحيّ والتّأمين على الحياة، فهذا النّوع من التّأمين هو في حكم القرض الّذي فيه ربا، فما يفعله بعض النّاس باسم التّأمين، يدفعون مبلغًا معيّنًا من المال إلى شركة في أوقات معينة، على شرط أنّه إن أصيب في نفسه أو في سيارته حوادث تكلّفه صرف مال، تكفيه الشّركة هذا الصّرف، وهو ليس معلومًا عنده ماذا يحصل له من إصابات في المستقبل، هذا يعتبر قرضًا، لأنّه ليس هبة ولا بيعًا ولا شراء ولا صدقة ولا إباحة ولا هديّة، فإذا=

الّذِي وصفهُ بِالْحِلّ (**بِآلَةِ التّعْرِيفِ**) أيْ ألْ الّتِي يُرادُ مِنْها الْعهْدُ إِشارةً إِلى أنّ الْبيْع الّذِي أحلّهُ الله هُو الْبيْعُ الْمعْهُودُ في الشّرْعِ حِلُّهُ كما فِي قوْلِهِ تعالى ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴿٢٧٥﴾﴾[١] و(**لأنّهُ لا يحِلُّ كُلُّ بيْعٍ إِلّا ما**) أيْ بيْعًا (**اسْتوْفى الشُّرُوط والأرْكان فلا بُدّ مِنْ مُراعاتِها**) حتّى لا يقع الشّخْصُ فِي معْصِيةِ اللهِ (**فعلى منْ أراد الْبيْع والشّراء**) وغيْرهُما مِنْ الْمُعاملاتِ (**أنْ يتعلّم ذلِك**) أيْ أرْكانهُ وشُرُوطهُ (**وإِلّا أكل الرّبا**) أيْ وقع فِيهِ (**شاء أمْ أبى**) قصد الْوُقُوع فِيهِ أمْ لمْ يقْصِدْ.

(**وقدْ قال رسُولُ اللهِ ﷺ التّاجِرُ الصّدُوقُ**) وهُو الّذِي يُراعِي حُكْم اللهِ فِي تِجارتِهِ فيتجنّبُ الْخِيانة والْغشّ والتّدْلِيس وغيْرها مِمّا حرّم الله (**يُحْشرُ يوْم الْقِيامةِ مع النّبِيّين والصّدّيقِين والشُّهداءِ**) اهـ رواهُ التّرْمِذِيُّ[٢] (**وما ذاك**) الْفضْلُ الّذِي ذكرهُ النّبِيُّ ﷺ لِلتّاجِرِ الصّدُوقِ (**إِلّا لأجْلِ ما يلْقاهُ مِنْ مُجاهدةِ نفْسِهِ وهواهُ وقهْرِها**) أي النّفْسِ (**على إِجْراءِ الْعُقُودِ على الطّرِيقِ الشّرْعِيّ وإِلّا**) بِأنْ لمْ يكُنْ كذلِك فِي بيْعِهِ وشِرائِهِ (**فلا يخْفى ما توعّد الله منْ تعدّى**) أيْ جاوز (**الْحُدُود**) مِن الْعذابِ الأليمِ. (**ثُمّ إِنّ بقِيّة الْعُقُودِ مِن الإِجارةِ**[٣]) وهِي تمْلِيْكُ منْفعةٍ مُباحةٍ بِعِوضٍ مع

= هو قرض محرّم فاسد يعتبر من ربا القرض، لأنّه شرط ما فيه منفعة لنفسه، لأنّه يخشى إن لم يفعل هذا أن يتكلّف غرامات في المستقبل. وكذلك ما يسمّى بالجمعية، وهو أن يجتمع عدد من الأشخاص ويتّفقون على أن يدفع كلّ منهم مبلغًا في كلّ شهر مثلًا، ثمّ يعطى المجموع لواحد منهم، وهكذا يديرون، فإنّ هذا أيضًا قرض جرّ منفعة، فإنّ كلًا منهم لم يدفع إلّا وهو يطمع بأخذ مال الجميع مجموعًا، وأن يصله الدّور.

(١) سورة البقرة، ءاية (٢٧٥).

(٢) رواه التّرمذيّ في سننه، كتاب البيوع، باب ما جاء في التجار وتسمية النّبيّ ﷺ إياهم بلفظ «**التّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيّين والصِّديقين والشُّهداء**».

(٣) الإجارة شرطها أن تكون على عمل معلوم وبأجرةٍ معلومة. لذا فإنّ الرّكوب بالتّكسي بالأجرة مع استخدام العدّاد المعروف لا يصح، لأنّ الأجرة شرطها بالإجماع أن تكون معلومة وهذا ليس معلومًا.

بقاءِ الْعيْنِ على وجْهٍ خاصٍ.

(**والْقِراضِ**) وهُو تفْوِيْضُ الشّخْصِ وإِذْنُهُ لِشخْصٍ أنْ يعْمل فِيْ مالِهِ فِيْ نوْعٍ أوْ أنْواعٍ مِن التّجارةِ على أنْ يكُوْن الرّبْحُ مُشْتركًا.

(**والرّهْنِ**) وهُو جعْلُ عيْنٍ مالِيةٍ وثِيْقةً بِدِيْنٍ يُسْتوْفى مِنْها الدّيْنُ عِنْد تعذُرِ الْوفاءِ (**والْوكالةِ**) وهِي تفْوِيْضُ شخْصٍ إِلى غيْرِهِ تصرُفًا على وجْهٍ خاصٍ لِيفْعلهُ حال حياتِهِ[1].

(**والْودِيْعةِ**) وهِي ما يُوْضعُ عِنْد غيْرِ مالِكِهِ لحِفْظِهِ (**والْعارِيّةِ**) وهِي إِباحةُ الِانْتِفاعِ بشيْءٍ مجانًا مع بقاءِ عيْنِهِ (**والشّرِكةِ**) وهِي عقْدٌ يتضمّنُ ثُبُوْت الحقّ فِيْ شيْءٍ لِاثْنيْنِ فأكْثر على جِهةِ الشّيُوعِ.

(**والْمُساقاةِ**) وهِي مُعاملةُ شخْصٍ على شجرٍ لِيتعهدهُ بِنحْوِ سقْيٍ على أنْ تكُوْن الثّمرةُ بيْنهُما وغيْرِها مِن الْمُعاملاتِ (**كذلِك لا بُدّ مِنْ**) تعلُّم أحْكامِها على منْ أراد تعاطِيها ومِنْ (**مُراعاةِ شُرُوطِها وأرْكانِها**) الّتِي بيّنها الْفُقهاءُ جزاهُمُ الله خيْرًا فِيْ كُتُبِهِمْ.

(**وعقْدُ النّكاحِ**[2] **يحْتاجُ إِلى مزِيدِ احْتِياطٍ وتثبُّتٍ**) لأنّهُ يُحْتاطُ لِلنّكاحِ

---

(١) التّوكيل يكون من جانب ومن جانبين أي من شخص أو شخصين في المعاملات كالبيع والشّراء.

(٢) النّكاح أشدّ حاجة إلى معرفة أحكامه الشّرعيّة من كثير من الأمور فإنّ من جهل أحكامه قد يظنّ ما ليس بنكاح نكاحًا فيتفرّع من ذلك مفاسد.
فهو جدير بمزيد احتياط وتثبّت لأنّ حفظ النّسب من الكُلّيّات الخمس الّتي اتّفقت عليها الشّرائع وهي حفظ النّفس والمال والعِرض والعقل والنّسب.
ولصحّة النّكاح شروط أحدها الصّيغة كأن يقولَ الوليّ زوّجتك فلانة فيقول الزّوج قبلت زواجَها.
الثّاني لفظ زوّجت أو أنكحت أو ترجمتهما عند الإمام الشافعي.
وفي بعض المذاهب يصحّ بكلّ لفظ يدلّ على المقصود. =

زِيادةً عمّا يُحْتاطُ لِغيْرِهِ. (**حذرًا مِمّا يترتّبُ**) ويتفرّعُ (**على فقْدِ ذلِك**) مِنْ فسادِ الْعقْدِ الْمُؤدّي إِلى كثِيرٍ مِن الْمفاسِدِ الّتِي لا تخْفى.

(**وقدْ أشار الْقُرْآنُ الْكرِيْمُ إِلى ذلِك**) كُلّهِ (**بِقوْلِهِ تعالى**) فِي سُورةِ التّحْرِيْم (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾)[1] الآية قال سيّدُنا علِيٌّ كرّم الله وجْههُ علِمُوا أنْفُسكُمْ وأهْلِيْكُمْ

= الثّالث كون الزّوج مسلمًا بالنّسبة للمسلمة فلا يجوز تزوّج الكافر بمسلمة إن كان كتابيًّا وإن كان غير ذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾.

فلا يجوز تزويج مسلمة من المسلم الّذي ارتدّ بسبب من أسباب الردّة كَسَبِّ الله أو سبّ الرّسول أو الطّعن في شريعة الله إو إنكار ما هو معلوم من الدّين علمًا ظاهرًا بين الخواص والعوام من كلّ ما هو عائد إلى تكذيب الدّين.

الرّابع كون الزّوجة مسلمة أو كتابيّة يهوديّة أو نصرانيّة بالنّسبة للمسلم.

الخامس كون الزّوجة خليّة من عِدّة لغير الزّوج فلا يصحّ عقد النّكاح على معتدّة وفاة أو معتدّة طلاق أو فسخ من غيره.

السّادس عدم التّأقيت فلو قال الوليّ زوّجتك ابنتي إلى سنة مثلًا فهو فاسد، أمّا من نوى في قلبه أن يتزوّج امرأة ويعاشرها سنة ثمّ يطلّقها ولم يُدْخِل ذلك في صلب العقد فهو نكاح صحيح، وقد نصّ الشّافعي رحمه الله على جواز ذلك في كتاب «الأمّ» فليس هذا من المتعة المحرّمة.

الطّلاق معرفة أحكامه مهمّة جدًا لأنّ كثيرًا من النّاس يحصل منهم طلاق زوجاتهم ولا يدرون أنّهنّ طلقن فيعاشرونهنّ بالحرام.

والطّلاق قسمان صريح وكناية فالصّريح ما لا يحتاج إلى نيّة فيقع الطّلاق به سواء نوى أو لم ينو وهو خمسة ألفاظ الطّلاق والفِراق والسّراح والخلع ولفظ المفاداة من الخلع. واللّفظ الخامس قول الشّخص نعم في جواب من أراد منه أن يطلّق زوجته الآن.

والكناية هو ما لا يكون طلاقًا إلّا بنيّة كقوله «اعْتَدّي»، «اخْرُجي»، «سَافِري»، «تَسَتَّري»، «لا حَاجَة لي فيك»، «أنتِ وَشَأنك» «سلام عليكِ» لأن هذه الألفاظ تحتمل الطّلاق وغيره احتمالًا قريبًا، فإن أتى بالصّريح وقع الطّلاق نوى به الطّلاق أم لم ينو، وإن أتى بألفاظ الكناية فلا يقع الطّلاق إلّا أن ينوي باللّفظ الطّلاق وتكون النّيّة مقرونة بأوّل الكناية.

(١) سورة التّحريم، ءاية (٦).

الخيْر اهـ[١] وذلِك يكُونُ بِتعْلِيمِ نفْسِهِ وأهْلِهِ عِلْم الدّينِ. و(**قال**) التّابِعِيُّ الْجلِيلُ (**عطاءُ**) بنُ أبِي رباحٍ[٢] (**رضِي الله عنْهُ**) فِيْ مجالِسِ الذّكْرِ المَمْدُوْحةِ فِيْ بعْضِ الأحادِيْثِ هِي مجالِسُ الحلالِ والحرامِ اهـ وفِيْ رِوايةٍ زِيادةُ (**أنْ تتعلّم كيْف تُصلّي وكيْف تصُومُ وكيْف تبِيعُ و**) كيْف (**تشْترِي وكيْف تنْكِحُ وكيْف تُطلّقُ**)[٣].

فائدة: الحُكمُ الشَّرعِيُّ يَنْقَسِمُ إلى سَبعةِ أقسامٍ:

الواجِبُ والمَندوبُ والحَرَامُ والمَكرُوهُ والمُبَاحُ والصَّحيحُ والبَاطِلُ.

١) **الوَاجِبُ**: ويُسمّى الفَرض، وهو ما يُثابُ فاعِلُهُ ويُعاقَبُ تاركُهُ، ويَنقسِمُ إلى قسمينِ: فرضُ عينٍ وفرضُ كفايةٍ.

فرضُ العَينِ: هو الواجبُ على كُلِّ مُكلَّفٍ أن يتعلَّمَهُ أو أنَّ يتعلَّمَهُ ويفعله كمعرفة الله ورسولهِ وأداءِ الصَّلواتِ الخمسِ وصومِ رمضان.

فَرْضُ الكِفايةِ: هو ما إذَا قامَ به البعضُ سقط بفعلِهُمُ الفرضُ عن الآخرِينَ كصَلاةِ الجماعةِ، وحِفْظِ القُرءَانِ والقِيامِ بالصَّنَائِعِ النَّافعةِ الّتي تحتاجها الأُمَّةُ وغير ذلك من فُرُوضِ الكفايةِ.

٢) **المَنْدُوبُ**: (وَالسُّنَّةُ بمعنًى وَاحِدٍ)، وهو ما يُثابُ فاعِلُهُ ولا يُعاقَبُ تارِكُهُ كرواتِبِ الصَّلواتِ واستعمالِ السِّواكِ ونحوِ ذلك.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، (٤/ ١٩٠).

(٢) هو عطاء بن أبي رَبَاح القرشيُّ مولى أبي خيثم الفهريّ واسم أبي رَبَاح أسلم. كنيته أبو محمّد مولده بالجندِ من اليمن ونشأ بمكّة وكان من سادات التّابعين فقهًا وعلمًا وورعًا وفضلًا. مات سنة أربع عشرة ومائة وقد قيل إنّه مات سنة خمس عشرة ومائة وكان مولده سنة سبع وعشرين. انظر الثّقات لابن حبان، مؤسسة الكتب الثقافية (٥/ ١٩٨) والجرح والتعديل (٦/ ٣٣٠).

(٣) أخرجه الخطيب البغداديّ في الفقيه والمتفقه، دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ (١/ ١٣).

٣) **الحَرَامُ**: هو ما يُثابُ تارِكُهُ (إن تركهُ امتِثالًا لأمْرِ اللهِ تعالى)، ويُعاقَبُ فاعِلُهُ، كشُربِ الخَمْرِ وأكْلِ الرِّبا والكَذِبِ والسَّرِقةِ وعُقُوقِ الوالدينِ وغيرِها مِنَ المُحرَّماتِ كشُربِ الدُّخانِ لمن يضُرُّهُ.

٤) **المَكرُوهُ**: وهو ما يُثابُ تارِكُهُ امتثالًا ولا يُعاقَبُ فاعِلُهُ، كالإِسْرَافِ بماء الوضُوءِ أو الغُسلِ والأَكلِ باليَدِ اليُسْرَى.

٥) **المُبَاحُ**: وهو ما لا يُثابُ فاعِلُهُ ولا يُعاقَبُ تارِكُهُ، كالتَّوَسُّعِ في اللِّباسِ والطَّعامِ بشرطِ أن يكون حلالًا، وكلُبسِ الصُّوفِ بدل القُطنِ وأكلِ الحِمَّصِ بدل الفُولِ مثلًا ونحو ذلك.

٦) **الصَّحِيحُ**: الصَّحيحُ مِنَ العِباداتِ هو ما وافقَ شرعَ اللهِ فاستوفَى الأركانَ والشُّرُوطَ.

٧) **البَاطِلُ**: ويُقالُ له الفاسِد: وهو ضِدُّ الصَّحيحِ أي ما لم يستوفِ الشُّروطَ والأركان. ولوِ استوفى الأركانَ والشُّروطَ وطرأ عليه ما يُفْسدُهُ يُعَدُّ فاسِدًا أيضًا.



بِئسَ الزّاد ظَلم العباد

الشّرطيُّ والصّيّاد

حُكيَ أنّه كان رجل من بني إسرائيل على ساحل البحر فرأى رجلًا وهو ينادي بأعلى صوته ألا من رآني فلا يظلمنَّ أحدًا. قال فدنا منه وقال: يا عبد الله ما خبرك؟ فقال له: اعلم إنّي كنت رجلًا «شرطيّا» فجِئْتُ يومًا إلى هذا السّاحل فرأيت صيَّادًا قد صاد سمكة فسألته أن يعطيني إيّاها فأبى سألته أن يبيعها لي فأبى فضربت رأسه بسوطي وأخذتها منه قهرًا ومضيتُ بها.

قال فبينما أنا ماشٍ بها حاملها إذ عضَّتْ على إبهامي فرمت أن أخلِّص إبهامي منها فلم أقدر فجئت إلى عيالي فحاولوا أن يخلّصوا إبهامي منها فلم يقدروا إلّا بعد تعب شديد. قال فأصبح إبهامي قد ورم وانتفخ، ثمّ انتفخت فيه عيون من ءاثار أنياب هذه السّمكة فذهبت إلى طبيب محسن فلمّا نظر إلى إبهامي قال هذه ءاكلة بلا شك وإن لم تقطع إبهامك هلكت فقطعتُ إبهامي، ثمّ ضربت على يدي فلم أطق النّوم من شدّة الألم والوجع فقيل لي اقطع كفّك فقطعتها!... وانتشر الألم إلى السّاعد وءالمني بشدّة وجعلت أستغيث من شدّة الألم فقيل لي اقطعها من المرفق فقطعتها فانتشر الألم إلى العضد وضربت على عضدي أشدّ من الألم الأوّل. فقيل لي اقطع يدك من كتفك وإلّا سرى الألم إلى جسدك كلّه فقطعتها!... فقال لي بعض النّاس ما سبب ألمك فذكرت له قصّة السّمكة، فقال لو كنت رجعت في أوّل ما أصابك الألم إلى صاحب السّمكة فاستحللت منه واسترضيته ولم تقطع من أعضائك عضوًا فاذهب إليه الآن واطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك.

قال فلم أزل في طلبه في البلد حتّى وجدته فوقعت على قدميه أقبّلهما وأبكي، فقلت يا سيّدي سألتك بالله إلّا عفوت عنّي فقال لي من أنت؟ فقلت أنا الّذي أخذت منك السّمكة غصبا، وذكرت له ما جرى عليّ وأريته يدي كيف قطعت، فبكى حين رآها! وقال يا أخي قد أحللتك منها فقلت يا سيدي سألتك بالله هل كنت دعوت عليّ لمّا أخذتها منك؟ قال: نعم قلت اللّهم هذا يقوى عليّ بقوّته على ضعفي فأخذ منّي ما رزقتني (اصطدت) فأرني فيه قدرتك. اهـ



من كَثُر كلامه كثر سقطه

حفظُ اللِّسَانِ وتقليلُ الكلامِ

أوصيكم بتقليل الكلام أي لا ينبغي أن يتكلّم الشّخص إلّا فيما ينفعه في دينه، أو في أمور معيشته ويدخل في ذلك إيناس الغريب، من لقي مسلمًا غريبًا مطلوب أن يؤنسه بالكلام الطّيّب ولا يتركه يستوحش، وليس معنى تقليل الكلام أن يظلّ الرّجل مطبقًا شفتيه لا يتكلّم، أمّا بالخير فيتكلّم ويبذل جهده في ذكر الله تعالى وتعليم النّاس ما ينفعهم في دينهم وما أشبه ذلك.

فإنّ ممّا يحفظ الإنسان من كثير من الكفر والمعاصي إطالة الصّمت، لأنّ أكثر الكفر وأكثر المعاصي من اللّسان، فمن أكثر الكلام أي فيما لا خير فيه يقع إمّا في الغلط أو في الكفر أو في المعاصي. فعليكم بإطالة الصّمت، فإنّ الرّسول ﷺ كان يطيل الصّمت، فتواصوا بالصّمت، وانهوا أنفسكم عن كثرة الكلام تأسّيًا برسول الله ﷺ، فالسّلامة في إطالة الصّمت والهلاك في تركه.

إنّ خير السّيرة سيرة سيّدنا محمّد ﷺ، وكان رسول الله ﷺ طويل الصّمت مع كونه كثير ذكر الله تبارك وتعالى، طويل الصّمت أي عن الكلام الّذي ليس فيه خير. وفي إطالة الصّمت نجاة من المهالك الدنيويّة والأخرويّة. كثير من النّاس بسبب لسانه يستوجب الخلود في النّار أو دخولها إن لم يكن كلامه كفرًا، طول الصّمت يعين على السّلامة من مهالك الدّنيا ومهالك الآخرة.



يُقالُ لقضاء الدَّين: «**اللَّهمَّ اكفِني بحلَالِكَ عن حرَامِكَ، وأغنِني بفضْلِكَ عمَّنْ سِوَاكَ**»، ويقالُ عندَ الكَربِ: «**لا إلهَ إلّا اللهُ الكَرِيمُ الحَلِيمُ، وسبحَانَهُ وتبارَكَ ربُّ العَرشِ العظيمِ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ**».



الدّرس الرابع والثلاثون

(**فصْلٌ**) فِي بيانِ أحْكامِ الرّبا[١].

(**يحْرُمُ الرّبا فِعْلُهُ**) أيْ عقْدُهُ (**وأكْلُهُ**) أي الِانْتِفاعُ بِهِ (**وأخْذُهُ وكِتابتُهُ**) أيْ كِتابةُ وثِيقةِ الرّبا (**وشهادتُهُ**) أي الشّهادةُ على عقْدِهِ (**وهُو**) أنْواعٌ مِنْها رِبا الْقرْضِ ومِنْها (**بيْعُ أحدِ النّقْديْنِ**) الذّهبِ والْفِضّةِ (**بِالآخرِ نسِيئةً**) أيْ لأجلٍ وإِنْ قصُر وهُو رِبا النّساءِ كأنْ يقُول بِعْتُك هذا الدّينار بِعشرةِ دراهِم على أنْ أُسلّمك إِيّاهُ بعْد ساعةٍ (**أوْ**) بيْعُ أحدِ النّقْديْنِ بِالآخرِ (**بِغيْرِ تقابُضٍ**) أيْ أنْ يحْصُل الْعقْدُ ثُمّ يتفرّقا قبْل قبْضِهِما أوْ قبْضِ أحدِهِما وهُو رِبا الْيدِ.

وكما يحْصُلُ الرّبا فِي مُخْتلِفِي الْجِنْسِ يحْصُلُ فِي مُتّحِدي الْجِنْسِ كما أشار إِلى ذلِك بِقوْلِهِ (**أوْ بِجِنْسِهِ**) أيْ أوْ بيْعِ أحدِ النّقْديْنِ بِجِنْسِهِ كذهبٍ بِذهبٍ أوْ فِضّةٍ بِفِضّةٍ (**كذلِك أيْ نسِيئةً**) أيْ لِأجلٍ (**أوِ افْترقا بِغيْرِ تقابُضٍ**) كما تقدّم (**أوْ مُتفاضِلًا**) أيْ ويحْصُلُ الرّبا فِي مُتّحِدي الْجِنْسِ مِن النّقْدِ مع التّفاضُلِ (**أيْ مع زِيادةٍ فِي أحدِ الْجانِبيْنِ**) الرّبوِييْنِ (**على الآخرِ بِالْوزْنِ**) كبيْعِ دِينارِ ذهبٍ بِدِينارِيْنِ أوْ دِرْهمِ فِضّةٍ بِدِرْهمِيْنِ، (**و**) يحْرُمُ بيْعُ (**الْمطْعُوماتِ**) وهِي ما يُقْصدُ غالِبًا مِن الْبشرِ لِلأكْلِ (**بعْضِها بِبعْضٍ كذلِك أيْ**) مع التّأْجِيلِ أوِ الِافْتِراقِ بِغيْرِ تقابُضٍ سواءٌ كانا مُخْتلِفِي الْجِنْسِ أمْ مُتّحِديْهِ أوْ مع التّفاضُلِ إِذا كانا مُتّحِدي الْجِنْسِ فإِنّهُ

---

(١) قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ ١٣٠﴾ [سورة آل عمران] هذا معناه النّهي عن الكثير من الرّبا ليتدرّجوا إلى الانتهاء عن القليل والكثير، وقال بعضهم هذه منسوخة بالآية الأخرى: ﴿وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾ [سورة البقرة] هذه صريحةٌ في تحريم القليلِ والكثير.

(**لا يحِلُّ بيْعُها**) أيِ الْمطْعُوماتِ (**مع اخْتِلافِ الْجِنْسِ كالْقمْحِ مع الشّعِيرِ إلا بِشرْطيْنِ**) وهُما (**انْتِفاءُ الأجلِ وانْتِفاءُ الإفْتِراقِ قبْل التّقابُضِ، ومع اتّحادِ الْجِنْسِ**) كالْقمْحِ بِالْقمْحِ (**يُشْترطُ هذانِ الشّرْطانِ مع**) شرْطٍ ثالِثٍ وهُو (**التّماثُلُ**) أيْ عدمُ التّفاضُلِ.

(**فصْلٌ**) فِي بيانِ بعْضِ الْبُيُوعِ الْمُحرّمةِ (**ويحْرُمُ بيْعُ ما لمْ يقْبِضْهُ**[1]) أيْ أنّهُ لا يجُوزُ بيْعُ الْمبِيعِ قبْل أنْ يقْبِضهُ الْمُشْترِي فلوْ اشْترى زيْدٌ مِنْ عمْرٍو صاع قمْحٍ لمْ يكُنْ لهُ بيْعُهُ لِثالِثٍ حتّى يقْبِضهُ. ويخْتلِفُ الْقبْضُ بِاخْتِلافِ الْمبِيعِ فيحْصُلُ فِي غيْرِ الْمنْقُولِ بِالتّخْلِيةِ وتفْرِيغِ الْمبِيعِ مِنْ أمْتِعةِ غيْرِ الْمُشْترِي، وفِي الْمنْقُولِ بِتناوُلِهِ إنْ كان مِمّا يُتناولُ وإلاّ فبِنقْلِهِ إلى مكانٍ لا يخْتصُّ بِالْبائِعِ.

(**و**) يحْرُمُ بيْعُ (**اللّحْمِ بِالْحيوانِ**[2]) مأْكُولًا كان أمْ غيْرهُ (**و**) يحْرُمُ بيْعُ (**الدّيْنِ بِالدّيْنِ**) كأنْ يُسْلِم إلى رجُلٍ دِينارًا فِي صاعِ قمْحٍ مُؤجّلٍ إلى أجّلٍ مُعيّنٍ ثُمّ يبِيع ذلِك الْقمْح مِنْ شخْصٍ آخر بِدِينارٍ مُؤجّلٍ.

(**و**) يحْرُمُ (**بيْعُ الْفُضُولِيّ أيْ بيْعُ**) الشّخْصِ (**ما**) أيْ شيْئًا (**ليْس لهُ**

---

(١) **فائدة**: يحرم ما يفعله بعض النّاس من أنّ الشّخص يكون له في ذمّة شخص ثمنُ مبيع مقسّط إلى ءاجال ثمّ يأتي إلى موظف بنك أو شخص ءاخر قبل حلول الدّين فيقول له: لي كذا وكذا في ذمّة فلان فأبيعُكَهُ بمبلغ كذا، فهذا حرام لأنّه من بيع الكالىء بالكالىء وهو ممّا اتُّفق على تحريمه.

(٢) **فائدة**: لا يجوز بيع الحيوان وزنًا أي لا يجوز بيعه على أن يكون ثمن الرّطل كذا ولا يأباه قواعد مذهبنا معشر الشّافعية لأنّه إذا بيع حيوان بشرط الوزن كما هو معروف اليوم يدخل القذر الّذي في جوفه في المقابلة بالثّمن فينصرف قسم من الثّمن إلى القذر والقسم الآخر إلى ما سواه كاللّحم والعظم والقذر لا يقابل بمال، والخلاص من ذلك أن لا يُعتبر الوزن شرطًا وإن ذُكر لتخمين السّعر فإنه لو قال البائع هذا وزنه كذا ليساعد المشتري على تخمين السّعر من غير أن يقول بعتك كلّ رطل بكذا ثمّ قال بعتكَهُ بكذا فقال المشتري اشتريته بما ذكرت صحَّ البيع.

عليْهِ مِلْكٌ ولا وِلايةٌ) فمنْ باع ما ليْس مِلْكًا لهُ ولا لهُ عليْهِ وِلايةٌ بِطرِيقٍ مِن الطُّرُقِ الشرْعِيّةِ كأنْ كان الْمالِكُ قدْ وكلّهُ بِأنْ يبِيعهُ لمْ يصِحّ بيْعُهُ (**و**) يحْرُمُ بيْعُ (**ما لمْ يرهُ**) الْمُتعاقِدانِ أوْ أحدُهُما قبْل الْعقْدِ، (**ويجُوزُ**) بيْعُهُ (**على قوْلٍ لِلشّافِعِيّ**) رضِي الله عنْهُ (**مع الْوصْفِ**) الّذِي يُخْرِجُ الْمبِيع عنِ الْجهالةِ الْمُطْلقةِ.

(**ولا يصِحُّ بيْعُ غيْرِ الْمُكلّفِ وعليْهِ**) أيْ وشِراؤُهُ (**أيْ لا يصِحُّ بيْعُ الْمجْنُونِ والصّبِيّ**) وشِراؤُهُ لِأنّهُ لا يجُوزُ أنْ يكُون أحدُ الْمُتعاقِديْنِ غيْر مُكلّفٍ أيْ مجْنُونًا أوْ دُون الْبُلُوغِ فِي مذْهبِ إمامِنا الشّافِعِيّ رضِي الله عنْهُ (**و**) إنْ كان (**يجُوزُ بيْعُ الصّبِيّ الْمُميّزِ**) بِإِذْنِ ولِيّهِ (**فِي مذْهبِ الإِمامِ أحْمد**) بنِ حنْبلٍ رضِي الله عنْهُ[1].

(**أوْ**) بيْعُ ما (**لا قُدْرة لهُ على تسْلِيمِهِ**) فهُو حرامٌ أيْضًا كبيْعِ الضّالّ والْمغْصُوبِ، (**و**) يحْرُمُ بيْعُ (**ما لا منْفعة فِيهِ**) كالْخُبْزِ الْمُحْترقِ والْحشراتِ الّتِي لا منْفعة فِيها كالْخُنْفُساءِ والْعقْربِ.

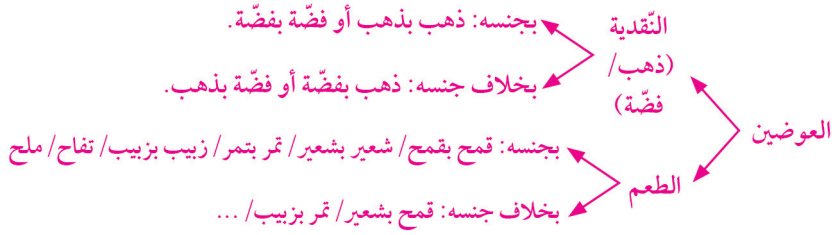
(**ولا يصِحُّ**) الْبيْعُ (**عِنْد بعْضِ**) الشّافِعِيّةِ (**بِلا صِيْغةٍ**) كبِعْتُك واشْتريْتُ بِشُرُوطِها (**ويكْفِي التّراضِي عِنْد آخرِين**) مِنْهُمْ وذلِك بِأنْ يدْفع الْمُشْترِي الثّمن ويُعْطِيهُ الْبائِعُ المبِيْع ويأْخُذ الْمبِيع بِلا لفْظٍ فيصِحُّ عِنْدهُمْ ويُسمّى الْبيْع بِالْمُعاطاةِ.

---

(١) أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانيّ الفقيه والمحدّث صاحب المذهب. ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ ونشأ بها. ذهب إلى الكوفة ومكّة والمدينة والشّام. درس على يد كثير من العلماء منهم محمّد بن إدريس الشّافعيّ وسفيان بن عُيَيْنة ويزيد بن هارون وأبو داود الطيالسي ووكيع ابن الجراح. توفى سنة ٢٤١ هـ. انظر تاريخ بغداد (٤/ ٤١٢).

باب الربا

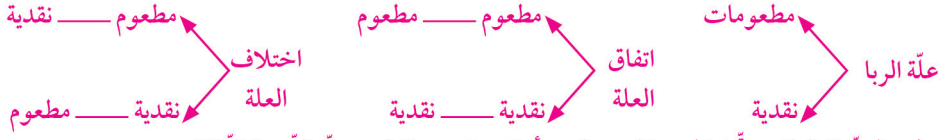
الرّبا هو عقدٌ يشتمل على عوض مخصوص غير معلوم التّماثل في المعيار الشرعي (وزن للنقدين / كيل للمطعومات) حالة العقد أو مع تأخير في العوضين.



الطعم: هو كلّ ما قصد لطعم اقتياتًا أو تفكهًا أو اصلاحًا أو تداويًا أو تأدمًا أو غيرها.

يحرم الربا

فعله	أكله	أخذه	كتابته	شهادته
نوع الربا	الفضل: بيع أحد العوضين بالآخر من جنسه زائدًا. القرض: قرض إلى أجل مع الزيادة عند التقابض. كل قرض شُرط فيه جر منفعة للمقرض أو له وللمقترض	اليد: البيع مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما بشرط اتحاد العوضين: - نقد بنقد أو - مطعوم بمطعوم.	النساء: بيع للمطعومين أو النقدين (متفقي أو مختلفي الجنس) مع شرط الأجل في أحد العوضين.
سبب الربا	عدم التماثل (التفاضل) أي عدم التساوي بالمعيار الشرعي.	الافتراق بغير تقابض في مجلس العقد.	التأخير (نسيئة) أي العوضان غير حالين من الجانبيّن.



- في حال اتّفاق العلة مع اتّحاد الجنس كذهب بذهب أو قمح بقمح جاز البيع بتوفّر الشّروط الثّلاثة:
١- العوضان حالان من الجانبين / ٢- قبضهما في مجلس العقد قبل التّفرق / ٣- المماثلة (التّساوي) بالعيار الشرعي.
- في حال اتفاق العلة واختلاف الجنس كذهب بفضّة أو لحم بقر بلحم الضأن أو قمح بشعير جاز البيع بتوفر الشرطين الأولين.
- في حال اختلاف العلة واختلاف الجنس كذهب بقمح جاز البيع بدون الشّروط الثّلاثة.
- إذا جمع العقد جنسًا ربويًا من الجانبين واختلف المبيع جنسًا أو نوعًا أو صفة منهما أو من أحدهما كمدّ تمر ودرهم أو بمدين أو بدرهمين. وكمد تمر وثوب بمثلهما أو بمدين. وكجيد ورديء بجيد ورديء أو بأحدهما فباطل. وذلك لاستمال أحد طرفي العقد على مالين مختلفين يؤدي إلى التخمين باعتبار القسمة ممّا يؤدي إلى المفاضلة أو عدم العلم بالمماثلة.



يومَ القيامَةِ لا تنفَعُ النّدامَةُ

الرّجلُ المُرَابِي

ليحذر المؤمن من جميع أنواع الرّبا ولا يستهن بشيء منها، فإنّ عاقبة الرّبا وخيمة. وقد ظهر من أناس بعد وفاتهم وهم في قبورهم آثار من العذاب، عذاب القبر، كانوا معروفين بالرّبا، في ناحية من نواحي بلاد الحبشة، كان رجل يرابي أي يتعاطى الرّبا، معروفًا بالمراباة ومع ذلك كان فيه تجبُّرٌ على النّاس، حتَّى إنّه كان مرّة في موكب وهو راكب بغلة، فرأى امرأة أعجبته فأخذها قهرًا مِن زوجِها وهو رجلٌ مسكين ضعيف، ثمّ مات هذا الرّجل فصار يطلع من قبره الدّخان، صار أهله يجمعون له المشايخ، فقال لهم بعض المشايخ استسمحوا له النّاس الّذين كان يأخذ منهم المال بالقرض «لأنّه اشترط بإقراضه لهم جرّ منفعة له»، فصاروا يدورون على النّاس ويقولون لهذا سامح فلانًا ولهذا ولهذا وكثير من النّاس يقرأون له على قبره، ثمّ بعد سبعة أيّام انقطع هذا الدّخان من قبره. وما يستره الله أكثر إنّما يظهر القليل من الكثير، الله تبارك وتعالى يخفي حال أكثر المرابين، ولا سيّما في هذا العصر ما أكثر عددهم، نسأل الله السّلامة.



اسعَ بِنَفْسِكَ لِلجنّة لا تَسوقَنَّك إلى النّار

العملُ للآخرَةِ

الإنسان الّذي دان نفسه وعمل لمَا بعد الموت هو الذّكيّ الفطن، هذا الّذي عرف أنّ الله سيجمع العباد كلّهم ليوم لا ريب فيه ويسألهم عن كلّ صغيرة وكبيرة، فمن ءامن بالحساب جهّز الجواب. وأمّا العاجز فهو الّذي أتبعَ نفسه هواها وهو الّذي انتهك حرمات الله تعالى، وتعدّى حدوده واقترف الآثام ثمّ تمنّى على الله ما تمنّى.

فنعم العبد عبد عامل بما يرضي الله، فإنّ الله أعدّ بفضله للمؤمنين جنّة رغيدة، وبئس العبد عبد معرض عن عبادة الله، فإنّ الله أعدّ بعدله للعاصين الظّالمين نارًا شديدة. فقم بعبادة الرّحمٰن وكن من الموحّدين، واعلم أنّ أعظم حقوق الله تعالى على عباده هو توحيده تعالى وأن لا يشرك به شيء، وكن من الّذين يعملون لمَا بعد الموت ولا تكن عاجزًا من منتهكي حرمات الله.

واثْبُت أيُّها المؤمن حتَّى الممات على النّهج الصّحيح، نهج معلّمي الخير وناشري الحكمة أنبياء الله تعالى تَفُزْ برضوان الله عزّ وجلّ.



يُقالُ ممَّا يستعَاذُ منهُ: «**اللَّهُمَّ إِنّي أعُوذُ بكَ من شَرِّ ما عَمِلْتُ ومن شَرِّ ما لم أعمَل**»، ويقال: «**اللَّهُمَّ إِنّي أعُوذُ بكَ من عذَابِ جهنَّمَ، وأعوذُ بكَ من عذابِ القبرِ وأعوذُ بكَ من فِتنَةِ المسيحِ الدّجَالِ، وأعوذُ بكَ من فِتنَةِ المحيَا والممَاتِ**».



الدّرس الخامس والثلاثون

(و) يحْرُمُ (**بيْعُ ما لا يدْخُلُ تحت الْمِلْكِ كالْحُرّ والأرْضِ الْمواتِ**) وهِي الأرْضُ الّتِي لـمْ تُعْـمرْ ولا مالِك لـها (و) يـحْرُمُ أيْضًـا (**بيْـعُ الْمجْهُولِ**) كأنْ يقُول لهُ بِعْتُك أحد هذيْنِ الثّوْبيْنِ مِنْ غيْرِ تعْيِينٍ فلا يصِحُّ، (و) يحْرُمُ بيْعُ (**النّجِسِ**[1] **كالدّمِ وكُلّ**) شرابٍ (**مُسْكِرٍ**) كالْخمْرِ والنّبِيذِ الْمُسْكِرِ[2] ومِنْ ذلِك الإِسْبِيرْتُو فإِنّها نجِسةٌ لا يجُوزُ بيْعُهُ ولا شِراؤُهُ[3]، (و) يحْرُمُ بيْعُ كُلّ (**مُحرّمٍ كالطُّنْبُورِ وهُو آلةُ لهْوٍ تُشْبِهُ الْعُود**) وكالْمِزْمارِ والْكُوبةِ وهِي الدُّرْبكّةُ.

(**ويحْرُمُ بيْعُ الشّيْءِ الْحلالِ الطّاهِرِ على منْ تعْلمُ أنّهُ يُرِيدُ أنْ يعْصِي بِهِ**) لِما فِيهِ مِن الإِعانةِ على ما حرّم الله وذلِك (**كالْعِنبِ**) أيْ بيْعُهُ (**لِمنْ**) علِمْت أنّهُ (**يُرِيدُهُ لِلْخمْرِ و**) بيْعُ (**السّلاحِ لِمنْ**) (**علِمْت أنّهُ يُرِيدُ أنْ يقْتُل بِهِ نفْسهُ أوْ**) (**يعْتدِي بِهِ على النّاسِ**) فلا يجُوزُ. (و) يحْرُمُ (**بيْعُ الأشْياءِ الْمُسْكِرةِ**) ولوْ جامِدةً (و) يحْرُمُ (**بيْعُ الْمعِيبِ بِلا إِظْهارٍ لِعيْبِهِ**) أيْ مع ترْكِ بيانِهِ ولِلْمُشْترِي خِيارُ الرّدّ فوْرًا عِنْد عِلْمِهِ بِالْعيْبِ.

ثُمّ ذكر الْمُؤلّفُ رحِمهُ الله (**فائِدةً**) فِي بيانِ ما يُفْعلُ بِالتّرِكةِ قبْل الْقِسْمةِ فقال رحِمهُ الله وغفر لهُ (**لا تصِحُّ قِسْمةُ تركةِ ميّتٍ**) على

---

(١) دليل تحريم بيع النّجس قوله ﷺ: «**إنّ الله ورسُوله حَرَّمَ بَيعَ الخَمْرِ والمَيْتَةِ والخِنْزِيرِ والأصْنامِ**». رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر والخنزير والأصنام، (٥/ ٤١). والميتة نجسة مِن هذا يعرف تحريم بيع النّجس.

(٢) قال ابن عباس: «حرمت الخمر لعينها قليلها وكثيرها والسّكر من كلّ شراب». البيهقيّ، سنن البيهقيّ، باب شهادة أهل الأشربة، (٢/ ١٦٢).

(٣) روى أبو داود أنّ «رسول الله ﷺ نهى عن كلّ مُسكِرٍ ومُفْتِرٍ»، والمخدّرات تدخل تحت كلمة مفتِر. المفتِر: ما يحدث في الجسم والعين أثرًا.

الْوارِثِين (**ولا بيْعُ شيْءٍ مِنْها ما لمْ تُوفّ**) أيْ ما لمْ تُقْض (**دُيُونُهُ**) إِنْ كان عليْهِ دُيُونٌ ويدْخُلُ فِي ذلِك ما لوْ كان عليْهِ زكاةٌ لمْ يُؤدّها[1] (**و**) ما لمْ تُنفّذْ (**وصاياهُ**) الّتِي أوْصى بِصرْفِها بعْد موْتِهِ.

(**و**) ما لمْ (**تُخْرجْ أُجْرةُ حجّةٍ وعُمْرةٍ إِنْ كانا**) واجِبيْنِ (**عليْهِ**) بِأنِ اسْتقرا فِي ذِمّتِهِ ولمْ يُؤدّهِما حتّى مات وتُسلّمْ إِلى منْ يحُجُّ عنْهُ ويعْتمِرُ (**إِلّا أنْ يُباع شيْءٌ**) مِن التّرِكةِ (**لِقضاءِ هذِهِ الأشْياءِ**) فحِينئِذٍ يجُوزُ (**فالتّرِكةُ كمرْهُونٍ بِذلِك**) فكما أنّ الْمرْهُون لا يجُوزُ التّصرُّفُ فِيه بِما يُزِيلُ الْمِلْك قبْل قضاءِ الدّيْنِ الّذِي رُهِن بِهِ إِلّا أنْ يكُون بيْعُهُ لِقضاءِ الدّيْنِ فالتّرِكةُ كذلِك. ثُمّ ذكر الْمُؤلّفُ رحِمهُ الله مِثالًا آخر لِما لا يصِحُّ بيْعُهُ حتّى تُؤدّى الْحُقُوقُ الْمُتعلّقةُ بِهِ لِزِيادةِ تقْرِيبِ الْمسْئلةِ لِفهْمِ الطّالِبِ فقال (**كرقِيقٍ جنى ولوْ**) كانتْ جِنايتُهُ (**بِأخْذِ دانقٍ**) وهُو سُدُسُ دِرْهمٍ فأتْلفهُ (**لا يصِحُّ بيْعُهُ حتّى يُؤدّي**) مالِكُهُ (**ما بِرقبتِهِ أوْ يأْذن الْغرِيمُ فِي بيْعِهِ**) فيصِحُّ حِينئِذٍ والْغرِيْمُ هُو صاحِبُ الْمالِ الّذِي أتْلفهُ الرّقِيقُ.



الحيِيّ... جامع القرءان جاد بالغيث وأعان

رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاه سيّدنا عثمَان

كان في المدينة بئر ماء تسمّى (رومة)، وكان صاحبها يبيع ماءها للمسلمين، وذات يوم قال الرّسول ﷺ: «**مَنْ يَشْتَرِي رُومَةَ فَيَجْعَلُهَا لِلْمُسْلِمِينَ يَضْرِب بِدَلْوِهِ فِي دِلائِهِمْ، وَلَهُ بِها مَشْرَبٌ فِي الْجَنَّةِ**». فاشترى

(١) إذا كان على الرّجل الّذي توفّي ديْنٌ ولم يوفِّ الورثة الدّين لا تقسم التّركة قبل ردّ الدَّين، ثمّ بعد الدّفن يستحبّ توزيع التّركة بعد قيمة التّجهيز والدّين والوصيّة والزّكاة ومؤنة الحجّ.

عثمان رضيَ اللهُ عنهُ نصف البئر، فخيّره صاحب البئر بين أمرين: «إمّا أن يكون لكلّ واحد منهما حقّ استعمال البئر يومًا مستقلًا، أو أن يضع كلّ واحد منهما دلوًا خاصًّا على البئر». فرأى عثمان رضيَ اللهُ عنهُ أنّه إذا اختار يومًا مستقلًا فإنّ ذلك يكون أنفع للمسلمين، فاختار يومًا.

فكان المسلمون يأخذون ما يكفيهم من الماء في يوم عثمان رضيَ اللهُ عنهُ، فلمّا رأى صاحب البئر ذلك ذهب إلى عثمان رضيَ اللهُ عنهُ وقال له: «أفسدت عليّ بئري، فاشترِ النّصف الآخر» فاشتراه عثمان رضيَ اللهُ عنهُ ووهبه للمسلمين.



لا تغترِر بتنعم يزول تفنى اللّذاذة والعيش لا يطول

تركُ التَّنَعُّمِ اقتدَاءً بالأنبيَاءِ والأوليَاءِ

أوصيكم بترك التّنعّم، الأنبياءُ والأولياءُ ينظرون إلى راحة مستقبلهم أي في الآخرة. الّذي يترك التّنعّم أقرب إلى مواساة الغير، لذلك ترْكُ التّنعّم طريق لتنوير القلب. ترك التّنعّم الّذي هو حلال مطلوب عند أهل الله. فإنْ أردتم الالتحاق بالقوم فاتركوا التّنعّم أو قلّلوه. الأنبياء ما كانوا يتنعّمون، سيّدنا محمّد ﷺ كان يُمضي بالمدينة أكثر الأيّام بلا طبيخ، على الماء والتّمر. فالتّنعّم يدعو إلى الغفلة، وتركه يدعو إلى الخشية والاستعداد للآخرة، أصحاب رسول الله ﷺ لو كانوا متنعّمين ما انتشر الإسلام في الشّرق والغرب، الصّحابة كانوا يذهبون لنشر الدّين، وأحيانًا لا يكون مع الواحد منهم إلّا تمرة واحدة يمصُّها كلّ النّهار، التّنعّم لا خير فيه، التّنعّم يُقعِد الشّخص عن التّرقي.

تركُ التّنعّم فيه فوائد كبيرة لمن تأمّل، لأنّ التّنعّم يدعو الإنسان إلى الجشع وزيادة الطّمع في حبّ المال، ثمّ إنّ الإنسان إذا تعوّد التّنعّم ثمّ تغيّرت حالته يحاول أن يصل إلى ذلك التّنعّم بأيّ وسيلة من الوسائل، إن كان بطريق الحلال أو بطريق الحرام، همّه أن يعود إلى ذلك التّنعّم، إلى الحال الّذي كان عليه من التّنعّم، هذا همّه، ثمّ إنّ التّنعّم مَبخَلَة أي يجْعلُ الإنسان يبخل عن الدّفع في وجوه الخير، يقول إذا دفعت هذا المال لهذا المسكين أو لهذه المصلحة الدّينيّة يضعف تنعّمي، أو يذهب تنعّمي فيبخل عمّا فيه فلاحه، ويكون حاجزًا بينه وبين أعمال البرّ.

دعاء

يُقالُ عند النّوم: «**اللَّهُمَّ أنتَ خلَقْتَ نفسِي وأنتَ تتوَفَّاهَا، لكَ مَماتُها ومحيَاهَا، إن أحيَيْتَها فاحفَظْهَا، وإنْ أَمَتَّها فاغفِرْ لهَا، اللَّهُمَّ إِنّي أسأَلُكَ العافيَةَ**»، ويُقال: «**باسْمِ اللهِ وضَعْتُ جَنْبِي، اللَّهُمَّ اغفِرْ ذنبِي، وأَخْسِئْ شيطَانِي، وَفُكَّ رِهَاني، واجعَلْنِي في النَّدِيِّ الأَعلَى**».

الدّرس السادس والثلاثون

(**ويحْرُمُ أنْ يُفتّر**) شخْصٌ (**رغْبة الْمُشْترِي**) كأنْ يقُول لهُ أنا أبِيعُك خيْرًا مِنْهُ بِالثّمنِ نفْسِهِ أوْ أبِيعُك مِثْلهُ بِثمنٍ أقلّ (**أوْ**) أنْ يُفتّر رغْبة (**الْبائِعِ**[1]) كأنْ يقُول لهُ لا تبِعْهُ لِفُلانٍ أنا أشْترِيهِ مِنْك بِأكْثر إذا كان التّفْتِيرُ (**بعْد اسْتِقْرارِ الثّمنِ**) أيْ بعْد أنْ يكُون كُلٌّ مِن الْبائِعِ والْمُشْترِي قدْ صرّح بِالرّضا بِهِ وإلّا فلا يحْرُمُ، كما لوْ طاف بِهِ الْبائِعُ لِيرى منْ يزِيدُ فِي الثّمنِ لِيبِيعهُ فلا يحْرُمُ وقوْلُهُ (**لِيبِيع**) الْمُفتّرُ (**علَيْهِ**) أيْ على الْمُشْترِي فِي الصُّورةِ الأُولى (**أوْ لِيشْترِيهُ**) الْمُفتّرُ (**مِنْهُ**) أيْ مِن الْبائِعِ فِي الصُّورةِ الثّانِيةِ. (**و**) التّفْتِيرُ بِأنْ يأْمُر الْمُفتّرُ الْمُشْترِي أنْ يفْسخ الْعقْد حتّى يبِيعهُ هُو أوِ الْبائِع حتّى يشْترِيهُ هُو (**بعْد**) حُصُولِ (**الْعقْدِ**) وقبْل لُزُومِهِ أيْ (**فِي مُدّةِ الْخِيارِ أشَدُّ**) حُرْمةً سواءٌ كان الْخِيارُ خِيار مجْلِسٍ أمْ شرْطٍ.

(**و**) يحْرُمُ (**أنْ يشْترِي**) شخْصٌ (**الطّعام**) كالْخُبْزِ والتّمْرِ وغيْرِهِما مِن الأقْواتِ (**وقْت الْغلاءِ والْحاجةِ**) إلِيْهِ (**لِيحْبِسهُ**) عِنْدهُ عنِ الْبيْعِ (**ويبِيعهُ**) بعْد ذلِك (**بِأغْلى و**) يحْرُمُ (**أنْ يزِيد**) شخْصٌ (**فِي ثمنِ سِلْعةٍ**) أكْثر مِنْ ثمنِها وليْس قصْدُهُ أنْ يشْترِيها بلْ فعل ذلِك (**لِيغُرّ غيْرهُ**) أيْ حتّى يُوهِمهُ أنّ هذِهِ السّلْعة قِيمتُها عالِيةٌ فيغْترّ بِذلِك فيشْترِيها (**و**) يحْرُمُ (**أنْ يُفرّق**) شخْصٌ (**بيْن الْجارِيةِ وولدِها**) بِالْبيْعِ (**قبْل التّمْيِيزِ**) ولوْ رضِيتْ بِالتّفْرِيقِ

---

(١) **فائدة**: ممّا يحرّم البيع الغشّ فيه أو الخيانة في الكيل أو الوزن أو الذّرع أو العدّ أو الكذب بالقول في شيء من ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [سورة المطففين] أي للحساب.

(و) يحْرُمُ على كُلٍّ مِن الْعاقِدَيْنِ (أنْ يغُشّ) بِإِخْفاءِ الْعيْبِ.

(أوْ يخُون فِي الْكيْلِ والْوزْنِ والذّرْعِ والْعدّ أوْ) أنْ (يكْذِب) كأنْ يقُول الْبائِعُ إنّ هذا الْمبِيع يُباعُ فِي السُّوقِ بِكذا وهُو يعْلمُ أنّهُ يُباعُ بِأقلّ (و) يحْرُمُ (أنْ يبِيع) شخْصٌ (الْقُطْن أوْ غيْرهُ مِن الْبضائِعِ) لِشخْصٍ لا يمْلِكُ ثمن الْمبِيعِ مثلًا (ويُقْرِض) الْبائِعُ (الْمُشْترِي فوْقهُ دراهِم) مثلًا (ويزِيد فِي ثمنِ تِلْك الْبِضاعةِ لأجْلِ) ذلِك (الْقرْضِ) بِحيْثُ يجْعلُ ذلِك شرْطًا فهذا مِنْ جُمْلةِ رِبا الْقرْضِ، (و) مِنْهُ (أنْ يُقْرِض) شخْصٌ (الْحائِك أوْ غيْرهُ مِن الأُجراءِ) جمْعُ أجِيرٍ (ويسْتخْدِمهُ) بِالْعملِ لهُ (بِأقلّ مِنْ أُجْرةِ الْمِثْلِ لأجْلِ ذلِك الْقرْضِ أيْ) أنّهُ (إنْ شرط ذلِك) فقدْ دخل فِي رِبا الْقرْضِ أيْضًا والْعِياذُ بِاللهِ (ويُسمُّون ذلِك الرّبْطة، أوْ يُقْرِض) شخْصٌ (الْحرّاثِين) مالًا (إلى وقْتِ الْحصادِ ويشْترِط) علىْهِمْ (أنْ يبِيعُوا علىْهِ) أيْ يبِيعُوهُ (طعامهمْ بِأوْضع) أيْ بِأنْقص (مِن السّعْرِ قلِيلًا ويُسمُّون ذلِك الْمقْضِيّ) فهُو أيْضًا داخِلٌ فِي رِبا الْقرْضِ. (وكذا جُمْلةٌ مِنْ مُعاملاتِ أهْلِ هذا الزّمانِ) الّذِي كثُر فِيهِ الْجهْلُ وقلّتْ فِيهِ التّقْوى (وأكْثرُها) أيِ الْمُعاملاتِ مُحرّمةٌ لِأنّها (خارِجةٌ عنْ قانُونِ الشّرْعِ[1] فعلى مُرِيدِ رِضا اللهِ سُبْحانهُ) وتعالى (وسلامةِ دِينِهِ ودُنْياهُ) مِن الْحرامِ (أنْ يتعلّم[2] مِنْ عُلُومِ الدّينِ ما

---

(١) كلّ ما كان في معنى المذكورات فهو حرام لأنّه لا يخلو من محظورات الشّرع. ومن جملة هذه المعاملات الفاسدة أنواع التّأمينات الّتي تعارفوها في هذا الزّمن كتأمين السّيارة أو تأمين البضائع المُسْتَجْلَبة وما يسمّونه التّأمين على الحياة فيجب على من وقع في ذلك أن يخرج منه بالتّوبة، إلّا أنَّه يَحِلُّ لمن لا يُمَكَّن من شراء السّيارة إلّا بطريق التّأمين أن يدخل في ذلك ثمّ لا يأخذ بعد ذلك ممّن أمَّنَ منهم إلّا قدر ما دَفَع.

(٢) المسلمُ لا يُوثقُ بِهِ لتدريس علمِ الدّينِ إلّا أنْ يكون ثقةً أي دَيِّنًا عدلًا يؤدِّي الواجباتِ ويجتنبُ المُحرماتِ. ليس أي مسلمٍ درس العلم يُتلقّى منهُ، المسلمُ لا يُتلقّى منهُ علمُ الدّينِ إلّا أنْ يكون ثِقةً.

يحْتاجُ إِلَيْهِ حتّى يعْرِف ما يحِلُّ) لهُ (**وما يحْرُمُ**) عليْهِ مِن الْمُعاملاتِ قبْل الدُّخُولِ فِيها تلقّيًا (**مِنْ عالِمٍ ورِعٍ**) يخافُ الله (**ناصِحٍ شفِيقٍ على دِينِهِ**) أيِ الطّالِبِ (**فإِنّ طلب الْحلالِ**) وترْك تناوُلِ أسْبابِ الْمعِيشةِ مِنْ طرِيقِ الْحرامِ (**فرِيضةٌ على كُلّ مُسْلِمٍ**).



صلاح العمل... بصلاح القلب

حِرْصُ عمرَ بنِ الخطابِ علَى رَعِيَتِهِ

ذُكِرَ أنّ عمر بن الخطّاب رضيَ اللهُ عنهُ نهى في خلافته عن مذق اللّبن بالماء أي خلطه، فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة، فإذا بامرأة تقول لابنة لها: «ألا تمذقين لبنك فقد أصبحت؟» فقالت الجارية: «كيف أمذق اللّبن وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق؟» فقالت الأم: «قد مذق النّاس فامذقي، فما يدري أمير المؤمنين!» فقالت: «إن كان عمر لا يعلم، فربّ عمر يعلم، ما كنت لأفعله وقد نهى عنه». فوقعت مقالتها من عمر. فلمّا أصبح دعا عاصمًا ابنه، فقال: «يا بني، اذهب إلى موضع كذا وكذا، فاسأل عن الجارية». ووصفها له. فذهب عاصم، فإذا هي جارية من بني هلال، فقال له عمر: «اذهب يا بنيّ فتزوّجها».

فتزوّجها عاصم بن عمر، فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطّاب، فتزوّجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم، فأتت بعمر بن عبد العزيز رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاه.



لَا تدَعِ الدقَائِقَ تَضِيعُ سُدًى املَأْ صحَائِفَكَ بِمَا فِيهِ هُدًى

تحذير من الدّنيا الفانية

فجر حياتنا يبدأ والأهل حولنا يضحكون فرحًا وسرورًا، وسرعان ما تتوالى الأيّام فلا يعود المهد يتّسع لنا ولا نعود نطيق أن نبقى بين جنباته، هي الخطوات الأولى تتسلّل كخيوط الشّمس عند الشّروق فكلّما وقعت على شيء انكشف عنه ما بقي من عتمة أو فيء وظهر إلى النّور، وكذلك نحن فكلّما تعلّمنا شيئًا خرجنا من عتمة الجهل به نحو نور العلم والمعرفة.

لكن من غاص في غياهب الظّلمات وسلك دروب المغاور وكهوف اللّيل كيف له أن يبصر نور الشّمسِ؟ كيف له أن يستنير ليخرج من عتمة الجهل إلى نور العلم والمعرفة، من هنا إنَّ رحلة العمر والعمل رحلة أنت فيها القبطان، فإن أحسنت الاختيار وسلكت دروب الخير والنّجاة وصلت إلى برّ الأمان بإذن الله، أمّا إن استهواك الجهل وظلامه وسلكت دروب الذُّلّ والعصيان والندامة فهذه الطّريق لا توصل إلى السّلامة بل إلى الحسرات والكدرات وقد يصيبك الخسران في الدّنيا ويوم القيامة.

فيا أيها العاقل أيغرّك شبابك وقوّتك ويلهيانك عن اغتنام زاد الخير ويُبعدانك عن سبيل النّجاة؟؟!! انظر إلى من سبقوك في هذه الحياة الدّنيا أين هم اليوم؟ هم تحت التّراب، فبعد أن حضنهم المهد حين مولدهم ضمّهم اللّحد يوم وفاتهم. سبحان الخالق العظيم إنّ من يتفكّر

في هذه الرّحلة القصيرة يعي أنّه لا وقت للغفلة، فما بين بناء بيتك وتحصيل أسباب معيشتك في هذه الدّنيا وبناء قبرك وتجهيز زادك ليوم المعاد لا وقت للغفلة، فالعمر قصير وهو يسير والدّنيا دار ممرّ أمّا الآخرة فهي دار المستقرّ فإمّا لِجَنّةٍ وإمّا لِنار أجارنا الله وإياكم منها، وكلّ عاقل ينبغي أن يعلم أنّ صرف أنفاسه ينبغي أن يكون فيما هو أولى، فحريٌّ بنا أن نصرف أوقاتنا في تحصيل الطّاعات والقربات إلى الله فقد قال الله تعالى في سورة النجم: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النجم].

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة محمد].

قُرِئَتْ هذهِ الآيةُ مرّةً عند سيّدِنا عُمرَ بنِ الخطابِ فقالَ صبيٌّ كانَ عندَه: «يا أميرَ المؤمنين ولا يفتَحُ القلوبَ إلا الذي أَقْفَلَها».

فأحبّه سيّدنا عمر، أعجبَه كلامُه، وَجَدَ فيه الفِطْنةَ والذّكاءَ حيثُ إنّهُ اهتدى إلى هذا المعنى العظيمِ وهو أنّ الله تبارك وتعالى هو الّذي يهدي القلوبَ ولا أحدَ يهدي القلوبَ إلا هو.

أَلا إنَّ الدّنيا بَقاؤُها قلِيلٌ وَغَنِيُّها فَقِيرٌ فلا يَغُرَّنكم إقبالها معَ معرفتِكُمْ بسُرْعَةِ إدبَارها، والمغرُورُ مَن اغتَرّ بها، أين سُكانها الذين بَنَوْا مَدَائِنَها وأقامُوا فيها أيَّامًا يَسيرة غرَّتهُم بصحّتهم وَغُرُّوا بنشاطهم فركبوا المعاصي، ما صنع التّراب بأبدانِهم، والرَّمل بأجسادهم؟ والدِّيدان بعظامِهم وأوصالهم؟ كانوا في الدّنيا على أسِرّةٍ ممهَّدةٍ بين خدمٍ يخدمون وأهل يُكرمون وجيران يعضدون فإذا مررت فنادهم إن كنت مناديًا وسَلْ غنيّهم ما بقي من غناه وسَلْ فقيرهم ما بقي من فقره، وسلهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة فكم من ناعمٍ وناعمةٍ

أصبحوا ووجوههم بالية وأجسادهم من أعناقهم نائية وأوصالهم ممزَّقة قد سالت الحِدَقُ على الوجنات وامتلأت الأفواه دمًا وصديدًا ودبَّت دواب الأرض في أجسادهم ففرَّقت أعضاءهم ثمّ لم يلبثوا إلّا يسيرًا حتّى عادت العظام رميمًا.

دعاء

يُقالُ عندَ النَّوم: «**الحمد للهِ الّذِي أطعَمَنَا وسَقَانَا وكفَانَا وآوَانا، فكَمْ ممَّنْ لا كَافِيَ لهُ ولا مُؤْوِيَ**». ويقالُ: «**اللَّهُمَّ أسلَمْتُ نفسِي إلَيكَ ووجَّهْتُ وَجْهِي إليكَ وفوَّضْتُ أَمرِي إليكَ وألجَأْتُ ظَهْرِي إلَيكَ** (اعتمَدْتُ علَيكَ) **رغبةً ورهبَةً إليكَ، لا ملجَأَ ولا مُنْجِيَ منكَ إلّا إليكَ، آمنتُ بكتَابِكَ الّذِي أنزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الّذِي أرسَلْتَ**».

الدّرس السابع والثلاثون

(**فصْلٌ**) فِي بيانِ أحْكامِ النّفقةِ (**يجِبُ على الْمُوسِرِ نفقةُ**) أي الإنْفاقُ على (**أُصُولِهِ الْمُعْسِرِين أي الآباءِ**) وإنْ علوْا (**والأُمّهاتِ**) وإنْ علوْن (**الْفُقراءِ وإنْ قدرُوا**) أي الأُصُولُ (**على الْكسْبِ**)، (**و**) يجِبُ عليْهِ أيْضًا (**نفقةُ**) أي الإنْفاقُ على (**فُرُوعِهِ أيْ أوْلادِهِ وأوْلادِ أوْلادِهِ**) مِن الذُّكُورِ والإناثِ (**إذا أعْسرُوا**) عمّا يكْفِيهِمْ (**وعجزُوا عنِ الْكسْبِ لِصِغرٍ أوْ زمانةٍ أيْ مرضٍ مانِعٍ مِن الْكسْبِ**) فإنْ قدر الْفرْعُ على الْكسْبِ جاز لِلْولِيّ أنْ يحْمِلهُ عليْهِ ويُنْفِق عليْهِ مِنْهُ.

(**ويجِبُ على الزّوْجِ نفقةُ الزّوْجةِ**) الْمُمكّنةِ مِنْ نفْسِها لهُ مِنْ طعامٍ وكِسْوةٍ ونحْوِ ذلِك[١] على ما فصّل الْفُقهاءُ الْكلام عليْهِ[٢] (**و**) يجِبُ على الزّوْجِ أيْضًا لِزوْجتِهِ (**مهْرُها**[٣]**، و**) يجِبُ (**عليْهِ**) أي الزّوْجِ (**لها**)

---

(١) وأمّا سكنى المرأة في مسكنِ أهل زوجها فإنّ ذلك جائز إذا كان بطريق الإعارة منهم، أو بطريق الاستئجار لكن لا تجبر على سكنى ذلك إن لم يكن لائقًا بها، أمّا إن كان لائقًا بها فليس لها الاعتراض، بل يجب عليها أن توافق إلّا إذا كان يلحقها ضرر منهم، وإذا كان ذلك المسكن الّذي يخصّها به له مرافق خاصّة من مدخلٍ ومطبخ وخلاءٍ تُلزمُ شرعًا بأن توافق عليه كما قُرِّرَ هذا في كثير من كتب الفقه الشّافعيّ وغيره. من شروح منهاج الطّالبين للنّوويّ كنهاية المحتاج.

(٢) الرّسولُ ﷺ كان يعملُ في البيت كما يعملُ النّاسُ، كان يخدمُ نفسهُ، كان يحلبُ شاتهُ بيده، ويخصفُ نعلهُ بيده، ويرقعُ ثوبهُ وهذا من كمال التّواضع. قال رسول الله ﷺ: «**خَيرُكُم خَيرُكُم لأهلِهِ وأنا خيرُكُم لأهلِي**» رواهُ التّرمذيُّ، ومعناهُ الّذي يُحسنُ معاملة زوجته، يعاملُها بالتّواضع والعطف والرّحمة والإحسان والعفو إذا هي أساءت هو من أفضل الرّجال، لأنّ الّذي يكونُ مع امرأته هكذا يكونُ مع الغير هكذا. كثيرٌ من الرّجال على خلاف هذا الحديث يعاملُون نساءهُم، لا يتواضعُ معها، يترفّعُ عليها هذا لا ينبغي، ينبغي أن يتواضع معها ويُحسن إليها ويصفح ويعفو عن سيّئاتها، لا يقابلُ الإساءة بالإساءة.

(٣) يجوز شرعًا تعجيل المهر كلهِ أو بعضهِ.

أيْ لِزوْجتِهِ (**مُتْعةٌ**) وهُو مِقْدارٌ مِن الْمالِ يدْفعُهُ لها (**إِنْ وقع الْفِراقُ بيْنهُما بِغيْرِ سببٍ مِنْها**) كأنْ طلّقها لِسُوءِ خُلُقِها وأمّا السّببُ مِنْها فكأنِ ارْتدّتْ وبقِيتْ على الرّدّةِ إِلى انْقِضاءِ الْعِدّةِ (**و**) يجِبُ (**على مالِكِ الْعبِيدِ**) والإِماءِ (**والْبهائِمِ نفقتُهُمْ**) مِنْ طعامٍ وكِسْوةٍ ونحْوِ ذلِك (**وأنْ لا يُكلّفهُمْ مِن الْعملِ ما لا يُطِيقُونهُ و**) أنْ (**لا يضْرِبهُمْ بِغيْرِ حقٍّ**)[1].

(**ويجِبُ على الزّوْجةِ طاعتُهُ**) أيْ طاعةُ زوْجِها (**فِي نفْسِها**) مِن الْوطْءِ والِاسْتِمْتاعِ حتّى لوْ طلب مِنْها أنْ تتزيّن لهُ وجب عليْها ذلِك (**إِلّا فِي ما لا يحِلُّ**) فلا تُطِيعُهُ كالْوطْءِ فِي حالِ الْحيْضِ والنّفاسِ (**و**) يجِبُ عليْها (**أنْ لا تصُوم النّفْل**) وهُو حاضِرٌ أيْ فِي الْبلدِ إِلّا بِإِذْنِهِ (**و**) يجِبُ عليْها أنْ (**لا تخْرُج مِنْ بيْتِهِ**) لِغيْرِ ضرُورةٍ (**إِلّا بِإِذْنِهِ**).

عَلَّمْناهُ مِن لَدُنّا عِلْمَا . . .

بعضُ من رأَى الخضِرَ من أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ

روي عن سيّدنا عليّ رضيَ اللهُ عنهُ أنّه قال: «لَمَّا توفّي النّبيّ ﷺ وسجِّيَ بثوب، هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه: «السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، السّلام عليكم أهل البيت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، إنّ في الله خلفًا من كلّ هالك، وعوضًا من

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**لا يسِمُ أَحَدٌ الوَجْهَ وَلا يَضْرِبُ أَحَدٌ الوَجْهَ**» رواه مسلم. لا يسم أي لا يكوي وجه الدّابة فهذا حرام. وسمْتُ الدّابة أي تعليمها بالكيّ. أمّا الكيّ في غير الوجه للفرسِ والحمار والشّاة جائز لأنّه يحتاج إليه وإن كان فيه ألم لها لأنّ هذا يحتاج إليه.

كلّ فائت، وعزاء من كلّ مصيبة، فبالله ثقوا، وإيّاه فارجوا، فإنّ المصاب من حُرِمَ الثّواب»، فكان الصّحابة يرون أنّه الخضر عليه السّلام. وروي عن عليّ رضيَ اللهُ عنهُ أيضا أنّه لقي الخضر وعلّمه دعاءً.

وروي أنّ رجلين كانا يتبايعان عند ابن عمر رضيَ اللهُ عنهُما فأكثرا الحلف بالله، فجاءهما رجل ونهاهما عن كثرة الحلف ووعظهما موعظة بليغة. فأشار ابن عمر لأحدهما أن يكتب هذه الموعظة عنه فكتبها وحفظها، ثمّ خرج فلُحق فلم يُر فكانوا يرون أنّه الخضر عليه السّلام. وممّن رأى الخضر من أكابر الأولياء سيّدنا عمر بن عبد العزيز الّذي شوهد وهو خارج وشيخ متوكّئ على يده، فلمّا عاد إلى منزله قال له خادمه رباح بن عبيدة: «من الشّيخ الّذي كان متوكّئًا على يدك؟» قال: «أرأيته؟» فأجابه: «نعم»، فقال: «ذاك أخي الخضر أعلمني أنّي سأحكّم أمر هذه الأمّة وأنّي سأعدل فيها». وقيل في سبب توبة الإمام الزّاهد إبراهيم بن أدهم رضيَ اللهُ عنهُ أنّه قال: «كنت شابًّا قد حبّب إليّ الصّيد، فخرجت يومًا أتتبّع صيدًا، وبينما أنا أطارده إذ سمعت صوتًا يقول: «يا إبراهيم ألهذا خلقت، أبهذا أُمرت؟» ففزعت ووقفت ثمّ تعوّذت بالله، وركضت الدّابّة فتكرّر الأمر مرارًا ثمّ هتف بي هاتف من تحت السّرج يقول: «والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت»، فنزلت فصادفت راعيًا لأبي يرعى الغنم، فأخذت جبّته وكانت من صوف فلبستها وأعطيته الفرس وما كان معي، وتوجّهت إلى مكّة، فبينما أنا في البادية إذ أنا برجل يسير ليس معه إناء ولا زاد، فلمّا دخل المساء وصلّى المغرب حرّك شفتيه بكلام لم أسمعه، فإذا أنا بإناء فيه طعام لذيذ وإناء فيه شراب منعش، فأكلت معه وشربت، وكنت على هذا أيّامًا وعلّمني اسم الله الأعظم الّذي إذا دعي به أجاب، ثمّ غاب عنّي

وبقيت وحدي، فبينما أنا ذات يوم مستوحش من الوحدة دعوت الله فإذا شخص آخذ بثيابي بلطف فقال لي: «سل تعطه» فراعني قوله، فقال لي: «لا رَوَّعَ الله عليك، أنا أخوك الخضر» فآنسني وأذهب عنّي همي. ورُوِيَ أنّ الخضر الآن على منبر في البحر، وقد أُمرت دوابّ البحر أن تسمع له وتطيع، وهو حيٌّ موجود إلى زماننا هذا ولكنّه محجوب عن الأبصار، وذلك مشهور عند أهل العلم والصّلاح والمعرفة، والصّوفية وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشّريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر.

أصحابَ الصّفَا احرِصُوا على الوَفَا

أهمّيَّةُ التّزَاوُرِ

أوصيكم بأن تكونوا عباد الله إخوانًا متناصحين متزاورين، وليتفقّد بعضكم بعضًا فإذا مضت مدّة لم يَرَ فيها أحدكم أخاه فليسأل عنه أو ليزره وبهذا تقوى المحبّة وتقوى الدّعوة. فكونوا من المتواصلين في الله وهم مَن يزور بعضهم بعضًا، ومن لم يتيسّر له التّزاور لبعد المسافة يراسله بالكتابة مع إرسال السّلام من غير أن يطول العهد. ثمّ التّزاور مهمّ جدًا لا يمضي على أحدكم مدّة واسعة لم ير فيها أخاه ولا سأل عنه، وإن استطاع أن يزوره زاره وإن لم يستطع يرسل سلامًا له أو يكالمه بواسطة التلفون، إن عملتم بهذا فأنتم كثير وإن لم تفعلوا فأنتم قليل، إن فعلتم فأنتم أقوياء وإلا فأنتم ضعفاء، والّذي يسهّل هذا التّواضع.

إذا غاب أحدكم مدّة تفقّدوه لأنّه قد يكون حصل له شبهة بأن لقي شخصًا من هؤلاء الفاسدين وأثّر فيه، فإذا تفقّد بعضكم بعضًا فيعالج في كشف الشّبهة الّتي أثّرت فيه. قد يلقى وهّابيًّا فيوسوس له فيصدّقه أو يلقى شخصًا من حزب سيّد قطب يكلّمه بما هو عندهم فيتأثّر. المشكّكون كثر في هذا الزّمن، كونوا على استحضار للجواب. إذ قد يقول لكم قائل من الوهّابيّة: «الله إذا لم يكن في مكان معنى ذلك أنّه ليس موجودًا». هؤلاء يُرَدّ عليهم يقال لهم: «ألا تعترفون بأن الله كان موجودًا قبل المكان بلا مكان؟»فيقولون: «بلى». إذًا هو كان قبل المكان بلا مكان فإذًا هو بعد أن خلق المكان موجود بلا مكان. يقال لهم: «أنتم تحكمون على الله بحكم المخلوق. المخلوق لا بدّ له من مكان أنتم جعلتم الله كالمخلوق. المخلوق لا بدّ أن يكون في مكان». هذا جواب قاطع له.

دعاء

يُقالُ ممَّا يُستعَاذُ منهُ: «**اللَّهمَّ إنّي أعُوذُ بكَ منَ العَجزِ والكَسَلِ والجُبنِ والهَرمِ والبُخلِ، وأعوذُ بكَ من عذَابِ القبرِ، وأعوذُ بكَ من فِتنَةِ المحيَا والمماتِ**»، ويقالُ: «**اللَّهُمَّ إنّي أعوذُ بكَ منَ الهرَمِ والتَّرَدّي (الوقوع من الأعلى)، وأعوذُ بكَ منَ الغَمّ والغرَقِ والحرِيقِ والهدمِ، وأعوذُ بكَ أن يتخبَّطِنيَ الشّيطَانُ**».

الدّرس الثامن والثلاثون

الْواجِباتُ الْقلْبِيّةُ

بعْدما تكلّم الْمُصنّفُ رحِمهُ الله تعالى على الْمُعاملاتِ ومِنْها النّكاحُ والنّفقةُ الْواجِبةُ شرع فِي الْكلامِ على واجِباتِ الْقلْبِ فقال (**فصْلٌ**) فِي بيانِ الْواجِباتِ الْقلْبِيّةِ وهِي ما يجِبُ على الْمُكلّفِ مِنْ أعْمالِ الْقُلُوبِ.

(**مِن الْواجِباتِ الْقلْبِيّةِ الإِيْمانُ بِاللهِ**) أي الإِيْمانُ الْجازِمُ بِوُجُودِهِ تعالى على ما يلِيقُ بِهِ وهُو مع الإِيْمانِ بِرسُولِ اللهِ ﷺ الآتِي ذِكْرُهُ أصْلُ الْواجِباتِ (**و**) الإِيْمانُ (**بِما جاء عنِ اللهِ**) مِن الأوامِرِ والنّواهِي والأخْبارِ بِأنّها حقٌّ (**والإِيْمانُ بِرسُولِ اللهِ**) أنّهُ رسُولُ اللهِ حقًّا (**وبِما جاء عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ**) مِن الأحْكامِ.

(**والإِخْلاصُ وهُو الْعملُ بِالطّاعةِ للهِ وحْدهُ**) أيْ أنْ يُخْلِص النّيّة مِنْ أنْ يقْصِد بِها عِنْد الْعملِ الصّالِحِ محْمدة النّاسِ والنّظر إِلَيْهِ بِعيْنِ الِاحْتِرامِ (**والنّدمُ على الْمعاصِي**) أيْ أنْ يسْتشْعِر فِي قلْبِهِ النّدم لِأنّهُ عصى الله وهذا واجِبٌ فِي الْمعاصِي كُلّها سواءٌ كانتِ الْمعْصِيةُ صغِيرةً أمْ كبِيرةً، (**والتّوكُّلُ**) أي الِاعْتِمادُ (**على اللهِ**) وحْدهُ (**والْمُراقبةُ للهِ**) وهِي اسْتِدامةُ خوْفِ اللهِ تعالى بِالْقلْبِ بِحيْثُ يحْمِلُهُ ذلِك على أداءِ ما أوْجب الله وترْكِ ما حرّمهُ (**والشُّكْرُ على نِعمِ اللهِ**)[1] الشُّكْر الْواجِب (**بِمعْنى عدمِ**

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أُعطِيَ فَشَكَرْ وابتُلِيَ فَصَبَرْ وظُلِمَ فَغَفَرْ وَظَلَمَ فَاستَغْفَرْ أولئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدون**» رواه ابن حبّان. الله تبارك وتعالى أثنى على من اتّصف بالصّفة الأولى الشّكر على ما أعطى الله، ومعنى الشّكر وضع النّعم الّتي أنعم الله بها عليه من المال في محلّه أي فيما يرضي الله تبارك وتعالى، وأعظم ما يرضي الله تبارك وتعالى في صرف المال هو ما يؤيّد به دينه، العقيدة والأحكام على مذهب أهل السّنّة، فعليكم=

اسْتِعْمالِها فِي معْصِيةِ) الْمُنْعِم[١] (**والصّبْرُ**) وهُو حبْسُ النّفْسِ وقهْرُها على مكْرُوهٍ تتحمّلُهُ أوْ لذِيذٍ تُفارِقُهُ وهُو أقْسامٌ ثلاثٌ أوّلُها الصّبْرُ (**على أداءِ ما أوْجب الله**) كالصّلاةِ (**و**) ثانِيها (**الصّبْرُ عنْ ما حرّم الله تعالى**) كالصّبْرِ عنِ النّظرِ إِلى ما حرّم الله النّظر إِلَيْهِ وعنِ الزّنى (**و**) ثالِثُها (**الصّبْرُ على ما ابْتلاك الله بِهِ**) مِن الْمصائِبِ والْبلايا بِمعْنى عدمِ الِاعْتِراضِ على اللهِ أوِ الدُّخُولِ فِيما حرّمهُ الله بِسببِ ذلِك (**وبُغْضُ الشّيْطانِ**) أيْ كراهِيّتُهُ (**وبُغْضُ الْمعاصِي**)[٢] لِأنّ الله ذمّها وحرّم علينا فِعْلها.

(**ومحبّةُ اللهِ**) بِتعْظِيمِهِ التّعْظِيم الْواجِب والتّذلُّلِ لهُ غاية التّذلُّلِ (**ومحبّةُ كلامِهِ**) أي الْقُرْآنِ بِالإِيْمانِ بِهِ (**و**) محبّةُ (**رسُولِهِ**) مُحمّدٍ ﷺ بِتعْظِيمِهِ التّعْظِيم اللاّزِم ومحبّةُ سائِرِ إِخْوانِهِ النّبِيّين علَيْهِمُ الصّلاةُ والسّلامُ (**و**) محبّةُ (**الصّحابةِ**) مِنْ حيْثُ الإِجْمالُ بِمعْنى تعْظِيمِهِمْ فإِنّهُمْ أنْصارُ دِينِ اللهِ ولا سِيّما السّابِقُون الأوّلُون مِنْهُمْ.

= بالاهتمام بهذا، ثمّ الأجر يختلف باختلاف حال الشّخص، فمن ينفق في سبيل الله في هذا الأمر مع قلّة ما في يده من المال أعظم ثوابًا عند الله ممّا يدفعه المكثر، فاهتمّوا بهذا الأمر. لا يقل الرّجل: «كيف أنفق وأنا ليس عندي إلّا القليل» فقوّة اليقين تدفع الشّخص إلى بذل القليل الّذي عنده، فاغتنموا هذا الأجر بارك الله فيكم.

(١) قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الله يُحِبُّ أنْ يَرَى آثارَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**» حسّنه الترمذيّ، معناه يُظهِرُ أنّه من أهل النّعمة ليس من أهل البؤس حتّى يقصده النّاس لحاجاتهم، كذلك يقال في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [سورة الضحى]، إذا كان لا يخاف على نفسه الرّياء والعُجب. لكن ليس معناه الاسترسال في التّنعّم، مع أنّ التّنعّم بالحلال ليس حرامًا، لكنّه مكروه لغير حاجة.

(٢) ورد في الحديث: «**مَا تَرَكَ عَبْدٌ للهِ أَمْرًا لَا يَتْرُكُهُ إِلَّا لله إِلَّا عَوَّضَهُ الله مِنْهُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْهُ في دِينِهِ وَدُنْياه**». السّيوطي، جامع الأحاديث، (١٨/ ٤٨٥).

(و) محبّةُ (الآلِ)[١] وهُمْ أزْواجُهُ وأقْرِباؤُهُ الْمُؤْمِنُون وذلِك لِما خُصُّوا بِهِ مِن الْفضْلِ وقرابةِ أفْضلِ خلْقِ اللهِ (و) محبّةُ (الصّالِحِين)[٢] لأنّهُم

---

(١) قوله تعالى ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ ﴿٣٤﴾﴾ قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحزاب] سياق هذه الآية قبل هذا الخطاب فيه بلفظ الإناث وبعده بلفظ الإناث، قبل هذه الجملة ﴿أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴿٣٣﴾﴾ هذا لنساء الرّسول ﷺ، ثمّ أتبعه بقوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ ثمّ أتبعه بخطاب الإناث ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ ﴿٣٤﴾﴾ فالّذي يفسّر الآية (بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين فقط غلط، وأمّا الشّيء الّذي فعله الرّسول ﷺ وهو أنّه جمع عليًّا والحسن والحسين وفاطمة ووضع عليهم الكساء وقال: «**اللَّهُمَّ هؤلاء أَهْلِي**» فهذا ليس فيه تخصيص أنّهم من أهله فقط إنّما معناه هؤلاء أفضل أهلي، لكونهم أفضل أهل بيته خصّهم بهذا، لا لأنّ أهل البيت محصورين بهؤلاء الأربعة، ولذلك سمّي هؤلاء الأربعة أهل العباءة [سورة الأحزاب] قال النّسفي في تفسيره قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴿٣٣﴾﴾ فيه دليل على أن نساءه من أهل بيته. وقال ﴿عَنكُمُ﴾ لأنّه أريد الرّجال والنّساء من آله بدلالة قوله ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

(٢) جاء في الحديث القدسي قال الله تعالى «**المُتَحَابّونَ بِجَلالي أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إلّا ظِلِّي**» رواه مسلم في صحيحه ظِلّي أي ظِلّ العرش. من أعظم ما يكتسبه الإنسان في الحياة الدّنيا وأنفعه في الآخرة محبّة المسلم لأخيه المسلم، المحبّة الّتي فيها التّعاون على ما يرضي الله، ليس المراد التّحابّ على الهوى، فهذه المحبّة الّتي يكون صاحبها في ظلّ العرش يوم القيامة ذلك اليوم الّذي ليس فيه بيت ولا جبل ولا شجر ولا كهف إنّما يظلّ المؤمن في ذلك اليوم عمله الصّالح، ومن جملة العمل الصّالح الّذي يُظِلُّ صاحبه في ذلك اليوم التّحابّ في الله، محبّة المسلم لأخيه في ما يرضي الله تبارك وتعالى، هذه المحبّة هي الّتي تجعل صاحبها في الآخرة في ظلّ العرش لا يصيبه حرّ شمس يوم القيامة، حرُّ شمس يوم القيامة أشَدّ بكثير من حرّها في الدّنيا لأنّها تدنو من رؤوس النّاس قدر ميل، وأشدّ ما يكون الحرّ ذلك اليوم على الكفّار، الكفّار لو كان يوم القيامة موت لماتوا من حرّها لكن لا يوجد موت هناك، مهما تألّم الشّخص لا يموت يبقى حيًّا لا تفارقه روحه، فَمِنْ أنفعِ ما ينفع النّاس ذلك اليوم للسّلامة من حرّ الشّمس ذلك اليوم التّحابّ في الله،=

أحْبابُ اللهِ لِما لهُمْ مِن الْقُرْبِ إلَيْهِ بِطاعتِهِ الْكامِلةِ[١].

= معنى التحابّ في الله المسلم يتعاون مع أخيه على ما يحبّ الله، ولا يغشّ أحدهما الآخر أي لا يزيّن له المعصية، ولا يغشّه في المعاملة بل يبذل له النّصح، يحبّ له ما يحبّ لنفسه أي الخير الّذي يحبّه لنفسه يحبّه لأخيه، والشّرّ الّذي يكرهه لنفسه ممّا هو شرّ في شرع الله يكرهه لأخيه وهذا الأمر هو الكمال للمسلم، المسلم لا يكون مؤمنًا كاملًا أي في الدّرجة العليا إلّا إذا كان بهذه الصّفة أي يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه من الخير، وقد صحّ حديث: «**مَنْ أَحَبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ ويَدْخُلَ الجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بالله واليَومِ الآخِرِ، وَلْيَأتِ إِلَى النَّاسِ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إليه**» رواه مسلم. هذا الحديث معناه أنّ من يحبّ أن يبعده الله تعالى من نار جهنّم في الآخرة ويُدْخل الجنّة فليَثْبُتْ على الإيمان بالله ورسوله ﷺ أي ليتجنّب الكفر حتّى يموت وهو مؤمن بالله واليوم الآخر.

(١) ما جرى بين الإمام عليّ وبين معاوية من قتال، وأنّ الحقّ كان في جانب عليّ رضي الله عنه. يقول الله تعالى ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [سورة الحجرات].

ويقول رسول الله ﷺ: «**وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلى الجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلى النَّارِ**» رواه البخاري في كتاب الصّلاة بهذا اللفظ، ورواه في موضع آخر في الجهاد والسّير بلفظ «**يَدعُوهُمْ إِلى الله وَيَدْعُونَهُ إِلى النَّارِ**» ورواه ابن حبّان أيضًا في موضعين. فالحديث بروايتيه من أصحّ الصّحيح، فعمّار الّذي كان في جيش عليّ داع إلى الجنّة بقتاله مع عليّ، فعليّ داع إلى الجنّة بطريق الأولى، ورواية الطّبراني فيها زيادة وهي: «**ويحَ عَمّارٍ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ الباغِيةُ النّاكِثَةُ عَنِ الحَقِّ**»، وعمّار ما نال هذا الفضل إلّا بكونه مع عليّ، فهو وجيشه دعاة إلى الجنّة، ومقاتلوهم دعاة إلى النّار؛ وهذا الحديث متواتر رواه أربعة وعشرون من الصّحابة، ذكر ذلك السّيوطي والمناوي وغيرهما.

قال الحافظ ابن حجر العسقلانيّ في كتابه «التّلخيص الحبير» ما نصّه: قوله: «أي الإمام الرّافعي محرر المذهب الشّافعيّ» ثبت أن أهل الجمل وصفّين والنّهروان بغاة، هو كما قال ويدلّ عليه حديث عليّ: «أمرت بقتال النّاكثين[١]=

---

(١) النّاكثين: النّكث نقض العهد والمراد بهم أهل وقعة الجمل لأنّهم بايعوه ونقضوا بيعته. الزّبير بن العوام رضي الله عنه كان منصرفًا إلى وادي القرى تراجع عن قتال سيّدنا عليّ رضي الله عنه نام ليستريح فقتله شخص ظلمًا، الرّسول ﷺ كان قال له في حياته وهو يتصارع مع سيّدنا عليّ للرّياضة فلوى يد عليّ قال له الرّسول ﷺ: «**إِنَّكَ لَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ**» لمّا تذكّر هذا الزّبير تراجع، رجع تائبًا. =



الملعُونَانِ أُولي الخسرَانِ

صديقُ إبلِيسَ لعنَهُمَا اللهُ

قيل أنّه وقبل أكثر من ألف سنة في المائة الأولى من تاريخ الهجرة، كان رجل يعمل في قصر الحجّاج بن يوسف فرأى جارية تعلّقت نفسه بها، وإنَّه ذات يوم انكبّ من يد رجل زقّ عسل فصار الأطفال يأكلون من هذا العسل، وهم يقولون أخزى الله إبليس، يسبّون إبليس ويأكلون من هذا العسل، فقال هذا الرّجل الّذي يعمل في قصر الحجّاج: «قولوا جزى الله إبليس خيرًا، لأنّه هو السّبب بأكلكم من هذا العسل، ولا تقولوا أخزى الله إبليس» والعياذ بالله فكفر والعياذ بالله، فظهر له إبليس متشكّلًا فقال له: «أنت لك عندي يد بيضاء، معناه لك عندي حقّ بالمكافأة، متى ما أردت لقائي فالعلامة بيني وبينك كذا»، فصار هذا الرّجل معروفًا، صار يقال له صديق إبليس، من كثرة ما تقضى حاجات النّاس على يده بسبب إبليس، ثمّ هذا الرّجل تذكّر ما قال له إبليس فقال أقصد إبليس لأصل إلى هذه البنت، إبليس أعطاه علامة قال له

= والقاسطين[٢] والمارقين[٣]» رواه النّسائي في الخصائص والبزّار والطّبراني، والناكثين أهل الجمل لأنّهم نكثوا بيعته، والقاسطين أهل الشّام لأنّهم جاروا عن الحقّ في عدم بيعته، والمارقين أهل النّهروان لثبوت الخبر الصّحيح فيهم: «أنّهمْ يَمْرُقونَ مِن الدّين كَمَا يَمْرُقُ السّهْمُ مِنَ الرّمِيّة» انتهى بحروفه.

= (٢) القاسطين: أهل صِفّين لأنَّهم جاروا في الحكم عليه وحاربوا عليًّا مع (معاوية).
(٣) المارقين: الخوارج لأنّهم مرقوا من الدّين كما يمرق السّهم من الرّميّة.
قال رسول الله ﷺ عنهم: (أي الخوارج) «**هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ والْخَلِيقَةِ**».

افعل كذا وكذا فَأحضُر، فطلبه فحضر، فشكى له فصار إبليس يحضرها له في اللّيل ثمّ عند الصّباح يردّها إلى قصر الحجّاج، ثمّ الحجّاج ذات ليلة رأى هذه البنت مكتئبة فقال لها: «ما بالك؟»، فقصّت له قصّتها وأخبرته بأنّها تساق في اللّيل إلى بيت رجل فيزني بها ثمّ تعاد، فقال لها الحجّاج إن عاد فأخذك فخذي معك هذا الصّبغ فاصبغي به باب بيته، ففعلت، ثمّ هو أرسل العسكر ليفتّشوا ففتّشوا فوجدوا بيتًا عليه هذا الصِّبغ الخاص، فأخذوا هذا الرّجل إلى الحجّاج، فبينما هو هناك جاء الشّيطان فأخذه، أنقذه من القتل، أخذه في الهواء وغيّبه، لا يُعرَف له بعد ذلك خبر، ولو وجده الحجّاج لقتله، إبليس شكره لهذه، لأنّه نهى الأطفال عن سبّ إبليس وقال لهم هذا العسل بسبب إبليس حصلتم عليه، وقال لهم قولوا: «جزى الله إبليس خيرًا» والعياذ بالله فكفر بهذه الكلمة، بسبب هذه الكلمة صار له عند إبليس منزلة كبيرة، إبليس فرح منه فساعده. لا يُغتَرُّ بالشّخص إذا كان يحصل على يده شفاء للمجانين وأصحاب العاهات، إلّا أن يعرف حاله، إن وجده مستقيمًا بطاعة الله يظنّ به الولاية وإلّا لا يظنّ به الولاية.

بصَبْرِكَ علَى الطّاعَاتِ والابتلَاءَاتِ تنَلْ جنَّاتٍ

التَّمَسُكُ بالصَّبرِ

أوصيكم بالتّمسك بالصّبر، فهذه الدّنيا دار البلاء والمصائب، لا تدوم لأحد ولا تصفو لأحد، وكلّنا معرّضون فيها للبلاء والمصائب كفقد الأحبّة ومن يعزّ علينا، أو فقد مالنا أو أعضائنا، أو نصاب

بأمراض في أجسادنا، فالمؤمن إن أصابته سرّاء ينبغي له أن يشكر الله ويحمَده، وإنْ أصابته ضرّاء فعليه أن يصبر، كثرة البلاء للمؤمن علامة قوّة الإيمان لمن صبر، الأنبياء هم أكثر النّاس بلاء، كثير من الأنبياء قتلهم الكفّار من بني إسرائيل والّذين لم يُقْتَلوا تحمّلوا متاعب كثيرة فما علينا إلاّ التّسليم لله والرّضا بقضاء الله والصّبر على المصاب.

دعاء

يُقالُ عندَ زيارَةِ القبُورِ: «**السّلَامُ علَى أهلِ الدّيارِ منَ المؤمنِينَ والمسلمِينَ، وإنَّا إن شاءَ اللهُ للاحقُونَ**»، ويُقالُ: «**السّلَامُ عليكُم دَارَ قومٍ مؤمنِينَ، وإنَّا إن شاءَ اللهُ بكُم للَاحِقُونَ**»، ويقالُ: «**السّلَامُ على أهلِ الدّيارِ من المؤمنِينَ والمسلمِينَ، يرحَمُ اللهُ المستقدِمِينَ منَّا والمستأخِرِينَ، وإنَّا إن شاءَ اللهُ للاحِقُونَ**»، ويُقالُ: «**السّلَامُ علَيكُم يا أهلَ القبُورِ، يغفرُ اللهُ لنا ولكُم، أنتُم سلَفُنا ونحنُ بالأثرِ**».

الدّرس التاسع والثلاثون

معاصِي الْقلْبِ[١]

بعْد أنْ أنْهى الْمُؤلّفُ رحِمهُ الله تعالى الْكلام على الْواجِباتِ الْقلْبِيّةِ شرع فِي الْكلامِ على الْمعاصِي الْقلْبِيّةِ وبدأ بِمعاصِي الْقلْبِ قبْل باقِي الْمعاصِي لِأنّ الْقلْب أمِيرُ الْجوارِحِ فقال (**فصْلٌ**) فِي بيانِ معاصِي الْقلْبِ (**ومِنْ معاصِي الْقلْبِ الرّياءُ**[٢] **بِأعْمالِ الْبِرّ أيِ الْحسناتِ**) كالزّكاةِ والصّوْمِ وقِراءةِ الْقُرْآنِ (**وهُو الْعملُ**) بِالطّاعةِ (**لأجْلِ النّاسِ أيْ لِيمْدحُوهُ ويُحْبِطُ**) الرّياءُ (**ثوابها**) أيْ ثواب الطّاعةِ الّتِي قارنها (**وهُو مِن الْكبائِرِ**) حفِظنا الله مِنْهُ.

(**والْعُجْبُ بِطاعةِ اللهِ وهُو شُهُودُ الْعِبادةِ**) والأعْمالِ الْحسنةِ الّتِي يفْعلُها (**صادِرةً مِن النّفْسِ غائِبًا عنِ الْمِنّةِ**) أيْ غافِلًا عنْ تذكُّرِ أنّ ذلِك مِنْ فضْلِ اللهِ علَيْهِ ونِعْمتِهِ، (**والشّكُّ فِي**) وُجُودِ (**اللهِ**) أوْ فِي قُدْرتِهِ أوْ عِلْمِهِ أوْ وحْدانِيّتِهِ أوْ فِي غيْرِ ذلِك مِنْ صِفاتِ اللهِ الثّلاث عشْرة الّتِي تقدّم ذِكْرُها عِنْد شرْحِ معْنى شهادةِ لا إِله إِلّا الله وهُو كُفْرٌ، (**والأمْنُ مِنْ مكْرِ اللهِ**) وهُو الِاسْتِرْسالُ فِي الْمعاصِي مع الِاتّكالِ على رحْمةِ اللهِ، (**والْقُنُوطُ مِنْ رحْمةِ اللهِ**) وهُو أنْ يُسِيء الْعبْدُ الظّنّ بِربِّهِ فيظُنّ أنّ الله لا

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**إيّاكُمْ ومُحَقَّراتُ الذُّنُوبِ** (الصّغائر) مُحَقَّراتُ [قال المناوي: أي صغائرها لأنّ صغارها أسباب تؤدّي إلى ارتكاب كبارها] **فإنّمَا مَثَلُ المُحَقَّراتِ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطنَ وادٍ، فَجَاءَ ذا بِعُودٍ وجَاءَ ذا بِعُودٍ، حتَّى حَمَلوا مَا أنْضَجُوا** (النضيج: المطبوخ) **بِهِ خُبْزَهُمْ، وإنَّ مُحَقَّراتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِها صَاحِبُها تُهْلِكُهُ**» رواه أحمد والطّبراني والبيهقيّ.

(٢) قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴿٢٦٤﴾﴾ [سورة البقرة] فالرّياء كالمنّ يذهب ثواب العمل.

يغْفِرُ لهُ وأنّ الله لا محالة سيُعذّبُهُ لِكثْرةِ ذُنُوبِهِ. (**والتّكبُّرُ على عِبادِهِ**) أيْ على عِبادِ اللهِ[١] (**وهُو**) نوْعانِ الأوّلُ (**ردُّ الْحقّ على قائِلِهِ**) لِكوْنِهِ صغِير السّنّ مثلًا مع الْعِلْمِ بِأنّ الصّواب معهُ (**و**) ثانِيهِما (**اسْتِحْقارُ النّاسِ**) أيِ ازْدِراؤُهُمْ لِكوْنِهِ أكْثر مِنْهُمْ مالًا أوْ جاهًا ونحْوِ ذلِك[٢].

(**والْحِقْدُ وهُو إِضْمارُ الْعداوةِ**) لِلْمُسْلِمِ (**إِذا عمِل بِمُقْتضاهُ ولمْ يكْرهْهُ**) وذلِك بِأنْ يعْزِم فِي قلْبِهِ على إِيذائِهِ أوْ يقُول قوْلًا يُؤْذِيهِ أوْ يفْعل فِعْلًا يُؤْذِيهِ بِغيْرِ حقٍّ[٣] (**والْحسدُ وهُو كراهِيةُ النّعْمةِ لِلْمُسْلِمِ واسْتِثْقالُها**) عليْهِ (**وعملٌ بِمُقْتضاهُ**) تصْمِيمًا أوْ قوْلًا أوْ فِعْلًا[٤].

(**والْمنُّ بِالصّدقةِ**) وهُو أنْ يُعدّد نِعْمتهُ على آخِذِها حتّى يكْسِر لهُ قلْبهُ أوْ يذْكُرها لِمنْ لا يُحِبُّ الآخِذُ اطّلاعهُ عليْها (**ويُبْطِلُ**) أيْ يُحْبِطُ الْمنُّ (**ثوابها**) أيِ الصّدقةِ (كأنْ يقُول لِمنْ تصدّق عليْهِ ألمْ أُعْطِك كذا) مِن الْمالِ (**يوْم كذا وكذا**) حِين كُنْت مُحْتاجًا لِيكْسِر قلْبهُ أوْ نحْو ذلِك مِن الْكلامِ الْمُؤْذِي. (**والإِصْرارُ على الذّنْبِ**) وهُو أنْ تغْلِب سيّئاتُهُ طاعاتِهِ فيصِير عددُها أكْبر مِنْ عددِ طاعاتِهِ بِالنّسْبةِ لِما مضى وبِهذا يُعدُّ واقِعًا فِي الْكبِيرةِ.

(**وسُوءُ الظّنّ بِاللهِ**) وهُو مِثْلُ الْقُنُوطِ مِنْ رحْمةِ اللهِ الْمارّ ذِكْرُهُ (**و**)

---

(١) قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة القصص]، معنى الفرحين البطرين أي المتكبّرين.

(٢) قال الشّافعيُّ رحِمهُ الله تعالى: «منْ سَامَ نَفسَهُ فَوقَ ما يُساوِي ردّهُ الله إلى قيمتِهِ» معناهُ يكشِفُهُ، يكشِفُ حقيقتهُ للنّاسِ.

(٣) أمّا مجرد إضمار العداوة للمسلم أي إن كرهه بقلبه فقط ولم يعمل بمقتضى ذلك ولم يتكلّم به فليس حرامًا.

(٤) عندما ينظر الشّخص بعينه نظرة الحسد الشّيطان يدخل في ذلك أو يمسُّه من غير أن يدخل فيه فيحصل المرض بتقديرِ الله. والّذي يصيب بعينه قد يكون طيّبًا ليس خبيث النّفس لكن تلك اللّحظة يحصل منه حسد.

سُوءُ الظّنّ (بِعِبادِ اللهِ) بِغيْرِ قرِينةٍ مُعْتبرةٍ كأنْ يُسْرق لهُ مالٌ فيظُنُّ أنّ السّارِق فُلانٌ بِغيْرِ قرِينةٍ تدُلُّ على ذلِك فهذا لا يجُوزُ.



أوَّلَ الرؤى وازدَانَ حسنًا آتاهُ اللهُ حُكمًا وعِلمًا

سيّدُنا يوسُفُ مع إخوتِه

قال الله تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾[1]. هو يوسف ابن نبيّ الله يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السّلام الّذي أُعطِي شطر الحسن وقد أثنى الله عليه ووصفه بالعفّة والنّزاهة والصّبر والاستقامة. قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٢٤﴾[2]. كما أثنى عليه سيّدنا محمّد ﷺ بقوله: «**إنَّ الكَريمَ ابنَ الكَرِيمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ يُوسُفُ بنُ يَعْقوبَ بنِ إسْحٰق بْنِ إبْراهِيمَ**» رواه البخاري. فلقد كان سيّدنا يعقوب عليه السّلام يحبّ ابنيه يوسف وبنيامين كثيرًا لمّا فيهما من المزايا كحسن الخلق، وكانت هذه المحبّة سببًا في حقد إخوتهما، وسببًا في محنة يوسف الّتي ابتلي بها ونال بها الدّرجات عند الله. أخذه إخوته معهم إلى البرّيّة بعد أنْ وعدوا والدهم أنّهم سيهتمّون به، وما إن غابوا به عن عينيه حتّى انطلقوا به إلى البئر ليطرحوه فيه، فخلعوا قميصه فقال يوسف: «يا إخوتاه لم نزعتم قميصي؟ ردّوه عليّ يكن كفنًا لي في مماتي». جرّدوه من قميصه ورموه

---

(١) سورة يوسف، اية (٤).

(٢) سورة يوسف، اية (٢٤).

في البئر غير عابئين باستغاثاته وبكائه، فكان في البئر ماءٌ فسقط فيه ثمّ أوى إلى صخرة فيها فقام عليها وجعل يبكي، فنادوه فظنّ أنّها رحمة أدركتهم فأجابهم، فأرادوا أن يرجموه بالحجارة فمنعهم أخوه يهوذا، ولمّا ألقوه في قعر البئر ألهمه الله أنّه «لا بدّ من فرج ومخرج من هذه الشدّة والضّيق ولتخبرنّ إخوتك بصنيعهم هذا في وقت يكون لك فيه العزّة والسّيادة عليهم». يقول الله تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾[1]. ألقوه في البئر وأرادوا أن يخفوا جريمتهم لذلك عمدوا إلى جدي من الغنم فذبحوه، ثمّ غمسوا قميص يوسف في دمه ورجعوا إلى أبيهم يعقوب في وقت العشاء يبكون، فلمّا دنوا منه صرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء والعويل، فلمّا سمع يعقوب عليه السّلام صوتهم قال: «ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا لا، قال: فما أصابكم، وأين يوسف؟ قالوا له كاذبين: يا أبانا إنّا ذهبنا للسّباق والرّمي بالسّهام وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذّئب، وأنت لست بمصدّقنا ولو كنّا صادقين». وعندما سمع يعقوب عليه السّلام كلام أبنائه وما ادّعوه بكى وقال لهم: «أين القميص؟» فجاءوا بالقميص وعليه دم كذب وليس فيه خرق، فأخذ يقلّبه وقال لهم متهكمًا: «ما أحلم هذا الذّئب الّذي أكل ابني دون أن يمزّق ثوبه» وقال هذا الكلام تعريضًا بكذبهم وإيذانًا لهم بأنّ صنيعهم ومكرهم هذا لم يمر عليه. ولكنّ أنبياء الله أحبابه لا يعترضون على الله ولا يتسخّطون على الله، فقال يعقوب عليه السّلام: «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون». وحُمِل يوسف عليه السّلام من البئر إلى مصر وتربّى في بيت عزيز مصر، وتمر السّنون وتتوالى الأحداث، وكان

(١) سورة يوسف، ءاية (١٥ - ١٦).

سيّدنا يوسف عليه السّلام قد علّمه الله تأويل الرّؤى أي ما يشاهد الإنسان في منامه، فأُخبر أنّ الملك رأى رؤيا أفزعته فعبّرها له سيّدنا يوسف تعبيرًا دقيقًا، سُرّ الملِكُ من هذا التّعبير وارتفعت مكانة يوسف عليه السّلام عنده فسلّمه خزائن مصر. أتت سنوات القحط وذاع صيت سيّدنا يوسف الموكّل على خزائن الطّعام وانتشرت أخبار عدله ورحمته ورأفته، فأرسل سيّدنا يعقوب أولاده إلى مصر لجلب الطّعام ومعهم الثّمن، فلمّا وصلوا مصر عرفهم يوسف وهم لم يعرفوه ولم يبادل إساءتهم بعقاب لأنَّهُ كما وصفه حبيبنا محمّد صلوات ربّي وسلامه عليه: «**إِنَّه الكَريمُ ابنُ الكريم**» قابلهم بالإحسان والدّعاء لهم، وأرسل يوسف عليه السّلام بقميصه الّذي كان يلبسه ويلتصق بجسده الشّريف مع إخوانه بعدما عرفوه، وطلب منهم أن يحملوه إلى والدهم وأن يضعوه على عينيه، لأنّ يعقوب عَمِيَ من شدّة بكائه على ولده يوسف. وهذا كان لمدّة وليس كلّ حياته فلا يوجد بين الأنبياء فاقد لبصره كلّ عمره لأنّ هذا لا يليق بمنصب النّبوة. وهبّت ريح الصّبا الّتي يتروّح بها كلّ محزون ومكروب، فذهبت بريح يوسف الصدّيق بمشيئة الله وقدرته إلى يعقوب عليه السّلام، وبين يوسف ويعقوب مسافات طويلة ولكنّ الله يقرّب البعيد لمن شاء من عباده، وقبل وصول القافلة بيوم قيل إنّ عزرائيل ملك الموت استأذن ربّه في زيارة يعقوب عليه السّلام فأذن له، فجاءه فسأله يعقوب: «يا ملك الموت أسألك بالّذي خلقك هل قبضت روح ولدي يوسف فيما قبضت من النّفوس؟ قال لا، ولكنّي سأعلّمك كلمات لا تسأل الله شيئًا بها إلّا أعطاك، قل: يا ذا المعروف الّذي لا ينقطع أبدًا ولا يحصيه غيرك فرّج عنّي ما أهمّني». فدعا بها يعقوب في تلك اللّيلة ولم يطلع الفجر إلّا وقد وصلت القافلة، فجاء يهوذا وهو أحد إخوة يوسف مبشّرًا حاملًا قميص يوسف ثمّ وضعه على وجه سيّدنا

يعقوب، فتحقّقت معجزة عظيمة وعاد له بصره، كما كان يرى به ويشاهد ويعاين.



حاذِرَنّ الموبقات هنّ للقلوب داء. . .
الغِلَّ والحسد والضّغينة والبغضاء

نبذُ الحسَدِ والبغضَاءِ

أوصيكم إخواني بالتّحابّ فيما بينكم، فإنّ المسلم إذا أحبّ أخاه وأخوه أحبّه لله لا لغرض دنيويّ ولا لقرابة يكون في ظلّ العرش يوم القيامة، يوم القيامة لا يصيبه حرّ الشّمس. وإيّاكم والحسد والبغضاء، فداء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، وهي الحالقة حالقة الدّين لا حالقة الشّعر.

إنّ الحسد والبغضاء من أمراض القلوب، فإذا ابتلي شخص بمرض من أمراض القلوب ليقل عالجوني ولا تضعوني في المركز الفلاني. أمّا الحسد فهو كراهية النّعمة للمسلم واستثقالها إن لم يكرهه وعمل بمقتضاه.

قال النّبيُّ ﷺ: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمم قبْلَكُمُ الْحَسَدُ وَالْبغْضَاءُ، وَالْبغْضَاءُ هِي الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ ولكِنَّها تحْلِقُ الدِّينَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِما يُثبِتُ ذَاكَ لَكُمْ: أَفْشُوا السَّلَامَ بيْنكُمْ**».



بينَ السَّجْدَتَينِ يُقالُ: «**ربِّ اغفِرْ لي وارحَمْنِي واهدِني وعَافِني وارزُقْنِي**»، وكانَ الرّجُلُ إذَا أسلمَ علّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصّلَاةَ ثمَّ أمرَهُ أن يدعُوَ بهذِهِ الكلمَاتِ: «**اللَّهمَّ اغفِرْ لي وارحَمْنِي واهدِني وعَافِني وارزُقنِي**».



الدّرس الأربعون

(**والتّكْذِيبُ بِالْقدرِ**) وهُو مِنْ معاصِي الْقلْبِ الْمعْدُودةِ مِنْ جُمْلةِ الْمُكفّراتِ وذلِك كأنْ يعْتقِد أنّ شيْئًا أوْ أكْثر قدْ حصّل بِغيْرِ تقْدِيرِ الله (**والْفرحُ بِالْمعْصِيةِ**) الصّادِرةِ (**مِنْهُ أوْ مِنْ غيْرِهِ**) ولوْ لمْ يشْهدْها (**والْغدْرُ ولوْ بِكافِرٍ كأنْ يُؤمّنهُ**) فيقُول لهُ أنْت فِي أمانٍ لنْ أُؤْذِيك. (**ثُمّ**) إذا تمكّن مِنْهُ (**يقْتُلُهُ**) فهذا لا يجُوزُ (**والْمكْرُ**) وهُو إِيقاعُ الضّررِ بِالْمُسْلِمِ بِطرِيقةٍ خفِيّةٍ، (**وبُغْضُ الصّحابةِ**) أيْ كراهِيّتُهُمْ وكذا حُكْمُ سبّهِمْ[1].

(**و**) بُغْضُ (**الآلِ**) ويشْملُ ذلِك أزْواجهُ أُمّهاتِ الْمُؤْمِنِين رضِي الله عنْهُنّ وأقْرِباءهُ كما مرّ، (**و**) بُغْضُ (**الصّالِحِين**) وهُمُ الأتْقِياءُ الّذِين أدّوُا الْواجِباتِ واجْتنبُوا الْمُحرّماتِ، (**والْبُخْلُ بِما أوْجب الله**) كالْبُخْلِ عنْ أداءِ الزّكاةِ، (**و**) بِمعْناهُ (**الشُّحُّ**) إلّا أنّ الشُّحّ يخْتصُّ بِالْبُخْلِ الشّدِيدِ كأنِ امْتنع عنْ أداءِ الزّكاةِ ونفقةِ الزّوْجةِ، (**والْحِرْصُ**) وهُو شِدّةُ تعلُّقِ النّفْسِ لِاحْتِواءِ الْمالِ وجمْعِهِ بِحيْثُ لا يُراعِي مِنْ أيْن يأْتِيهِ أمِنْ حلالٍ أمْ مِنْ حرامٍ ويقْصِدُ بِذلِك التّوصُّل بِهِ إِلى التّرفُّعِ على النّاسِ والتّفاخُرِ وعدمِ بذْلِهِ إِلّا فِي هوى النّفْسِ الْمُحرّمِ عصمنا الله مِنْ ذلِك. (**والِاسْتِهانةُ**) أيْ قِلّةُ الْمُبالاةِ (**بِما عظّم الله**) أيْ بِما أخْبر الله بِأنّهُ عظِيمٌ (**والتّصْغِيرُ**) أيِ التّحْقِيرُ (**لِما عظّم الله مِنْ طاعةٍ**) كقوْلِ بعْضِهِمْ ماذا تنْفعُك الصّلاةُ أوْ قوْلِهِمْ أتُطْعِمُك الصّلاةُ وتكْسُوك (**أوْ**) تصْغِيرُ (**معْصِيةٍ**) كقوْلِ بعْضِ النّاسِ عنْ بعْضِ الْمعاصِي أفْعلُها لا بأْس بِذلِك (**أوْ قُرْآنٍ**) كفِعْلِ

---

(١) وسبُّهم جملةً كُفْرٌ والعياذ بالله تعالى لأنّهم حملة الدّين الذي وصلنا عن طريقهم، نقلوه لنا بأمانة ونشروه بإخلاص والطّعن بهم طعن في الدّين. ومن شتم الخلفاء الرّاشدين الأربعة لا يكفر، وإنْ خالف في ذلك بعض الحنفيّة لأنّ بعضهم قالوا: «سابُّ الشّيخين كافر» (أي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما).

الْحلاّج حِين رآهُ بعْضُهُمْ يكْتُبُ شيْئًا فسألهُ عنْهُ فقال هذا شيْءٌ أُعارِضُ بِهِ الْقُرْآن أيْ أعْملُ مِثْلهُ (أوْ عِلْمٍ) كقوْلِ سيّدِ قُطْبٍ بِأن تعلُّم الْفِقْهِ مضْيعةٌ لِلْعُمُرِ والأجْرِ (أوْ جنّةٍ) كقوْلِ بعْضِهِمْ الْجنّةُ لُعْبةُ الصّبْيانِ (أوْ عذابِ نارٍ) كقوْلِ بعْضِهِمْ جهنّمُ مُسْتشْفى لا محلُّ تعْذِيبٍ.



فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم...

قصةُ آدمَ علَيهِ السّلامُ

أمر الله الملك جبريل أن يأخذَ قبضةً من جميع تراب الأرض، من أبيضها وأسودها، ومما هو بين الأبيض والأسود، ومن سَهلها وقاسيها، ومن طيّبها ورديئها، ومما هو بين ذلك. ومن هذا التّراب خلق الله سيّدنا آدم عليه السّلام، فجاءت أحوال ذرّيته مختلفةً بسبب اختلاف التّراب الّذي خُلق منه. فتجد فيهم الأبيض والأسود ومَن هو بين البياض والسَّواد وتجد فيهم المؤمن والكافر. أخذ الملك عليه السّلام التّراب وصَعِدَ به إلى الجنّة وعُجن بماءٍ من الجنّة، فصار طينًا وجعله الله على صورة سيّدنا آدم. بعد فترةٍ صار الطّين صلصالا أي طينًا يابسًا، ثمّ نُفخت فيه الرّوح فتكلَّم وكان أوّل ما قاله: الحمد لله. وخلق الله تعالى في آدم عليه السّلام المعرفة والإيمان، الله سبحانه ألهمهُ الإيمان في قلبه وعلَّمه بأنَّ له ربًّا خالقًا خلقه وخلق جميع الأشياء، وأنّ هذا الرّبّ هو الّذي يستحقّ أن يُعبد ولا يستحقّ أحدٌ غيره العبادة.

خلق الله لسيّدنا آدم عليه السّلام زوجةً اسمها حواء، خلقها من ضلع آدم الأقصر أي القصير.

وأوّل الرّسل سيّدنا آدم عليه السّلام علَّمه الله تعالى اللّغات من دون دراسةٍ، فكان يتكلَّم بكلامٍ فصيحٍ وليس بالإشارة. علَّمه زرع القمح وصناعة الثّوب وصُنع العُملة الذّهبيّة والفضّيّة. وكان يعرف أسماء كلّ الأشياء، كاسم السّماء والأرض والبحر والهواء. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[1].

سيّدنا آدم عليه السّلام هو أوّل من بنى الكعبة في مكّة. وفي زمانه بُني المسجد الأقصى في فِلسطين، كان سيّدنا آدم جميل الشّكل، وكان طويلًا منتصب القامة، وكان حسن الوجه حسن الصَّوت، وكان يلبس الثّياب لم يكن عاريًا، ولم يكن كالبهائم الّتي تمشي على أربعٍ ولم يكن قبيح المنظر. كان سيّدنا آدم على دين الإسلام، وكذلك كانت حوّاء على دين الإسلام، وكان كلُّ واحدٍ منهما يُحبّ الله ويعبد الله. وكانا يصلّيان ويصومان ويحُجَّان. وكانا من أصحاب الأخلاق الحسنة.

عاش آدم وحواء في الجنّة مدّةً طويلةً من الزّمن، بعد ذلك أنزلهما الله إلى الأرض. رزق الله آدم وحواء أولادًا كثيرين، كلُّهم كانوا على دين الإسلام، ليس فيهم كافر. ثمّ لمّا مات بقيت ذرّيتُهُ على الإسلام وما كانوا يعبدون إلّا الله تعالى، ما كانوا يعبدون شمسًا، ولا قمرًا، ولا شيئًا غير الله تعالى، وبقوا على ذلك ألف سنةٍ أخرى لم يكن فيهم شرك ولا كفر.

---

(١) سورة البقرة، ءاية (٣١).



بِحُسْنِ القولِ والعمل تأدَّب مع الله واخشَاهُ بِوَجَل

الحيَاءُ والخجَل

أوصيكم بالتّمسّك بالحياء المحمود، والاقتداء بخير الخلق محمّد ﷺ الّذي كان أشدّ حياء من العذراء في خدرها، وكان نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السّماء لأنّه كان أكثر النّاس حياءًا وأدبًا مع ربّه سبحانه وتعالى. فإنَّهُ إذا نزع منك الحياء وكنت لا تستحي من الله تعالى ولا تراقبه فصنعت ما تهواه نفسك من الرّذائل فإنّ الله تعالى يجازيك عليه، لأنّ عدم الحياء يجرّ إلى الانهماك في الفحشاء والمنكر والرّذائل والموبقات. أمّا من كان عنده حياء فإنَّهُ ينظر إلى ما يريد أن يفعله، فإن كان ممّا لا يستحى من الله ومن النّاس في فعله لكونه من أفعال الطّاعات أو من جميل الأخلاق والآداب المستحسنة فليصنع منه ما شاء، وإن كان ممّا يستحى من الله ومن النّاس في فعله فليدعه. فإنّ من خلع جلباب الاستحياء يفعل الرّذائل ولا يبالي.



عندَ الانتهَاءِ إلى صَفِّ صلَاةِ الجماعَةِ يقالُ: «**اللَّهمَّ ءاتني أفضَلَ ما تُؤتي عبَادَكَ الصّالِحينَ**». ويقالُ حينَ يسمعُ النِدَاءَ: «**اللَّهمَّ ربَّ هذهِ الدّعوَةِ التّامَّةِ والصّلَاةِ القائمةِ، آتِ محمَّدًا الوسيلَةَ والفضيلَةَ وابعثْهُ مقامًا محمُودًا الّذِي وعَدْتَهُ**».



الدّرس الحادي والأربعون

معاصِي الْجوارِحِ السّبْعةِ

بعْد أنْ أنْهى الْمُؤلّفُ الْكلام على معاصِي الْقلْبِ شرع فِي الْكلامِ على معاصِي الْجوارِحِ السّبْعةِ وبدأ بِالْكلامِ على معاصِي الْبطْنِ فقال (**فصْلٌ**) فِي بيانِ معاصِي الْبطْنِ.

(**ومِنْ معاصِي الْبطْنِ أكْلُ الرّبا**) بِمعْنى الِانْتِفاعِ بِما يصِلُهُ مِنْ طرِيقِهِ طعامًا يأْكُلُهُ أوْ غيْر ذلِك ويشْترِكُ فِي الإِثْمِ آخِذُ الرّبا ودافِعُهُ وكاتِبُه ومنْ يشْهدُ على الْعقْدِ. (**و**) أكْلُ (**الْمكْسِ**) وهُو ما يأْخُذُهُ السّلاطِينُ الظّلمةُ مِنْ تِجاراتِ النّاسِ ونحْوِها بِغيْرِ حقٍّ (**و**) أكْلُ (**الْغصْبِ**) وهُو الِاسْتِيلاءُ على حقّ الْغيْرِ ظُلْمًا اعْتِمادًا على الْقُوّةِ (**و**) أكْلُ (**السّرِقةِ**) وهِي أخْذُ مالِ الْغيْرِ خُفْيةً (**و**) أكْلُ (**كُلّ**) مالٍ (**مأْخُوذٍ بِمُعاملةٍ حرّمها الشّرْعُ**) كبعْضِ الْمُعاملاتِ الّتِي مرّ بيانُها.

(**وشُرْبُ الْخمْرِ**)[1] وهِي الشّرابُ الْمُسْكِرُ أيِ الْمُغيّرُ لِلْعقْلِ مع نشْوةٍ

---

(١) اعلم يا أخي القارئ أنّ الله تبارك وتعالى حرّم الخمرة، فقد روى أبو داود والتّرمذي والنّسائي وابن ماجه أنّ سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: «اللَّهمَّ بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا»، فأنزل الله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴿٢١٩﴾﴾ [سورة البقرة]، قال: اللَّهُمَّ بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النّساء]، فقال: اللَّهُمَّ بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة المائدة]، فقال عمر: انتهينا انتهينا وأراق المسلمون الخمر في شوارع المدينة».

وطربٍ (**وحدُّ شارِبِها أرْبعُون جلْدةً لِلْحُرّ ونِصْفُها**) أيْ عِشْرُون جلْدةً (**لِلرّقِيقِ ولِلإِمامِ الزّيادةُ**) إِلى الثّمانِين (**تعْزِيرًا**) كما فعل سيّدُنا عُمرُ رضِي الله عنْهُ، (**ومِنْها**) أيْ معاصِي الْبطْنِ (**أكْلُ كُلّ**) جامِدٍ (**مُسْكِرٍ**) والإِسْكارُ هُو تغْيِيرُ الْعقْلِ مع النّشْوةِ والطّربِ كما سبق، (**و**) أكْلُ (**كُلّ نجِسٍ**) كالدّمِ السّائِلِ ولحْمِ الْخِنْزِيرِ ولحْمِ الْمِيْتةِ (**و**) أكْلُ كُلّ (**مُسْتقْذرٍ**) ولوْ طاهِرًا كالْمنِيّ والْمُخاطِ، (**وأكْلُ مالِ الْيتِيمِ**) بِغيْرِ حقٍّ والْيتِيمُ هُو منْ تُوُفّي عنْهُ والِدُهُ وهُو دُون الْبُلُوغِ (**أوْ**) أكْلُ مالِ (**الأوْقافِ**) جمْعُ وقْفٍ (**على خِلافِ ما شرط الْواقِفُ**) كأنْ وقف شخْصٌ بيْتًا لِلْفُقراءِ فلا يجُوزُ لِغيْرِهِمْ أنْ يسْكُنُوهُ.

(**و**) أكْلُ (**الْمأْخُوذِ بِوجْهِ الِاسْتِحْياءِ**) كمنْ يطْلُبُ مِنْ شخْصٍ مالًا أمام جمْعٍ حتّى يُعْطِيهُ إِيّاهُ بِطرِيقِ الْحياءِ فيُعْطِيهُ إِيّاهُ (**بِغيْرِ طِيبِ نفْسٍ مِنْهُ**) أي الْمُعْطِي.

رأفةً بالنّفْسِ منَ الحَرِّ فلْنَتَحَرَّ

حُكْمُ الميْتةِ واللّحْمِ المشكوكِ فيهِ

يقول الصّادق المصدوق حبيبنا المصطفى ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ طَيِّبًا وعَمِل بِسُنَّةٍ وأَمِنَ النَّاسُ بَوَائِقَهُ دَخَلَ الجَنَّة**» رواه السّيوطيّ.

لا شكَّ إخوة الإيمان والإسلام أنّ من عمل بهذا الحديثِ النّبويّ الشّريف فقد فاز فوزًا عظيمًا، أمّا قوله عليه الصّلاة والسّلام: «**مَنْ أَكَلَ طَيِّبًا**» يعني من كان مطعمه حلالًا. اللّهمَّ اكفنا بحلالك عن حرامك.

واعلموا رحمكم الله أنّ من الكبائر أكل الميتة وأكل لحم الخنزير وكذا أكل اللّحم المشكوك فيه هل هو مُذكًّى ذكاةً شرعيةً أم لا. يقول الله تعالى في القرءان العظيم ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ[1] وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴿٣﴾﴾[2] الآية.

فالميتة هي كلُّ ما زالتْ حياته من الحيوان بغير ذكاةٍ شرعيّةٍ كُلُّ ما فارق حياته بغير ذكاةٍ شرعيّةٍ.

والذّكاةُ الشّرعيّة هي أن يكون الذّابح مسلمًا أو كتابيًّا وأن يذبح الذّبيحة الحلال كالبقر والغنم ونحوها بآلةٍ حادّةٍ غير الظُّفرِ والعظمِ. وأن يقطع مجرى النّفس ومجرى الطّعامِ والشّرابِ. اللّحمُ أمره مشدّدٌ في شرع الله فلا يجوزُ أكلُهُ إلّا أنْ يعلم أنّه ذُكّي ذكاةً شرعيةً فإنْ شككْت فهو حرامٌ لا يجوز لك أكلُهُ.

فلا تدعْ شهوة الطّعامِ تدفعك إلى الأكل من طعامٍ وُضع فيه لحمٌ لا تدري مِن أين هُو هل ذُكّي ذكاةً شرعيةً أم لا.

---

(١) الله سبحانه وتعالى حرّم اكلَ لحم الخنزير لحِكَمٍ، الخنزير يأكل الميتة (الجيفة) ومخلّفات الحيوانات الأخرى والنّباتات الخامرة.
وفيه نسبة سموم عالية جدًا وديدانٌ خطيرة، تعيش في خلايا الخنزير، وفي ثنايا لحمه، وهذه الدّيدان محصنّةٌ بحيث لو أنَّ هذا اللّحم طُبخ فإنّ هذه اليرقات لا تموت، وهي بذلك ضرر وخطر على صحّة الإنسان وسلامته.
ويكفينا نصّ القرءان قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة البقرة].

(٢) سورة المائدة، ءاية (٣).



سَعيًا لتهذيبِ النَّفسِ تعويدها الرّضَا بالقضا

الرضَى بقضاءِ اللهِ تعالَى

أوصيكم بأن تكونوا من الشّاكرين على النّعماء الرّاضين بالقضاء، فإنّ جمهور النّاس إذا طرقهم المرض اشتغلوا تارّة بالجزع منه والشّكوى، وتارّة بالتّداوي، إلى أن يشتدّ فيشغلهم اشتداده عن الالتفات إلى المصالح من وصيّة أو فعل خير أو تأهّب للموت، فكم للشّخص من ذنوب لا يتوب منها، أو عنده وديعة لا يردّها، أو عليه دين، أو زكاة، أو في ذمّته ظلامة لا يخطر له تداركها، وإنَّما حزنه على فراق الدّنيا، إذ لا همَّ له سواها.

فينبغي للمتيقّظ أن يتأهّب في حال صحّته، قبل هجوم المرض، فربّما ضاق الوقت عن العمل. وليذكر أنّ تشديد البلاء يصيب الأخيار، ولينظر بعين بصيرته وعقله ويذكر عظمة الله الّذي يبتلي، ثمّ يوقن أنّه لا يملك لنفسه شيئًا، وإنَّ مالك الملك العزيز الحكيم يفعل ما يشاء. وليعلم أنّ هذا الواقع وقع بتقدير الله وإرادته. فعن النَّبيّ ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ وإِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**» رواه التّرمذي فيجب أن يرضى بما قدّر الله وشاء، لأنّ الله لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون. وليقل لنفسه إنّما هي ساعة ثمّ كأن لم يكن ما كان، وليتذكّر أمراضًا جرت عليه، فبالغت في ألمه ثمّ ذهبت كأن لم تكن، وإنَّما الاعتبار بالعواقب ومن تأمّل العاقبة هان عليه البلاء.



لتثبيتِ القلبِ على طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ يُقال: «**اللَّهُمَّ يا مُصرِّفَ القلُوبِ صَرِّفْ قلُوبنَا إلى طاعَتِكَ**»، ويُقالُ: «**يا مقلِّبَ القلُوبِ ثبِّتْ قَلبِي على دينِكَ**».



الدّرس الثّاني والأربعون

(**فصْلٌ**) فِي بيانِ معاصِي الْعيْنِ.

(**ومِنْ معاصِي الْعيْنِ النّظرُ**) أيْ نظرُ الرّجالِ (**إلى النّساءِ الأجْنبِيّاتِ بِشهْوةٍ**) أيْ تلذُّذٍ (**إلى الْوجْهِ والْكفّيْنِ**) وأمّا النّظرُ إِليْهما بِلا شهْوةٍ فلا يحْرُمُ لأنّهُما ليْسا بِعوْرةٍ (**و**) يحْرُمُ النّظرُ (**إلى غيْرِهِما**) أي الْوجْهِ والْكفّيْنِ (**مُطْلقًا**) أيْ سواءٌ كان النّظرُ بِشهْوةٍ أمْ لا (**وكذا**) يحْرُمُ (**نظرُهُنّ**) أي النّساءِ (**إِليْهِمْ**) أي الذُّكُورِ الأجانِبِ مُطْلقًا أيْ سواءٌ كان بِشهْوةٍ أمْ لا. (**إِنْ كان**) النّظرُ (**إلى**) الْعوْرةِ وهي (**ما بيْن السُّرّةِ والرُّكْبةِ**) ولا يحْرُمُ نظرهُنّ إِلى ما سِوى ما بيْن السُّرّةِ والرُّكْبةِ إِلاّ أنْ يكُون بِشهْوةٍ، (**و**) يحْرُمُ (**نظرُ الْعوْراتِ**) ولوْ مع اتّحادِ الْجِنْسِ كرجُلٍ ينْظُرُ إِلى ما بيْن السُّرّةِ والرُّكْبةِ مِنْ رجُلٍ آخر وامْرأةٍ تنْظُرُ إِلى ما بيْن السُّرّةِ والرُّكْبةِ مِن امْرأةٍ أُخْرى[1] (**ويحْرُمُ على الرّجُلِ والْمرْأةِ كشْفُ الْعوْرةِ**) أي الْقُبُلِ والدُّبُرِ مِن الرّجُلِ وما بيْن السُّرّةِ والرُّكْبةِ مِنْ غيْرِهِ (**فِي الْخلْوةِ لِغيْرِ حاجةٍ**) وأمّا إِنْ كان ذلِك لِحاجةٍ كتبرُّدٍ جاز (**وحلّ مع الْمحْرمِيّةِ**) كأبٍ مع بِنْتِهِ (**أوِ الْجِنْسِيّةِ**) كرجُلٍ مع رجُلٍ آخر وامْرأةٍ مُسْلِمةٍ مع امْرأةٍ أُخْرى مُسْلِمةٍ (**نظرُ ما عدا ما بيْن السُّرّةِ والرُّكْبةِ إِذا كان**) النّظرُ (**بِغيْرِ**

---

(١) ومِن جملة الأباطيل الّتي تُنسب للشّيخ الهرريّ رحمه الله قولهم «إنّ الشّيخ الحبشي يجيز للرّجال النّظر إلى أي شيء من بدن المرأة الّتي لا تحلّ له».

الرّدّ: كالعادة أيُّها القارئ فإنَّهُم يتعمّدون اقتطاع عبارات الفقهاء، وسوء ظنّهم وفهمهم أوصلهم إلى هذا الحدّ، وذلك لحبّهم بالتّشنيع والافتراءات والفتن وشقّ الصّف الإسلامي، فإنَّهُم لا يهدأ لهم بال حتّى يرون الأمّة تتمزّق، ويَشغلون الأمّة بترّهاتهم وأكاذيبهم عن توحيد الصّف على الحقّ لمجابهة أعداء الإسلام.

أخي المسلم:

لقد ذكر الشّيخ المحدّث العلّامة الهرريّ رحمه الله في كتاب «بغية الطّالب» ما نصّه: «ومن معاصي العين النّظر إلى النّساء الأجنبيّات بشهوةٍ إلى الوجه والكفّين وإلى غيرهما مطلقًا، وكذا نظرهنّ إليهم ونظر العورات» انتهى.

شَهْوةٍ) وإلّا حرُم، (ويحْرُمُ النّظرُ بِالِاسْتِحْقارِ إلى الْمُسْلِمِ) لِكوْنِهِ فقِيرًا مثلًا. (و) يحْرُمُ (النّظرُ فِي بيْتِ الْغيْرِ) إلى ما يتأذّى صاحِبُ الْبيْتِ بِالنّظرِ إلَيْهِ (بِغيْرِ إِذْنِهِ أوِ) النّظرُ إلى (شيْءٍ أخْفاهُ كذلِك) أيْ مِمّا يتأذّى بِنظرِ غيْرِهِ إلَيْهِ بِغيْرِ إِذْنِهِ.

الوعيَ الوعيَ للتُّقى التزام وللوقت اغتنام

ما لِلَّعب خُلقنا

رُوي عن أحد الصّالحين رضي الله عنه أنّه قال بينما أنا ذات يومٍ في بعض شوارع البصرة وإذا بصبْيان يلعبون بالجّوز واللَّوز وإذا بصبيّ ينظر إليهم ويبكي، فقلت هذا الصبّي يتحسّر على ما في أيدي الصّبيان ولا شيء معه فيلعب به، فقلتُ له أَي بُنيّ ما يُبكِيكَ، أشتري لك من الجوز واللّوز ما تلعب به مع الصّبيان فرفع بصره إليّ وقال يا عمّ ما لِلَّعِب خلقنا، فقلتُ أي بني فلماذا خُلقنا، قال للعلم والعبادة، قلت من أينَ لكَ هذا بارك اللهُ فيك، قال من قوله عزّ وجلّ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ قلت له أي بُني إني أراكَ حكيمًا فعظني وأوجِز، فأنشأ يقول:

أرَى الدُّنيا تُجَهَّزُ بانطلاق مُشمِّرَةً على قدَمٍ وساق
فلا الدّنيا بباقيةٍ لحيّ ولا حَيٌّ على الدّنيا بباقي
كأن الموتَ والحَدثان فيها إلى نفس الفتى فرسا سباق
فيا مَغرورُ بالدُّنيا رُوَيدًا ومنها خذ لنفسِكَ بالوثاق

فقام رضي الله تعالى عنه ثمّ رمَقَ السّماءَ بعينهِ وأشارَ إليها بكفّيه ودمُوعه تنحدر على خدّيه وأنشأ يقولُ: يا من إليه المبتهَلْ يا مَنْ عليه المتّكلُ.

قال فلمّا أتمّ كلامه خرّ مغشيًا عليه، فرفعتُ رأسَه إلى حجري ونفضت التّراب عن وجهه بكمّي فلمّا أفاق قلتُ له: أيْ بُنيّ ما نزل بك وأنت صبيّ صغيرٌ لم يُكتب عليك ذنبٌ، قال إليكَ عنّي، إنِّي رأيتُ والدتي تُوقدُ النّار بالحطب الكبار فلا يتّقد لها إلّا بالصّغار وأنا أخشى أن أكون ممّن هو يبلغ على الحرام وموتي على الحرام، فوقع الرّجل على الأرض مغشيًّا عليه، وانصرف الصّبيّ، فلمّا أفقت نظرت إلى الصّبيان فلم أرهُ معهم، فقلتُ لهم مَنْ يكونُ ذلك الغلامُ، قالوا: ما عرفته، قلت: لا، قالوا ذلك من أولاد الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عليهم، فقلت قد عجبتُ من أين تكونُ هذه الثّمرةُ إلا من تلك الشّجرة.

زَلَّات وتتبُّع عورات!!! أَيُّ ذُلٍ تختار... أَلَكَ قدرة على النَّار

التَّجَسُّسُ وتتَبُّع عوراتِ المسلمِينَ

أوصيكم بترك التّجسّس والتّنقيب عن العيوب فيما بينكم، فقد نهى الله تعالى عن التّجسّس على المسلم وعن تتبُّع عورته فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [سورة الحجرات]، فالمسلم الكامل هو الّذي لا يؤذي المسلمين بلسانه ولا بيده، أمّا الّذي يؤذيهم بلسانه أو بيده كالّذي يتتبّع عوراتهم ليفضحهم فهذا آثم. واعلموا أنّ هناك مزيّة كبيرة قلَّ من يعمل بها وهي أن يعامل النّاس كما يحبّ أن يعاملوه، فلا

يؤذيهم ولا يتجسّس عليهم ولا يطَّلِع على ما يكرهون اطّلاعه عليه، وإنْ رأى عورة من عوراتهم سترها ولم يشمت بهم وكان لهم ناصحًا واعظًا. فعن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إيَّاكُمْ والظَّنّ فَإنَّ الظَّنَّ أَكذَبُ الحَدِيثِ وَلا تَحَسَّسُوا وَلا تَجَسَّسُوا وَلا تَنَافَسُوا وَلا تَحَاسَدُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَدَابَرُوا وكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**».

ثمّ المؤمن يهذّب نفسه قبل أن يشتغل بالتّنقيب عن عيوب غيره. فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب النّاس فلم يشتغل بها، فعلى العاقل أن يتدبّر في عيوب نفسه، فإن وجد بها عيبًا اشتغل بإصلاح عيب نفسه فيستحي من أن يترك نفسه ويذمّ غيره. والعيوب منها ما يتعلّق بفعل الشّخص باختياره ومنها ما لا يتعلق باختياره كالخلقة الدّميمة فلا يجوز ذمّه بها.

دعاء

إذا رفع المُصلِّي رأسهُ من الرُّكوع وفي الاعتدال يقولُ: «**سَمِعَ اللهُ لمن حمِدَهُ، ربّنَا لكَ الحمدُ ملءَ السّمٰواتِ وملءَ الأَرضِ وملءَ ما شِئتَ من شَيءٍ بعدُ**»، ويُقالُ: «**اللَّهُمَّ ربَّنا لكَ الحمدُ ملءَ السّمواتِ والأرضِ وملءَ ما شِئتَ من شيءٍ بعدُ، أهل الثّناءِ والمجدِ أحقُّ ما قالَ العبدُ وكلُّنا لكَ عبدٌ، اللَّهمَّ لا مانعَ لمّا أعطيتَ، ولا معطِيَ لمّا منَعْتَ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منكَ الجَدُّ**».

الدّرس الثّالث والأربعون

(**فصْلٌ**) فِي بيانِ معاصِي اللّسانِ.

(**ومِنْ معاصِي اللّسانِ**[١] **الْغِيبةُ وهِي ذِكْرُك أخاك الْمُسْلِم**) صغِيْرًا كان

---

(١) قال الله تعالى ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق]. وقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة النور]. أعلمنا الله بهذه الآية بأنّ علينا ملائكة يكتبون الأفعال والأقوال، لا يقتصرون على كتابة الأقوال فقط، لكنّ الله سبحانه وتعالى ذكر في هذه الآية القول لأنّ أكثر الجوارح عملًا اللّسان، فهو أكثر عملًا من غيره من الجوارح كاليد والرّجل والأذن. فالملكان رقيب وعتيد موكّلان بابن آدم بكل شخص ذكر وأنثى، كاتب للحسنات وكاتب للسّيئات، فإن تاب العبد من السّيئات تمحى، وإن لم يتب تبقى فيجدها في صحائفه يوم القيامة. فيجب على الإنسان حفظ جميع جوارحه ممّا حرّم الله ولا سيّما اللّسان. فقد روى البيهقيّ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ ضَمِنَ لي ما بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَرِجْلَيهِ ضَمِنْتُ لَهُ الجَنَّة**». أي من حفظ ما بين لحييه أي لسانه، وما بين رجليه أي فرجه ضمنت له الجنّة. وهنا أيضًا قدّم الرّسول ﷺ حفظ اللّسان على الفرج لأنّ ذنوب اللّسان قد تزيد أضعافًا مضاعفة على ذنوب الفرج، لذلك قال ﷺ: «**مَنْ صَمَتَ نَجا**» رواه التّرمذي.

وقال صلوات ربّي وسلامه عليه: «**إِنَّكَ لَا تَزَالُ سَالِمًا مَا سَكَتَّ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ كَانَ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**» رواه البيهقيّ. فحفظ اللّسان من أهمّ الأمور لأنّه يساعد على حفظ الدّين والسّلامة من كثير من الآفّات لأنّ كثيرًا من آفّات الدّنيا سببها اللّسان، فعلى الإنسان العاقل أن يخالف هوى النّفس ولا يتكلّم بكلمة حتّى يتفكّر في عاقبة هذا الكلام قبل أن يقوله، فإن علم أنّ نتيجته خير تكلّم به وإلّا سكت عنه وذلك لأنّ كثيرًا من البلايا تأتي من إطلاق اللّسان بلا تحفُّظ إمّا بالمزاح وإمّا في حال الغضب فيُهلك الإنسان نفسه. قوله عليه الصّلاة والسّلام: «**إِنَّكَ لَا تَزَالُ سَالِمًا مَا سَكَتَّ**» أي ما دمت ساكتًا سلمت من شرّ ما يلحقك من الوبال لو نطقت بكلام خبيث. «**فَإِذَا تَكَلَّمْتَ كَانَ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**» أي لمّا تتكلّم فإمّا أن يكون كلامك هذا لك أو عليك أي نفعًا لك أو ضررًا عليك. فمفاد ذلك أنّه ينبغي للإنسان طول الصّمت إلّا من خير فإنّ ذلك يغضب الشّيطان لأنّه يصعب عليه عندئذ أن يوقعه في المهالك، في الكفر أو المعصية الّتي هي دون الكفر. أمّا لو تكلّم كيفما كان فالشّيطان يفرح به لأنّه يسهّل عليه عندئذ أن يوقعه في المهالك. قال رسول الله ﷺ: «**أكثَرُ خَطَايا ابنِ آدم مِنْ لِسَانِهِ**». الطّبراني، المعجم الكبير، (٩/ ٤٥). وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنّه قال: «ما النّجاة يا رسول الله؟ قال: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**» رواه التّرمذيّ وصحّحه.

أوْ كبِيْرًا حيًّا كان أوْ ميّتًا (**بِما يكْرهُهُ**) لوْ سمِع سواءٌ كان مِمّا يتعلّقُ بِبدنِهِ أمْ نسبِهِ أمْ خُلُقِهِ أمْ غيْرِ ذلِك (**مِمّا فِيهِ فِي خلْفِهِ**) فلوْ ذكرهُ بِما ليْس فِيهِ كان بُهْتانًا والْعِياذُ بِاللهِ وهُو أشَدُّ مِن الْغِيبةِ.

(**والنّمِيمةُ وهِي نقْلُ الْقوْلِ**) أيْ نقْلُ قوْلِ بعْضِ النّاسِ إِلى بعْضٍ (**لِلإِفْسادِ**) كأنْ يذْهب إِلى زيْدٍ فيقُول لهُ عمْرٌو قال عنْك كذا ثُمّ يذْهب إِلى عمْرٍو فيقُول لهُ زيْدٌ قال عنْك كذا بِقصْدِ الإِفْسادِ بيْنهُما. (**والتّحْرِيشُ**) بِالْحثّ على فِعْلٍ مُحرّمٍ لإِيقاعِ الْفِتْنةِ بيْن اثْنيْنِ ولوْ كان ذلِك (**مِنْ غيْرِ نقْلِ قوْلٍ**) بلْ بِالْيدِ مثلًا وهذا حرامٌ (**ولوْ بيْن الْبهائِمِ**) كما يفْعلُهُ بعْضُ الْجُهّالِ بيْن كلْبيْنِ أوْ دِيكيْنِ أوْ كبْشيْنِ لا بيْن خِنْزِيريْنِ فلا يحْرُمُ. (**والْكذِبُ وهُو الإِخْبارُ**) بِالشّيْءِ (**بِخِلافِ الْواقِعِ**) مع الْعِلْمِ بِذلِك سواءٌ كان جادًّا أمْ مازِحًا (**والْيمِينُ الْكاذِبةُ**) أيِ الْحلِفُ بِاللهِ أوْ بِصِفةٍ مِنْ صِفاتِهِ على شيْءٍ كذِبًا. (**وألْفاظُ الْقذْفِ**) بِالزّنى واللّواطِ (**وهِي**) ألْفاظٌ (**كثِيرةٌ حاصِلُها كُلُّ كلِمةٍ تنْسُبُ إِنْسانًا أوْ واحِدًا مِنْ قرابتِهِ**) كأُمّهِ وأُخْتِهِ (**إِلى الزّنى**) أوْ نحْوِهِ (**فهِي قذْفٌ لِمنْ نُسِب إِلَيْهِ**) ذلِك والْقذْفُ (**إِمّا**) أنْ يكُون (**صرِيحًا**) بِنِسْبةِ ذلِك إِلَيْهِ كأنْ يقُول فُلانٌ زانٍ أوْ لائِطٌ فيكُونُ هذا الْكلامُ قذْفًا صرِيْحًا (**مُطْلقًا**) أيْ سواءٌ نوى بِهِ الْقذْف أمْ لمْ ينْوِ (**أوْ**) أنْ يكُون (**كِنايةً**) وهُو اللّفْظُ الْمُحْتمِلُ للْقذْفِ وغيْرِهِ وإِنّما يُعدُّ لفْظُ الْكِنايةِ قذْفًا إِذا كان (**بِنِيّةٍ**) أيْ مع النّيّةِ لِذلِك كأنْ يقُول يا خبِيثُ أوْ يا فاجِرُ بِنِيّةِ الْقذْفِ (**ويُحدُّ الْقاذِفُ الْحُرُّ ثمانِين جلْدةً و**) يُحدُّ (**الرّقِيقُ نِصْفها**) أيْ أرْبعِين، (**ومِنْها**) أيْ معاصِي اللّسانِ (**سبُّ**) كُلّ (**الصّحابةِ**)[1] فيكُونُ كُفْرًا أمّا سبُّ فرْدٍ مِنْ أفْرادِهِمْ كأبِي بكْرٍ وعُمر فهُو

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ**» رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة هذا الحديث معناه لا تسبّوهم جملة، سبُّ جميع الصّحابة هو الّذي نهى عنه الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، ليس معناه لا=

كبِيرةٌ. وليْس مِنْ سبّ الصّحابةِ الْقوْلُ فِي مُعاوِية وفِئتِهِ إِنّهُمْ بُغاةٌ لِأنّ هذا مِمّا ورد على لِسانِ رسُولِ الله ﷺ فِي الْحدِيثِ الْمُتواتِرِ ويْح عمّارٍ تقْتُلُهُ الْفِئةُ الْباغِيةُ اهـ رواهُ الْبُخارِيُّ(١).

= تسبّوا أي فرد ممّن صحبني لأنّ منهم مَنْ سبَّهُ (أي ذمَّه) الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، رجل كان يخدم الرّسول ﷺ في الجهاد، كان عبده المملوك، في غزوة من الغزوات سرقَ شملةً أي نوعًا من الثّياب الّتي أخذت من الكفّار غنيمة، ثمّ هذا الرّجل جاءه سهم ليس مقصودًا به فمات، فقال الرّسول ﷺ: «**هُوَ فِي النَّار**» فنظروا في حاله فوجدوه سرق شملة من الغنيمة قبل القسمة، ليس كلّ من صحب الرّسول ﷺ وليًّا تقيًا، فيهم أولياء هم أفضل أولياء البشر لا يأتي مثلهم إلى يوم القيامة كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، من حيث الإجمال يقال أصحاب رسول الله أفضل البشر بعد الأنبياء، السّبّ الّذي نهى الرّسول عنه هو سبّ الصّحابة جملة أو سبّ فرد منهم بغير سبب شرعيّ، أمّا مثل معاوية فيجب بيان أنّه كان ظالمًا حتّى لا يظنّ بعض النّاس من شدّة الجّهل أنّ ما فعله معاوية من الظّلم حقّ، لأجل ذلك نحن نذكر أنّ معاوية كان ظالمًا، قَتَلَ ستّة من الصّحابة من غير سبب شرعيٍّ لمجرّد أنّ الوالي الّذي ولّاه الكوفة كتب فيهم: إن كنت تريد استتباب الأمر لك في العراق فإنّي أوجّه لك هؤلاء، وجه إليه حُجْرَ بنَ عَدِيٍّ هذا الوالي كان يخطب على المنبر يوم الجمعة فأطال الخطبة، الرّسول عليه الصّلاة والسّلام ما كان يحبّ إطالة الخطبة، قال «أطيلوا الصّلاة واقصروا الخطبة» فأخذ هذا الصّحابي حصى من حصى المسجد، المساجد كانت تفرش بالحصى، وقال للوالي: الصّلاة، ما سمع كلامه وتمادى، ثمّ حصبه بحصاة وقال: الصّلاة، لهذا فقط كتب إلى معاوية أن يوجّههم من الكوفة إلى دمشق، فحبسهم معاوية ثمّ قتلهم، وكان حُجْرُ بنُ عَدِيٍّ من جماعة سيّدنا علي، معاوية كان فيه حِقْد على كلّ مَنْ يوالي عليًّا، ثمّ حُجْرُ بنُ عَدِيٍّ لمّا كان في الحبس أصابه احتلام فطلب الماء للغسل، فقال له السّجان: لا لا أعطيك أنا مسؤول عن ماء شربكم، فدعا الله حُجْرُ بنُ عَدِيٍّ فأنزل الله مطرًا لم يتجاوز المكان الّذي كان فيه فاغتسل. معاويةُ قتل خيارًا من التّابعين وخيارًا من الصّحابة وما كان في جيشه تقيّ.

سبُّ الصّحابة جملة كفر، فمن قال: الصّحابة أيُّ فضل لهم؟ مستخفًّا بهم كفر، وكذلك إذا قال: الصّحابة لا يؤتمنون في نقل الشّريعة، لأننا ما عرفنا الشّريعة إلّا بواسطتهم، نحن ما أدركنا الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، من أين كنّا نعرف الشريعة لولاهم؟ فالّذي يُخَوِّنُ الصّحابة جملةً كافر، القرآن من طريقهم وصل إلينا، وأمور الدّين كلها من طريقهم وصلت إلينا، فالّذي يُخَوِّنُهم كافر.

(١) صحيح البخاري، كتاب الصّلاة، باب التعاون في بناء المسجد، (١/ ٩٧).



لِتَكُن بأمان احفظِ اللِّسان
لا يَلدَغَنَّكَ إِنّهُ ثعبان

زين العابدين عليّ ابن الإمام الحسين

الإمام السيّد الورع العالي القدر الرّفيع النّسب سيّدنا زين العابدين عليّ ابن الإمام الحسين ابن الخليفة الرّاشد عليّ رضي الله عنهم على عقيدة النّبيّ وأصحابه وأهل بيته من توحيد الله وتنزيهه عن المكان والحيّزِ والحدّ أي الكمّيّة وعن اللّون، وكان لا يألو جهدًا في تعليم النّاس العقيدة الإسلامية حتّى عند الدّعاء، روى الحافظ محمّد مرتضى الزّبيدي الحسينيّ في كتاب «إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين» بالإسناد المتّصل المتسلسل بطريق أهل البيت أنَّ الإمام زين العابدين رضي الله عنه قال في أثناء دعائه يوم عرفة: «سبحانك لا إلٰه إلا أنتَ لا يحويكَ مكان». وقال أيضًا: «أنت اللهُ الذي لا تُحَدُّ ولا تُحَسُّ ولا تُجَسُّ». وهذا الكلام من الإمام السّجّاد من جواهر التّوحيد، ومعناه أنَّ الله تعالى لا يجوز أن يوصف بالجسم الذي يُجسّ ويُحسّ ولا بأيّ صفة من صفات الخلق وفي كلامه إثبات أنّ اعتقاد العِترة النّبويّة الطّاهرة الذي نقلوه عن جدّهم سيّدنا رسول الله ﷺ تنزيه الله تعالى عن المكان، لأنَّ المكان فراغ تملؤهُ الأجسام تعالى الله عن ذلك.

لُقّبَ بالسَّجَّاد لكثرة سجوده وصلاته وورعه وحُسن عبادته، كان يطيل السّجود في صلاة النّفل، وقيل إنّه كان يسجد في اليوم ألف سجدة يدخل بستانًا فيه خمسمائة نخلة فيسجد مصليًّا خلف كلّ شجرة ركعتين.

جاءه رجل يومًا وهو مع اصحابه في المسجد فما ترك شيئًا إلّا قاله

له وزين العابدين ساكت، فانصرف الرّجل، فلمّا كان اللّيل جاء إلى باب الرّجل فقال له: يا أخي إن كنت صادقًا في ما قلت لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك. وولّى، فتبعه الرّجل فالتزمه من خلفه وبكى حتى أشفق زين العابدين عليه، ثمّ قال: لا جَرَم لا عُدتُ في أمرٍ تكره، فقال له: وأنت في حلّ ممّا قلت لي.

ومرّة أهانه شخص في وجهه فسكت، ما ردّ عليه، ما انتقم منه، فذاك لمّا وجده لا يردّ عليه قال له: «إيّاك أعني» فقال الإمام السّجّاد: «وعنكَ أُغضي»، معناه أنا عمدًا أسكت عنك لا أُعاملك بالمثل، فذلك الرّجل تراجع في نفسه وندِمَ على ما فعل قال في نفسه أنا عاملته بالشّتم والإهانة وهو ما قابلني بالمثل بل أغضى عني فوبَّخ نفسه، لامَ نفسه.

ولا يغتب بعضكم بعضًا...

الغِيبةُ المُحَرَّمَة

أُوصيكم بترك الغيبة المحرّمة، واحذروا أن تكونوا ممّن يتمادون في تهشيم عرض المسلم، فيكثرون الوقيعة فيه أينما ذهبوا أو يتّخذونها عادة لهم، فهؤلاء ذنبهم كذنب أشدّ الرّبا، قال رسول الله ﷺ: «**وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسُ في النَّارِ عَلى وجُوهِهِمْ إلّا حَصَائِد أَلْسِنَتِهِم**». والتّهشيم هو ذكر عيوب المسلم وفضحه عند النّاس والتّمادي في ذلك. وقد نهى الرّسول ﷺ عن ذلك فقال: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ اسْتِطَالَةُ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ**» رواه أبو داود في سننه.

ثمّ النّظر إلى المسلم نظرة احتقار وازدراء حرام. وإذا احتقره لِفَقْرٍ حرام، وإذا احتقره لعاهة في بدنه حرام. فكذلك إذا هشّمه وفضحه بين النّاس حرام، وغيبة الأتقياء من كبائر الذّنوب، وهذا يؤدّي إلى قطيعة وهجر بين الإخوة في الدّين، فمن كان مظلومًا فلا تحمله العصبيّة على فعل ما يغضب ربَّه وليكن وقّافًا عند حدود الله، وقّافًا عند كتاب الله، ساترًا لعيوب المسلمين، محسنًا للمسيء منهم إليه.

دعاء

في الرُّكوعِ والسُّجودِ يُقالُ: «**سُبحَانَكَ اللَّهمَّ ربَّنا وبحَمدِكَ، اللَّهمَّ اغفِرْ لي**»، ويُقالُ: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، ربُّ الملائكَةِ والرُّوحِ**»، وفي الركوعِ يُقالُ: «**اللَّهُمَّ لكَ ركَعْتُ، وبِكَ آمنْتُ، ولكَ أسلَمْتُ، خشَعَ لكَ سَمْعِي وبَصَرِي ومُخِّي وعَظْمِي وعَصَبِي**».

الدّرس الرابع والأربعون

(**وشهادةُ الزُّورِ**) أيْ أنْ يشْهد على شيْءٍ كاذِبًا وهِي مِن الْكبائِرِ، (**ومطْلُ الْغنِيّ أيْ تأْخِيرُ دفْعِ الدّيْنِ**) والْمُماطلةُ بِهِ بعْد أنْ طالبهُ الدّائِنُ بِأدائِهِ (**مع غِناهُ أيْ مقْدِرتِهِ**) على الدّفْعِ (**والشّتْمُ**) لِلْمُسْلِمِ أيْ سبُّهُ ظُلْمًا (**و**) كذلِك (**اللّعْنُ**) كأنْ يقُول لِمُسْلِمٍ لعنك الله واللّعْنُ هُو الْبُعْدُ مِن الْخيْرِ.

أي ذنبه عظيم يُشبه ذنب الّذي يقتل مسلمًا ظلمًا هذا إذا كان المسلم تقيًّا[1]، كبني أميّة الّذين كانوا يلعنون سيّدنا عليًّا على المنابر بإشارة معاوية، هو معاوية فتح هذا الطّريق للنّاس، كان يقول لبعض النّاس: ما يمنعُك أن تسبّ أبا تُراب؟ يعني ما يمنعك أن تسبّ عليًّا، هذا اللّعن الّذي قال الرّسول ﷺ فيه: «**لَعْنُ الْمُسْلِمِ كَقَتْلِهِ**» رواه ابن حبّان.

فائدةٌ مهمَّةٌ: ليس مراد النّبيّ لعن إنسانٍ فاسق، المسلم الفاسق يجوز لعنه إذا كان لزجره ليكُفّ عن هذا الأمر الّذي فيه من المعصية، أو ليحذره النّاس حتَّى لا يتّبعوه، حتَّى لا ينساقوا في مثل هذه المعصية الّتي يتّصف بها هذا الإنسان المسلم الفاسق، بهذه النّيّة يجوز.

الإمام أحمد رضيَ اللهُ عنهُ قال: «يجوز لعن يزيد»، يزيد بن معاوية هذا الّذي ظَلَمَ أهل المدينة لمّا رفضوا مبايعته، أرسل إليهم جيشًا قال: (اضربوهم ولكم ثلاثة أيّام تفعلون ما تشاؤون، تزنون بالبنات بمدينة النّبيّ، تزنون، تنهبون المال، تقتلون، افعلوا ما تشاؤون لكم ثلاثة أيّام)، دخل جيشه المدينة المنوّرة وفعلوا تلك الأفاعيل الخبيثة، يوجد

---

(١) هذا معنى الحديث: «**لَعنُ المُسلمِ كَقَتْلِهِ**».

الآن مكان يُقال له الشّهداء دُفن فيه من قُتلوا ذلك اليوم من تلك الأيّام الثّلاثة، ثمّ هذا الّذي فعل هذا وهو سائر إلى مكّة الله تعالى أماته، ويزيد بعد ذلك ما عاش إلاّ قليلًا قصمه الله تعالى، قصم الّذي باشر هذا بأمر يزيد وقصم يزيدًا، ظُلْمُ بني أميّة ليس شيئًا هيّنًا، الرّسول ﷺ دعا على من عمل مُحدثًا في المدينة أو آوى مُحدثًا[1] حماه من أن يؤخذ منه الحقُّ الشّرعي قال: «**فَمَنْ أَحْدَثَ منها حَدَثًا، أَوْ آوى مُحْدِثًا فَعَلَيْه لَعْنَةُ الله وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين**» أمر هيّن؟! لا ليس هيّنًا ظُلْمُ بني أميّة ابتداء من معاوية! هذا الحديث «**لَعْنُ المُسْلِمِ كَقَتْلِهِ**» ينطبق على معاوية ومن مشى على طريقته، الحديث رواه ابن حبّان.

(**والِاسْتِهْزاءُ بِالْمُسْلِمِ**) بِمعْنى التحْقِيرِ لهُ (**وكُلُّ كلامٍ مُؤْذٍ**) يُقالُ (**لهُ**) أيْ لِلْمُسْلِمِ بِغيْرِ حقٍّ، (**والْكذِبُ على اللهِ و**) الْكذِبُ (**على رسُولِهِ**)[2] وقدْ يكُونُ ذلِك كُفْرًا والْعِياذُ بِاللهِ كأنْ ينْسُب إلى اللهِ أوْ إلى رسُولِهِ ﷺ تحْرِيْم ما علِم حِلّهُ. كبعض الفِرَق أيُّ فرقة الشاذة الّتي تكذب على الله وعلى الرّسول وعلى الشريعة.

اعترض الذّئبُ الجّوّال على تفسير الحديث: «مَنْ رَآنِي فِي المَنَام فَسَيَراني في اليَقَظَة» رواه البخاري، أي في الدّنيا.

وللبيان نقول إنّ معنى قول رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَآنِي في المَنَامْ فَسَيَراني في اليَقَظَةِ**»، ما قاله أهل العلم: «إنّ رؤيته ﷺ في المنام فيها بشرى كبيرة للرّائي، وهي أنّه لابدّ أن يراه في اليقظة»، قال بعض العلماء: «يعني باليقظة أي الآخرة»، وهذا التّفسير لم يوافق عليه البعض الآخر فقالوا رؤيته ﷺ في الآخرة تحصُل لمن مات على دينه

---

(١) أي ارتكب جناية.

(٢) ما يروى في الحديث أنّ المؤمن لا يكذب فهذا ما ثبت.

إن كان رآه فى الدّنيا في المنام وإن لم يكن رآه في المنام، فإذًا ما مزيّة الّذي رآه في الدّنيا في المنام الّذي وُعد أنّه يراه في اليقظة؟ ما هي هذه الرّؤيا؟ فاختاروا بأنّها في هذه الدّنيا قبل أن يفارق الدّنيا، ولا يعني ذلك دخوله في تعداد الصّحابة كما لا يعني دخول الأنبياء الّذين التقى بهم النّبيّ في المسجد الأقصى في تعداد الصّحابة.

(**والدّعْوى الْباطِلةُ**) بأنْ يدّعِي على شخْصٍ ما ليْس لهُ اعْتِمادًا على شهادةِ الزُّورِ مثلًا، (**والطّلاقُ الْبِدْعِيُّ وهُو ما**) أيِ الطّلاقُ الّذِي (**كان**) أيْ حصّل مِن الزّوْجِ (**فِي حالِ الْحيْضِ**) أيْ فِي حالِ كوْنِ زوْجتِهِ حائِضًا (**أوِ**) الطّلاقُ الْحاصِلُ مِنْهُ (**فِي طُهْرٍ جامع فِيهِ**) زوْجتهُ (**والظّهارُ وهُو أنْ يقُول**) الرّجُلُ (**لِزوْجتِهِ أنْتِ علىّ كظهْرِ أُمّي**) أوْ بطْنِها أوْ يدِها (**أيْ لا أُجامِعُكِ**) كما لا أُجامِعُ أُمّي وهُو مِن الْكبائِرِ لِما فِيهِ مِن الإِيذاءِ لِلزّوْجةِ (**وفِيهِ كفّارةٌ**) على الزّوْجِ (**إِنْ لمْ يُطلّقْ بعْدهُ**) أيْ بعْد الظّهارِ (**فوْرًا و**) كفّارتُهُ (**هِي عِتْقُ رقبةٍ**) عبْدٍ أوْ أمةٍ (**مُؤْمِنةٍ سلِيمةٍ**) عمّا يُخِلُّ بِالْكسْبِ والْعملِ إِخْلالًا بيّنًا (**فإِنْ عجز**) عنِ الإِعْتاقِ (**صام شهْريْنِ**) هِلالِيّيْنِ (**مُتتابِعيْنِ**) وُجُوبًا وينْقطِعُ التّتابُعُ بيوْمٍ (**فإِنْ عجز**) أيْضًا عنِ الصّيامِ (**أطْعم سِتّين مِسْكِينًا**) أوْ فقِيرًا (سِتّين مُدًّا) كُلّ مِسْكِينٍ أوْ فقِيرٍ مُدًّا مِمّا يصِحُّ دفْعُهُ عنْ زكاةِ الْفِطْرةِ. (**ومِنْها**) أيْ ومِنْ معاصِي اللّسانِ (**اللّحْنُ**) أي مُخالفةُ الصّوابِ (**فِي**) قِراءةِ (**الْقُرْءانِ بِما يُخِلُّ بِالْمعْنى أوْ**) بِما يُخِلُّ (**بِالإِعْرابِ**) فهُو حرامٌ أيْضًا (**وإِنْ لمْ يُخِلّ بِالْمعْنى**) ولا بُدّ لِكُلّ مُسْلِمٍ مِنْ قِراءةِ الْفاتِحةِ فِي الصّلاةِ على الصّحّةِ. (**والسُّؤالُ لِلْغنِيّ**) أيِ لِلشّخْصِ الْمُكْتفِي (**بِمالٍ**) بِأنْ كان مالِكًا ما يكْفِيهِ لِحاجاتِهِ الأصْلِيّةِ (**أوْ**) كان قادِرًا على تحْصِيلِ ذلِك بِسببِ (**حِرْفةٍ**) كسْبُها حلالٌ، (**والنّذْرُ بِقصْدِ حِرْمانِ الْوارِثِ**) مِن التّرِكةِ وهُو نذْرٌ باطِلٌ (**وترْكُ الْوصِيّةِ**) بِأنْ لا يُعْلِم أحدًا (**بِدينٍ**) واجِبٍ عليْهِ لِغيْرِهِ (**أوْ عيْنٍ**) لِغيْرِهِ موْجُودةٍ عِنْدهُ

بِطريقِ الْوديعةِ أوْ نحْوِها إنْ خاف ضياع الدّيْنِ أوِ الْعيْنِ بِموْتِهِ مثلًا لمرضٍ مخُوفٍ أصابهُ حالة كوْنِ كُلٍّ مِنْهُما (**لا يعْلمُهُما غيْرُهُ**) فإنْ علِم بِذلِك غيْرُهُ مِمّنْ يثْبُتُ الْحقُّ بِقوْلِهِ ولا يُخْشى أنْ يكْتُمهُ كوارِثٍ كانتْ حِينئِذٍ منْدُوبةً (**والِانْتِماءُ**) أيْ وأنْ ينْتمِي الْولدُ (**إلى غيْرِ أبِيهِ أوْ**) أنْ ينْتمِي الْمُعْتقُ بوزْنِ الْمفْعُولِ (**إلى غيْرِ موالِيهِ**) الّذِين أعْتقُوهُ، (**والْخِطْبةُ على خِطْبةِ أخِيهِ**) فِي الإِسْلامِ أيْ أنْ يخْطُب الرّجُلُ امْرأةً كان قدْ سبقهُ مُسْلِمٌ بِخِطْبتِها وأُجِيب بِالْقبُولِ مِمّنْ يُعْتبرُ قبُولُهُ مِنْ غيْرِ إِذْنِ الْخاطِبِ الأوّلِ وقبْل إِعْراضِهِ (**والْفتْوى**) بِمسائِلِ الدّينِ (**بِغيْرِ عِلْمٍ**) بِذلِك.

مسألةٌ مهمّةٌ: فقد روينا بالإسناد المتّصل في معجم الطّبرانيّ الكبير أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يا أيُّها النّاس تَعَلّمُوا فَإِنَّما العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَالفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ**» في هذا الحديث الصّحيح وجوب تعلّم العلم من أهل الثّقة والمعرفة، أمّا مطالعة الرّجل بنفسه في الكتب في المؤلّفات في التّفاسير، في كتب السّيرة وغير ذلك، فهذا ليس من سبيل التّعلّم الّذي أمرنا رسول الله ﷺ به.

إنّما التّعلّم هو تلقّي العلم من أفواه أهل المعرفة الّذين تلقّوا ممّن قبلهم حتّى ينتهي التّسلسل في التّلقّي إلى أصحاب رسول الله إلى رسول الله ﷺ، الرّسول عليه الصلاة والسّلام تلقّى العلم من جبريل، الله تعالى يقول: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾[1] الرّسول ما أخذ علم الدّين الّذي علّمه أصحابه بالتّفكير ولا بمذاكرة أُناسٍ من أهل الكتاب الّذين هم يهود أو نصارى لا، إنّما أخذ العلم بالوحي من الله، من جبريل تلقّى، وجبريل من الله تبارك وتعالى تلقّى.

---

(١) سورة النجم، ءاية (٥ - ٦).

(وتعْلِيمُ) أيْ أنْ يُعلّم غيْرهُ (وتعلُّمُ) أيْ أنْ يتعلّم هُو (كُلّ عِلْمٍ مُضِرٍّ) شرْعًا كعِلْمِ السّحْرِ والشّعْوذةِ (لِغيْرِ سببٍ شرْعِيٍّ) يُبِيحُ لهُ ذلِك.



إِذا دَعَتْكَ قُدرتُك لِظُلمِ النّاسِ تذَكَّر قُدرَةَ اللهِ عَلَيك

دعوةُ المظلوم

حُكيَ أَنَّ امرأةً صالحةً كان لها دارٌ بجوار قصر المَلِك. وكانت هذه الدّارُ تُشينُ ذلك القصر - أي تؤثر على هيئة القصر وبهائِهِ. وكلّما رَامَ المَلِك (أي طَلبَ) منها أن تبيع الدّار أبت أن تبيعها منه. فخرجت المرأة ذات يوم في سفرٍ فأمر الملك بهدم الدّار. فلمّا جاءت المرأةُ من السّفرِ قالت: مَنْ هَدَمَ داري؟ فقيل لها: المَلِكْ. فرفعت طَرفَهَا ويَديهَا إلى السّمَاءِ وقالت: «إِلَهي ومولاي ربَّ العالمَين أنا الضّعيفَةُ وأَنتَ القاهِرُ وللضّعيفِ معينٌ وللمظلومِ نَاصِر». ثم جلست فخرج المَلِك في مَوكِبِهِ فلمّا نَظَرَ إِلَيهَا قال لها: مَا تَنتظِرين؟ قالت: أنتظرُ خرابَ قَصرِكَ، فهزأ بقولها وضحك منها. فلما جُنَّ عليه اللّيلُ خُسِفَ بِهِ وَبِقَصرِهِ، ووُجِدَ عَلَى بعض حيطان القصر مكتوبٌ هذه الأبيات:

أتــهــزأُ بــالــدّعــاءِ وَتَــزدَريــهِ وَمَا يُـدريـكَ ما صَـنَـعَ الـدُعـاءُ
سِهَامُ الـلـيـلِ لا تُـخـطي ولـكِـن لـهـا أمـدٌ ولـلأمَـدِ انـقـضـاءُ
وَقَـد شَـاءَ الإِلَـهُ بِـمَـا تَـرَاهُ فَـمَـا لِـلـمُـلـكِ عِـنـدَكُـم بَـقـاءُ

وقد قيل إنّه لَمَّا حُبِسَ خالد بن برمك وولده قال: يا أبتي بعد العزّ صرنا في القيد والحبس فقال: يا بنيّ دعوة المظلوم برت بليل غفلنا عنها، ولم يغفل الله عنها والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا

عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة إبراهيم]. وكان يزيد بن حكيم يقول: ما هبتُ أحدًا قط هيبتي رجلًا ظلمته، وأنا أعلم أنّه لا ناصر له إلّا الله يقول لي «حسبي الله»، فما أقبح الظّلم وما أشنعه وسيعلم الظّلّام غدًا أي منقلب ينقلبون، في يوم تشيب فيه رؤوس الولدان.

نِعْمَ الثَّوبُ التُّقَى إذا انسَدَلَ علَى البدَنِ

طاعَةُ اللهِ تعَالَى
ورسولِهِ عليهِ الصَّلَاةُ والسّلَامُ

أُوصيكم بطاعة الله تعالى ورسوله عليه الصّلاة والسّلام، فإنّ طاعة الله ورسوله واجبة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة المائدة] والله جعل علامة حبّه هو اتّباع الرّسول ﷺ اتباعًا كاملًا. فمن آمن بسيّدنا محمّد ﷺ فهو مؤمن ومن كذّبه فهو كافر. فمن اتّبع الرّسول ﷺ اتّباعًا كاملًا فاز وسعد بمحبّة الله تعالى وأنعم بها من محبّة. قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾ [سورة النّساء].

ثمّ إن كنتم تحبّون الله، فافعلوا ما أمركم به، فإنّ علامة محبّة العبد لله والرّسول ﷺ طاعته لله ورسوله عليه الصّلاة والسّلام، ورضاه بما أمر الله به، فالمحبّة من العبد طاعة، والمحبّ من شأنه أنّه لا يخالف حبيبه. وإذا أحبّ الله العبد حفظه من مخالفة أمره ونهيه ووفّقه.



يُقال في دبر أي عقب الصّلاة المكتوبة بعد السّلام: «**اللَّهُمَّ اغفِرْ لي ما قدَّمْتُ ومَا أخَّرْتُ، وما أسرَرْتُ ومَا أعلَنْتُ، ومَا أَسْرَفْتُ وما أنتَ أعلَمُ بهِ منِّي، أنتَ المقدِّمُ وأنتَ المؤخِّرُ لا إلٰهَ إلّا أنتَ**»، **ويُقَالُ: ثلَاثًا وثلَاثِينَ تسبيحَةً، وثلاثًا وثَلَاثِينَ تحميدَةً، وثلَاثًا وثلَاثِينَ تكبيرَةً، ويُقَالُ بعدَ تمامِ المائَةِ: «لا إلٰهَ إلّا اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، له المُلكُ ولهُ الحمدُ وهوَ علَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ»**.



الدّرس الخامس والأربعون

(**والْحُكْمُ بِغيْرِ حُكْمِ اللهِ**) وشرْعِهِ الّذِي أنْزلهُ على رسُولِهِ ﷺ فإنْ قرن ذلِك بِجحْدِ حُكْمِ اللهِ أوْ تفْضِيلِ غيْرِهِ عليْهِ أوْ مُساواتِهِ بِهِ كان كُفْرًا والْعِياذُ بِاللهِ وإلّا فهُو كبِيرةٌ.

بعض النّاس يفترون على الشّيخ عبد الله الهرريّ الحبشي فيقولون: «إنّ الحبشيّ يشجّع على الحكم بغير ما أنزل الله»، ونسب ذلك إلى كتاب «البغية»[١].

ولبيان كذب هؤلاء نقول: يقول المحدّث الشّيخ عبد الله الهرريّ في كتابه «بغية الطّالب»[٢] ما نصّه: «من معاصي اللّسان الحكم بغير حكم الله أي بغير شرعه الّذي أنزله على نبيّه، قال الله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ ﴿٥٠﴾﴾[٣] الآية، فالحكم بغير ما أنزل الله من الكبائر إجماعًا» انتهى بحروفه.

نعم ولكننا لا نرى استحلال دماء رجال الحكومات والأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ لمجرّد حكمهم بالقانون كما ترون يا أحفاد الخوارج.

وقد قال رسول الله ﷺ في الخوارج: «**يَأْتي في ءاخِرِ الزَّمانِ قَوْمٌ حُدَثاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَولِ البَرِيّةِ، يَمْرُقُونَ مِن الإِسْلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةَ**». وقال أيضًا: «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيامِهِمْ، يَقْرَؤونَ القرءانَ لا يُجاوِزُ**

---

(١) البغية (ص٢٨٦).
(٢) بغية الطّالب (ص٣٨٥).
(٣) سورة المائدة، ءاية (٥٠).

تَراقيَهُمْ، يَمْرِقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرِقُ السَّهمُ من الرَّمِيّةِ» رواهما البخاريّ.

(**والنّدْبُ**) وهُو ذِكْرُ محاسِنِ الْميّتِ بِرفْعِ الصّوْتِ بِنحْوِ قوْلِ واكهْفاهُ أوْ واجبلاهُ أوْ يا سنِدِي (**والنّياحةُ**) وهِي الصّياحُ على صُورةِ الْجزعِ لِمُصِيبةِ الْموْتِ مُخْتارًا. (**و**) يحْرُمُ أيْضًا (**كُلُّ قوْلٍ يحُثُّ على**) فِعْلِ شيْءٍ (**مُحرّمٍ**) كقوْلِ شخْصٍ لِآخر اضْرِبْ زيْدًا أوِ اقْتُلْهُ بِغيْرِ حقٍّ (**أوْ يُفتّرُ عنْ**) فِعْلِ شيْءٍ (**واجِبٍ**) كقوْلِ لا تُصلّ الآن بلْ صلّ الصّلاة فِي بيْتِك قضاءً بعْد خُرُوجِ وقْتِها. (**وكُلُّ كلامٍ يقْدحُ فِي الدّينِ**) أيْ فِيهِ ذمٌّ لِلدّينِ وطعْنٌ فِيهِ كقوْلِ بعْضِهِمْ والْعِياذُ بِاللهِ مِن الْكُفْرِ تعلُّمُ الدّينِ يجْعلُ الشّخْص مُعقّدًا (**أوْ**) يقْدحُ (**فِي أحدٍ مِن الأنْبِياءِ**) كقوْلِ بعْضِهِمْ عنْ يُوسُف علَيْهِ السّلامُ إنّهُ عزم على الزّنى والْعِياذُ بِاللهِ (**أوْ**) يقْدحُ (**فِي الْعُلماءِ**) كإِطْلاقِ بعْضِهِمُ الْقوْل بِأنّ الْعُلماء عقّدُوا الدّين (**أوْ**) يقْدحُ فِي (**الْقُرْءانِ**) كمنْ يُكذّبُ شيْئًا مِمّا ورد فِيهِ (**أوْ**) يقْدحُ (**فِي شيْءٍ مِنْ شعائِرِ**) دِينِ (**اللهِ**) كالصّلاةِ والزّكاةِ والأذانِ والْوُضُوءِ ونحْوِها. (**ومِنْها**) أيْ ومِنْ معاصِي اللّسانِ (**التّزْمِيرُ**) وهُو النّفْخُ بِالْمِزْمارِ، (**والسُّكُوتُ عنِ الأمْرِ بِالْمعْرُوفِ والنّهْيِ عنِ الْمُنْكرِ بِغيْرِ عُذْرٍ**) بِأنْ كان قادِرًا على ذلِك ءامِنًا على نفْسِهِ ونحْوِ مالِهِ ولمْ يفْعلْ إلّا أنّهُ إذا اعْتقد أنّ إِنْكارهُ بِالْيدِ أوِ اللّسانِ يُؤدّي إلى مفْسدةٍ أعْظم فلَيْس لهُ أنْ يُنْكِر حِينئِذٍ بِأيٍّ مِنْهُما (**وكتْمُ الْعِلْمِ الْواجِبِ**) علَيْك عيْنًا تعْلِيمُهُ (**مع وُجُودِ الطّالِبِ**) لِذلِك الْعِلْمِ[1] (**والضّحِكُ**) على مُسْلِمٍ (**لِخُرُوجِ الرّيحِ**) مِنْهُ (**أوِ**) الضّحِكُ (**على مُسْلِمٍ اسْتِحْقارًا لهُ**) لِكوْنِهِ أقلّ جاهًا مِن الضّاحِكِ ونحْوُ ذلِك. (**وكتْمُ**

(١) قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لا يزالُ النّاسُ بِخَيْرٍ ما أَخَذُوا العِلْمَ عَن أَكابِرِهِم وَعَن أُمَنَائِهِم وَعُلَمَائِهِم، فإذا أَخَذُوهُ عَنْ أَصَاغِرِهِم وشِرارِهِم هَلَكوا». المناويّ، فيض القدير، (٣/ ٢٤).

الشّهادةِ) بِلا عُذْرٍ بعْد أنْ دُعِي إِلَيْها (**وترْكُ ردّ السّلامِ الْواجِبِ عليْك**) ردُّهُ كأنْ سلّم مُسْلِمٌ مُكلّفٌ على مُسْلِمٍ مُعيّنٍ مع اتّحادِ الْجِنْسِ وجب عليْهِ ردُّ السّلامِ (**وتحْرُمُ الْقُبْلةُ لِلْحاجّ والْمُعْتمِرِ**) أيْ لِلْمُحْرِمِ بِالْحجّ والْعُمْرةِ إِذا كانتِ الْقُبْلةُ (**بِشهْوةٍ و**) تحْرُمُ الْقُبْلةُ أيْضًا (**لِصائِمٍ فرْضًا**) مِنْ رمضان أوْ نذْرٍ أوْ كفّارةٍ (**إِنْ خشِي الإِنْزال**) أيْ إِنْزال الْمنِيّ بِسببِ الْقُبْلةِ (**و**) تحْرُمُ قُبْلةُ (**منْ لا تحِلُّ قُبْلتُهُ**) كالأجْنبِيّةِ.



بِحُسْنِ الأخلَاقِ التَّشَرُّف

حُسْنُ التَّصَرُّف

كان الفاروق عمر بن الخطّاب رضيَ اللهُ عنهُ جالسًا ذات يوم مع بعض أصحابه، وكان فيهم جرير بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُ، فشمَّ عمرُ ريحًا كريهة، فقال: «عزمت على صاحب هذا الرّيح أن يقوم فليتوضّأ».

لكنّ جريرًا رضيَ اللهُ عنهُ أراد ألّا يتعرّض من أخرج الرّيح للحرج، وفضّل أن يقوم الجالسون جميعًا ليتوضّؤوا، فقال: «يا أمير المؤمنين، أو يتوضّأ القوم جميعًا». فأعجب عمر رضيَ اللهُ عنهُ بحكمة جرير رضيَ اللهُ عنهُ وفطنته، وقال له: «رحمك الله، نعم السّيّد كنت في الجاهليّة، ونعم السّيّد أنت في الإسلام»[1].

---

(١) القصّة بمعناها عند السيوطي، جامع الأحاديث، (٢٦/ ٢٦٧).



إِيَّاكَ الزَّيغَ وأسبابَ النَّدَم
تَفْنَى اللَّذَاذَةُ ولا تدُومُ النِّعَمُ

الأَمرُ بالمعرُوفِ والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ

أوصيكم بأن تكونوا من الآمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر المخلصين لله تعالى، كما كانت سيرة العلماء العاملين وعادتهم في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وقلّة مبالاتهم بسطوة السّلاطين، لأنّهم توكّلوا على الله تعالى حقّ توكّله فهو يحفظهم، فلمّا أخلصوا لله النّيّة أثّر كلامهم في القلوب القاسية فليّنها، وأزال قساوتها، وقد أمرنا الله تعالى بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة ءال عمران]. فالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أمر عظيم في ديننا الحنيف، وهو الّذي بعث الله به النّبيّين أجمعين.

ولنتأمّل قول الرّسول ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا قَدْرَهُ**» السّيوطي، ثمّ إنّ أول ما يُنكر أكبر المنكرات وأقبحها وأشدّها وهو الكفر والعياذ بالله تعالى، الكفر الاعتقاديّ واللّفظيّ والفعليّ. لأنّه وللأسف فشا الكفر بين النّاس وقلّ من يحذّر من الكفر. ولقد شاعت في كثير من البلاد كلمات كفريّة صريحة فلا يجوز السّكوت عن النّهي عنها، بل النّهي عنها أولى من النّهي عن الزّنى، وكثير من الخطباء ينهون عن السّفور والسّينما ولم نسمع من أحد من الخطباء ينهى عن

الكلمات الكفريّة إلّا النّادر القليل. فلا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

دعاء

عندَ استفتَاح الصّلَاةِ يقَالُ: «**سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ وبحَمْدِكَ تبارَكَ اسمُكَ، وتعَالَى جدُّك**[1] **ولا إلَهَ غيرُكَ**».

(١) جدك: عظمتك (لسان العرب).

الدّرس السادس والأربعون

(فصل) فِي بيانِ معاصِي الأُذُنِ[١].

(ومِنْ معاصِي الأُذُنِ الِاسْتِماعُ إِلى كلامِ قوْمٍ) يتحدّثُون لا يُرِيدُون اطّلاعهُ عليْهِ بلْ (أخْفوْهُ عنْهُ) وهُو نوْعٌ مِن التّجسُّسِ الْمُحرّمِ (و) الِاسْتِماعُ (إِلى الْمِزْمارِ والطُّنْبُورِ) لِكوْنِهِما مِنْ ءالاتِ اللهْوِ الْمُحرّمةِ (و) الطُّنْبُورُ (هُو ءالةُ) مُطْرِبةٌ (تُشْبِهُ الْعُود) لها أوْتارٌ، (و) يحْرُمُ الِاسْتِماعُ إِلى (سائِرِ الأصْواتِ الْمُحرّمةِ وكالِاسْتِماعِ إِلى الْغِيبةِ والنّمِيمةِ ونحْوِهِما) مِنْ معاصِي اللّسانِ مِنْ غيْرِ أنْ يُنْكِر مع قُدْرتِهِ على ذلِك (بِخِلافِ ما إِذا دخل عليْهِ السّماعُ قهْرًا) بِلا اسْتِماعٍ مِنْهُ (وكرِههُ) بِقلْبِهِ (ولزِمهُ الإِنْكارُ إِنْ قدر) على ذلِك بِيدِهِ فإِنْ لمْ يسْتطِعْ فبِلِسانِهِ فإِنْ لمْ يسْتطِعْ فبِقلْبِهِ ولزِمهُ حِينئِذٍ مُفارقةُ مجْلِسِ الْمُنْكرِ.

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**ومَنْ استَمَعَ إلى حَديثِ قَومٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُون صُبَّ في أُذُنَيْهِ الآنُكُ يَومَ القِيَامَةِ**». أحمد، مسند أحمد، (٨/ ٢٦٨). والآنك يعني الرّصاص المذاب. قال العلماء: نِعْمَةُ السَّمعِ أفضل من نعمة البصر، لأنّه يَسْمَعُ الخَير الكثير، ولو كان أعمى.



أسمَاءٌ لاحَتْ برّاقَةً بالتُّقَى شعَّتْ سبّاقة

سيّدنا سُلَيمَانُ علَيهِ السّلَامُ وبلقِيس

في أيّام سليمان، شخص من أتباعه حمل عرش بلقيس من أرض اليمن بكرامة أعطاه الله تعالى إيّاها، بالسّر الّذي أعطاه الله إيّاه حَمَلَ من اليمن إلى برّ الشّام عرش بلقيس بقدر ما يمدّ الإنسان عينه لينظر مدّ بصره قبل أن تطرف عينه أو يطبق عينه أحضره، وهذا العرش شيء عظيم طوله ثمانون ذراعًا من ذهب مكلّل بالجواهر وعرضه أربعون، سليمان ليس رغبة في عرشها هذا طلب إحضاره بل لتقتنع نفسها، حتَّى يقتنع قلبها بأنّ الإسلام الّذي يدعو إليه سليمان هو الدّين الصّحيح، لأنّها كانت تعبد الشّمس، بلقيس كانت ملكة سَبَأ، وهي أرض في اليمن، ليس رغبة في مالها فعل ذلك، لكن حتَّى تنبهر فتُسلِم، لأنّها جاءت، طلبها سليمان فحضرت خاضعة لأنّ سليمان قوَّتُهُ قاهرة. بلقيس أسلمت، كيف لا تُسلِم؟ ترى هذا العجب ثمّ لا تسلم! هذا الّذي أحضر عرش بلقيس من تلك الأرض البعيدة يقال له ءاصف بن برخيا صاحب سليمان على القول المشهور عند العلماء.

هذا كان وليًّا من الأولياء ما كان نبيًّا، وسليمان عليه السّلام كان له عند الله جاه عظيم، الله تعالى أعطاه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، كان مع هذا الملك العظيم الشّياطين الكافرون سخّرهم الله له، إذا أحد منهم خالف أمره يحطّمه الله تعالى، ينزل الله عليه عذابًا فيتحطّم، الشّياطين العفاريت الكبار كانوا يطيعونه ويخافونه، هؤلاء كانوا يبنون له مبانٍ فخمة ويخرجون له من قعر البحر الجواهر واللّآلئ، كانوا

مسخّرين له، وسخّر الله له الرّيح أيضًا، كانت الرّيح تحمله وجيشه، بساط الرّيح يحمله صباحًا إلى مسافة شهر ثمّ بعد الظّهر يردّه، وغير هذا الكثير ممّا أنعم الله به عليه، مع هذا كلّه كان هو شديد الرّغبة في الجّهاد في سبيل الله، سيّدنا محمّد ﷺ تحدّث عن أنّه كان عنده مائه امرأة، وأمّا أهل التّاريخ المؤرّخون يقولون كان عنده ثلاثمائة مهريّة وسبعمائة سريّة، هذا ليس شيئًا يقينًا إنّما اليقين أنّه كان عنده مائة امرأة لأنّ الرّسول أخبر بذلك، ومن شدّة تعلّق قلبه وعلّو همّته في الجهاد في سبيل الله، جهاد الكفّار لنشر الإسلام، ذات يوم حلف أنّه يطوف على المائة في ليلة واحدة يطوف عليهنّ أي يجامعهن لتحمل كلّ واحدة بولد فارس يجاهد في سبيل الله. الأنبياء أمرهم عجيب لأنّ الله تعالى خصّهم في هذه الدّنيا بعجائب، وفي الآخرة جعل درجاتهم أعلى من كلّ درجات العباد، هذه القوّة الّتي يأتي بها مائة امرأة في يوم واحد، هذه غريبة، وغيره من البشر لا تصير له هذه القوّة، ثمّ هذا ليس من كثرة الأكل والعناية ببطنه، هو ما كان معتنيًا ببطنه، كان يأكل خبز الشّعير بدل أن يأكل خبز القمح والأرُزّ، هذا الشّعير قوت أهل الفقر والفاقة، أهل الشّدّة، لأنّه خشّن خبزه ليس مثل خبز القمح ولا لذّته كلذّة خبز القمح، مع كلّ هذا النّعيم الّذي أغدق الله عليه ما كان يأكل أفخر المآكل، ولا كان يشرب ألذّ المشارب لأنّ قلبه متعلّق بالآخرة، وهذا الملك الّذي أعطاه الله إياه ما جمعه بنيّة الافتخار على النّاس والتّعاظم، كذلك النّساء اللّاتي جامعهن، هذا العدد الكثير من النّساء ليس لإشباع الشّهوة بل لغرض شرعيّ دينيّ، وهكذا كلّ أنبياء الله ليس لهم تعلّق قلبيّ بالنّساء ولا بالمال، كلّهم قلوبهم متعلّقة بخالقهم.



أُخَيَّ اخشَعْ واخضَعْ للَّهِ استَكِنْ واركَعْ

الخوفُ من الله

أوصيكم بالخوف من الله تعالى، فالخوف من الله تعالى محمود يورث الخير والسّعادة لصاحبه وأوصيكم بتدبّر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة المؤمنون]. إذا صَدَقَ الخوف من الله في قلب العبد المؤمن العارف بربّه كفّ جوارحه عن المعاصي والذّنوب، وقيّدها بالطّاعات تلافيًا لِمَا فرّط واستعدادًا للمستقبل. فالخائف من الله يكفّ لسانه عن ألفاظ الكفر الّتي تُخرِجُ من الإسلام سواء كان التّلفّظ بالكفر جِدًّا أو استهزاءً أو مزاحًا أو غضبًا فلا عذر في ذلك، فكلّ كلمة فيها استخفاف بالله، أو برسول من رسل الله، أو ملك من الملائكة، أو بالصّلاة، أو بالصّيام، أو بالكعبة، أو بالأذان، أو بالتّيمّم، أو بالشّرع الحنيف، أو بعلم الدّين، أو بالجنّة أو بالنّار، قائلها يخرج من الإسلام ويصير مرتدًّا، ويجب عليه العودة إلى الإسلام بالنّطق بالشّهادتين، أمّا إن اقتصر على الاستغفار اللّسانيّ فقط لا يعود إلى الإسلام، ولو استغفر الله تعالى ألف مرة، بل يزيده ذلك كفرًا لأنّه كذّب القرءان، وإن مات قبل التّشهد خلّد في نار جهنّم خلودًا أبديًّا، ولا يخرج من النّار، ولا يخفّف عنه العذاب، ولا يشفع له نبيّ ولا رسول ولا ملك ولا شهيد.

والخائف أيضًا يكفّ لسانه عن النّميمة، والغيبة، والكذب، وشهادة

الزّور، ولعن المسلمين. والخائف يكفّ سمعه عن كلّ ما لا يحلّ سمعه، ويكفّ بصره عن كلّ ما لا يحلّ النّظر إليه، ويكفّ يديه عن أن تمتدّ إلى الحرام، ويكفّ رجليه عن أن تمشي للحرام، ويكفّ بدنه عن معاصي البدن، وقلبه عن معاصي القلب وهكذا. وليعلم أنّ أكل الحلال من الأسباب الّتي تجلب الخوف من الله تعالى.

دعاء

في السُّجودِ يُقالُ: «**اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وجِلَّهُ وأوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيتَهُ وَسِرَّهُ**»، ويُقالُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحسَنُ الخالِقِينَ**».

الدّرس السابع والأربعون

(فصْلٌ) فِي بيانِ معاصِي الْيديْنِ.

(ومِنْ معاصِي الْيديْنِ التّطْفِيفُ فِي الْكيْلِ والْوزْنِ والذّرْعِ) وهُو أنّهُ إذا أراد الشّراء يسْتوْفِي حقّهُ كامِلًا وأمّا إذا أراد الْبيْع ينْقُصُ فيأْخُذُ مِن الْمُشْترِي الثّمن كامِلًا ويُعْطِيهِ الْمبِيع ناقِصًا، (والسّرِقةُ) وهِي أخْذُ مالِ الْغيْرِ خُفْيةً (ويُحدُّ) السّارِقُ (إنْ) كان قدْ (سرق ما يُساوِي رُبْع دِينارٍ) مِن الذّهبِ الْخالِصِ (مِنْ حِرْزِهِ) وهُو الْمكانُ الّذِي يُحْفظُ فِيهِ مِثْلُ ذلِك الشّيْءِ الْمسْرُوقِ عادةً ويكُونُ حدُّهُ (بِقطْعِ يدِهِ الْيُمْنى) مِن الْكُوعِ وهُو الْعظْمُ الّذِيْ يلِيْ الإبْهام (ثُمّ إنْ عاد) ثانِيًا إلى السّرِقةِ بعْد إقامةِ الْحدّ عليْهِ (فرِجْلُهُ الْيُسْرى) تُقْطعُ مِن الْكعْبِ وهُو العظْمُ النّاتِئُ جانِب القدم أسْفل السّاقِ (ثُمّ) إنْ عاد ثالِثًا فتُقْطعُ (يدُهُ الْيُسْرى) مِن الْكُوعِ (ثُمّ) إنْ عاد رابِعًا فتُقْطعُ (رِجْلُهُ الْيُمْنى) مِن الْكعْبِ ثُمّ إنْ عاد خامِسًا عُزّر، (ومِنْها) أيْ ومِنْ معاصِي الْيديْنِ (النّهْبُ) وهُو أخْذُ مالِ الْغيْرِ جِهارًا، (والْغصْبُ) وهُو الِاسْتِيلاءُ على حقّ الْغيْرِ ظُلْمًا (والْمكْسُ) وهُو ما يأخذُهُ السّلاطِينُ الظّلمةُ مِنْ تِجاراتِ النّاسِ ونحْوِها بِغيْرِ حقٍّ كالْعُشْرِ مثلًا، (والْغُلُولُ) وهُو الأخْذُ مِن الْغنِيمةِ قبْل الْقِسْمةِ الشّرْعِيّةِ، (والْقتْلُ) بِغيْرِ حقٍّ. (وفِيهِ الْكفّارةُ) إنْ كان الْمقْتُولُ مُسْلِمًا (مُطْلقًا) أيْ سواءٌ كان قدْ قتلهُ عمْدًا أمْ شِبْه عمْدٍ أمْ قتلهُ خطأً[1] (و) الْكفّارةُ (هِي عِتْقُ رقبةٍ) عبْدٍ أوْ أمةٍ (مُؤْمِنةٍ سلِيمةٍ) عمّا يُخِلُّ بِالْكسْبِ والْعملِ إخْلالًا ظاهِرًا (فإنْ عجز) عنِ الإعْتاقِ (فصِيامُ شهْريْنِ) هِلالِيّيْنِ (مُتتابِعيْنِ وفِي عمْدِهِ) أيْ وفِي قتْلِ الْمُسْلِمِ عمْدًا وهُو ما كان بِقصْدِ عيْنِ منْ وقعتْ عليْهِ

(١) وليس في قتل الخطأ إثم.

الْجِنايةُ بِما يُتْلِفُ غالِبًا (**الْقِصاصُ إِلّا أنْ عفا عنْهُ الْوارِثُ**) لِلْقتِيلِ (**على**) أنْ يدْفع (**الدّيةِ أوْ**) عفا عنْهُ (**مجّانًا**) فلا يُقْتصُّ مِنْهُ حِينئِذٍ (**وفِي**) قتْلِ (**الْخطأِ**) وهُو الّذِي لمْ يقْصِدْ فِيهِ الْقاتِلُ الْقتِيل بِفِعْلٍ (**وشِبْهِهِ**) أيْ وفِي قتْلِ شِبْهِ الْخطأِ وهُو الّذِي يقْصِدُ فِيهِ الْقاتِلُ الْقتِيل بِما لا يُتْلِفُ غالِبًا (**الدّيةُ**) لا الْقِصاصُ (**و**) الدّيةُ (**هِي مِائةٌ مِن الإِبِلِ فِي الذّكرِ الْحُرّ الْمُسْلِمِ**) الْمعْصُومِ الدّمِ (**ونِصْفُها فِي الأُنْثى الْحُرّةِ الْمُسْلِمةِ**) الْمعْصُومةِ الدّمِ (**وتخْتلِفُ صِفاتُ الدّيةِ بِحسبِ**) نوْعِ (**الْقتْلِ**)، (**ومِنْها**) أيْ ومِنْ معاصِي الْيدیْنِ (**الضّرْبُ**) لِلْمُسْلِمِ (**بِغيْرِ حقٍّ**) أوْ ترْوِيعُهُ، (**وأخْذُ الرّشْوةِ وإِعْطاؤُها**) والرّشْوةُ هِي الْمالُ الّذِي يُدْفعُ لِإبْطالِ حقٍّ أوْ إِحْقاقِ باطِلٍ وأمّا ما يدْفعُهُ لِيصِل إِلى حقِّهِ أوْ لِيدْفع الظُّلْم عنْ نفْسِهِ فلا يأْثمُ الدّافِعُ بِهِ، (**وإِحْراقُ الْحيوانِ**) ولوْ صغُر (**إِلّا إِذا ءاذى وتعيّن**) الإِحْراقُ (**طرِيقًا فِي الدّفْعِ**) أيْ فِيْ منْعِ أذاهُ وضررِهِ عنْهُ فإِنّهُ لا يحْرُمُ، (**والْمُثْلةُ بِالْحيوانِ**) وهِي تقْطِيعُ الأعْضاءِ وتغْيِيرُ الْخِلْقةِ (**واللّعِبُ بِالنّرْدِ**) وهُو الْمعْرُوفُ فِي بعْضِ الْبِلادِ بِالزّهْرِ (**و**) كذا (**كُلُّ ما فِيهِ قِمارٌ**) كأنْ يُخْرِج كُلٌّ مِن الْجانِبيْنِ عِوضًا يأْخُذُهُ الرّابِحُ مِنْهُما (**حتّى لعِبُ الصّبْيانِ بِالْجوْزِ والْكِعابِ**) على صُوْرةِ اللّعِبِ بِالنّرْدِ أوْ بِالقِمارِ لا يجُوزُ لِلْولِيّ تمْكِينُ الصّبِيّ مِنْهُ ومِثْلُهُ ما يُسمّى الْيانصِيْبُ واللُّوتُوْ والْمُقامرةُ بِسِباقِ الْخيْلِ.

تنبيهٌ مهمٌ:

ومن جملة الأباطيل والافتراءات قول بعضهم «إنّ الحبشيّ أفتى بسرقة الكافر»، ولم يُسند هذا إلى كتب الشّيخ لأنّه لا وجود له فيها.

الردّ: لقد علم الجميع أنّ خوارج هذا العصر أباحوا للمسلمين الّذين أخذوا فيزا لدخول البلاد الأستراليّة والأوروبيّة والأميركيّة بسرقة أموال أهلها.

وأمّا نحن تلامذة الشّيخ عبد الله الهرريّ فالحمد لله ذكرنا الحقيقة من على منابرنا ومن خلال دروسنا أنّ هذا حرام.



إن غَفَرَ فَخَيرُ راحِم وإن عَذَّبَ فَغَيرُ ظالم

امرأةٌ عاصية

كان رجل من أهل المدينة له أخت في باحة المدينة فهلكت، وأتى السّوق يجهّزها فلقيه رجل معه كيس فيه دنانير فجعله في حجره، فلمّا دفنها ورجع إلى منزله ذكر الكيس فأتى القبر فاستعان برجل من أصحابه فنبشا، فوجد الكيس فقال الرّجل لصاحبه: «تنحّ»، فرفع ما على اللّحد وإذا القبر يشتعل نارًا، فردّه ودعا الرّجل فسوّى معه القبر، ثمّ رجع إلى أمّه فقال: «أخبريني ما حال أختي» قالت: «وما تسأل عنها السّر قد مات» قال: «أخبريني» قالت: «كانت تؤخّر الصّلاة ولا تصلّي وتأتي أبواب الجيران إذا ناموا تسترق السّمع (أي تتجسّس عليهم) فَتلقِم أذنها أبوابهم فتُخرِجُ حديثهم»[1].

(١) ابن أبي الدّنيا، كتاب الورع، (ص٧٢).



أَجَهُولٌ تظنُّ المكرَ فِطَن الرشادِ
حَاذِرنّ «لظى» كن على استعدادِ

حفظُ العهدِ

تأكيد أمر الوفاء بالعهد فيه تأكيد أمر حفظ الأمانة قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الإسراء]. فالّذي لا يحافظ على العهد إيمانه ليس كاملًا، إسلامه ليس كاملًا، هو مسلم صحيح الإيمان لكنّه لم يبلغ الدّرجات العلى، هو مسلم حيث إنّه عرف الله وآمن برسوله ﷺ وتجنّب الكفريّات لكنّه لا يكون مسلمًا كاملًا حتّى يحافظ على الأمانة، وهذا الأمر قليل مَن يتّصف به، فينبغي أن يعوّد الشّخص نفسه الوفاء وحفظ الأمانة.

ومن الأمانة أن يحافظ المرء على مصلحة من يوكّله بالبيع والشّراء وغير ذلك، فإذا لم يراعِ مصلحة من وكّله فقد خان، مثلًا شيء يباع بثمن غالٍ مرتفع ثمّ الوكيل يبيعه بأقلّ من ذلك بدون رضاه ولا إذنه هذه خيانة، كان عليه أن يراعي مصلحة الموكّل ما وجد سبيلًا إلى ذلك، كذلك المحافظة على الأوقات الّتي وظّف لأجلها فينبغي أن لا يتخلّف عن تلك الأوقات إلّا لعذر، كذلك وليّ اليتيم عليه أن يراعي من باب الأولى مصلحة اليتيم في ماله، فالتّقصير في ذلك أشدّ ضررًا، وقد كثر في هذا الزّمن التّسلّط على أموال اليتيم.



يُقالُ عَقِبَ الوترِ: «**سُبحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ**»، ويُقالُ في التَّهَجُّدِ باللَّيلِ: «**اللَّهُمَّ أعوذُ بمعَافَاتِكَ من عقُوبَتِكَ، وأعوذُ برضَاكَ من سَخَطِكَ، وأعوذُ بِكَ مِنكَ، لا أُحصِي ثَناءً علَيكَ أنتَ كما أثنَيتَ على نفسِكَ**».



الدّرس الثامن والأربعون

(**واللّعِبُ بِآلاتِ اللهْوِ الْمُحرّمةِ**) مِن الْمعازِفِ (**كالطُّنْبُورِ والرّبابِ والْمِزْمارِ والأوْتارِ و**) مِنْ معاصِي الْيديْنِ (**لمْسُ الأجْنبِيّة**) غيْرِ الْمحْرمِ والزّوْجةِ ونحْوِها إذا كان لمْسُهُ لها (**عمْدًا بِغيْرِ حائِلٍ**) سواءٌ كان بِشهْوةٍ أمْ بِدُونِها (أوْ) لمْسُها (**بِهِ**) أيْ مع وُجُودِ الْحائِلِ (**بِشهْوةٍ و**) اللّمْسُ بِشهْوةٍ حرامٌ و(**لوْ مع**) اتّحادِ (**جِنْسٍ**) كلمْسِ رجُلٍ لِرجُلٍ بِشهْوةٍ أوْ لمْسِ امْرأةٍ لِامْرأةٍ بِشهْوةٍ (**أوْ محْرمِيّةٍ**) كلمْسِ رجُلٍ محْرمًا لهُ بِشهْوةٍ، (**وتصْوِيرُ ذِي رُوحٍ**) سواءٌ كان مُجسّمًا أم لا.

(**ومنْعُ الزّكاةِ**) أيْ ترْكُ دفْعِها كُلّها (**أوْ**) ترْكُ دفْعِ (**بعْضِها**) مع دفْعِ الْبعْضِ (**بعْد**) وقْتِ (**الْوُجُوبِ والتّمكُّنِ**) مِنْ إخْراجِها بِلا عُذْرٍ شرْعِيٍّ (**وإِخْراجُ ما لا يُجْزِئُ**) عنِ الزّكاةِ الْواجِبةِ عليْهِ (**أوْ إِعْطاؤُها منْ لا يسْتحِقُّها**) كإِعْطائِها لِبِناءِ مسْجِدٍ، (**ومنْعُ الأجِيرِ أُجْرتهُ**) الّتِي اسْتحقّها، (**ومنْعُ الْمُضْطرّ ما يسُدُّهُ**) أيْ ما يسُدُّ حاجتهُ كجائِعٍ اضْطُرّ لِطعامٍ يدْفعُ بِهِ عنْ نفْسِهِ الْهلاك (**وعدمُ إِنْقاذِ غرِيقٍ مِنْ غيْرِ عُذْرٍ فِيهِما**) أيْ فِي منْعِ الْمُضْطرّ وترْكِ إِنْقاذِ الْغرِيقِ أمّا إِنْ كان لهُ عُذْرٌ فلا يأْثمُ، (**وكِتابةُ ما يحْرُمُ النُّطْقُ بِهِ**) مِنْ غِيبةٍ وغيْرِها بسائِرِ أدواتِ الْكِتابةِ (**والْخِيانةُ وهِي ضِدُّ النّصِيحةِ فتشْملُ**) الْخِيانة فِيْ (**الأفْعالِ**) بِأكْلِ الْودِيْعةِ مثلًا (**والأقْوالِ**) بِجحْدِها[1] (**والأحْوالِ**) بِأنْ يُوْهِم غيْرهُ بِأنّهُ أهْلٌ لِتحمُلِ الأمانةِ وهُو ليْس أهْلًا.

---

(١) قال رسولُ الله ﷺ: «**الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**» رواه البخاريّ، حديث صحيح. ومعناهُ مطلوبٌ منهُ أن يُناصِح مَنِ استشارهُ، لا يدُلُّهُ إلّا على ما يراهُ خيرًا لهُ. إن دلّهُ على خلافِ ما يراهُ مصلحةً لهُ فقدْ خان. =



الدُّنيَا خدّاعَة فالزَم الطَّاعَة

شُؤْمُ المَعْصِيَة

يُروى أنّ جماعة من الصّالحين خرجوا لزيارة صديق لهم، فلمّا دخلوا عليه وجلسوا عنده قال: «قوموا نزور جارًا لنا ماتَ صاحبٌ له ونعزّيه»، قالوا: «فقمنا معه ودخلنا عليه فوجدناه كثير البكاء والجزع على صاحبه، فجعلنا نعزّيه ونسلّيه، وقلنا له: «أما تعلّم أنّ الموت سبيل لا بدّ منه!» قال: «بلى، ولكن على ما أصبح وأمسى فيه صاحبي من العذاب». فقلنا له: «أطلعك الله على الغيب؟!» قال: «لا، ولكن لمّا دفنته وسوّيت عليه التّراب، وانصرف النّاس عنه، وجلست عند قبره، فإذا بصوت من قبره يقول: «آه أفردوني وحيدًا أقاسي العذاب، قد كنت أصوم، قد كنت أصلّي»، قال: «فأبكاني كلامه فنبشت التّراب عنه لأنظر ما حاله! وإذا القبر تلمع فيه نار، وفي عنقه طوق من نار، فحملتني شفقة الصّحبة، ومددت لأرفع الطوق من رقبته، فاحترقت

= قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لَا إِيمَانَ لِمنْ لا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمنْ لا عَهْدَ لهُ**» رواهُ ابنُ حبان، في صحيحه، ذُكِرَ خبر يدلّ على أنّ المراد بهذا الإخبار نفي الأمر عن الشّيء للنّقص عن الكمال، فاعملُوا بِهِ. ومعنى هذا الحديثِ أنّ المسلم لا يكونُ دينُهُ كامِلًا إلّا بوفاءِ العهدِ. وإيمانُ المؤمنِ أيضًا لا يكونُ كاملًا إلّا بِحفظِ الأمانةِ.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**المُؤمِنُ مِرْآةُ أخيهِ**» أخرجهُ التّرمذيُّ. والبخاري، الأدب المفرد، معناهُ ينصحُهُ، المرْآةُ أليس تكشِفُ ما يكونُ في وجهِ الإنسان مِمّا لا يُعجِبُ ليُزال؟! الرّسولُ ﷺ شبّه المؤمن بالمرْآةِ، معناهُ المؤمنُ يدُلُّ أخاهُ لإزالةِ ما فيهِ مِن الأمرِ القبيح، يقولُ لهُ: «اترُكْ هذا الفعل»، لا يتركُهُ على ما هو عليهِ بل يُبيّنُ له. والنّصيحةُ هِي: «أَن يُعِيْن الرجُلُ أخاهُ على ما يُرضِي الله، ويبتعِد عمّا يُسخطُ الله». فمنْ عمِل بِهذا فهُو من المفلحين، ومن لم يعملْ به فهو من الخاسرين.

أصابعي ويداي. فرددت عليه التّراب، وانصرفت، فكيف لا أبكي على حاله، وأحزن من أجله»، فقلنا: «ما كان صاحبك يعمل في الدّنيا؟» قال: «كان لا يؤدّي الزّكاة من ماله». فتلونا قوله تعالى ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٨٠﴾﴾[1][2].



الظُّلمُ ظُلُماتٌ والعَدلُ منجَاةٌ

النَّهْيُ عَنِ الظُّلمِ

أوصيكم باجتناب الظّلم، والظّلم أنواع كثيرة، وأكبرها وأشدّها على الإطلاق الشّرك بالله والكفر بالله. قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة لقمان] فالويل ثمّ الويل لمن أهلك نفسه بالشّرك والكفر لأنّ له الخلود الأبديّ في النّار، لا يخرج منها إن مات على ذلك. والظّلم عاقبته وخيمة وسيّئة لعن الله الظالمين فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة هود]، ومن الظّلم أكل أموال النّاس بالباطل وأخذها ظلمًا. فويل للّذي يأكل أموال النّاس بالباطل ثمّ يموت من غير توبة فله النّار يوم القيامة. لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الشورى] ومن الظّلم المماطلة بحقٍّ عليه مع قدرته على الوفاء، فمن وجد المال ولم يدفعه للّذي عليه الحقّ هذا حلَّت شكايته وحبسه.

---

(١) سورة آل عمران، اية (١٨٠).

(٢) القصّة بمعناها عند الذّهبي، الكبائر، (١/ ٣٢).

ومن الظّلم أن يستأجر إنسانًا ولا يعطيه أجرته رغم أنّه استوفى منه العمل، ومن الظّلم أن يظلِم الإنسان زوجته فيضربها بغير حقّ، أو يمنع عنها النّفقة الواجبة، أو يمنعها من تعلّم الفرض العينيّ الدّينيّ. ومن الظّلم أن يتصدّى إنسان لتدريس النّاس فلا يعلّمهم الحقّ، يفتي بلا علم، يحلّل الحرام، ويحرّم الحلال، ويبيح الكفر غير آبهٍ، يغشّهم في دين الله، ويا ويل من غشّ في دين الله ولم يعلّم العقيدة الحقّة ولم يحذّر من الكفر، ويفتي بما يخالف القرءان والحديث النّبوي.

دعاء

عن عليّ بن أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ: «مَنْ قالَ في كُلِّ يوم مائةَ مرّةٍ: «**لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ المَلِكُ الحقُّ المبينُ**»، كان له أمانًا من الفقر، وأنسًا من وحشة القبر، وفتحت له أبواب الجنّة.

الدّرس التاسع والأربعون

(**فصْلٌ**) فِي بيانِ معاصِي الْفرْجِ.

(**ومِنْ معاصِي الْفرْجِ الزّنى**[1]) وهُو إِدْخالُ رأْسِ الذّكرِ أيِ الْحشفةِ كُلّها فِي فرْجِ غيْرِ زوْجتِهِ وأمتِهِ (**واللّواطُ**) وهُو إِدْخالُ رأْسِ الذّكرِ فِي دُبُرِ رجُلٍ أوِ امْرأةٍ غيْرِ زوْجتِهِ وأمتِهِ فإِنْ فعل ذلِك مع زوْجتِهِ أوْ أمتِهِ أثِم ولكِنْ ليْس عليْهِ الْحدُّ الآتِيْ (**ويُحدُّ**) الزّانِي (**الْحُرُّ**) الْمُكلّفُ (**الْمُحْصنُ**) وهُو الّذِي وطِئ فِي نِكاحٍ صحِيْحٍ (**ذكرًا كان أوْ أُنْثى بِالرّجْمِ بِالْحِجارةِ الْمُعْتدِلةِ حتّى يمُوْت و**) يُحدُّ (**غيْرُهُ**) أيْ غيْرُ الْمُحْصنِ وهُو الّذِي لمْ يطأْ فِي نِكاحٍ صحِيحٍ (**بِمِائةِ جلْدةٍ وتغْرِيبِ سنةٍ**) قمرِيّةٍ إِلى مسافةِ قصْرٍ (**لِلْحُرّ**) الذّكرِ أوِ الأُنْثى (**ويُنصّفُ ذلِك**) الْحدُّ (**لِلرّقِيقِ**) فيكُونُ حدُّهُ خمْسِين جلْدةً وتغْرِيْب نِصْفِ عامٍ، وأمّا حدُّ اللاّئِطِ فهُو كحدّ الزّانِيْ وأمّا الْملُوطُ بِهِ فحدُّهُ جلْدُ مِائةٍ وتغْرِيْبُ عامٍ سواءٌ أحْصن أمْ لا (**ومِنْها**)

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الإسراء].
والزّنى عند الإطلاق إدخال الحشفة أي رأس الذّكر في فرج غير زوجته وأمته، فإدخال الحشفة كإدخال كلّ الذّكر، فهذا هو الزّنى الّذي يُعَدّ من أكبر الكبائر ويترتّب الحدّ عليه.
قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [سورة المؤمنون].
روى الإمام أحمد في مسنده وغيره عن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى رَجُلٍ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا**» أي لا يُكرمه بل يُهينه يوم القيامة.
يختلف الحدّ في المحصن وغير المحصن. والمحصن هو الّذي وطىء في نكاح صحيح وكان حرًّا مكلّفًا ويُحَدُّ إذا زنى بالرّجم بالحجارة المعتدلة ونحوها حتّى الموت. وذلك لأنّه ﷺ رجم رجلًا يسمّى ماعزًا ورجم المرأة العامدية رواهما مسلم. وليس واجبًا كون الحجارة معتدلة لكن ذلك يُندب.
وأمّا غير المحصن وهو الّذي لم يطأ في نكاح صحيح فيكون حدّه جلد مائة وتغريب سنة هلاليّة إلى مسافة القصر من محلّ الزّنى فما فوقها.

أيْ معاصِي الْفرْجِ (**إِتْيانُ الْبهائِمِ**) أيْ جِماعُها (**ولوْ**) كانتْ هذِهِ الْبهائِمُ (**مِلْكهُ والِاسْتِمْناءُ**) بيدِهِ أوْ (**بِيدِ غيْرِ الْحلِيلةِ الزّوْجةِ وأمتِهِ الّتِي تحِلُّ لهُ والْوطْءُ**) الْحاصِلُ (**فِي**) حالِ (**الْحيْضِ أوِ النّفاسِ**) ولوْ بِحائِلٍ (**أوِ**) الْوطْءُ الْحاصِلُ (**بعْد انْقِطاعِهِما**) أيْ انْقِطاعِ دمِهِما (**وقبْل الْغُسْلِ**) مِنْهُما (**أوِ**) الْوطْءُ الْحاصِلُ (**بعْد الْغُسْلِ**) إذا كان (**بِلا نِيّةٍ**) مُجْزِئةٍ (**مِن الْمُغْتسِلةِ أوْ**) كان مع النّيّةِ لكِنْ (**مع فقْدِ شرْطٍ مِنْ شُرُوطِهِ**) كأنِ اغْتسلتْ مع وُجُودِ مانِعٍ مِنْ وُصُولِ الْماءِ إلى الْمغْسُولِ، (**و**) مِنْ معاصِي الْفرْجِ (**التّكشُّفُ عِنْد منْ يحْرُمُ نظرُهُ إِلَيْهِ**) أيْ كشْفُ الْعوْرةِ عِنْد منْ يحْرُمُ علَيْهِ أنْ ينْظُر إِلَيْها،

(**واسْتِقْبالُ الْقِبْلةِ واسْتِدْبارُها بِبوْلٍ أوْ غائِطٍ مِنْ غيْرِ**) أنْ يكُون (**حائِلٌ**) بيْنهُ وبيْن الْقِبْلةِ (**أوْ**) كان حائِلٌ لكِنّهُ (**بعُد عنْهُ أكْثر مِنْ ثلاثةِ أذْرُعٍ**) أوْ لمْ يكُنْ مُرْتفِعًا ثُلُثيْ ذِراعٍ فأكْثر فهذا حرامٌ (**إِلّا فِي الْمُعدّ لِذلِك أيْ إِلّا فِي الْمكانِ الْمُعدّ لِقضاءِ الْحاجةِ و**) مِنْ معاصِي الْفرْجِ (**التّغوُّطُ على الْقبْرِ**) أوِ التّبوُّلُ علَيْهِ سواءٌ كان فِي مقْبرةِ الْمُسْلِمِين أمْ كان قبْر مُسْلِمٍ مُنْفرِدًا.

اعترض بعض المفتونين الكذّابين على ما في كتاب «البغية»[1] من تأويل الفقيه المحدّث الشّيخ الهرريّ رحمه الله لحديث رسول الله ﷺ: «**لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقُ ثِيَابَهُ وَتَخْلُصَ إِلى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلى قَبْر**» وأنّ المراد بالجّلوس هو الجّلوس للبول أو الغائط ثمّ نسب الكاتب هذا أيضًا إلى البغية[2].

فالجواب عن ذلك ما قاله المحدّث الفقيه الشّيخ الهرريّ رحمه الله

---

(١) البغية (ص٤٦٨).

(٢) البغية (ص٣٦٥).

في كتابه «البغية»[١] ما نصّه:

«من جملة المعاصي التّغوّط على القبر قال عليه الصّلاة والسّلام: «**لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقُ ثِيَابَهُ وَتَخْلُصَ إِلى جِلْدِهِ خَيْرُ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلى قَبْرٍ**» (رواه مسلم) والمراد بالجّلوس الجّلوس للبول أو الغائط فلا يحرم الجّلوس على القبر لغير ذلك وإن حرّمه جماعة من الفقهاء أخذًا بظاهر الحديث» انتهى بحروفه.

معناه هذه المسئلة مختلف فيها بين الفقهاء، فعلام الإنكار؟

(**والْبوْلُ فِي الْمسْجِدِ ولوْ**) كان ذلِك (**فِي إِناءٍ**[٢] **و**) الْبوْلُ (**على الْمُعظّمِ**) أيْ ما يُعظّمُ شرْعًا ومِنْهُ البوْلُ على موْضِعِ نُسُكٍ ضيّقٍ (**وترْكُ الْخِتانِ لِلْبالِغِ**) غيْرِ الْمخْتُونِ إِنْ أطاق ذلِك ويكُونُ ذلِك بِقطْعِ قُلْفةِ الذّكرِ وبِقطْعِ شيْءٍ مِن الْقِطْعةِ الْمُرْتفِعةِ كعُرْفِ الدّيكِ مِن الأُنْثى (**ويجُوزُ عِنْد مالِكٍ**) ترْكُهُ لِأنّهُ لا يقُولُ بِوُجُوبِهِ لا لِلذّكرِ ولا لِلْأُنْثى.

فَأَخْذَتْهُمُ الرَّجْفَة...

قصّةُ ناقةِ نبيّ الله صالح

طلب قومُ سيّدنا صالحٍ منه معجزةً، قالوا: نُريد بُرهانًا على صِدقِك، فأخرِج لنا من هذه الصّخرة ناقةً ومعها ولدُها. فأخرجَ لهم بقدرةِ الله من الصّخرة ناقةً وولدها والنّاقة هي أنثى الإبل، وكانت الصّخرة غير

(١) البغية (ص٣٢٥) من الطبعة الأولى و(ص٤١٥) من الطبعة الثانية.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**إنّ هَذِهِ المَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيءٍ مِنَ القَذَرِ والبَوْلِ والخَلاءِ وإنَّما هِيَ لِقِراءَةِ القُرءانِ وذِكْرِ الله والصّلاة**». السيوطي، جامع الأحاديث، (٩/ ٣٩٥).

مفتوحة، فعجز قومه عن معارضته واستسلموا له وابتلاهم الله بأن جعل لهذه النّاقة يومًا تَرِدُ الماء فيه وترِدُ مواشيهم في اليوم الآخر، وأمرهم أن لا يتعرّضوا لهذه النّاقة، فاستصعبوا هذا الأمر، فتآمر تسعة أشخاصٍ على أن يقتلُوا هذه النّاقة، فقتلوها قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1]، هؤلاء كانوا من قوم نبيّ الله صالحٍ.

عند ذلك أنذرهم صالحٌ عليه السّلام بالعذاب وبعد ثلاثة أيّامٍ نزل بهم العذاب، فأهلكهم الله بصيحةٍ صاحها جبريل عليه السّلام، ومدينة صالحٍ كانت بين تبوك والمدينة المنوّرة.

إنهَّا الغالِيَةُ الجنَّة فاتَّخِذِ الطّاعَات جُنَّة

اجتنَابُ المحرّمَاتِ

أُوصيكم بتجنّب ما حرّم الله تعالى القائل: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ ﴿١﴾﴾ [سورة الطلاق]، كم من أناس يُفتنون بالأموال والأزواج والأولاد وينشغلون بهم عن الواجبات، ولأجلهم يرتكبون المحرّمات، كبعض التّجار الغشّاشين، والأزواج والآباء الّذين يأكلون الرّبا أو يسرقون تلبية لطلبات أزواجِهم أو أولادهم، وكم من نساء يتركن الصّلاة من أجل أولادهنّ، الله سبحانه قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الماعون] وكم من أناس يتركون الصّلاة في أوقاتها من أجل المال، فهؤلاء صارت أموالهم عدوًّا لهم، لأنّها صرفتهم عن طاعة الله فكانت وبالًا وخسارة عليهم.

---

(١) النمل، اية (٤٨).

ثمّ إنّ كثيرًا ممّن يفتنون بالمال يموتون عنه قبل أن يستفيدوا منه، أو يتركوه لمن لا يحبّون، وقد يقع المال في يد عدوّ كان أشَدّ النّاس بغضًا له. لا شيء على الإطلاق يستحقّ أن يعصى الله لأجله، حتَّى المآكل اللّذيذة والملابس الفاخرة لا تستحقّ أن نعصي الله لأجلها، فإنّ هذه المآكل اللّذيذة تخرج قذرًا، وقد كانت قبل برهة وجيزة شيئًا مشتهى، وهذا اللّباس الفاخر كان شيئًا يشتهى قبل أن يبلى ويتقطّع ويذهب رونقه، كذلك هذه الدّنيا بما فيها من الأبنية الفاخرة والسّيّارات الفخمة والمجوهرات النّفيسة والقصور العالية مآلها الخراب. فلا ينبغي أن نغترَّ بدنيا زائلةٍ.

دعاء

يُقالُ عَقِبَ صلاة الضّحى: «**اللَّهُمَّ اغفِرْ لي وتُبْ عَليَّ إنَّكَ أنتَ التَّوابُ الرّحِيمُ**»، ويُقالُ: «**اللَّهُمَّ اغفِرْ لي وارحَمْنِي وتُبْ علَيَّ إنَّكَ أنتَ التّوَابُ الغفورُ**».

الدّرس الخمسون

(فصْلٌ) فِيْ بيانِ معاصِي الرّجْلِ.

(ومِنْ معاصِي الرّجْلِ الْمشْيُ فِي معْصِيةٍ كالْمشْيِ فِي سِعايةٍ بِمُسْلِمٍ) لِلإِضْرارِ بِهِ بِغيْرِ حقٍّ لِما فِيها مِن الأذى (أوِ) الْمشْيِ (فِي قتْلِهِ) أيْ لأجْلِ قتْلِهِ (بِغيْرِ حقٍّ) أوِ الْمشْيِ لِلزّنى بِامْرأةٍ أوْ لِما دُوْن ذلِك مِن التّلذُّذِ الْمُحرّمِ بِها، (وإِباقُ) أيْ هُرُوبُ (الْعبْدِ) الْمملُوكِ ذكرًا كان أمْ أُنْثى مِنْ سيّدِهِ (و) هُرُوبُ (الزّوْجةِ) مِنْ زوْجِها (و) هُرُوبُ (منْ علَيْهِ حقٌّ عمّا يلْزمُهُ مِنْ قِصاصٍ) كأنْ قتل مُسْلِمًا عمْدًا بِغيْرِ حقٍّ (أوْ) مِنْ أداءِ (دَيْنٍ أوْ نفقةٍ) واجِبةٍ (أوْ بِرّ والِدَيْهِ) الْواجِبِ علَيْهِ (أوْ تربِيةِ الأطْفالِ و) مِنْ معاصِي الرّجْلِ (التّبخْتُرُ فِي الْمشْيِ) وهُو أنْ يمْشِي مِشْية الْكِبْرِ والْفخْرِ.

هؤلاء الّذين يلبسون الثّياب الفاخرة للفخر أو يبنون البناء الجميل للفخر، أو يركبون المركوباتِ النّفيسة الجميلة للفخر، لو عجّل الله عقوبتهم لعاقبهُم في الدُّنيا قبل الآخرة لكنّه يُؤخّر عذاب أكثر الخلق إلى الآخرة، وقد يُظهرُ الله تبارك وتعالى في هذه الدّنيا عقوبةً على بعض من يلبس للفخرِ.

الرّسول ﷺ حدّثنا أنّ رجُلًا ممّن كان قبل هذه الأُمّةِ، أُمّةِ محمّدٍ، كان يمشي مُتبخترًا ينظر في جانبيه، أعجبه ثوبه وحُسن شعرِهِ، بينما هُو يمْشي متبخترًا أمر الله تبارك وتعالى به الأرض فبلعتْهُ فهو يتجلجلُ إلى يوم القِيامةِ، والتّجلجُلُ معناهُ السُّؤُوخُ أي النُّزولُ ببطءٍ في الأرضِ والتّحرُّكُ والتّضعْضُعُ.

فالفخْرُ معناه يفعل ذلك ليعجب به النّاس، يريدُ أن يكون له اختِصاصٌ عند النّاسِ بِالنّظرِ إِليه والتّفخيم. كُل شيءٍ يفعله الإنسانُ

للفخْرِ مِن لباسٍ جميلٍ وأثاثٍ جميلٍ ومركبٍ جميلٍ فهو حرامٌ، والّذي يبْني بِناءً فخْمًا لِلفخر ذنبه كبيرٌ، أمّا الّذي للتّجمّل فقط يلبس ثوبًا أنيقًا فهو جائزٌ، للتّجمّل فقط ليس للفخر.

قال أبو العتاهية:

رغيفُ خُبزٍ يابِسٍ تأكُلُهُ في زاوِيهْ
وكوزُ ماءٍ باردٍ تشْرَبُهُ مِنْ صافِيهْ
وغُرفةٌ ضيّقةٌ نفْسُك فيها خالِيهْ
أوْ مسْجِدٌ بِمعْزِلٍ عنِ الورى في ناحِيهْ
تدْرُسُ فيهِ دفْترًا مُسْتنِدًا بِساريهْ
مُعْتبِرًا بِمنْ مضى مِن القُرونِ الخالِيهْ
خيْرٌ مِن السّاعاتِ في فيْءِ القُصورِ العالِيهْ
تعْقُبُها عُقوبةٌ تُصْلى بِنارٍ حامِيهْ

اللّهُمّ اجْعلنا مِن عبادك المُتواضِعين الزّاهِدين الصّالِحين العابِدين النّاسِكين الوالِهين بِمحبّتِك يا أرْحم الرّاحِمين.

(**وتخطّي الرّقابِ**) برفْعِ قدمِهِ فوْق الْعواتِقِ إذا كان الْجالِسُون يتأذّوْن بِذلِك (**إلّا**) إذا كان التّخطّي (**لِفُرْجةٍ**) أيْ لِسدّها فلا يحْرُمُ، (**والْمُرُورُ بيْن يدي الْمُصلّيْ إذا كملتْ شُرُوْطُ السُّتْرةِ**)[1] أي الْمُرُورُ بيْنهُ وبيْن السُّتْرةِ الْمُجْزِئةِ وشرْطُها أنْ لا تبْعُد عنْهُ أكْثر مِنْ ثلاثةِ أذْرُعٍ وأنْ يكُون ارْتِفاعُها ثُلُثيْ ذِراعٍ فأكْثر (**ومدُّ الرّجْلِ إلى الْمُصْحفِ إذا كان**) قرِيبًا

(١) قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُكُمْ مَا لَهُ فِي أَنْ يَمشِيَ بَيْنَ يَدَيْ أَخِيهِ مُعْتَرِضًا وَهُوَ يُنَاجِي رَبَّهُ لَكانَ أنْ يَقِفَ فِي ذَلِكَ المَقامِ مائةَ عامٍ أَحَبُّ إليهِ مِنَ الخُطوَةِ الّتي خَطا**». ابن حبّان في صحيحه.

(**غيْر مُرْتفِعٍ**) عنْهُ على طاوِلةٍ أوْ نحْوِها (**وكُلُّ مشْيٍ إلى مُحرّمٍ**) أيْ إلى معْصِيةٍ كالْمشْيِ إلى مكانٍ لِشُرْبِ الْخمْرِ (**وتخلُّفٍ عنْ واجِبٍ**) كالْمشْيِ الّذِي يحْصُلُ بِهِ إخْراجُ الصّلاةِ عنْ وقْتِها.

(**فصْلٌ**) فِي بيانِ معاصِي الْبدنِ

(**ومِنْ معاصِي الْبدنِ**) وهِي الْمعاصِي الّتِي لا تلْزمُ جارِحةً مِن الْجوارِحِ بِخُصُوصِها (**عُقُوقُ الْوالِديْنِ**)[1] أوْ أحدِهِما بِأنْ يُؤْذِيهُما إيذاءً

---

(١) الله أمر أن نشكر الوالدين الحريصين علينا من أجل حفظ ديننا. اليوم كثير من الآباء والأمّهات لا يهتمّون، يرسلون الأولاد إلى هذه المدارس العصريّة فيعلّمونهم الكفر، هؤلاء بئس الآباء. الآباء الّذين لا يراعون أمور الأولاد بئس الآباء هؤلاء. قبل أن يعلّموهم علم الدّين يرسلونهم إلى أوروبا وأمريكا. هنا مدارس في بيروت يُسمَّوْن باسم الإيمان والإسلام وفي طرابلس كذلك يعلّمون الأولاد الكفر فيخرجون من الإيمان. لبئس الآباء هؤلاء الّذين يضعون أبناءهم في هذه المدارس يتركونهم يتعلّمون الكفر. الولد الّذي في أوّل شبابه يكون متعلّمًا علم الدّين، العقيدة والأحكام الضّروريّة إن ثبت على تقوى الله يكون يوم القيامة في ظلّ العرش لا يصيبه حرّ الشّمس. النّاس يصيبهم شيء شديد من حرّ الشّمس. يوم القيامة لا يوجد بيت، لا يوجد أشجار، أرض مستوية، مستوية كلّها. من كان تحت ظلّ العرش لا يصيبه شيء من أذى حرّ الشّمس. الآباء والأمّهات إن كانوا يراعون دين أبنائهم ينشؤونهم على العمل الصّالح. نعم الآباء هؤلاء الآباء.
الرّسول عليه الصّلاة والسّلام قال: «**لَيسَ مِنّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبيرَنا ويَرْحَم صَغِيرَنا**» رواه أبو يعلى عن أنس بن مالك معناه لا يكون كاملًا في دين الإسلام من لا يرحم الصّغير ويوقّر الكبير. الإسلام يأمر بتوقير الكبير، تعظيمه حقّ. الأخ الكبير بمنزلة الأب. الأخ الصّغير يحترم أخاه الكبير كأنّه أبوه. هذه التّربية الإسلامية الّتي يحبّها الله تعالى، أمّا الّذي لا يحترم الكبير لا يكون من الكاملين، كذلك الّذي ليس عنده عطف على الصّغير لا يكون من الكاملين، كلّ منكم ليوقّر أباه وأمه، كذلك أخوكم الأكبر فلتوقّروه. إن سلكتم هذا الطّريق تكون عاقبتكم حسنة، وإلّا تكون وخيمة. التزموا هذا الأمر الشّرعيّ توقير الكبير ورحمة الصّغير. أمّا الوالدان أمرهما أعظم. في طرابلس رجل أهان أمّه وضربها برجله ثمّ صارت رجله كالفيل يخرج منها رائحة كريهة، لا تقدر أن تجالسه. الله ابتلاه في الدّنيا. أنا (هذا من كلام الشّيخ عبد الله) ما أطقت رائحته في المكان الّذي كنّا فيه. ثمّ بعد أنْ خرج ذكروا لي قصته. لا تكلّموا أمّكم إلّا بكلام مخفوض، الوالدين كلّموهما بكلام لطيف وإلّا تخسرون.

ليْس بِالْهيّنِ عُرْفًا[١]، (**والْفِرارُ مِن الزّحْفِ وهُو أنْ يفِرّ**) شّخْصُ (**مِنْ بيْنِ الْمُقاتِلِين فِي سبِيلِ اللهِ بعْد حُضُورِ موْضِعِ الْمعْركةِ**) بِشرْطِ أنْ لا يكُون الْكُفّارُ أكْثر مِنْ ضِعْفِ الْمُسْلِمِين.

يُبَشِّرُكِ بكَلِمَةٍ مِنْه...

المَسِيحُ عليهِ السَّلَامُ

رَأَت أمُّ مريم ذات يومٍ طيرًا يزُقُّ فرخه أي يُطعمُهُ فطلبت من الله تعالى أن يرزقَها ولدًا ونذرت أن تجعله خادمًا في بيت المقدس، لأنّها كانت تظنُّ أنّه ذكر، فإذا هي أنثى فأسمتها مريم، وتكفّلها نبي الله زكريا زوج خالة عيسى، وكان يُعلّمها الدّين الإسلاميّ، فنشأت صالحةً طاهرةً وصارت وليّةً. وذات يومٍ ذهبت مريم إلى مكانٍ لتقضي أمرًا فأرسل الله إليها جبريل متشكّلًا بشكل شابٍّ أبيض الوجه، فقالت له: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾[٢]، أي إذا كنتَ تقيًّا فلا تتعرّض لي بالأذى فقال لها: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾[٣]، أي أنّ الله أرسله إليها ليَهَبَهَا ولدًا صالحًا طاهرًا من الذّنوب. فقالت مريم: أنّى يكون لي غلام ولم يقربني زوجٌ ولم أكن

---

(١) مسئلة: إذا طلب من أمّهِ أن تحضر له كوب ماءٍ هذا سوء أدب أن يستخدِمها لتحضر له ذلك، أمّا إذا كان في مجلس والماء قريب منها وسهل عليها أن تناولهُ وهو بعيد منه فطلب منها أن تناوله هنا ليس فيه سوء أدب، كذلك من سوء الأدب أن يطلب منها تحضير الطّعام وهو قادر على تحضيره.

(٢) مريم، ءاية (١٨).

(٣) مريم، ءاية (١٩).

فاجرةً زانيةً، فقال جبريل: هكذا قال ربُّك، إنّ خلق ولدٍ من غير أبٍ هيّنٌ عليه وليجعله علامة للنّاس ودِلالةً على قدرته سبحانه وتعالى، وليجعله رحمةً ونعمةً لمن تبعه وصدَّقه وآمن به، وكان خلقُهُ أمرًا شاءه الله وقدَّره فلا يُردُّ ولا يُبدَّل.

ونفخ جبريلُ في جيب درع مريم فدخل الرّوح من فمها فحملت بعيسى عليه السّلام، ثمّ تنحّت بحملها بعيدًا خوف أن يُعيّرها النّاس بولادتها من غير زوجٍ.

ثمّ ألجأها وجع الولادةِ إلى ساق نخلةٍ يابسةٍ، وتمنّت الموت استحياءً من النّاس. فناداها جبريل يُطمئنُها ويخبرها أنَّ الله جعل تحتها نهرًا صغيرًا، وطلب منها أن تهُزَّ جذع النّخلة ليتساقط عليها الرُّطب الجَنيُّ، وأن تأكل وتشرب ممّا رزقها الله، وأن تقرَّ عينُها، وأن تقول لمن رءاها وسألها عن حَملِها إنّي نذرتُ للرّحمٰن أن لا أُكلِّمَ أحدًا من البشر.

وبعد أن ولدت السيدة مريم عليها السّلام ابنها عيسى عليه السّلام، حملته إلى قومها وحين كلموها في شأنه أشارت إليه - أي كلّموه هو - فأنطق الله عيسى عليه السّلام، وكان عُمُرُهُ أربعين يومًا، فقال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾[1].

أنطقه الله بهذه الكلمات المعدودة والحكمة في ذلك أن يخفِّف الأذى الّذي كان لحق السّيدّة مريم وسيّدنا زكريّا وأهله، لأنّ السّيّدة مريمَ كانت تحت رعايته.

---

(١) مريم، ءاية (٣٠ - ٣٣).



وقُلْ ربِّ ارحَمْهُمَا...

برُّ الوَالِدَين

أوصيكم ببرّ الوالدين، فقد أمر الله بالإحسان للوالدين، والإحسان هو البرّ والإكرام، فيحرص على البرّ بهما مع اللّطف ولين الجانب فلا يُغلِظُ لهما في الجواب ولا يحدّ النّظر إليهما، ولا يرفع صوته عليهما بل يكون بين يديهما مثل العبد بين يدي السّيّد تذلّلًا لهما. حتَّى إذا صارا عنده بعد كبرهما ولا كافل لهما غيره فلا يقل «أفّ» أي فلا يقل لهما أدنى كلمة تنفلت من المتضجّر مع مسبّبات الضّجر، ومع أحوال لا يكاد يصبر الإنسان معها، أي ولو وجدت الأسباب الّتي تؤدّي بالإنسان للتّضجُّر وقلّة الصّبر إيّاك أن تقول لهما كلمة «أفّ» أو كلمة أخرى تدلّ على تضجرّك وانزعاجك منهما.

كما يراعى أن لا يزجُرهما عمّا يتعاطيانه ممّا لا يعجبه ولا معصية لله فيه، بل يقل لهما قولًا لينًا لطيفًا أحسن ما يجد كما يقتضيه حسن الأدب. وَيُلِن لهما جانبه متذلّلًا لهما من فرط رحمته إيّاهما وعطفه عليهما، ولكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس، أي يرفق بهما ولا يغلظ عليهما. ويدعُ الله أن يرحمهما كما رحماه في صغره حتَّى ربّياه، قال تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾[1] أي ولا تكتف بِرحمتك عليهما الّتي لا بقاء لها وادعُ الله بأن يرحمهما.

---

(١) سورة الإسراء، ءاية (٢٤).



دُعاءٌ عن أنس بن مالك قال كان النَّبيُّ ﷺ يقولُ: «**اللَّهمَّ انفَعْنَا بما علَّمتَنَا، وعَلِّمْنَا ما ينفَعُنَا وزِدْنا عِلمًا إلى عِلْمِنَا**».



الدّرس الحادي والخمسون

(**وقطِيعةُ الرّحِمِ**) أيْ كُلُّ منْ يُعدُّ قرِيْبًا لك فِيْ العُرْفِ مِنْ جهةِ أبِيْك وأُمّك وتحْصُلُ الْقطِيعةُ بِإِيحاشِ قُلُوبِ الأرْحامِ بِترْكِ الزّيارةِ أوْ بترْكِ الإِحْسانِ بِالْمالِ عِنْد الْحاجةِ مع قُدْرتِهِ عليْهِما[١].

(**وإِيذاءُ الْجارِ ولوْ**) كان الْجارُ (**كافِرًا لهُ أمانٌ**) مِن الْمُسْلِمِين (**أذًى ظاهِرًا**) كالضّرْبِ والشّتْمِ ونحْوِ ذلِك[٢] (**وخضْبُ الشّعرِ**) أيْ صبْغُهُ (**بِالسّوادِ**) مِنْ ذكرٍ أوْ أُنْثى (**وتشبُّهُ الرّجالِ بِالنّساءِ**) فِيْ ملْبسٍ أوْ كلامٍ أوْ مشْيٍ (**وعكْسُهُ**) أيْ تشبُّهُ النّساءِ بِالرّجالِ وهُو أشَدُّ (**وإِسْبالُ الثّوْبِ**) مِن الرّجالِ (**لِلْخُيلاءِ أيْ إِنْزالُهُ عنِ الْكعْبِ لِلْفخْرِ**) والْكِبْرِ[٣]، (**و**) اسْتِعْمالُ (**الْحِنّاءِ**) أيِ الْخضْبُ بِها (**فِي الْيديْنِ والرّجْليْنِ لِلرّجُلِ بِلا حاجةٍ**) إِلى ذلِك لِما فِيهِ مِن التّشبُّهِ بِالنّساءِ أمّا إِذا كان لِحاجةِ التّداوِي مِن الْمرضِ فيجُوزُ (**وقطْعُ الْفرْضِ**) سواءٌ كان أداءً أمْ قضاءً كقطْعِ الصّلاةِ الْمفْرُوضةِ أوِ الصّوْمِ الْمفْرُوضِ إِذا كان قطْعُهُ (**بِلا عُذْرٍ**) وأمّا إِنْ قطع الْفرْض بِعُذْرٍ كإِنْقاذِ غرِيقٍ معْصُومٍ لمْ يحْرُمْ (**وقطْعُ نفْلِ الْحجّ والْعُمْرةِ**) لِأنّ الشُّرُوع فِيهِما يُوجِبُ إِتْمامهُما عليْهِ، (**ومُحاكاةُ الْمُؤْمِنِ**) فِي قوْلٍ أوْ فِعْلٍ أوْ إِشارةٍ (**اسْتِهْزاءً بِهِ والتّجسُّسُ على عوْراتِ النّاسِ**) بِالتّطلُّعِ والتّتبُّعِ لِعُيُوبِ

---

(١) إذا منع الزّوج زوجته من زيارة أختها أو غيرها من الأرحام لسبب شرعيّ لا تذهب أمّا بدون سبب فتزورها لكن ليس على الدّوام بل كلّ مدّةٍ.

(٢) عن أبي هريرة رضِي الله عنهُ: أنّ رسول اللهِ ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليوْمِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليوْمِ الآخِرِ فلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**» رواهُ البُخارِيُّ في صحيحه.

(٣) قال أبو سعيد رضي الله عنه إنّ النّبيّ ﷺ قال: «**لَتَتْبَعُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبلَكُمْ شِبرًا بِشِبرٍ وَذِراعًا بِذِراعٍ حتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوه**» قلنا: «يا رسول الله اليهود والنّصارى» قال: «**فَمَنْ**». البخاري في صحيحه.

أُناسٍ لا يُرِيدُون اطّلاعهُ عليْها[١] (**والْوشْمُ**)[٢] وهُو غرْزُ الْجِلْدِ بِالإِبْرةِ حتّى يخْرُج الدّمُ ثُمّ يُذرُّ على الْمحلّ نِيلةٌ أوْ نحْوُها لِيزْرقّ الْمحلُّ أوْ يسْودّ، (**وهجْرُ الْمُسْلِمِ**) بِترْكِ تكْلِيْمِهِ ولوْ بِمُجردِ السّلام (**فوْق ثلاثِ**) ليالٍ (**إِلاّ لِعُذْرٍ شرْعِيٍّ**) كأنْ كان شارِب خمْرٍ (**ومُجالسةُ الْمُبْتدِعِ أوِ الْفاسِقِ لِلإِيناسِ لهُ على فِسْقِهِ**) كأنْ جلس مع منْ يشْربُ الْخمْر يُحدّثُهُ مِنْ غيْرِ حاجةٍ (**ولُبْسُ الذّهبِ**) لِلرّجُلِ مُطْلقًا (**و**) لُبْسُ (**الْفِضّةِ والْحرِيرِ**) الْخالِصِ الّذِيْ تُخْرِجُهُ الدّوْدةُ المعْرُوْفةُ (**أوْ ما أكْثرُهُ وزْنًا مِنْهُ**) كثُلُثيْهِ (**لِلرّجُلِ الْبالِغِ إِلاّ خاتم الْفِضّةِ**) فيجُوزُ لهُ لُبْسُهُ، (**والْخلْوةُ**) أيْ خلْوةُ الرّجُلِ (**بالأجْنبِيّةِ**) مِن النّساءِ (**بِحيْثُ لا يراهُما**) شخْصٌ (**ثالِثٌ**) ثِقةٌ أوْ محْرمٌ (**يُسْتحى مِنْهُ مِنْ ذكرٍ أوْ أُنْثى**) أمّا إِنْ كان الثّالِثُ صغِيْرًا بِحيْثُ لاّ يُسْتحى مِنْهُ أوْ كان غيْر بصِيرٍ فيحْرُمُ (**وسفرُ الْمرْأةِ**) ولوْ سفرًا قصِيرًا (**بِغيْرِ**) محْرمٍ كأخٍ وأبٍ و(**نحْوِ محْرمٍ**) كزوْجٍ (**واسْتِخْدامُ الْحُرّ كُرْهًا**) أيْ قهْرًا بِأنْ يقْهرهُ على عملٍ (**ومُعاداةُ الْولِيّ**)[٣][٤] أي اتّخاذُ

---

(١) في الحديثِ: «**مَنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَها كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً مِنْ قَبْرِها**» المتّقي الهندي، كنز العمّال، ستر العيب. معناهُ الّذي يسْتُرُ عورة مسلم له ثوابٌ عظيمٌ كأنّه أحيا البنت التي قُتِلتْ صغيرةً بِدفْنِها حيّةً، معناه كأنّه أنقذها قبل أنْ تموت.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوصِلَةَ وَالواشِمَةَ والمُسْتَوشِمَةَ**»، التّرمذي في سننه.

(٣) قال رسول الله ﷺ «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجرُ أَخَاهُ فَوقَ ثَلاثِ لَيَالٍ يَلْتَقَيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**»، رواه البخاري فأفهم هذا الحديث أن إثم الهجر يرتفع بالسّلام وأما العذر الّذي يُبيح الهجر فكأن يكون هجرهُ لفسق فيه بترك صلاة أو شرب خمر أو نحو ذلك فإنّه يجوز هجره حتّى يتوب ولو إلى الممات.

(٤) قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كُنْتُ مَولَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**» معنى هذا الحديث أنّ الّذي يوالي عليًّا رضي الله عنه أي يتبعه وينصره الله يواليه أي ينصره ويكرمه، أمّا من عادى عليًّا الله يعاديه أي يهينه ويخذله ويعذّبه في الآخرة. سيّدنا عليّ رضي الله عنه بايعه أهل المدينة فوجب على كلّ إنسان أن يوافق على خلافته ولو كان لا يعرف المدينة، فمن قال بعد ذلك لعليّ أنت لست إمامي يكون وقع في ذنب=

الْولِيّ عدُوًّا[١] ومُحاربتُهُ لهُ

= كبير، إذا قال له لا أعترف بخلافتك يكون فاسقًا كبيرًا، معاوية قال له أنت لست إمامنا، فتن أهل الشّام، كان هو غاضبًا أيام عمر وعثمان ففتن أهل الشّام فصدّقوه في قوله إنّ عليًّا كان له يد في قتل عثمان، أوهمهم ذلك، لذلك ترك الّذين كانوا في جيش عثمان يختلطون بجيشه ليموّه عليهم، معاوية ليبقى رئيسًا حاكمًا مستقلًّا قال لعليّ أنا لا أعترف بك لأنّك لا تأخذ حقّ عثمان، معاوية ليس له حقّ في أن يقول ذلك لعليّ رضي الله عنه ليس هو الّذي له أن يأخذ القصاص من قتلة عثمان فيقتلهم إنّما أبناء عثمان هم الذين لهم الحقّ، وأبناؤه ما تكلّموا، معاوية احتجّ بهذا حتّى يصدّق أهل الشّام كلامه فصدّقوه فقاتلوا عليًّا.

(١) الذي يخرج عن الخليفة مثل جماعة معاوية يكون كأنّه خلع من رقبته ربقة الإسلام أي حبل الإسلام، معناه أشبه الكافر، الرّسول عليه الصّلاة والسّلام قال «**لا تُنازِعُوا وُلَاةَ الأَمْرِ إِلّا أَنْ تَرَوْا مِنْهُمْ كُفْرًا**» معاوية خالف هذا الحديث، ماذا رأى معاوية من عليّ رضي الله عنه؟ ما رأى معصية، لكنّه أحبّ الرّئاسة، حبّ الرّئاسة جرّه إلى قتال سيّدنا عليّ، أهل الشّام أطاعوه من دون فهم، قتلوا من جيش عليّ عشرين ألف نفس فيهم من كبار الصّحابة، أمّا معاوية ما كان معه من الصّحابة إلّا خمسة أشخاص ممّن أسلموا من قريب، لم يكن معه أحد من كبار الصّحابة، الرّسول عليه الصّلاة والسّلام قال «**مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي وَمَنْ ءاذَى عَلِيًّا فَقَدْ ءَاذَانِي**» رواهُ أحمد والنسائي والحاكم في المستدرك معناه كأنّه سبّني، كأنّه ءاذاني، إلى هذا الحدّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام عظّم أمر عليّ، ثمّ معاوية قاتله، ذنب معاوية لا يحصيه إلّا الله تعالى، سيّدنا عليّ أناس من الخوارج اغتالوه لمّا خرج لصلاة الصّبح ليصلّي بالنّاس إمامًا، واحد من الخوارج ضربه بالسّيف على رأسه، الرّسول عليه الصّلاة والسّلام كان أخبر أنّ عليًّا يموت بضربة في رأسه، فحصل كما أخبر رسول الله ﷺ، معاوية وجد بغيته، حكم بعد أن قتل سيّدنا عليّ عشرين سنة برّ الشّام. ابن سيّدنا عليّ الحسن رضي الله عنه لما قتل أبوه جاء بجيش كبير ثمّ فكّر فقال إن حاربت معاوية يذهب خلق كثير من المسلمين فتنازل له، فصار معاوية خليفة، أخذ حظّه من الدّنيا، كان همّه الدّنيا الرئاسة والمال، والله أعلم بما يلقاه في الآخرة. الخروج على الخليفة ولو كان فاسقًا لا يجوز لأنّه يؤدّي إلى الفتن، لأنّ النّاس الذين في نفوسهم أن يظلموا النّاس يجدون هذا مدخلًا، فيقتل هذا وهذا ويقتل هذا وهذا، تصير فتنٌ كثيرةٌ، لهذا الحسن رضي الله عنه تنازل له لحقن دماء المسلمين، جيش الحسن كان عدده أكثر، لو قاتل معاوية لحطّمه وحطّم من معه، لكن قال لا بد من سفك دماء الكثير من المسلمين لو قاتله فتنازل له. ثمّ إنّ معاوية قبل أن يموت من شدّة حبّه للدّنيا صار يدور على النّاس ويقول لهم استخلفوا ابني، وابنه كان فاسقًا يشرب الخمر،=

= ترك الصّحابة الكبار وأبناءهم الذين هم من أهل الفضل وسعى لابنه الفاسق للخلافة، أقلّ شيء يقال في معاوية إنّه ظالم شديد الظّلم هو وابنه، ابنه صار خليفة بعد موت معاوية، أهل الشّام كانوا في ذلك الزمن مغفّلين فقاتلوا مع معاوية أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه، أمّا أهل مصر والعراق والحجاز وبعض بلاد العجم كانوا مع سيّدنا عليّ، كان مركز معاوية في دمشق، حبّ الدّنيا والرّئاسة قتله.

تنبيهٌ مهمٌ

معنى حديث «**وَمَنْ مَاتَ وَلَيسَ في عَنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتةَ جاهليّةٍ**» هو فيمن يترك الإمام بالخروج عن طاعته.

يقول حزب التّحرير إنّ الّذي يكون في زمن ليس فيه خليفةٌ كهذا الزّمن إذا مات تكون ميتته ميتة جاهلية، مع إيهامهم أنّ ذلك لمن لم يتكلّم معهم في أمر الخليفة كما هم يتكلّمون بألسنتهم.

يقال لهم هذا الحديث رواه مسلم عن ابن عمر عن نبي الله ﷺ بلفظ «**مَنْ خَلَعَ يدًا مِن طَاعةٍ لَقيَ الله يَومَ القِيامَةِ لا حُجَّةَ له، وَمَنْ مَاتَ وَلَيسَ في عُنُقِهِ بَيْعَةٌ ماتَ مِيتَةَ جَاهِليّةٍ**». وهم يذكرون منه للنّاس الجملة الأخيرة يكررون: «**مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةَ جَاهِلِيَّة**».

ومعنى الحديث ليس كما يزعمون إنّما معناه أنّ الّذي يترك الإمام بالخروج عن طاعته كالذين خرجوا على عليّ إذا مات وهو على تلك الحال تكون ميتته ميتة جاهلية كما يدلُّ على ذلك حديث مسلم عن ابن عبّاس، عن النبيّ: «**مَنْ كَرِهَ مِن أَمِيره شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحدٌ مِنَ النّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا، فَمَاتَ عَلَيْهِ، إِلّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةٍ**». فلتنظر التّحريريّة إلى قول النّبيّ: «**فَمَاتَ عَلَيْهِ**» فإنّه صريحٌ في أنّ الّذي يموت ميتةَ جاهليّةٍ هو الّذي يأتيه الموت وهو متمرّد على السّلطان أي والإمام قائم، ويدلُّ عليه أيضًا حديث أبي هريرة أنّه عليه الصّلاة والسّلام قال: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَة فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةَ جَاهِلِيَّةٍ**».

وخير ما يفسّر به الحديثُ الحديث، فالأحاديث الثّلاثة حديثُ عبد الله بن عمر وحديث عبد الله بن عبّاس وحديث أبي هريرة كلٌّ يعني أنّ الّذي يموت متمرّدًا عن طاعة الخليفة مع قيام الخليفة هو الّذي يموت ميتةً جاهليةً ليس الّذي يموت ميتة جاهلية المسلم الّذي يموت في زمن ليس فيه جماعة ولا إمام أي جماعة المسلمين مع إمامهم بدليل حديث حذيفة ابن اليمان الّذي رواه البخاري ومسلم أنّ حذيفة قال قلت يا رسول الله ﷺ فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**». =

ووليُّ[١] اللهِ هُو الْمُسْلِمُ الْمُؤدّي لِلْواجِباتِ الْمُجْتنِبُ لِلْمُحرّماتِ الْمُكْثِرُ مِن النّوافِلِ ولوْ مِنْ نوْعٍ أوْ نوْعيْنِ مِنْها.

= فيجب التوفيق بين حديث عبد الله بن عمر الّذي أنتم تموّهون به على النّاس وبين حديث حذيفة لأنّ كلا الحديثين صحيح، وحديث حذيفة أصحّ منه لأنّه اتّفق على إخراجه البخاري ومسلم بما ذكرنا حيث لم يقل رسول الله ﷺ لحذيفة فأنتم في ذلك الوقت منْ مات منكم قبل نصب الخليفة فميتته جاهلية، فمن أين لكم يا تحريريّون هذا التّحريف لحديث رسول الله عليه الصّلاة والسّلام؟! فارجعوا للحقّ.

ثمّ هذا الكلام يرجع عليكم لأنّكم كأنّكم تقولون الآن إذا مات أحدنا فميتته جاهلية لا يعودُ على المسلمين، ومحاولتكم تطبيق حديث عبد الله ابن عمر على المسلمين في هذا الوقت محاولة صعبة فاتّقوا الله، فما ذنب المسلمين في هذا الوقت الّذي لا يستطيعون فيه أن ينصّبوا خليفة والله تبارك وتعالى قد قال ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴿٢٨٦﴾﴾ [سورة البقرة] فماذا ينفعكم معاندتكم للحقّ؟

ثمّ في قولكم هذا تأثيم الأمّة الإسلامية اليوم ولم تُخرجوا منها سوى جماعتكم.

(١) وقد روينا في مستدرك الحاكم أنّه ﷺ قال: «**إِنَّ الله يُحبُّ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ الّذِينَ إِذَا حَضَروا لَم يُعرَفوا وإِذا غَابوا لَم يُفتَقَدُوا قُلوبُهُمْ مَصَابيحُ الهُدى يَخْرُجُونَ عَنْ كُلِ غَبْراء مظلمة**» هذا الحديث يفيد أنَّ من أولياء الله من لا يُظنّ بهم أنّهم من الأولياء لرثاثة هَيئتهم أي لرثاثة ثيابهم أو شدّة بؤسهم أي شدّة الفقر وخمولهم عند النّاس أي عدم شهرتهم عند النّاس فقد يكون هذا العبد الّذي هو رثُّ الهيئة من أولياء الله وأحبّائه المخصوصين بالمنازل العالية، الرّسول ﷺ وصف هؤلاء الأتقياء الأخفياء بأنّهم إن حضروا لا يُعرفون، أي إن حضروا المجلس الّذي يجتمع فيه النّاس لا يعرفهم النّاس أي لا يعرفون ما لهم عند الله تعالى من فضلٍ ودرجةٍ وإن غابوا لا يُسأل عنهم لا يُقال أين فلان من رثاثة الهيئة أي اللّباس وخمول الذكر أي عدم معرفتهم بين النّاس بالحالة الحسنة العالية المرغوبة لأنّ كثيرًا من عباد الله المحسنين المخلصين يُخفون أعمالهم الحسنة خوفًا من الرّياء خوفًا من أن يُفتنوا إذا عُرفوا ممّا لهم من الأحوال الحسنة هذا حال أكثر الأولياء لا يعرفهم النّاس.

حديث: «**خِيارُ أمَّتي فِي كُلِّ قَرْنٍ خَمْسُمائة والأبْدَالُ أَرْبَعُونَ فَلَا الخَمْسُمائَةِ يَنْقُصُونَ وَلا الأَرْبَعونَ، كلَّما مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ الله مِنَ الخَمْسُمائَةِ مَكَانَهُ وَأَدْخَلَ فِي الأَرْبَعِينَ مَكَانَهم يَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَيُحْسِنُونَ إِلى مَنْ أَسَاءَ إِليهِمْ وَيَتَوَاسَوْنَ فيما آتاهُمُ الله**». السّيوطي، جامع الأحاديث، (١٢/ ٣٢٤).



قبَّلَ اليدَ الشَّريفة. . . كُمَّل الشُّيوخ بالتَّمكُّنِ والرُّسوخ

الإمَامُ أحمدُ الرّفاعِيُّ رضيَ اللهُ عنهُ

يقولُ الله تعالى في القرءان الكريم ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[1].

سيّدنا أحمد الرّفاعي الكبير رضيَ اللهُ عنهُ كان علما شامخًا، وجبلًا راسخًا، وعالمًا جليلًا، محدّثًا، فقيهًا، مفسّرًا، ذا روايات عاليات، وإجازات رفيعات، قارئًا مجوّدًا، حافظًا، حجّة، متمكّنًا في الدّين، سهلًا على المسلمين، صعبًا على الضّالين، هَيّنًا ليّنًا، كريم الخُلُق، حلو المكالمة، لطيف المعاشرة، لا يملّه جليسه ولا ينصرف عن مجالسه إلّا لعبادة، حمولًا للأذى، وفيًّا إذا عاهد، صبورًا على المكاره، جَوّادًا من غير إسراف، متواضعًا من غير ذلّة، كاظمًا للغيظ من غير حقد، بحرًا من بحار الشّرع، سيفًا من سيوف الله، وارثًا أخلاق جدّه رسول الله ﷺ.

هو أبو العبّاس القطب الغوث الجامع الشّيخ السّيّد أحمد بن عليّ الرّفاعيّ الحسينيّ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاه.

كان رضيَ اللهُ عنهُ من الصّوفيّة الصّادقين، عاملًا بشريعة الله تعالى، مخالفًا لهواه، لا يتبع نفسه الهوى في المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك، يقتصر على القدر الّذي يحفظ له صحّة جسده من المأكل

---

(١) سورة يونس، ءاية (٦٢-٦٣).

والمشرب والملبس مع بذل الجهد في عبادة الله تعالى في أداء الفرائض والإكثار من النّوافل. وكان لسيّدنا أحمد الرّفاعي حظّ كبير في التّواضع حتَّى صار يضرب فيه المثل في ذلك، وهكذا سلسلة مشايخ طريقته معروفون بين الصّوفية بالتّواضع وهذا حظّ كبير، الرّسول عليه الصّلاة والسّلام بيّن أنّ أكثر النّاس غافلون عن هذا المقام: التّواضع، قال عليه الصّلاة والسّلام: «**إِنَّكُمْ لَتَغْفَلُونَ عَنْ أَفْضَلِ العِبادَةِ التَّوَاضُعَ**» حديث صحيح حسّنه الحافظ ابن حجر في الأمالي.

ثمّ إنّ الإمام الرّفاعيّ رضيَ اللهُ عنهُ كان يجتمع في زاويته نحو مائة ألف نفس في ليلة من السّنة يسمّونها ليلة المَحْيا، كان هو يقوم بكفايتهم بالطّعام والشّراب وهو لم يكن من بيت الملك، ولا من بيت الوزارة، وإنَّما كان يقوم بذلك بمدد أمدّه الله به ومع هذا كان شديد التّواضع، خلفاؤه وخلفاء خلفائه زادوا في حياته على مائة ألف، بلغ عددهم مائة وثمانين ألفًا وكانت تظهر لهم أحوال غريبة وهي الكرامات الّتي يكرم الله بها عباده الأتقياء كدخول الأفران الحامية، كان أحدهم يدخل الفرن الحامي ينام في جانب والخبّاز يخبز في الجانب الآخر لا يتأذّى بالنّار، لأنّ النّار لا تخلق الإحراق إنّما خالق الإحراق فيها هو الله، ألم تكن بردًا وسلامًا على سيّدنا إبراهيم عليه السّلام؟ كذلك من الرّفاعية من كانوا يقيمون حضرة الذّكر ويشعلون نارًا عظيمة فيدخلون فيها ويمكثون فيها حتَّى تنطفئ.

مرة قصد سيّدنا أحمدُ المدينةَ المنوّرةَ، ولمّا وصل الرّفاعيّ رضيَ اللهُ عنهُ مدينة رسول الله ﷺ وقف تجاه حجرة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام وقال: السّلام عليك يا جَدّي. فردّ عليه رسول الله ﷺ: وعليك السّلام يا ولدي. سمع ذلك كلّ من في المسجد، فجثا على ركبته ثمّ قام وبكى وأَنَّ طويلًا وقال: يا جدّاه.

فـي حَـالَـةِ الـبـعـدِ روحِـي كـنـتُ أرسِـلُـهـا
تـقـبِّـلُ الأرضَ عـنِّـي وهـيَ نـائِـبَـتِـي
وهـذهِ دولـةُ الأشـبـاحِ قـد حـضَـرَتْ
فـامـدُدْ يـمـيـنَـكَ كـي تـحـظَـى بـهَـا شَـفَـتِـي

فمَدَّ له رسول الله ﷺ يدَهُ الشّريفة المعطّرة من قبره الأزهر المكرّم فقبّلها في ملأ يقرُبُ من تسعين ألف رجل والنّاس ينظرون اليد الشّريفة.

هذا الإمام الجليل أحمد الرّفاعيّ رضيَ اللهُ عنهُ الله تعالى أفاض عليه بجواهر الكَلم، فمن الجواهر الّتي تكلّم بها في علم الأصول: «غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان». ومن جواهره أيضًا قوله: «يا ولدي إذا تعلّمت علمًا وسمعت نقلًا حسنًا فاعمل به ولا تكن من الّذين يعلمون ولا يعملون».

ويقول: «العجب ممّن يعلم أنّه يموت كيف ينسى الموت، والعجب ممّن يعلم أنّه مفارق الدّنيا كيف ينكبّ عليها ويقطع أيّامه بمحبّتها».

ويقول: «الدّنيا أولها ضعف وفتور وآخرها موت وقبور».

فنسأل الله تعالى أن يزهّدنا في هذه الدّنيا الفانية الزّائلة، وأن يجعلنا من الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن ينفعنا ببركات الشّيخ أحمد الرّفاعيّ الكبير رضيَ اللهُ عنهُ.



صِلْ الرّحِم بطيب الكَلِمْ

صِلَةُ الرَّحِمِ

أُوصيكم بصلة الرّحم، فالمسلم يصل رَحِمه وإن كان رَحِمه قطعه، والرّحِم هو القريب، وإن كان لا يعرف له المعروف الّذي يعمله معه، لو كان رَحِمه يسيء إليه فينبغي أن يحسن هو إليه، ولا ينقطع عن معاملته بإحسان فيكون أجره عظيمًا عند الله، قال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ لأنّ الله يحبّ من المؤمن أن يعمل معروفًا مع الّذي يعمل معه المعروف ومع الّذي لا يعمل معه معروفًا. فالّذي يحسن إلى رحمه الّذي يحسن معاملته أجره أقل من الإحسان إلى الّذي لا يحسن معاملته، لأنّ هذا فيه كسر للنّفس في طاعة الله، والله يحبّ ذلك، فمن خالف نفسه فأحسن إلى رَحِمِهِ الّذي يقطعه كان له الثّواب العظيم. وقد حثّنا الرّسول عليه الصّلاة والسّلام فقال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرْ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» رواه البخاري.

من الأرحام

١	الأُمُّ	الأبُ	الإِخوة	الأخواتُ	أولاد الإخوة	أولاد الأخوات

٢	الابْنُ	البنتُ	أولادُ الابنِ وأولادهم	أولادُ البنتِ وأولادُهُم

٣	أبو الأبِ	أبو الأمّ	أُمُّ الأبِ	أُمُّ الأُمّ

٤	الخالُ	العمُّ	الخالةُ	العمّةُ
٥	أولادُ الأخْوالِ	أولادُ الأعْمامِ	أولادُ الخالاتِ	أولادُ العمّاتِ

٦	جدّةُ الأبِ	أُمُّ جدّ الأُمّ	أُمُّ جدّ الأبِ
٧	جدُّ الأبِ	أبو جدّ الأُمّ	أبو جدّ الأبِ

٨	جدّةُ الأُمّ	أُمُّ جدّةِ الأُمّ	أُمُّ جدّةِ الأبِ
٩	جدُّ الأُمّ	أبو جدّةِ الأُمّ	أبو جدّةِ الأبِ

١٠	أوْلادُ بنتِ الأُختِ	أوْلادُ ابْنِ الأُختِ
١١	أوْلادُ بنتِ الأخِ	أوْلادُ ابْنِ الأخِ

١٢	أوْلادُ بنتِ العمّ	أوْلادُ ابْنِ العمّ
١٣	أوْلادُ بنتِ العمّةِ	أوْلادُ ابْنِ العمّةِ

١٤	أوْلادُ بنتِ الخالِ	أوْلادُ ابْنِ الخالِ

١٥	أوْلادُ بنتِ الخالةِ	أوْلادُ ابْنِ الخالةِ

١٦	خالُ الأبِ	أولاد خالِ الأبِ	أولاد أولادِ خالِ الأبِ
١٧	خالةُ الأبِ	أولاد خالةِ الأبِ	أولاد أولادِ خالةِ الأبِ
١٨	عمُّ الأبِ	أولاد عمّ الأبِ	أولاد أولادِ عمّ الأبِ
١٩	عمّةُ الأبِ	أولاد عمّةِ الأبِ	أولاد أولادِ عمّةِ الأبِ

٢٠	خالُ الأُمّ	أولاد خالِ الأُمّ	أولاد أولادِ خالِ الأُمّ
٢١	خالةُ الأُمّ	أولاد خالةِ الأُمّ	أولاد أولادِ خالةِ الأُمّ
٢٢	عمُّ الأُمّ	أولاد عمّ الأُمّ	أولاد أولادِ عمّ الأُمّ
٢٣	عمّةُ الأُمّ	أولاد عمّةِ الأُمّ	أولاد أولادِ عمّةِ الأُمّ

٢٤	خالةُ الجدّ	أولاد خالةِ الجدّ	خالةُ الجدّةِ	أولاد خالةِ الجدّةِ
٢٥	عمّةُ الجدّ	أولاد عمّة الجدّ	عمّةُ الجدّةِ	أولاد عمّة الجدّةِ
٢٦	خالُ الجدّ	أولاد خالِ الجدّ	خالُ الجدّةِ	أولاد خالِ الجدّةِ
٢٧	عمُّ الجدّ	أولاد عمّ الجدّ	عمُّ الجدّةِ	أولاد عمّ الجدّةِ

مُلاحظات:

١- المُرادُ بالأولاد: الذكور والإناثُ.

٢- من يُعتبر قريبًا عادةً.

٣- الجدُّ وأبو الجدّ وأبو أبي الجدّ ومن تفرّع منهم.

٤- الإِخوة والأخواتُ الأشقاءُ والأخيافُ ولعلّاتٍ كلُّهم رحِمٌ.

٥- من كان ليس رحِمًا ولكنْ حرُم بالرّضاع ليس رحِمًا.



عند النّوم يقال: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السّمٰواتِ ورَبَّ الأَرضِ ورَبَّ العَرْشِ العظيم، ربَّنا ورَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فالِقَ الحَبِّ والنّوَى، مُنَزِلَ التّورَاةِ والإِنْجِيلِ وَالقُرْءَانِ، أَعُوذُ بِكَ من شَرِّ كُلِّ ذي شَرٍّ أنتَ آخِذٌ بناصِيَتِهِ، أنتَ الأَوَّلُ فليسَ قبلَكَ شَيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليسَ بعدَكَ شَيءٌ، وأنتَ الظّاهِرُ فليسَ فوقَكَ شَيءٌ، وأنتَ الباطنُ فليسَ دونَكَ شيءٌ، اقضِ عنَّا الدَّينَ، وأَغْنِنَا منَ الفَقرِ**».



الدّرس الثّاني والخمسون

(**والإعانةُ على الْمعْصِيةِ**[١]) كجلْبِ الْخمْرةِ لِمنْ يُرِيدُ شُرْبها (**وترْوِيجُ الزّائِفِ**) كالدّراهِمِ الزّائِفةِ والتّعامُلُ بِها على أنّها صحِيحةٌ تامّةٌ كطلْيِ قِطعِ النُّحاسِ بِالذّهبِ لإِيْهامِ النّاسِ أنّها دنانِيرُ وبيْعِها على أنّها كذلِك، (**واسْتِعْمالُ أوانِي الذّهبِ والْفِضّةِ**[٢]) كأنْ يأْكُل فِيهِما أوْ يشْرب (**و**) يحْرُمُ أيْضًا (**اتّخاذُها**) أي اقْتِناءُ أوانِيهِما ولوْ لمْ يقْصِدِ الِاسْتِعْمال، (**وترْكُ الْفرْضِ**) بِأنْ يتْرُك تأْدِيتهُ كالصّلاةِ (**أوْ فِعْلُهُ**) صُورةً (**مع ترْكِ رُكْنٍ**) كأنْ صلّى مِنْ غيْرِ نِيّةٍ (**أوْ**) مع ترْكِ (**شرْطٍ**) كأنْ صلّى بِغيْرِ وُضُوءٍ (**أوْ**) فعلهُ (**مع فِعْلٍ مُبْطِلٍ لهُ**) كأنْ شرع فِي الصّلاةِ مع الْحركةِ لِلّعِبِ، (**وترْكُ**) صلاةِ (**الْجُمُعةِ مع وُجُوبِها علَيْهِ وإِنْ صلّى الظُّهْر**) بدلًا عنْها، (**وترْكُ نحْوِ أهْلِ قرْيةٍ الْجماعاتِ**[٣] **فِي**) الصّلواتِ الْخمْسِ (**الْمكْتُوباتِ**) ومِثْلُ ذلِك ما لوْ صلّى أهْلُ الْمدِينةِ فِي الْجماعةِ لكِنْ بِحيْثُ لا يظْهرُ

---

(١) لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ۝٢﴾ [سورة المائدة] فالآية دليلٌ لتحريم معاونة شخص لشخص في معصية الله كحمل إنسان ذكر أو أنثى إلى محلٍّ يُعبَد فيه غير الله لمشاركة المشركينَ وموافقتهم في شركهم وذلك كفرٌ، وكأن يأخذ الرّجل زوجته الكتابيّة إلى الكنيسة أو يعطيها ما تستعين به على ذلك وغير ذلك من كلّ ما هو معاونة في المعصية كائنةً ما كانت.

(٢) الاستعمال يكون بالأكل في أوانيهما أو الشّرب ونحوهما، ولو مِيلًا ومُكحلةً وهو من الكبائر. وأما الاتّخاذ الّذي هو اقتناء أوانيهما بلا استعمال فهو حرام كذلك ولو لم يكن في قلب مقتنيه قصد الاستعمال فإن كان الاقتناء لزينة البيت فخرًا وبطرًا فهو أشدّ إثمًا. قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ فِي ءَانِيَةِ الذَّهَبَ والفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارُ جَهَنَّم**» رواه مسلم وذلك إذا لم يكن هناك ضرورة أو عذر. وقيل لا يحرم الاتّخاذ إن لم يكن بقصد الاستعمال.

(٣) قال ﷺ: «**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لا تُقَامُ فِيهِمْ الصَّلَاةَ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ**» رواه أبو داود.

الشّعارُ، (**وتأْخِيرُ الْفرْضِ عنْ وقْتِهِ بِغيْرِ عُذْرٍ**) كأنْ لمْ يُصلّ الْعصْر حتّى دخل وقْتُ الْمغْرِبِ أوْ لمْ يدْفع الزّكاة لِلْمُسْتحِقّين بعْد حولانِ الْحوْلِ مِنْ غيْرِ عُذْرٍ (**ورمْيُ الصّيْدِ بِالْمُثقّلِ الْمُذفّفِ أيِ بِالشّيْءِ الّذِي يقْتُلُ بِثِقلِهِ**[1]) الْمُسْرِعِ لإِزْهاقِ الرُّوحِ (**كالْحجرِ**) فلا يجُوزُ (**واتّخاذُ الْحيوانِ غرضًا**) أيْ هدفًا لِلرّمايةِ (**وعدمُ مُلازمةِ الْمُعْتدّةِ**) بِالْوفاةِ أوْ بِطلاقٍ بائِنٍ (**لِلْمسْكنِ بِغيْرِ عُذْرٍ**) فإِنْ خرجتْ نهارًا لِحاجةٍ كشِراءِ نحْوِ طعامٍ وبيْعِ غزْلٍ ولِنحْوِ احْتِطابٍ جاز أوْ خرجتْ ليْلًا إِلى دارِ جارتِها لِحدِيثٍ مثلًا ثُمّ عادتْ وباتتْ فِي الْبيْتِ جاز كذلِك بِشُرُوْطِهِ والْعُذْرُ كخوْفِ انْهِدامِ الْبيْتِ عليْها ونحْوِ ذلِك وأمّا الرّجْعِيةُ ففِيْ حُكْمِ الزّوْجةِ أيْ أنّها لاتخْرُجُ مِنْ بيْتِ الزّوْجِ إِلا بِإِذْنِهِ (**وترْكُ**) الزّوْجةِ (**الإِحْداد على الزّوْجِ**) الْمُتوفّى عنْها والإِحْدادُ هُو الْتِزامُ ترْكِ الزّينةِ والطّيبِ إِلى انْتِهاءِ الْعِدّةِ وهِي لِلْحامِلِ إِلى الْوضْعِ ولِغيْرِها أرْبعةُ أشْهُرٍ وعشرةُ أيّامٍ (**وتنْجِيسُ الْمسْجِدِ**[2]) بِالْبوْلِ أوِ الدّمِ أوْ غيْرِ ذلِك مِن النّجاساتِ (**و**) كذا (**تقْذِيرُهُ ولوْ بِطاهِرٍ**) كالْبُزاقِ والْمُخاطِ (**والتّهاوُنُ بِالْحجّ**) أيْ بِأدائِهِ (**بعْد**) حُصُولِ (**الِاسْتِطاعةِ إِلى أنْ يمُوت**) مِنْ غيْرِ أنْ يحُجّ، (**والِاسْتِدانةُ لِمنْ لا يرْجُو وفاءً لِدِيْنِهِ مِنْ جِهةٍ ظاهِرةٍ**) بِأنْ لمْ يكُنْ ذا مِلْكٍ أوْ مِهْنةٍ يتوقّعُ درّ الْمالِ عليْهِ مِنْها (**ولمْ يعْلمْ دائِنُهُ بِذلِك**) أيْ بِأنّهُ لا يرْجُو وفاء الدّيْنِ أمّا إِنْ

---

(١) وعلى هذا فما يُقتل ببندق الرّصاص الّذي عُرف استعماله لصيد ميتة إلّا أن يُدرك وفيه حياة مستقرّة وعلامتها حركة اختياريّة أو نحوها فيُذكّى بالسّكين أو نحوها ممّا له حدّ.
مسئلة: لا يحلّ المقدور عليه ولو وحشيًّا إلّا بالقطع المحض من مسلم أو كتابيّ ذميّ أو غير ذميّ لجميع الحلقوم والمريء أي مجرى النّفس ومجرى الطّعام والشّراب مع استقرار الحياة في الابتداء بمحدد أي بما يقتل بحدّه غير العظم والظّفر. وعلامة استقرار الحياة أن تشتدّ حركته بعد الذّبح ويتدفّق دمه.

(٢) قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الحج]، ومن تعظيمها تطييبها فقد جرت العادة في المدينة بتبخير مسجد الرّسول ﷺ بالعود كلّ جمعة من زمان خلافة سيّدنا عمر رضي الله عنه وذلك من القُربات إلى الله.

عرف أنّ الدّائِن يعْلمُ بِحالِهِ فاقْترض مِنْهُ فأقْرضهُ فلا حُرْمة فِي ذلِك (**وعدمُ إِنْظارِ**) الدّائِنِ لِلْمدِينِ (**الْمُعْسِرِ**) أيِ الْعاجِزِ عنْ قضاءِ ما عليْهِ مع عِلْمِهِ بِإِعْسارِهِ كأنْ حبسهُ أوْ لازمهُ مع عِلْمِهِ بِعدمِ قُدْرتِهِ على ذلِك، (**وبذْلُ الْمالِ فِي الْمعْصِيةِ**) كأنْ يدْفع الْمال لِلِاسْتِماعِ لِآلاتِ الطّربِ الْمُحرّمةِ (**والِاسْتِهانةُ بِالْمُصْحفِ**) بِالإِخْلالِ بِتعْظِيمِهِ فإِنْ وصل إِلى حدّ الِاسْتِخْفافِ كان كُفْرًا (**و**) كذلِك حُكْمُ الِاسْتِهانةِ (**بِكُلّ عِلْمٍ شرْعِيٍّ**) كالِاسْتِهانةِ بِكُتُبِ الْفِقْهِ.

فائدةٌ مهمةٌ:

من جملة الافتراءات قول بعضهم: «إنّ الشّيخ الحبشيَّ أباح الرّقص للرّجال والنّساء في صريح البيان»[١].

الردّ: ونحن نطلب من هذا المفتري أن يظهر الكتاب للنّاس حتّى يروا كذب ادّعائه.

ففي كتاب صريح البيان[٢] للمحدّث الهرريّ الطبعة الأولى والثانية لا يوجد كلمة: «رقص» فمن أين أتى بها.

إنّ حبّ التّشنيع والافتراء دفعه إلى ذلك لأنّه يريد علوًّا في الأرض وفسادًا.

وإنَّما يوجد في هذه الصّحيفة من الطّبعة الأولى الدّليل الشّرعي من الأحاديث النّبويّة وأقوال العلماء على جواز الضّرب بالدّف، ومن الطّبعة الثانية أنّ أمير المؤمنين عمر رضيَ اللهُ عنهُ توسّل بالعبّاس رضيَ اللهُ عنهُ لأجل قرابته من رسول الله ﷺ كما قال الحافظ العسقلانيّ في «الفتح».

---

(١) صريح البيان (ص١٦١).

(٢) صريح البيان (ص١٦١).

نقول لهؤلاء المفترين إنّ كثيرًا من المسلمين لمّا قرأوا كتبكم ومناشيركم ضدّ طلّاب المحدّث الشّيخ عبد الله الهرريّ عرفوا أنّها أكاذيبكم لأنّهم قارنوا كتب الشّيخ وأرقام الصّحيفات الّتي ذكرتموها بما ادّعيتم به علينا فقالوا لنا: هؤلاء كأنّهم يستحلّون الكذب ضدّكم؟!

أخي المسلم، علماء أصول الدّين ذكروا في كتبهم أنّ من الفرق الضّالة الخطّابيّة لأنّهم يستحلّون شهادة الزّور لموافقيهم وردّ الإمام الشّافعيّ رضيَ اللهُ عنهُ شهادتهم.

وسننقل لك أيُّها القارئ ما ذكره الشّيخ في «صريح البيان»[١] حول جواز ضرب الدفّ لعرس ونحوه وهو ما نصّه: «وفي مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج»[٢] يقول الشّارح في قول الإمام النّوويّ: «ويجوز دفّ لعرس وختان وكذا غيرهما في الأصحّ وإن كان فيه جلاجل» (ويجوز دُفّ) بضم الدال أشهر من فتحها، سمّي بذلك لتدفيف الأصابع عليه (لعرس) لما في التّرمذيّ وسنن ابن ماجه عن عائشة رضيَ اللهُ عنهُا أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**أَعْلِنُوا هَذَا النِّكاحِ وَاجْعَلُوهُ فِي المَسَاجِدِ واضْرِبوا عَلَيهِ بِالدُّفِ**» انتهى.



أَنْتِ مَأمورة وأنا مأمور...

معجزةٌ لسيّدِنا يوشَعَ علَيهِ السّلَامُ

سيّدنا يوشع بن نون عليه السّلام نبيّ جاء بعد سيّدنا موسى عليه

(١) صريح البيان (ص٥٥١).

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج (ج٤/ ٤٢٩).

السّلام، خليفةً لهُ وأولُ نبيّ بعد موته، الله تعالى أمره بأن يقاتل الكفّار الّذين كانوا مستولين على بيت المقدس، الكفّار المتجبّرين، قاتلهم فأبادهم، كسرهم وحرّر القدس منهم، سيّدنا موسى عليه السّلام أيضًا كان أمر قومه بالقتال لمّا أتى بهم من مصر، بعد إنقاذهم من الغرق بتلك الأعجوبة العظيمة، لمَّا دخلوا بَرَّ الشّام، قال لهم: «قاتلوا هؤلاء الجبّارين الّذين بالقدس، المستولين على القدس»: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1] قومه كانوا أتعبوه مع أنّهم رأوا من العجائب الكبرى، فلق لهم البحر اثنتي عشر فرقًا، فلق لهم بحر القلزم وهو بحر صعب، تجاوز بهم هذا البحر، الله تعالى جعل له البحر كالأرض اليابسة، هنا ماء وهنا ماء وهنا ماء في اثني عشر مكانًا وما بين هذا وهذا أرض يابسة، دخلوا، كانوا ستَّمائة ألف نَفْس، تجاوزوا إلى أن وصلوا إلى الشّاطئ، هذه عجيبة كبرى، ومع هذا خالفوه بعد ذلك بوقت قصير، لمّا وصلوا إلى برّ الشّام خالفوه، قال لهم: «قاتلوا هؤلاء الجبّارين الّذين في القدس»، فقالوا: «إنّ فيها قومًا جبّارين وإنَّا لن ندخلها»، قالوا له: «اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هٰهنا قاعدون»، ثمّ مات سيّدنا موسى، قبل أن يفتح بيت المقدس، توفّي، الآن قبره قبل جبل القدس في أرض اسمها أريحا، بين أريحا وجبل القدس، وجبل القدس جبل كبير مثل جبل لبنان، هناك مدفون نبيّ الله موسى عليه السّلام، بعد ذلك الله سبحانه وتعالى أنزل على يوشع الوحي وجعله نبيًّا، فأمر المؤمنين الّذين كانوا معه بقتال هؤلاء الجبابرة، فقاتلوهم، فكسروهم، أعانهم الله تعالى، من جملة معجزاته أنّ الله ردّ له الشّمس بعد غروبها، قال رسول الله ﷺ: «**غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أنتِ مَأْمُورَةٌ**

(١) سورة المائدة، ءاية (٢٤).

وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا» أبو هريرة، صحيح مسلم. طلب من الله أن ينجز فتح بيت المقدس قبل غروب شمس ذلك اليوم وكانت الشّمس قد غربت، ثمّ أعادها الله تعالى كما كانت فكسروا الكفّار، أنهوا قتال الكفّار، وفتحوا البلد فدخل المؤمنون بيت المقدس، قتال الكفّار كان قبل سيّدنا محمّد، بعض الأنبياء أُمروا بذلك.



حقيقٌ بالتّواضُعِ مَن يَموت ويكفي المَرءُ من دُنياهُ قُوت

خِدمَةُ المسلِمين

أوصيكم بالتّواضع والانكسار فرِفقًا بالمسلمين بتواضع ولين وتعاضُدٍ مَتين، فهذا سيّد المتواضعين محمّد عليه الصّلاة والسّلام علّمنا بالحال والمقال كيف نتواضع لإخواننا ونتلطّف معهم ابتغاء الأجر من الله، فاخفض جناحك لإخوانك واقضِ حوائجَهُم واخدمهم وتطاوع معهم فيما يرضي الله، فالمؤمن كالجمل الأنِف هذا الّذي يوضع في أنفه حلقة إذا انقيد انقاد وإذا استنيخ على صخرة استناخ ولو كان الّذي يقوده ولدًا صغيرًا. المؤمن يتطاوع مع إخوانه فيما يرضي الله مع الصّغير والكبير. ومن التّواضع أن تخدم إخوانك لله، تخدمهم لوجه الله، لمرضاة الله، الزّوجة تخدم زوجها، والزّوج يخدم أهل بيته، صاحب العمل يخدم موظّفيه، الجار يخدم جاره والأولاد يخدمون الأهل وهكذا.

فإذا كنت في بيتك لا تكن ممّن يكثر الطلّب ممّن حوله ولا تقل «ناولوني»، «أعطوني»، «اجلبوا لي»، وأنت مستلقٍ بل عاونهم كما كان

حال رسول الله ﷺ يقوم بحاجاته في بيته مع أنّه كان له من يخدمه ﷺ. أخي المسلم أعن زوجتك في أمر الطّعام والأولاد وخفّف عنها ما تجد من خدمة الأَولاد وتربيتهم، وساعدها في تهذيب الأولاد، وأكرم من هي تحبّ إكرامًا لها وطيّب لها نفسها وتكلَّم معها بطيب الكلام، وإذا وجدت منها تقصيرًا فالتمس لها عذرًا، ساعدها ببعض أعمال المنزل بحيث تقسّم الأعباء ليتاح لها أن تحصّل العلم الدّينيّ وأن تهتمّ بحاجاتك.

دعاء

إذا زار المؤمن مريضًا يقول: «**أَذْهِبِ البَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، واشفِ أنتَ الشَّافي، لا شِفَاءَ إلّا شِفَاؤُكَ شفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا**».

الدّرس الثّالث والخمسون

(**و**) مِن الاِسْتِهانةِ بِالْمُصْحفِ (**تمْكِينُ الصّبِيّ الْمُمَيّزِ مِنْهُ**) وهُو مُحْدِثٌك لِغيْرِ حاجةِ التّعلُّمِ وحمْلُهُ على غيْرِ طهارةٍ، (**وتغْيِيرُ منارِ الأرْضِ أيْ تغْيِيرُ الْحدّ الْفاصِلِ بيْن مِلْكِهِ ومِلْكِ غيْرِهِ**) بِأنْ يُدْخِل مِنْ حُدُودِ جارِهِ شيْئًا فِي حدّ أرْضِهِ، (**والتّصرُّفُ فِي الشّارِعِ**) أيِ الطّرِيقِ النّافِذِ (**بِما لا يجُوزُ**) مِمّا يضُرُّ الْمارّة، (**واسْتِعْمالُ**) الشّيْءِ (**الْمُعارِ فِي غيْرِ الْمأْذُونِ لهُ فِيهِ**) كأنْ اسْتعار دابّةً لِيرْكبها فنقل عليْها متاع الْمنْزِلِ (**أوْ زاد على الْمُدّةِ الْمأْذُونِ لهُ فِيها**) كأنْ أعارهُ شخْصٌ ثوْبهُ لأُسْبُوعٍ فاسْتعْمله لأُسْبُوعيْنِ (**أوْ أعارهُ**) أيِ الْمُعار (**لِغيْرِهِ**) بِلا إِذْنٍ مِن الْمالِكِ (**وتحْجِيرُ الْمُباحِ**) وهُو منْعُ النّاسِ مِن الأشْياءِ الْمُباحةِ لهُمْ على الْعُمُومِ والْخُصُوصِ (**كالْمرْعى**) أيْ مكانِ رعْيِ الْماشِيةِ (**والِاحْتِطابِ**) أيْ أخْذِ الْحطبِ (**مِن الْمواتِ**) أيْ مِنْ أرْضٍ لا مالِك لها ومِنْهُ تحْجِيرُ شواطِىءِ الأنْهارِ والْبِحارِ الإِقْطاعُ ليس تمليكًا يجوزُ للخليفة أن يحولها إلى غيره أمّا إن احياها هو صارت ملكًا له. (**والْمِلْحِ مِنْ معْدِنِهِ**) كالْبحْرِ (**والنّقْديْنِ**) مِنْ معْدِنِهما (**وغيْرِهِما و**) الْمنْعِ مِن (**الْماءِ لِلشُّرْبِ مِن**) الْبِئْرِ الّتِي حفرها الشّخْصُ فِي الأرْضِ الْمواتِ حالة كوْنِ ذلِك الْماءِ مِن (**الْمُسْتخْلفِ وهُو الّذِي إِذا أُخِذ مِنْهُ شيْءٌ يخْلُفُهُ**) ماءٌ (**غيْرُهُ**) وهذا غيْرُ ما تملّكهُ الشّخْصُ بِاحْتِوائِهِ فِي إِنائِهِ مِنْ بحْرٍ أوْ نهْرٍ مثلًا فلا يجِبُ عليْهِ بذْلُهُ، (**واسْتِعْمالُ اللُّقطةِ**)

أمّا الشّيء الّذي يضيع في بيتٍ أو يوجد في سيّارةٍ إذا لم يأخذه صاحبه من السّيّارة أو إن لم يقل إنّه لي، وصاحب البيت إذا كان ليس له، ينتظر مدّة يحفظه، لا يجب عليه التّعريف إنّما عليه أن يحفظه، إن أَيِسَ من معرفة صاحبه يتصدّق به على فقيرٍ بنيّة أن يكون الثّواب لذلك

إن كان مسلمًا، ثمّ إن ظهر صاحبه بعد سنين يخيّره (بين أن يدفع له أو أن يرضى بالثّواب) هذا ما يوجد في بيتٍ أو في سيّارةٍ.

أمّا ما يوجد في البحر أو شواطئ البحر أو في مسجدٍ أو في الطّريق العام أو في البرّية أو في الغابات هذا يُعرَّفُ سَنَة[١] ثمّ إن لم يظهر صاحبه بعد سنةٍ يقول «تملّكت هذا» ثمّ إن ظهر صاحبه يومًا ما يغرّم له. من فعل هذا ليس عليه في الآخرة عقاب، أمّا من أكله بدون هذا، فورًا أكله، تصرّف فيه فويل له ثمّ ويل له يُعذّب يوم القيامة.

أمّا إذا كان يفسد فورًا، هذا من الآن يتصدّق به أو يبيعه ويحفظ ثمنه لشخصٍ لا يأكله لنفسه (لو كان هذا الشّيء يتلف بسرعةٍ فظنّ أنّه يجوز أن يأكله كي لا يتلف بنيّة أن يغرَم لصاحبه لا يضرّ العقيدة). بالنّسبة لِلَّقِطَة إذا لم يخف ضررًا يعرّفها في المكان الّذي وجدها فيه أوّل مرة يقف هناك يعرّفها، ثمّ بعد ذلك يخفف إلى نهاية السّنة، أو يكتب ورقةً بخطٍ واضحٍ يُلصقه على شارعٍ عام بالممرّات ولا سيّما بالشّارع الّذي هو أقرب إلى المكان الّذي وجده فيه، يكتب «(من ضاع له عملة أقل من كذا وأكثر من كذا) لا يحدّد ولا يعيّنها تعيينًا، يحاول أن يقول ثوبَ أو غرضَ كذا فليراجع محل فلانٍ، دكان فلان أو منزل فلانٍ»، فإذا جاء الشّخص وأعطاه الوصف تمامًا يعطيه، أمّا إن أكله فورًا يا ويله.

في طرابلس مرّة شخص وجد خمسة وعشرين ألف ليرةٍ قبل ثلاثين سنةً فورًا فتح معملًا للكنزات بهذا المال، مثل هذا ويل له يعتبره لقمةً سائغةً كأنّه اصطاد من البحر سمكًا فباعه فأكله.

وهِي ما ضاع مِنْ مالِكِهِ بِسُقُوطٍ أوْ غفْلةٍ أوْ نحْوِ ذلِك إذا كان اسْتِعْمالُهُ (**قبْل التّعْرِيفِ**) لها (**بِشُرُوطِهِ**) وهُو أنْ يُعرّفها سنةً بِنِيّةِ تملُّكِها

(١) بنيّة تملكه إن لم يظهر صاحبه.

إِنْ لَمْ يظْهرْ صاحِبُها فإِنْ فعل حلّ لهُ أنْ يتملّكها فيتصرّفُ فِيها بِنِيّةِ أنْ يغْرم لِصاحِبِها إِذا ظهر (**والْجُلُوسُ**) بِمعْنى الْبقاءِ فِي الْمجْلِسِ الّذِي يحْصُلُ فِيهِ مُنْكرٌ (**مع مُشاهدةِ الْمُنْكرِ**) لا لإِنْكارِهِ (**إِذا لَمْ يُعْذرْ**) بِالْبقاءِ فِيهِ فإِنْ كان معْذُورًا لَمْ يحْرُمْ (**والتّطفُّلُ فِي الْولائِمِ وهُو الدُّخُولُ**) إِلى الْولائِمِ الّتِي لَمْ يُدْع إِلَيْها (**بِغيْرِ إِذْنٍ أوْ أدْخلُوهُ**) إِلَيْها (**حياءً**) مِنْ ردّهِ وهُو يعْلمُ ذلِك، (**وعدمُ التّسْوِيةِ**) مِن الرّجُلِ الْمُتزوّجِ اثْنتيْنِ أوْ أكْثر (**بيْن**) الزّوْجتيْنِ أوِ (**الزّوْجاتِ فِي النّفقةِ**) الْواجِبةِ (**والْمبِيتِ**)[1] بِأنْ

---

(١) قال الشّيخ عبد الله رحمه الله: إحسان المعاملة مطلوب من الجانبين (الزّوج والزّوجة)، مطلوب منه ومنها، المطلوب أن يحسن معاملتها وهي أيضًا مطلوب أن تحسن إليه، لا يتكبّر عليها لأنّه زوجها ولا يتجبّر وإنّما يعاملها بالرّحمة، بعض جَهَلَة المسلمين يسيئون معاملة أزواجهم في أوروبا حتّى يؤدّي بتلك الأزواج اللّاتي أسلمن إلى كراهية المسلمين، لا سيّما بعض الرّجال قساة على زوجاتهم بدل أن يزيدوهنّ حبًّا بالإسلام ينفّروهنّ بسوء المعاملة، هؤلاء لا يعرفون حدود الإسلام ولا آداب الإسلام إنّما ينتسبون إلى الإسلام انتسابًا. بعض الرّجال يرون التّجبّر على الزّوجة والإهانة لها كأنّه من الآداب والخصال الطّيّبة والشّهامة. الرّسول عليه الصلاة والسّلام قال: «**خَيرُكُم خَيْرُكُم لِأهلِهِ وَأنا خَيْرُكُم لأهلِي**» رواه الترمذي. معناه أنا أشَّد النّاس إحسانًا للأزواج. مَنْ يريد أن يقتدي بالرّسول عليه الصّلاة والسّلام يعامل زوجته بالإحسان ليس بالتّجبر والتّكبّر، الرّسول ﷺ كان يخدم كما يخدم النّاس، يعمل في خدمة البيت، كان يحلب الشّاة، ويرقّع دلوه إن انكسر الدّلو، ويخصف نعله، نعله إذا صار فيه خلل هو بيده يصلحه، ما كان يعامل النّاس معاملة الملوك للرّعية، الّذي ورد في الحديث قالت عائشة لمّا سُئلت ماذا كان يفعل رسول الله ﷺ في البيت قالت: ما يعمل الرّجل في بيته، معناه كان يخدم في البيت.

هم الأنبياء أشدّ النّاس تواضعًا لعباد الله، لذلك كلّ نبيّ من أنبياء الله سبق له أن رعى الغنم، سيّدنا محمّد رعى الغنم برهة من الزّمن في مكّة للنّاس بأجرة، كذلك موسى رعى الغنم لشعيب عشر سنين. لذلك رعاية الغنم فيها تحمّل التّعب، الّذي يكون يرعى الغنم يكون مستعدًّا لرعاية النّاس مع تحمّل متاعبهم. قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَوَاضَعَ لله دَرَجَةً رَفَعَهُ الله دَرَجَةً حتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيين وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى الله وَضَعَهُ اللهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ**» رواه أحمد.

على حسب ما يكون الإنسان المؤمن متواضعًا، الله يرفعه درجات حتّى يكون من أهل عليّين.

يُرجّح واحِدةً مِنْهُنّ فِي أحدِ هذيْنِ الأمْريْنِ أوْ كِليْهِما (**وأمّا التّفْضِيلُ فِي الْمحبّةِ الْقلْبِيّةِ والْمِيْلِ**)[1] والْجِماعِ وما زاد على النّفقةِ الْواجِبةِ (**فليْس**

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِلنّساءِ**» رواه الحاكم. أي الّذي يحسن معاملة النّساء هذا أفضلكم، أفضل المؤمنين هم من يحسنون للنّساء، أي يحسنون معاملة النّساء بالعطف والرّحمة والإحسان، معناه الّذي يحسن معاملة النّساء أزواجه هو أفضل المسلمين، يعاملها بالتّواضع والعطف والرّحمة وبشاشة الوجه والإحسان والعفو إذا هي أساءت، من كان هكذا هو أفضل الرّجال لأنّ الّذي يكون مع امرأته هكذا يكون مع الغير هكذا، يكون حسن الخلق، صاحب حسن الخلق درجته كدرجة الإنسان الّذي يصوم صيامًا متتابعًا ويقوم اللّيل، الّذي يتواضع ويسامح النّاس الّذين أساؤوا إليه وهو لا يؤذي غيره ويصبر على أذى غيره ويحسن إلى النّاس هذا يساوي الرّجل الّذي يصلّي نصف اللّيل مثلًا، يتهجّد باللّيل ويصوم كثيرًا ستّة أشهر أو ثمانية أشهر فوق الفرض، هذا بِحُسنِ خُلقِهِ درجَتُهُ عند الله مثل ذاك، التّواضع للأزواج مطلوب والعطف عليهنّ مطلوب، أفضل الرّجال هم الّذين يكون إحسانهم للنّساء أحسن، كثير من الرّجال على خلاف هذا الحديث يعاملون نساءهم، كثير منهم لا يعاملونهنّ كما أمر الرّسول، لا يتواضع معها، يعتبر نفسه مترفّعًا عليها، هذا لا ينبغي، ينبغي أن يتواضع معها ويحسن إليها ويصفح ويعفو عن سيّئاتها، لا يقابل الإساءة بالإساءة، هذا أفضل الرّجال، أمّا الّذين يعاملون النّساء بتلك المعاملة ليسوا من أهل الطّبقة العليا. لو كان الشّخص زوجته عقلها ضعيف فليدارِها، يعاملها بالمداراة بحكمة، الطّفل عقله ضعيف كيف يعامله، أليس بالرّحمة والحكمة والشّفقة والمداراة. ثمّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام قال: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**» معناه أنا أحسن معاملة لأزواجي منكم، أنا أعامل النّساء أحسن معاملة، وأنتم من كانت معاملته للنّساء أحسن، فهو أفضلكم، فيما بينكم الّذي يعامل النّساء معاملة حسنة هذا أفضل، وأنا أفضلكم في معاملة النّساء، الرّسول عليه الصّلاة والسّلام مِنْ حُسنِ خلقه عندما يكون يبيت في بيت إحداهنّ لأجل الدّور لأجل القسم كان عندما يخرج صباحًا يدور على الكلّ، يقف على باب زوجته هذه ويقول: «**السّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ أَهْلَ الْبَيْتِ**»، يأتي على باب هذه فيسلّمُ عليها ويأتي على باب هذه فيسلّم عليها، انظروا إلى هذه المعاملة، أيُّ سرور يدخل على زوجته هذه الّتي يسلّم عليها، هذا حسن معاملة النّساء، أمّا أكثر الأزواج يترفّعون على زوجاتهم هذا خلاف الشّرع، الله لا يحبّه. ورد حديث في حقّ معاملة الزّوج والإحسان إليه وطاعته، عن عائشة أنّه قال عليه الصّلاة والسّلام «**أَوْلَى النّاسِ بالْمَرْأَةِ زَوْجُهَا**» «**أَحَقُّ النّاسِ بِالمَرْأَةِ زَوْجُهَا وَأَحَقُّ النَّاسِ بِالرَّجُلِ أُمُّهُ**» فإذا كان الشّخص لا يستطيع أن ينفق على أمّه وزوجته يقدّم الزّوجة، يعطي نفقة الزّوجة، يقدم الزّوجة ثمّ الأمّ في النّفقة، المرأة أيضًا إن أمرها أهلها بشيء وزوجها=

بِمعْصِيةٍ وخُرُوجُ الْمرْأةِ) مِنْ بيْتِها (**إِنْ كانتْ تمُرُّ على الرّجالِ الأجانِبِ بِقصْدِ التّعرُّضِ لهُمْ**)[1] لِتسْتمِيلهُمْ إِلى الْمعْصِيةِ ولوْ كانتْ ساتِرةً لِلْعوْرةِ

= أمرها بشيء ممّا ليس فيه معصية تطيع الزّوج، لا تترك طاعته، تطيع زوجها ولا تطيع أهلها هذا معنى أحقّ النّاس بالمرأة زوجها. في هذا الزّمن الرّجال لا يعاملون أزواجَهُم كما يحبّ الله ولا النّساء تعاملن أزواجهن كما ينبغي، أكثر النّاس هكذا نساؤهم يشكين منهم سوء المعاملة، النّفس تحبّ الترفّع إلّا مَنْ خالفها لوجه الله، النّفس الّتي تخالف نفسها تكون متواضعة مع عباد الله. التّواضع مطلوب، الرّجل إذا كان في البيت خدم نفسه وخدم زوجته بدل أن ينتظر خدمتها له هذا عند الله أفضل، الرّسول عليه السّلام كان يحلب شاته بيده في البيت بدل أن يقول لإحدى زوجاته احلبي أنت، كان يتولّى خدمة البيت بنفسه، هذا هو التّواضع. من لا يعامل نساءه في الدّنيا بالظّلم إن كان هو يعاملها بالعدل بلا ظلم وهي أطاعته ولم تقصّر في حقّه يوم القيامة لا ينفر هو منها ولا تنفر هي منه، أمّا إن كانا يتعاملان في الدّنيا بالظّلم، يومَ القيامة هو يفرّ منها وهي تفرّ منه خوف أن يطالب أحدهما الآخر بمظلمة، والأبّ والأمّ هكذا، والابن والأمّ كذلك، أمّا إن كانوا في الدّنيا يتعاملون بالإحسان بلا ظلم يشتاق بعضهم ليرى الآخر، أمّا إن كان يعامل أحدهم الآخر بالظّلم وكلاهما هكذا فهذا يفرّ من هذا وهذا يفرّ من هذا.

(١) روى ابن حبان من حديث أبي موسى الأشعريّ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مُتَعَطِّرَةً فَمَرَّتْ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ وَكُلُّ عَينٍ زَانِيَةٌ**» معنى هذا الحديث أنّ أغلب البشر يقعون في معصية النّظر بشهوة أي بتلذّذ، معناه لا يسلم منه إلّا النّادر من المسلمين، وأمّا قوله عليه الصّلاة والسّلام «**فَمَرَّتْ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا**» يُفهم منه أنّها إذا تعطّرت وخرجت ليس ليجدوا ريحها ما عليها معصية، إنّما المعصية إذا مرّت بقوم حتّى يشمّوا ريحها فيميلوا إليها فهي زانية أي عملت مقدّمة من مقدّمات الزّنى، مقدّمات الزّنى، الغمز والمشي بقصد الاستمتاع المحرّم، كذلك الاستماع لكلام امرأة أجنبيّة للتّلذّذ بالاستماع لكلامها وهذا يكثر من بعض الخاطبين قبل العقد، هؤلاء ليتوبوا إلى الله، كذلك أن يتصوّر في نفسه أنّه يقبّل امرأة أجنبيّة أو يضاجعها أو أكثر من ذلك ليتلذّذ، كلّ ذلك من الصّغائر، من مقدّمات الزّنى، ليس مثل الزّنى الحقيقيّ لكن فيه معصية، الغمز معناه أن يمسك ثدي امرأة أجنبيّة أو ظهرها أو عجزها ونحو ذلك. فقوله عليه الصّلاة والسّلام «**لِيَجِدُوا رِيحَهَا**» معناه يجوز لها أن تخرج متعطّرة إلّا إذا كان قصدها التّعرّض للرّجال وإمالتهم إليها، بعض الجهّال المتحزّبين للباطل يقولون هذه اللّام ليست لام كي إنّما هي لام العاقبة، ومرادهم بقولهم هذا تحريم خروج المرأة متعطّرة بكلّ حال ولو كان مرادها مجرد الفرح بنفسها وكلامهم هذا باطل، وبعضهم يقول في التّمويه على النّاس هذا الأمر صار حرامًا في زماننا لأنّ الفتنة كثرت فيه ولا حُجّة لهم بهذا القول لأنّ الفتنة=

(**والسِّحْرُ**) وهُو نوْعانِ أحدُهُما ما لا يتِمُّ لهُ إلّا بِفِعْلٍ أوْ قوْلٍ كُفْرِيّ فهذا كُفْرٌ وثانِيْهِما ما يتِمُّ بِدُونِ ذلِك فهُو كبِيرةٌ[١] (**والْخُرُوجُ عنْ طاعةِ الإِمامِ**) أيِ الْخلِيفةِ[٢] بعْد أنْ ثبتتْ لهُ الْخِلافةُ (**كالّذِين خرجُوا على**) أمِيرِ الْمُؤْمِنِين (**علِيّ**) بنِ أبِيْ طالِبٍ رضِي الله عنْهُ (**فقاتلُوهُ**) فِي الْوقعاتِ الثّلاثِ الْجملِ وصِفّين والنّهْروانِ (**قال**) الْفقِيهُ الْحافِظُ أبُو بكْرٍ (**الْبيْهقِيُّ**) رحِمهُ الله[٣] فِي كِتابِهِ الِاعْتِقادِ (**كُلُّ منْ قاتل علِيًّا فهُمْ بُغاةٌ**) أيْ ظالِمُون

= كانت موجودة أيّام الأنبياء الأوّلين، النّظر بشهوة كان لا يسلم منه إلّا النّادر من عباد الله، لا يسلم من النّظر بشهوة إلّا الأنبياء وبعض الأولياء، وممّا يدلّ على ذلك ما ورد في الحديث من أنّ امرأة جميلة كانت تأتي فتصلّي مع الرّسول جماعة وصفوف النّساء كانت خلف صفوف الرّجال، بينهما مسافة قصيرة نحو مترين وشيء من غير ساتر، ولم يكن هناك سدّة كما اليوم، ما كانت سدّة للمساجد تلك الأيّام، ثمّ بعض النّاس حتّى لا ينظروا إليها يتقدّمون وبعض النّاس يتأخّرون ثمّ ينظرون من تحت الإبط فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الحجر] عندها الرّسول عليه الصّلاة والسّلام عرف حالهم ومع ذلك الرّسول ﷺ ما قال لهذه المرأة صلّي في بيتك. ويستحبّ للنّساء أن يذهبن لصلاة الجماعة في المسجد، لأنّ الرّسول ﷺ قال: «**لا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ المَسَاجِدَ**» وفي لفظ «**مَسَاجِدَ الله**» وفي لفظ «**لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مساجد الله وَلْيَخْرُجْنَ تَفِلاتٍ**» رواه أحمد وأبو داود أي بلا زينة ولا عطر، وقال في حديث آخر «**صَلاةُ المَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي المَسْجِد**» رواه أحمد ولا تناقض بين الحديثين، ومعناه إذا صلّت في بيتها أفضل لكن لا يكره لها الخروج إلى المسجد، ولا يكره لها أن تصلّي أمام الأجانب.

(١) ففي جامعِ التّرمذيّ أنّ عبد اللهِ بن عمرِو بنِ العاصِ قال: علّمنا رسولُ اللهِ أنْ نقول عند الفزعِ فِي اللّيلِ: «**أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّةِ مِن غَضَبِهِ وعِقَابِهِ وشَرِّ عِبادِهِ ومِن هَمَزاتِ الشّياطِينِ وأن يحضُرُون**». فكُنّا نعلّمُهُ منْ عَقِلَ مِن أبنائِنا، ومن لم يعقِلْ كتبْنا ذلك وعلّقْناهُ على أعناقِهِم. قال التّرمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ». بمعناه مع لفظ: «التّامّات» عند التّرمذي، سنن الترمذي، (٥/ ٣٤١). وهذا دليل على أن تعليق الحرزِ جائزٌ لا مانع منهُ.

(٢) الخليفة والإمام شيء واحد، السّلطان قد يكون تحت الخليفة، الخليفة يولّيه، عرفًا هكذا.

(٣) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ. ولد في خسروجرد من قرى بيهق بنيسابور سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في شعبان ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثمّ إلى الكوفة ومكّة وغيرهما. توفّي ببيهق سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. انظر شذرات الذهب (٣/ ٣٠٤).

(**وكذلك قال**) الإمامُ مُحمّدُ بنُ إِدْرِيس (**الشّافِعِيُّ**) رضِي الله عنْهُ[١] (**قبْلهُ**) فِيما نقلهُ عنْهُ الْبيْهقِيُّ وغيْرُهُ فالّذِين خرجُوا على علِيٍّ ظلمُوهُ (**ولوْ كان فِيهِمْ منْ هُمْ مِنْ خِيارِ الصّحابةِ**) كالزُّبيْرِ وطلْحة رضِي الله عنْهُما (**لأنّ الْولِيّ لا يسْتحِيلُ علىْهِ**) الْوُقُوعُ فِي (**الذّنْبِ ولوْ كان مِن الْكبائِرِ**) إِلا أنّهُ يتُوْبُ مِنْهُ قبْل أنْ يمُوْت وقدْ ثبت أنّ الزُّبيْر وطلْحة قدْ تابا ورجعا عنْ تِلْك الْمعْصِيةِ كما ثبت فِي كُتُبِ الْحدِيثِ[٢].

فائدة: عن مسئلة خروج المرأة متعطّرة فالجواب وبالله التّوفيق: أنّه قد جرت عادة المشوّشين إذا سمعوا مسئلة شرعية لم توافق هواهم أن يبدأوا بجمع شملهم لحملة النّكير من غير أن يتثبّتوا هل نصّ الفقهاء المعتبرون على هذه المسئلة أم لا، ومرادهم بذلك التّشويش وحبّ التّعريض بالباطل بمن لا يوافق هواهم، وممّا أنكروه وشدّدوا فيه النّكير مؤخرًا مسئلة وردت في كتاب المحدّث الفقيه الشّيخ عبد الله الهرريّ رحمه الله «بغية الطّالب»[٣] إذ يقول رحمه الله: «من معاصي البدن خروج المرأة متعطّرة أو غير متعطّرة متزيّنة أو غير متزيّنة، متستّرة بالسّتْر الواجب أو لم تكن كذلك إن قصدت بخروجها أن تفتن الرّجال أي تستميلهم للمعصية وأمّا إذا خرجت متعطّرة أو متزيّنة ساترة ما يجب عليها ستره من بدنها ولم يكن قصدها ذلك فليس في ذلك أكثر من الكراهة التّنزيهية أي أنّها لا تعصي» انتهى. ثمّ يستدلّ رحمه الله بحديث رسول الله ﷺ الّذي رواه ابن حبان عن أبي موسى الأشعريّ رضيَ اللهُ عنهُ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مُسْتَعْطِرَةً فَمَرَّتْ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ**

---

(١) تقدّمت ترجمته رضي الله عنه.

(٢) انظر المستدرك للحاكم كتاب معرفة الصّحابة (٣/ ٣٦٦) و(٣/ ٣٧١) وطبقات ابن سعد (٣/ ٢٢٢).

(٣) بغية الطّالب (ص٥٢٥).

وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ» انتهى.

فليعلم أننا لا نشجّع على خروج النّساء متعطّرات متزيّنات في الطّرقات ولا نحبّذ ذلك وإنَّما نبيّن الحكم الّذي قرّره رسول الله ﷺ في هذه المسئلة.

وأمّا معنى قوله تعالى ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ ﴿٣١﴾﴾[1] الآية فقد قال ابن عبّاس رضيَ اللهُ عنهُما وعائشة رضيَ اللهُ عنهُا: إلّا ما ظهر منها أي الوجه والكفّان. وقوله تعالى ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾[2] الآية فالمراد به الزّينة الباطنة من الجسد غير الوجه والكفّين كالنّحر والعضد والسّاق، انظر «البحر المحيط» لأبي حيّان الأندلسي والقرطبيّ و«الجامع لأحكام القرءان» وتفسير الفخر الرازي ونهاية المحتاج لشمس الدّين الرملي وغيرها.

وهذه المسئلة في الحقيقة إجماع فعليّ لأنّ العروس عندما تزفّ تكون في زينة متطيّبة وهذا الأمر كان معروفًا في صدر الإسلام.

---

(١) سورة النّور، ءاية (٣١).

(٢) سورة النّور، ءاية (٣١).



واشدُد يديك بحبل الله معتصمًا فإنّه الركنُ إن خانتك أركان

قصَّةُ عُزَيرٍ رضيَ اللهُ عنهُ

انقسم بنو إسرائيل إلى عدّة أقسام، فمنهم من كان مؤمنًا مسلمًا متّبعًا للإسلام حقّ الاتباع، ومنهم من كفر وأدخل التّحريف على الدّين زاعمًا أنّ هذا هو الحقّ، ممّا أدى إلى حدوث فتن عظيمة كانت تودي أحيانا بحياة بعض الأنبياء الكرام عليهم الصّلاة والسّلام الّذين قُتِلُوا على أيدي هؤلاء اليهود الملاعين.

وعندما تكاثر فسادهم، وطغَوا، وبغَوا، وكانوا قد قتلوا نبيَّينِ كريمَيْنِ على الله هما سيّدنا زكريا وولده سيّدنا يحيى عليهما السّلام، سلّط الله المنتقم عليهم حاكمًا كافرًا هو بُخْتَنَصَّر، أتى من ناحية العراق بجيش جرّار إلى بيت المقدس في فلسطين، فغزا بني إسرائيل في عقر دارهم وقتل منهم الكثير وأسر الباقين وهرب القليلون، ثمّ أمر جنده بجلب كمّيات كبيرة من الأتربة ووضعها على المدينة حتّى صارت كالجبل العظيم، إمعانًا في إذاقتهم الذلّ والهوان. وأخذ بُخْتَنَصَّر الأسرى معه إلى بابل، وكان بينهم بعض علماء بني إسرائيل الّذين كانوا على الإسلام، وقد دفنوا التّوراة الأصليّة قبل خروجهم من بيت المقدس في مكان عرفوا موضعه وحدهم، وكان منهم «عُزَيْر ابنُ شرخيا» الّذي استطاع العودة إلى بيت المقدس بعد فترة، لكنّه وجده على حالته البالية، وقد دمّر ما بقي من بيوت ودور وحَوْلها الجثث الممزّقة والأطراف المتفرّقة والعظام المقطّعة، فمرّ بينهم متعجّبًا من حالهم وكان يجرّ وراءه حماره، ولمّا وصل إلى بساتين هذه المدينة رآها عامرة

بالفاكهة النّضرة الطّريّة فزادت دهشته إذ الأشجار مثمرة والنّاس ميّتون، فقال وقد أثرت فيه العبرة: «سبحان الله القادر على إحياء هذه المدينة وأهلها بعدما أصبحوا على هذه الحال».

ثمّ تناول من تلك الأشجار عنبًا وتينًا وملأ منهما سلّة له ثمّ عصر عنبًا في وعاء وشرب منه قليلًا، وقعد يستريح تحت ظلّ شجرة، وما هي إلّا لحظات حتَّى أماته الله وحجبه عن عيون النّاس والسّباع والطيور. وبعد سبعين سنة من موت عُزَيْرٍ أرسل الله مَلَكًا إلى مَلِك من ملوك فارس يقال له: «لوسك» فقال له: «إنّ الله يأمرك أن تنهض بقوّتك فتقصد بيت المقدس لتعمره وما حوله من الأراضي حتَّى يعود أحسن ممّا كان»، فأمر الملكُ «لوسك» عشرات الألوف من مملكته بالخروج لتعمير المدينة، وعاد من بقي من بني إسرائيل إليها، فعمّروها في ثلاثين سنة وكثروا حتَّى كانوا كأحسن حال من رخاء عيش.

وبعد اكتمال مائة عام على موت عُزَيْرٍ أحياه الله تعالى بقدرته العظيمة، وكان قد أماته صباحًا ثمّ بعثه قبل الغروب بعد مرور هذه الفترة الطّويلة، فأحيا منه أول ما أحيا قلبه ليدرك به وعينيه ليرى بهما كيفية بعث الأجساد فيقوى يقينه، ثمّ رأى عُزَيْر سائر جسده كيف يركّب من جديد، ثمّ أتاه ملك كريم من الملائكة فقال له «كَمْ لَبِثْتَ؟» فأجابه «عُزَيْر» على حسب ما توقّعه «لَبِثْتُ يَوْمًا» ثمّ رأى أنّ الشّمس لم تغرب كلها بعد فقال: «أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» فأوضح له المَلَك الكريم قائلًا: «بَلْ لَبِثْتَ مِائةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ» فنظر إلى سلّة التّين والعنب ما زالت كما قطفها طازجة نضرة، وإلى الشّراب في الوعاء لم يتعفّن.

ثمّ قال له المَلَك: «وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ» فنظر إليه حيث ربطه بالشّجرة، فوجده ميتًا وعظامه قد أصبحت بيضاء نخرة، وقد تفرّقت أطرافه وبليت، وسمع صوت مَلَكٍ من السّماء يقول: «أَيَّتُهَا العِظَامَ

البَالِيَة تَجَمَّعِي بِإِذْنِ الله»، فانضمَّت أجزاء العظام إلى بعضها، ثمّ التصق كلّ عضو بما يليق به، الضّلع إلى الضّلعِ، والذّراع إلى مكانه، ثمّ جاء الرّأس إلى موضعه، ورُكِّبَتِ الأعصاب والعروق ثمّ أنبت الله اللّحم الطّريَّ على الهيكل العظميّ، وكساه بالجلد الّذي انبسط على اللّحم، ثمّ خرج الشّعر من الجلد.

وعندها جاء مَلَكٌ فنفخ الرّوح بإذن الله في منخري الحمار فقام ينهق، فهبط عُزَيْر إلى الأرض ساجدًا لله بعد أن شاهد آية من آيات الله تعالى العجيبة الباهرة وهي إحياء الموتى وقال: «أَعْلَمُ أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وروي أنّه لمّا خرج عُزَيْر قبل مائة عام كان عمره أربعين عامًا، أسود الشّعر، قويّ البنية، وقد ترك زوجته حاملًا، فلمّا مات وُلِدَ له وَلَدٌ كان عمره مائة عام عندما عاد أبوه إلى الحياة، فركب عُزَيْر حماره وأتى محلّته حيث كان يسكن فلم يعرفه أحد من أهله ولم يعرفهم، إذ قد ولد أناس ومات أناس، وقصد منزله فوجد عجوزًا عمياء مقعدّة كانت خادمة عندهم وهي بنت عشرين عامًا، فقال لها: «أهذا منزل عُزَيْر؟» قالت: «نعم»، وبكت بكاء غزيرًا وأكملت قائلة: «لقد ذهب عُزَيْرٌ منذ عشرات السّنين ونَسِيَهُ النّاس، وما رأيت أحدًا منذ زمن بعيد جدًا ذكر عُزَيْرًا إلّا الآن». قال: «أنا عُزَيْر أماتني الله مائة عام وها قد بعثني»، فاضطّرب أمر هذه العجوز، ثمّ قالت: «إنّ عُزَيْرًا كان رجلًا صالًحا، مستجاب الدّعوة لا يدعو لمريض أو صاحب بلاء إلّا تعافى بإذن الله، فادعُ الله أن يعافيَ جسدي ويردّ بصري»، فدعا الله تعالى، فإذا هي ذات بصر حادٍّ، ووجه مشرق قد قامت واقفة على رجليها كأنّه ما أصابها ضرّ قائلة: «أشهد أنّك عُزَيْر».

ثمّ انطلقت به إلى بني إسرائيل، وبينهم أولاده وأحفاده، ورؤوسهم ولحاهم أبيض من الثلج، ومنهم من بلغ الثّمانين، ومنهم من قارب الخمسين، وبين القوم بعض أصدقائه الّذين أتعب الزّمان أجسادهم فانحنوا، وأذاب جلودهم، وصاحت: «إنّ عُزَيْرًا الّذي فقدتّموه منذ مائة عام قد ردّه الله تعالى رجلًا قويًّا يمشي مشية الشّباب الكاملين»، وظهر لهم عُزَيْر بهيّ الطلعة، سويّ الخلق، شديد العضلات، أسود الشّعر، فلم يعرفوه ولكنّهم أرادوا أن يمتحنوه، فأتى ابنه وقال له: «لقد كانت أمّي تخبرني أنّه كان لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه، فأرنا إياها»، فكشف عُزَيْرٌ عن ظهره فظهرت الشّامة، ثمّ أرادوا أن يتيقّنوا أكثر فقال رجل كبير بينهم: «أخبرنا أجدادنا أنّ بُخْتَنَصَّر لمّا هاجم بيت المقدس أحرق التّوارة ولم يبق ممّن حفظه غيبًا إلّا القليل ومنهم عُزَيْر، فإن كنت هو فاتلُ علينا ما كنت تحفظ»، فقام ولحقوا به إلى الموضع الّذي دفن فيه التوراةُ عند هجوم بُخْتَنَصّر، فأخرجها وكانت ملفوفة بخرقة فتعفّن بعض ورقها، وجلس في ظلّ شجرة وبنو إسرائيل حوله، فأمسكوا بالتّوراة يتابعون ما سيتلو، وتلا التّوراة لم يترك آية منها، ولم يحرف جزءًا، ولم ينقص حرفًا.

عند ذلك صافحوه مصدّقين، وأقبلوا عليه يتبرّكون به، ولكنّهم لجهلهم لم يزدادوا إيمانًا، بل كفروا وقالوا: «عُزَيْر ابن الله» والعياذ بالله تعالى.



اخْتَرْ سُبلًا صحِيحَةً للحثِّ على بَذْلِ النَّصِيحَةِ

بَذْلُ النَّصِيحَةِ

أُوصيكم بالنّصيحة وهي أن يعين الرّجل أخاه على ما يرضي الله، ويبتعد عمّا يسخط الله، فمن عمل بهذا فهو من المفلحين، ومن لم يعمل فهو من الخاسرين. ثمّ نحن نتمسك بأذيال من ينصحنا، فالدّين يأمر بالنّصيحة أي إخلاص الحقّ، أمّا النّصيحة لله فمعناه الإيمان به وبصفاته، أمّا النّصيحة للقرآن فهو تعظيمه واعتقاده، أمّا النّصيحة للرّسول ﷺ فهو اتباعه، والنّصيحة أي إخلاص الحقّ لعموم المسلمين فهو بإرشاد جاهلهم ومعاونة عالمهم واتباعه، هذه هي النّصيحة، ليس معنى النّصيحة فقط كلام الشّخص لشخص بما هو حقّ.

أمّا عن طريقة بذل النّصيحة، فإنّك مهما عرفت هفوة من مسلم بحجّة لا شكّ فيها فانصحه في السّرّ، ولا يخدعنّك الشّيطان فيدعوك إلى اغتيابه. وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطّلاعك على نقصه فينظر إليك بعين التّعظيم وتنظر إليه بعين الاستصغار، ولكن اقصد تخليصه من الإثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخلك نقص. وينبغي أن يكون تركه لذلك النّقص بغير وعظك أحبّ إليك من تركه بوعظك.



يقال دبر - أي عقب - صلاة الصّبح والمغرب: «**اللَّهُمَّ أَجِرْني منَ النَّارِ**» سبع مرات، وفي دُبرِ الفَجر يقال: «**لا إلٰهَ إلّا اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحَمدُ يُحيي ويُمِيتُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ**» عشر مرات[1].



(١) في قول هذا الدّعاء بإذن الله تعالى أمان من الشّيطان والسّحر، وثواب عدل عشر رقاب، وعشر حسنات مميزات، وذهاب عشر سيّئات من الكبائر.

الدّرس الرابع والخمسون

(**والتّولّي على يتيمٍ أوْ مسْجِدٍ أوْ لِقضاءٍ أوْ**) لِلْخِلافةِ أوْ (**نحْوِ ذلِك مع عِلْمِهِ بِالْعجْزِ عنِ الْقِيامِ بِتِلْك الْوظِيفةِ**) على الْوجْهِ الْواجِبِ شرْعًا (**وإِيواءُ الظّالِمِ**[1]) لِمُناصرتِهِ على ظُلْمِهِ (**ومنْعُهُ مِمّنْ يُرِيدُ أخْذ الْحقّ مِنْهُ**) كأنْ قتل مُسْلِمًا ظُلْمًا فواهُ لِيحُول بيْنهُ وبيْن طالِبِي الْحقّ، (**وترْويعُ الْمُسْلِمِين**) أيْ تخْوِيفُهُمْ وإِرْعابُهُمْ كأنْ يُشِير إِلَيْهِمْ بِنحْوِ حدِيدةٍ أوْ سِلاحٍ لِيُخِيفهُمْ (**وقطْعُ الطّرِيقِ**) ولوْ لمْ يقْتُلْ أوْ يأْخُذِ الْمال (**ويُحدُّ**) قاطِعُ الطّرِيقِ (**بِحسبِ جِنايتِهِ إِمّا بِتعْزِيرٍ**) كضرْبٍ وحبْسٍ وذلِك إِذا أخاف الْمارّين فقطْ (**أوْ بِقطْعِ يدٍ ورِجْلٍ مِنْ خِلافٍ**) بِأنْ تُقْطع يدُهُ الْيُمْنى ورِجْلُهُ الْيُسْرى فإِنْ عاد فيدُهُ الْيُسْرى ورِجْلُهُ الْيُمْنى وذلِك (**إِنْ**) أخذ مالًا قِيمتُهُ رُبْعُ دِينارٍ ذهبًا أوْ أكْثر و(**لمْ يقْتُلْ أوْ بِقتْلٍ وصلْبٍ أيْ إِنْ قتل**) وأخذ الْمال أوْ بِقتْلٍ مِنْ غيْرِ صلْبٍ إِذا قتل ولمْ يأْخُذِ الْمال، (**ومِنْها**) أيْ ومِنْ معاصِي الْبدنِ (**عدمُ الْوفاءِ بِالنّذْرِ**[2]) الّذِي اكْتملتْ شُرُوطُهُ (**والْوِصالُ فِي الصّوْمِ وهُو أنْ يصُوم**) شّخْصٌ (**يوْميْنِ**) مُتتالِيْنِ (**فأكْثر بِلا تناوُلِ مُفطِّرٍ**) عمْدًا

---

(١) ورد في ذلك حديث عليّ عن النّبيّ ﷺ وفيه: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ءَاوَى مُحْدِثًا**» رواه مسلم، أي منع الجاني الظّالم ممّن يريد استيفاء الحقّ منه والمُحدث هنا معناه الجاني الّذي ظلم.
روى مسلم وابن حبان أنّ رسول الله ﷺ قال «**مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ لَعَنَتْهُ المَلَائِكَةُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ**».

(٢) وشرط النّذر الّذي يجب الوفاء به هو أن يكون المنذور قربة غير واجبة فلا ينعقد نذر القُربة الواجبة كالصّلوات الخمس ولا نذر ترك المعصية كشرب الخمر ولا نذر مباح أي ما يستوي فعله وتركه فلا يلزم الوفاء به لأنّه ليس قربة. قال رسول الله ﷺ «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فلا يَعْصِهِ**» رواه البخاري.
فائدة: روى مسلم في الصحيح: «**مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ**» فعُلم من ذلك أَنّ السّابقُ لمحل من المسجد ونحوه لصلاة أحقّ به حتّى يفارقه، فإن فارقه لعذر كتجديد وضوء وإجابة داع وقضاء حاجة ونوى العودة لم يبطل حقه.

بِلا عُذْرٍ، (**وأَخْذُ مجْلِسِ غيْرِهِ**) في مسْجِدٍ أوْ نحْوِهِ (**أوْ زحْمتُهُ الْمُؤْذِيةُ**) لهُ (**أوْ أخْذُ نوْبتِهِ**) أيْ نوْبةِ غيْرِهِ فِي اسْتِقاءٍ ونحْوِهِ.



باعَ دُنْياه بتجارةٍ مَعَ الله... وبجهادٍ أَطاعَه...

زوجُ العيناءِ المَرضِيّة

قال الشّيخ عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى «بينما نحن ذات يوم في مجلسنا هذا، نتهيّأ للخروج إلى الغزو، وقد أمرت أصحابي أن يتهيّؤوا لقراءة آيتين، فقرأ رجل في مجلسنا: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ ﴿١١١﴾﴾[1] فقام غلام يبلغ من العمر حوالي خمس عشرة سنة أو نحو ذلك، وقد مات أبوه وأورثه مالًا كثيرًا، فقال: «يا عبد الواحد بن زيد» فقلت: «نعم يا حبيبي»، فقال: «إنّي أشهدك أنّي قد بعت نفسي ومالي بأنّ ليَ الجنّة»، فقلت له: «إنّ حدّ السّيف أشدُّ من ذلك وأنت صبيّ، وأنا أخاف أن لا تصبر وتعجز عن ذلك»، فقال: «يا عبد الواحد، أبايع الله تعالى بالجنّة؛ ثمّ أعجز أنا؟ أُشهد الله تعالى أنّي قد بايعته»، أو كما قال رضيَ اللهُ عنهُ.

قال عبد الواحد: «فتقاصرت إلينا أنفسنا، وقلنا: صبيّ يعقل، ونحن لا نعقل»، فخرج من ماله كلّه، وتصدّق به إلّا فرسه وسلاحه ونفقته، فلمّا كان يوم الخروج، كان أوّل من طلع علينا، فقال: «السّلام عليك يا عبد الواحد»، فقلت: «وعليك السّلام ربح البيع»، ثمّ سرنا وهو معنا

---

(١) سورة التّوبة، ءاية (١١١).

يصوم النّهار ويقوم اللّيل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا إذا نمنا، حتَّى إذا انتهينا إلى أرض العدوّ، فبينما نحن كذلك إذ به قد أقبل وهو ينادي: «واشوقاه إلى العيناء[1] المرضيّة»، فقال أصحابي: «لعلّه وُسْوِسَ لهذا الصّبيّ واختلط عقله»، فقلت: «حبيبي وما هذه العيناء المرضيّة؟» فقال: «إنّي غفوت غفوة» فرأيت كأنّه أتاني آتٍ فقال لي: اذهب إلى العيناء المرضيّة، فهجم بي على روضة فيها نهر من ماء، وإذا قرب النّهر جوارٍ عليهن من الحليّ والحلل ما لا أقدر أن أصفه، فلمّا رأينني استبشرن بي وقلن: هذا زوج العيناء المرضيّة، فقلت: السّلام عليكن، أفيكن العيناء المرضيّة؟ فقلن: نحن خدمها وإماؤها امضِ أمامك.

فمضيت أمامي فإذا أنا بنهر من لبن لم يتغيَّر طعمه، في روضة فيها من كلّ زينة، فيها جوارٍ لمَّا رأيتهنّ افتتنتُ بحسن جمالهنّ، فلمّا رأينني استبشرن بي وقلن: هذا والله زوج العيناء المرضيّة، فقلت: السّلام عليكنّ أفيكنّ العيناء المرضيّة؟ فقلن: وعليك السّلام يا وليّ الله، نحن خدمها وإماؤها فتقدَّم أمامك، فتقدّمت فإذا أنا بنهر من خمر غير خمر الدّنيا، لا يسكر، لذة للشّاربين وبقرب النّهر جوارٍ فقلت: السّلام عليكنّ، أفيكنّ العيناء المرضيّة؟ قلن لا، نحن خدمها وإماؤها امضِ أمامك، فمضيت فإذا أنا بنهر آخر من عسل مصفّى وجوارٍ عليهنّ من النّور والجمال ما أنساني ما خلفت، فقلت: السّلام عليكن، أفيكنّ العيناء المرضيّة؟ قلن يا وليَّ الله نحن خدمها وإماؤها فامضِ أمامك، فمضيت فوصلت إلى خيمة من درّة بيضاء، وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحليّ والحلل ما لا أقدر أن أصفه، فلمّا رأتني استبشرت ونادت من في الخيمة: أيتُّها العيناء المرضيّة هذا بعلك قد قدم. قال:

---

(١) العيناء: قيل هي واسعة العين، وقيل هي الحسناء شديدة الحسن.

فدنوت من الخيمة ودخلت، فإذا هي قاعدَة على سرير من ذهب مكلّل بالدرّ والياقوت، فلمّا رأيتها افتتنتُ بها وهي تقول: مرحبًا بك يا وليّ الرّحمٰن، قد دنا لك أوان القدوم علينا، فذهبت لأعتنقها، فقالت مهلًا، فإنَّهُ لم يأنِ لك أن تعانقني لأنّ فيكَ روح الحياة، وأنت تُفْطِرُ اللّيلة عندنا إن شاء الله تعالى، قال: «فانتبهت، استيقظت يا عبدَ الواحد ولا صبر لي عنها»، قال عبد الواحد: «فما انقطع كلامنا حتَّى ارتفعت لنا سريّة من العدوّ، فهجم الغلام عليهم فعددت تسعة من العدوّ قتلهم وكان هو العاشر، فمررت به: وهو في دمه وهو يضحك ملء فيه حتَّى فارق الدّنيا رضي الله تعالى عنه»: ولله در القائل:

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ... يمسي ويصبح مغرورًا وغرارا
هلا تركت من الدّنيا معانقة ... حتَّى تعانق في الفردوس أبكارا
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها ... فينبغي لك أن لا تأمن النّارا

نفسُكَ إذا عصتك بطاعة اعصِها بِمَعصِيَة

الذُّنوبُ ظُلمةُ القلوب

الله تعالى جعل للإنسان جوارح ليستعملها في طاعته سبحانه، وسلطان هذه الجوارح وأميرها هو القلب الذي صلاحُه صلاحٌ للجسد كلّه وفساده فساد للجسد كلّه كما جاء في الحديث الشّريف. ومن جملة معاصي القلب الّتي يقع فيها كثير من النّاس من غير انتباه إلى الأذى الذي يكون بسببها، المَنُّ بالصّدقة، وهو يبطل ثوابَ تلك الصّدقة، كأن يقول لمن تصدّق عليه: أليس أعطيتك كذا يوم كذا وكذا؟

فالمنُّ بالصَّدقة من كبائر الذنوب ومثاله أن يُعدّدَ نِعمتَه على آخذها حتى يكسِرَ قلبَه، أو يَذكرَها لِمَن لا يُحِبُّ الآخِذُ اطّلاعَه عليها، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾.

ومن جملة المعاصي الّتي يقع فيها الكثيرون كذلك الغيبة، وهي ذِكرك أخاكَ المسلمَ الحيَّ أو الميّتَ بما يكرَهُه لو سمعَ، سواءٌ كان مِمّا يتعلّقُ ببدنهِ أو نَسَبه أو ثَوبه أو دارِه او خُلُقِهِ كأن يقولَ فلانٌ قصيرٌ، أو أحوَلُ، أو أبوه دَبّاغٌ أو إسكافٌ أو فلانٌ سيّئ الخُلُقِ، أو قليلُ الأَدَب، أو كثيرُ النّوم، أو كثيرُ الأكل، أو وسِخُ الثّياب، أو دارُه رَثَّةٌ، أو ولَدُه فلانٌ قليلُ التّربيةِ، أو فلانٌ تحكمُه زوجتُه، ونحوُ ذلك مِن كلّ ما يَعلَمُ أنّه يكرَهُه لو بلغَه.

والغيبةُ لأهلِ الصّلاح والتّقوى بلا شكَّ كبيرةٌ من الكبائر. أمّا التّحذير من أهل الباطل ولا سيّما في العقيدة فليس من الغيبة المحرّمة بل هذا واجب شرعيّ.

وأوصيكم بأن تطيعوا آباءكم وأمّهاتكم وتحترموا معلّميكم وتحترموا إخوتكم وأخواتكم الّذين أكبر منكم. وعلّموا بيان الكفر، سبّ الله كفر، سبّ الأنبياء كفر، سبّ الملائكة كفر، سبّ دين الإسلام كفر، سبّ الصّلاة والصّيام كفر، سبّ القرءان كفر يخرج من الإسلام، يكون كافرًا من قال هذه الكلمات.

ومِمّا ينبغي تعليمه أنّ كلّ دين سوى الإسلام باطل لا يحبّه الله، وأنّ الأنبياء كلهم دينهم الإسلام، موسى وعيسى وآدم وغيرهم كلّهم دينهم الإسلام، بعض النّاس ينشأون وهم يظنّون أو يعتقدون أنّ نبيًّا من الأنبياء لم يكن على الإسلام، هذا لا ينفعه الشّهادتان ولا صلاة ولا صيام مع هذا الاعتقاد.



يُقالُ حين يسمع المؤذِّن: «**أشهدُ أن لَا إلٰهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، وأنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسُولُهُ، رضِيتُ باللهِ رَبًّا، وبمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، وبالإسلَامِ دِينًا**»، وإذا تَوجَّه إلى المسجِدِ يُقالُ: «**اللَّهُمَّ اجعَلْ في قَلبِي نُورًا، وفي لسَانِي نُورًا، واجعَلْ في سَمْعِي نُورًا، واجعَلْ في بَصَرِي نُورًا، واجعَلُ من خَلفِي نُورًا ومن أمَامِي نُورًا، واجعَلْ من فَوقِي نُورًا ومن تحتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أعطِنِي نُورًا**» معنَاهُ اللّهُمَّ اجعَلْ فيهِم خَيرًا.



الدّرس الخامس والخمسون

التّوْبةُ[١]

بعْد أنْ أنْهى الْمُؤلّفُ رحِمهُ الله بيان الْمعاصِي ذكر كيْفِيّة خلاصِ الْعاصِي مِنْها حتّى يسْلم مِن الْمُؤاخذةِ عليْها فِي الآخِرةِ فقال (**فصْلٌ**) فِي بيانِ أحْكامِ التّوْبةِ.

(**تجِبُ التّوْبةُ مِن الذُّنُوبِ**) كُلّها (**فوْرًا**) كبِيرًا كان الذّنْبُ أمْ صغِيرًا (**على كُلّ مُكلّفٍ**)[٢]. (**و**) أرْكانُ التّوْبةِ (**هِي النّدمُ**) أسفًا على عِصْيانِهِ لِأمْرِ اللهِ (**والإِقْلاعُ**) عنِ الْمعْصِيةِ حالًا (**والْعزْمُ على أنْ لا يعُود إِلَيْها وإِنْ كان الذّنْبُ ترْك فرْضٍ**) كصلاةٍ أوْ صِيامٍ واجِبيْنِ أتى بِما مرّ و(**قضاهُ**) فوْرًا (**أوْ**) كان الذّنْبُ (**تبِعةً لِآدمِيٍّ**) كأنْ غصب لهُ مالهُ أتى بِما مرّ و(**قضاهُ**) لهُ بِأنْ يرُدّ لهُ عيْنهُ إِنْ كان باقِيًا وإِلّا ردّ بدلهُ (**أوِ اسْترْضاهُ**) فإِنْ آذاهُ بِالْكلامِ أتى بِما مرّ وطلب مِنْهُ الْمُسامحة.

وسُبْحان اللهِ وبِحمْدِهِ والحمدُ للهِ ربّ العالمِيْن.

---

(١) يقول الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٨﴾﴾ [سورة الجمعة]، فكلُّ باكٍ فسيُبكى، وكلُّ ناعٍ فسيُنعَى، وكلُّ مدَّخر سيفنى وكلُّ مَنْ عليها فانٍ ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام وليس معناه أنّه يجوز أن تفعل ما حرّم الله.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَزِمَ الاستِغْفارَ جَعَلَ الله تعالى لَهُ مِنْ كُلِّ غَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيثُ لا يَحتَسِبُ**». الطّبرانيّ، كتاب الدّعاء، باب فضل حمد الله على السراء والضراء، (٢/ ٣٠). والّذي ورد في آخر الحديث القدسيّ وفيه «**فقال تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عَبْدي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْب، اعمَلْ ما شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ**». مسلم، صحيح مسلم، كتاب التَّوبة، باب قبول التَّوبة من الذّنوب وإن تكررت الذّنوب والتّوبة، (٨/ ٩٩).



تابَ منَ الأوزارِ وبالهُدَى استنَارَ

مالكُ بن دينارٍ رحمَهُ اللهُ

ممَّا يُحكى من قصص مَنْ تابَ ممَّن قبلنا قصّة مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه، فقد سُئِلَ عن أصل توبته فقال: «ولد لي بنت فشغفت بها، فلمّا دبَّت على الأرض ازدادت في قلبي حبًّا، فكانت إذا وضعت المُسْكر جاءت إليَّ وجاذبتني إياه فوقع على ثوبي، فلمّا تمَّ لها سنتان ماتت فحزِنْت كثيرًا وبتُّ ثملًا من الخمر.

فرأيت في المنام كأنّ أهل القبور قد خرجوا، وحشر الخلائق وأنا معهم في موقف الحشر، فسمعت حِسًّا من ورائي فالتفت فإذا أنا بتنّين عظيم وهو ثعبان كبير من أعظم ما يكون، أسود أزرق «منظره مخيف» وقد فتح فاهُ مسرعًا نحوي، فمررت بين يديه هاربًا فزعًا مرعوبًا، فمررت في طريقي بشيخ نقيّ الثّياب جميل الخلقة طيّب الرّائحة، فسلَّمت عليه فردّ عليَّ السّلام، فقلت له: أجرني وأغثني! فقال: «أنا ضعيف وهذا أقوى منّي، وما أقدر عليه ولكن مُرَّ بأسرع فلعلَّ الله سبحانه يسبّب لك ما ينجّيك منه»، فولّيت هاربًا على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة، فأشرفت على طبقات النّيران، فنظرت إلى هولها فكدت أهوي فيها من فزعي من التّنين وهو في طلبي، فصاح بي صائح: «ارجع لست من أهلها» فاطمأنّيت إلى قوله ورجعت.

ورجع التّنين في طلبي فقال: فأتيت الشّيخ، فقلت: يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التّنين فلم تفعل، فبكى الشّيخ وقال: أنا ضعيف، ولكن سِرْ إلى هذا الجبل فإنّ فيه ودائع المسلمين «يعني أولاد المسلمين

الّذين يموتون وهم صغار» فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك»، فنظرت إلى جبل مستدير فيه كوًى مخرّقة، وطاقات معلّقة، وستور من حرير، ومصارع من الذهب الأحمر مفصّلة باليواقيت مكوكبة بالدّر، وهربت إليه، والتّنين ورائي حتَّى إذا اقتربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا السّتور، وافتحوا المصاريع، وأشرفوا فلعلّ لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوّه، فإذا السّتور قد رفعت، والمصاريع قد فتحت، فأشرف عليَّ أطفال بوجوه كالأقمار وقرب التّنين مني فتحيّرت في أمري، فصاح بعض الأطفال: ويحكم أشرفوا كلّكم، فقد قرب منه، فأشرفوا فوجًا بعد فوج، فإذا بابنتي الّتي ماتت قد أشرفت عليَّ معهم.

فلمّا رأتني بكت وقالت: أبي والله «أي تحلف هذا أبي»، ثمّ وثبت كرمية السّهم، حتَّى مثلت بين يديَّ، فمدّت يدها الشّمال إلى يدي اليمنى فتعلّقت بها، ومدَّت يدها اليمنى إلى التنّين فولّى هاربًا ثمّ أجلستني وقعدت في حجري وقالت: يا أبت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴿١٦﴾﴾[1] فبكيت وقلت: يا بنيّة أنتم تعرفون القرءان؟ فقالت: يا أبت نحن أعرف به منكم، قلت فأخبريني عن هذا التنين الّذي أراد أن يهلكني، قالت: ذلك عملك السّوء قوّيته «لكثرة ما كنت تقع في المعاصي، وتشرب الخمر» فأراد أن يغرقك في نار جهنّم، قلت أخبريني عن الشّيخ الّذي مررت به في طريقي قالت: يا أبت ذلك عملك الصّالح أضعفته حتَّى لم يكن له طاقة لعملك السّوء. فانتبهت فزعًا، فلمّا أصبحت فارقت ما كنت عليه وتبت إلى الله عزّ وجلّ، وهذا سبب توبتي.

---

(١) سورة الحديد، ءاية (١٦).



باللهِ عليكَ يا مرفوعَ القَدرِ بالتَّقْوَى لا تَبعْ عِزَّهَا بِذُلِّ المعاصِي

تجنُبُ المعاصِي

أُوصيكم بتجنّب المعاصي والآثام، فإن كان الإنسان لا يقوى على نار الدّنيا فكيف يقوى على نار الآخرة الّتي هي أشَّد من نار الدّنيا بتسعة وستين جزءًا، تلك النّار الّتي وقودها النّاس والحجارة. وليُعلم أنّ عذاب الآخرة هو عذاب بالرّوح والجسد ليس فقط عذابًا روحيًّا ومعنويًّا كما يدّعي بعض الملحدين المكذّبين للقرآن. ثمّ إنّ عذاب جهنّم دائم على الكافرين لا انقطاع له ولا يخفّف عنهم، فهم في ذلّ وهوان وعذاب لا نهاية له، ولا يموت الكافر في جهنّم لأنّ الموت فيه راحة له من العذاب، ولا يحيا حياةَ مستريحٍ بل هو في نكد وعذاب أليم. طعامه في جهنّم من الزّقّوم وهو أشدّ ما خلق الله من المرارة، كما أنّ الكافر يأكل من الغِسْلين، وقد ورد أنّه لو أَلْقِي دلو من غِسْلين إلى الدّنيا أفسد على أهل الدّنيا معيشتهم فكيف بمن يكون هذا طعامه.

وهذا الطّعام الّذي هو عذاب للكافر لا ينزل بسهولة بل مع غُصَّة، فيتذكَّر بما كان يذهب الغصّة في الدّنيا، فيطلب الماء فَيُسقى من الحميم وهو الماء المغلي إلى أقصى درجات الغليان إذا قرب من وجهه سقط لحم وجهه، فإذا دخل جوفه تقطَّعت أمعاؤه وخرجت من دبره. فحريّ بالإنسان أن يتجنّب الكفر بجميع أنواعه لأنّه موجب للذّل والهوان والعذاب الّذي لا نهاية له، بل وحريّ بنا أن نتجنّب المعاصي كلها لأنّ غمسة واحدة في نار جهنّم تنسي الإنسان حلاوة الدّنيا ولو عاش فيها

عمر سيّدنا نوح عليه السّلام.

فيا عبد الله إلى متى تُؤخّر التّوبة وما أنت في ذلك بمعذور؟! إلى متى وأنت في الغفلة والسَّهر والغرور؟؟ جعلنا الله ممّن رجع وتاب، أقلع وأناب، كفَّ عن المعاصي المهلكة والذنوب الموبقة وتاب توبةً نصوحًا.

دعاء

إذا تعارّ - أرِق وتقلَّبَ في فراشه - الإنسان (أي استيقظ) من اللّيل فإنَّهُ يقول: «**لا إلٰهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ وله الحمدُ وهوَ علَى كلِّ شيءٍ قديرٍ، والحمدُ للهِ، وسبحانَ اللهِ، ولَا إلٰهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حولَ ولَا قوّةَ إلّا باللهِ، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي**».



أَيَّانَ مُرساها...

أشرَاطُ الساعةِ وأماراتُها

قال الله تعالى ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾[1]. وقال النّبيُّ محمّدٌ ﷺ: «**يَتَقارَبُ الزَّمانُ وَيَنْقُصُ العِلْمُ ويُلقى الشُّحُّ وَتَظْهَرُ الفِتَنُ وَيَكْثُرُ الهَرْجُ**»، قالوا: يا رسول الله أيما هو؟ قال: «**القَتْلُ، القَتْلُ**» البخاريّ في صحيحه.

وقال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلٌّ مِنْهُمْ يَزعُمُ أَنَّهُ رسُولُ الله، وحتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وتكثُرَ الزلازلُ، ويتقارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكثُرَ الهَرْج، وَهُوَ القَتْلُ، وَحتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ، فَيَفِيضَ، حتَّى يُهِمَّ رَبُّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَربَ لي بِهِ، وحتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ في البُنيانِ، وَحتَّى يَمُرَّ الرّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآها النَّاسُ، [يعني] آمنوا أجمعون، فذلكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ ۝١٥٨﴾[2] وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلان ثَوبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبايعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فلا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ**

---

(١) سورة القمر، ءاية (١).

(٢) سورة الأنعام، ءاية (١٥٨).

حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُها» صحيح البخاري.

يقول أبو جعفر الطّحاويُّ السَّلفيُّ: «ونؤمن بأشراط السّاعة من خروج الدّجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السّلام من السّماء، ونؤمن بطلوع الشّمس من مغربها، وخروج دابّة الأرض من موضعها» الطحاوي في العقيدة الطحاوية.

قال العلماء: الحكمة في تقديم الأشراط ودلالة النّاس عليها، تنبيه النّاس عن رقدتهم وحثّهم على الاحتياط لأنفسهم بالتّوبة والإنابة كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم. فينبغي للنّاس أن يكونوا بعد ظهور أشراط السّاعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدّنيا واستعدّوا للسّاعة الموعود بها، والله أعلم.

وتلك الأشراط علامات واضحات لانتهاء الدّنيا وانقضائها، وهذه هي الآيات العظام الكبرى.

أمّا ما يسبقها فهي العلامات الصّغرى، ومنها:

- قبض العلم بقبض العلماء.
- غلبة الجّهل.
- استيلاء أهل الجّهل.
- ظهور القينات[1] والمعازف.

(١) القَيْنَة: الأمَةُ غنّت أو لم تُغنّ، والماشطة، وكثيرًا ما تُطلق على المُغنيّة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٣٥).

- استفاضة شرب الخمور.
- اكتفاء النّساء بالنّساء والرّجال بالرّجال.
- إطالة البنيان.
- زخرفة المساجد.
- إمارة الصّبيان.
- كثرة الهرج، أي القتل بلا سبب.
- يصير المغنم دُولًا.
- تصير الأمانة مغنمًا.
- تصير الزّكاة مغرمًا.
- يطيع الرّجل زوجته ويعقّ أمه.
- يبرّ الرّجل صديقه ويجفو أباه.
- ترتفع أصوات الفَسَقَة في المساجد.
- يصير زعيم القوم أرذلهم.
- يكرم الرّجل مخافة شره.
- لبس الحرير للرّجال.
- ضياع الأمانة.
- أكل الرّبا.
- استحلال الكذب.
- الاستخفاف بالدّماء.
- بيع الدِّيْن بالدّنيا.

- قطيعة الأرحام.
- ظهور الجَوْر.
- كثرة الطّلاق.
- موت الفجأة.
- ائتمان الخائن.
- تخوين الأمين.
- تصديق الكاذب.
- تكذيب الصّادق.
- كثرة القَذْف.
- يصير الوزراء كَذَبَةً والأمناء خوَنَةً والعرفاء ظَلَمَةً والقرّاء فَسَقَةً.
- تظهر الصّفراء (الدنانير) وتطلب البيضاء (الدراهم).
- تكثر الخطايا.
- تخرَب القلوب.
- تعطّل الحدود.
- تلد الأمة ربَّتها.
- ترى الحُفَاةَ العُرَاةَ العالَة رِعاءَ الشّاء يتطاولون في البنيان ويصيرون ملوكًا.
- تشبّه الرّجال بالنّساء والنّساء بالرّجال.
- يحلف الشّخص بالله ولا يستحلف.
- يشهد الشّخص ولا يستشهد.

- يُتَّخَذُ القرءان مزامير. . . وغير ذلك.

وأمّا علامات السّاعة الكبرى وآياتها فهي عشر وهذا سردها:

١- أوّلها خروج الدجال.

٢- نزول[١] المسيح عيسى عليه السّلام من السّماء.

٣- خروج يأجوج ومأجوج.

٤- طلوع الشّمس من مغربها.

٥- خروج دابّة الأرض (تكلّم النّاس وتميّز المؤمن من الكافر).

٦- الدُّخَان.

---

(١) عيسى عليه الصّلاةُ والسّلام يَنزل إلى الأرضِ ويحكُمُ بالإسلام، ومِنَ الدّليلِ أنّه يحكُمُ بالإسلام بشريعةِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِما وسلَّم أنّه يُصَلِّي مُقْتَدِيًا بالمَهْدِيّ، والمهديُّ وليٌّ من أولياءِ الله تعالى المسيحُ يَقْتَدِي به في الصّلاةِ لحكمةٍ عظيمة ليُفْهِمَ النَّاس أنّه نَزَلَ لِيَعْمَلَ بشريعةِ محمَّد، المسيحُ عندما يَنزِلُ مِنَ السّماء يكونُ واضِعًا يَدَيْهِ على أَجْنِحَةِ مَلَكين ويكون المهديّ في شَرْقيِّ دِمَشق قد تَهَيَّأَ لصّلاةِ الفجرِ فيرَاهُ المهديّ والنّاس فَيَنتَظِر فلمَّا يَصِل المسيح عليه الصّلاةُ والسّلام إلى الأرض يَتَأَخَّر المهْدِيّ فَيَقُولُ له المسيح تَقَدَّم لك أُقِيمَتْ فَيُصَلِّي المسيح عليه الصّلاةُ والسّلام خَلْفَ المهديّ رضي الله عنه إِعْلامًا للنَّاسِ أنَّه نَزَلَ يَعْمَل بشريعةِ محمَّد، يُطَبِّقُ شريعةَ محمَّد، وبعد تلك المرَّة يَصُّيرُ المسيح هو يُصَلِّي إِمَامًا عَمَلًا بشريعةِ محمَّد لأنّ المسيح نبيٌّ رسول والمهديُّ وَلِيٌّ، والنبيُّ أفضل مِنَ الوليّ.
وقد ذكر النَّبيَّ ﷺ أنّه ليس بينه وَبَيْنَهُ نبِيٌّ - يعني عيسى - وإنّه نازِلٌ، فإذا رأَيْتُمُوه فاعرِفُوهُ، رجُلٌ مربُوعٌ، إلى الحُمرَةِ والبياضِ، بين مُمَصَّرتينِ، كأنَّ رأسهُ يقطُرُ وإنْ لم يُصبْه بللٌ، فيُقاتِلُ النَّاسَ على الإسلام، فيدُقُّ رمزًا من رموز الكفر، ويقتُلُ الخنزير، ويضعُ الجزية، ويُهلكُ اللهُ في زَمانِهِ المِللَ كلَّها إلَّا الإسلامَ، ويُهلِكُ المسيحَ الدَّجَّال، فيمكُثُ في الأرضِ أربعين سنةً، ثُمَّ يُتوفَّى فَيُصلِّيَ عليه المسلمونَ» وفي معناه حديث رواه أبو داود وغيره وأنّه يُدفن بالمدينة عند الرّسول ﷺ.

٧-٨-٩- ثلاثةُ خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب.

١٠- ونار تخرج من اليمن من حفرة عَدَن لا تدع أحدًا خلفها إلاّ تسوقه إلى المحشر، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل (من القيلولة، وهي النّوم منتصف النهار) معهم إذا قالوا.

وقبل ذلك كلّه يأتي الكعبة من ينقضها حجرًا حجرًا. وإذا طلعت الشّمس من مغربها لم يقبل الله توبة تائب بعدها، فبعد أن تغرب في المغرب، تطلع من المغرب ولا تشرق من المشرق على عادتها.

أمّا الدُّخَان فإنَّهُ ينتشر يملأ ما بين المشرق والمغرب، ويمكث في الأرض أربعين يومًا، فأمّا المؤمن فيصيبه منه شبه الزّكام، وأمّا الكافر فيكون بمنزلة السّكران يخرج الدُّخَان من أنفه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره، وقيل هذا الدّخان من آثار جهنّم.

المسيح والمهديّ والدَّجال.

وآخر علامات السّاعة الصّغرى ظهور المهديّ.

والإمام المهديّ[1] اسمه محمّد بن عبد الله، سمّي المهديّ لأنّه يهدي النّاس إلى الطّريق الصّحيح. وهو مِنْ نسل النّبيّ محمّد ﷺ، وسيكون في آخر الزّمان، وهو علامة من علامات السّاعة، وشرط من أشراطها.

---

(١) مفهوم من الأحاديث النّبويّة أنّ المهديّ يسبق نزول المسيح، المهديّ يتخلّف بعد وفاة المسيح ويأتي شخص آخر مثله يسوق النّاس بعصاه. مهتد اسمه قحطان (عن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ**» رواه البخاريُّ، قال ابن الأثير في النهاية: هو كناية عن استقامة النّاس وانقيادهم إليه واتّفاقهم عليه ولم يرد نفس العصا وإنّما ضربها مثلًا لاستيلائه عليهم وطاعتهم له.

ولقد جاءت الأحاديث الصّحيحة الدّالّة على ظهور المهديّ عليه السّلام.

والمهديُّ أجلى الجبهة (انحسار الشّعر عن مقدمة الجّبهة)، أقنى الأنف (أي أنفه طويل رقيق في وسطه حدب)، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلِئت جَوْرًا وظلمًا، يملك سبع سنين.

قال ابن عبّاس رضيَ اللهُ عنهُما: يبايع بين المقام والركن، ويكون أوّل أمره أن يبايعه على عدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا.

وقيل: إنّه يخرج قبل هذا وليّ من قرية من قرى حرس في ثلاثين رجلًا، ثمّ يجتمع إليه المؤمنون من كلّ ناحية، ثمّ ينكسف القمر ثلاث ليال متواليات، ثمّ يظهر المهديّ بمكّة ويشيع أمره، فيبلغ ذلك الزّهرانيّ صاحب السّفيانيّ، فيبعث إلى المهديّ جيشًا من ثلاثين الفًا، فينزلون البرّيّة. ثمّ يخرج السّفيانيُّ إلى البيداء فإذا استقرّ في الموضع خسف الله تعالى بهم الأرض، فيأخذ إلى أعناقهم حتَّى لا يفلت منهم إلّا رجلان يخرجان بفرسيهما.

فإذا وصلوا إلى القوم رأوهم وقد خسف الله بهم، فيخسف الأرض بواحد منهما فيبقى كذلك مدّة حياته. ثمّ يخرج المهديّ بمن معه إلى بلاد الرّوم فيسير في نحو مائة ألف، فيصل إلى القسطنطينيّة، فيدعو ملك الرّوم إلى الإسلام فيأبى فيقاتله، ويدوم القتال بينهم شهرين، ثمّ ينهزم الرّوم. ويدخل المسلمون إلى القسطنطينيّة، فينزل المهديّ على بابها، ولها سبعة أسوار، فيكبّر تكبيرات فينهدم كلّ سور منها بتكبيرة. ويدخلها المهديّ ويقتل ملك الرّوم، ثمّ يرفع عنهم السّيف، ويأخذ المسلمون من الغنائم ما لا يحصى، حتَّى إنّ الرّجل ليأخذ من الجواهر ما يعجز عن حمله. فبينما هم كذلك إذ يأتيهم الخبر من خليفة المهديّ

بخروج الدّجال واجتماع النّاس عليه، فيتركون تلك الغنائم وينصرفون إلى بلادهم مسرعين لمحاربة الدّجال. والدّجّال هو رجل كافر من البشر إحدى عينيه طافية والأخرى ممسوحة لذلك يقال له الأعور يدّعي الألوهيّة ويؤمن به اليهود وغيرهم من النّاس ويظهر على يده خوارق ليكون امتحانًا للنّاس فمن ثبت نجا.

فيقال: إنّ المهديَّ يسير نحو الدّجال وعلى رأسه عمامة رسول الله، فيلتقون ويقتتلون قتالًا شديدًا، فَيُقْتَلُ من أصحاب الدّجال أكثر من ثلاثين ألفًا، ثمّ ينهزمُ الدّجال فيمرُّ نحو بيت المقدس، فيأمر الله الأرض بإمساك قوائم خيله، ويرسل عليهم ريحًا حمراء فتقتل منهم أربعين ألفًا. ثمّ يقبل المهديّ بجيشه، وهو زهاء مائة ألف، في أيديهم الرّايات البيض. ثمّ ينزل عيسى عليه السّلام بعد ذلك إلى الأرض ويصلّي خلف المهديّ.

ثمّ يخرج يأجوج ومأجوج من السّدّ الّذي يحول بينهم وبين النّاس. وهم قوم من بني آدم كلّهم كفّار. بعد ذلك، يحصر نبيّ الله عيسى عليه السّلام وأصحابه حتَّى يكون رأس الثّور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغَب نبيّ الله عيسى وأصحابه إلى الله عزّ وجلّ، فيرسل الله على قوم يأجوج ومأجوج النَّغَفَ (الدود) في رقابهم فيصبحون أمواتًا كموت نفس واحدة، ويهبط نبيّ الله عيسى وأصحابه فلا يجدون موضع شبر إلّا وقد ملأه زهمهم (الريح المنتنة) ونتنهم ودماؤهم، فيرغبون إلى الله عزّ وجلّ فيرسل عليهم طيرًا كأعناق البُخْت (الأنثى من الجمال) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله عزّ وجلّ.

إذًا ينتشر يأجوج ومأجوج في الأرض، وينحاز منهم المسلمون، حتَّى يصير بقيّة المسلمين في مدائنهم وحصونهم، ويضمّون إليهم مواشيهم، حتَّى إنّ يأجوج ومأجوج ليمرّون ببحيرة طبريا فيشربونها حتَّى

لا يتركون فيها شيئًا، فيمرّ آخرهم على أثرهم فيقول قائلهم: «لقد كان بهذا المكان مرّة ماء»، ويظهرون على الأرض، فبينما هم كذلك، إذ بعث الله دوابّ كنغف الجراد، فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد، يركب بعضهم بعضًا، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسًّا، فيقولون: «من رجل يشري نفسه وينظر ما فعلوا؟»، فينزل منهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى، فيناديهم: ألا أبشروا فقد هلك عدوّكم، فيخرج النّاس ويخلون سبيل مواشيهم، فلا يكون لهم رعي إلّا لحومهم. ثمّ يرسل الله عليهم طيورًا فتحملهم وترميهم حيث شاء الله، ثمّ يرسل الله مطرًا فيزيل آثارهم. ثمّ يقال للأرض: «أنبتي ثمرتك وردّي بركتك»، فيومئذ تأكل العصابة من الرمّانة فتشبعهم، ويستظِلُّون بقحْفِها، ويبارك الله حتَّى إنّ اللّقحة (الحلوب الغزيرة اللّبن) من الإبل تكفي الفئام (الجماعة) من النّاس، واللّقحة من البقر تكفي القبيلة، واللّقحة من الغنم تكفي الفخْذ (أي جماعة من الأقارب). فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحًا طيّبة فتأخذ تحت آباطهم فتقبض روح كلّ مسلم، ويبقى سائر النّاس يتهارجون (يتناكحون ويتسافدون) كما يتهارج الحُمُر، فعليهم تقوم السّاعة.



أصحابَ الحِجَا تعلَّمُوا النَّجاة

خاتمةٌ
بيانُ النّاجِي في القبرِ وفي الآخرةِ

أوصيكم بالتّحلّي بالصّفات الحسنة المحمودة، فالنّاس هالكون إلّا الّذين آمنوا بالله ورسوله، وأدّوا الفرائض، واجتنبوا المحرمات، وتعاونوا على البرّ، وتواصوا بالحقّ أي تعاونوا بالحقّ، وتعاونوا على الصّبر، والصّبر هو أنواع ثلاثة: الصّبر على المشقّات والشّدائد كقلّة المال وكثرة الأمراض، والصّبر على مشقّة الطّاعات، لأنّ الطّاعات تصادف أحيانًا وقت البرد، فمن صبر في ذلك وأدّى الفرض كما أمر الله فهو من الصّابرين، وكذلك من صبر على الظّمأ والجوع في رمضان فحافظ على الصّيام، والثّالث الصّبر عمّا حرّم الله أي كفّ النّفس عمّا حرّم الله، فمن جمع هذه المذكورات فهو النّاجي في القبر وفي الآخرة، لا يخاف إذا خاف النّاس ولا يحزن إذا حزن النّاس.

فاجتهدوا أن تكونوا بهذه الصّفة واثبتوا على ما أنتم عليه من دعوة النّاس إلى عقيدة أهل الحقّ الصّحابة ومن تبعهم جيلًا بعد جيل إلى هذا الوقت، وكافحوا الشّاذّين عن هذا السّبيل من وهّابيّة وجماعة سيّد قطب وجماعة حزب التّحرير، والصّوفيّة المنحرفة عن منهج التّصوف الحقيقيّ، فمن تمسّك منكم بهذا فهو شهيد أي له أجر شهيد، وإن مات على فراشه، وذلك لكثرة الفساد في هذا الزّمن في الأُمّة، كما ترون وتشاهدون، هؤلاء حزب سيّد قطب لا يتعلّمون الفقه بل يفتون بآرائهم، وأفسدوا صلوات النّاس بتحريفهم الاتّجاه الصّحيح إلى

الاتّجاه الفاسد بالنّسبة لاتجاه القبلة في بعض البلاد لكونهم شاذّين.

دعاء

في كفّارة المجلس يقال: «**سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدِكَ أشهدُ أن لا إلٰهَ إلّا أنتَ أستغفِرُكَ وأتُوبُ إليكَ**»، ويُقالُ: «**سبحَانَ اللهِ وبحمدِهِ، سبحَانَكَ اللَّهُمَّ وبحمْدِكَ أشهدُ أن لَا إلٰهَ إلّا أنتَ أستغفِرُكَ وأتوبُ إليكَ**».

أسماءُ اللهِ الحُسنَى

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن رسولِ الله ﷺ أنّه قال: «**إِنَّ للهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّة**». وقد فسّر بعضُ أهلِ العِلمِ أنّ المراد أن يكون مُستظهِرًا لها مع اعتقادِ معانيها، وروى التّرمذيّ في سننه عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ ٱسْمًا مائةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ هُوَ الله الّذي لا إلٰه إلّا هو الرَّحمٰنُ، الرَّحيمُ، المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلامُ، المُؤْمِنُ، المُهَيْمِنُ، العَزيزُ، الجَبَّارُ، المُتَكَبِّرُ، الخَالِقُ، البَارئُ، المُصَوِّرُ، الغَفَّارُ، القَهَّارُ، الوَهَّابُ، الرَزَّاقُ، الفَتَّاحُ، العَليمُ، القابِضُ، البَاسِطُ، الخَافِضُ، الرَّافِعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّميعُ، البَصيرُ، الحَكمُ، العَدْلُ، اللَّطيفُ، الخَبِيرُ، الحَلِيمُ، العَظيمُ، الغَفورُ، الشَّكورُ، العَليُّ، الكَبيرُ، الحَفِيظُ، المُقيتُ، الحَسِيبُ، الجَليلُ، الكَريمُ، الرَّقيبُ، المُجيبُ، الوَاسعُ، الحَكيمُ، الوَدودُ، المَجيدُ، البَاعِثُ، الشَّهيدُ، الحَقُّ، الوَكيلُ، القَويُّ، المَتينُ، الوَليُّ، الحَميدُ، المُحْصي، المُبدِئُ، المُعِيدُ، المُحْيي، المُمِيتُ، الحَيُّ، القيُّومُ، الوَاجِدُ، المَاجِدُ، الوَاحِدُ، الصَّمَدُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، المُقَدِّمُ، المُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهرُ، البَاطِنُ، الوَالي، المُتَعالي، البَرُّ، التَّوَّابُ، المُنْتَقِمُ، العَفُوُّ، الرّؤوفُ، مَالِكُ المُلْكِ، ذو الجَلالِ والإكْرام، المُقْسِطُ، الجَامعُ، الغَنيُّ، المُغْني، المَانعُ، الضَّارُّ، النَّافعُ، النُّورُ، الهَادي، البَديعُ، البَاقي، الوَارِثُ، الرَّشيدُ، الصّبورُ**».

الفهرس

- مقدمة الكتاب ٣
- أتعرفون من هو شيخي ٥
- مقدمة القول الجلي ١٠

الدّرس الأول ١٢

- ذكر قصّة سيّدنا الشّافعيّ رضيَ اللهُ عنهُ لمّا أفتى وعمره نحو خمس عشرة سنة ١٣
- إخلاصُ العمل لله ١٦
- دعاء ١٧

الدّرس الثاني ١٨

- حرص عبد الله بن عبّاس على العلم ٢٠
- الثّبات على طلب العلم ٢٢
- دعاء ٢٤

الدّرس الثّالث ٢٥

- أبي مسلم الخولاني رضيَ اللهُ عنهُ ٢٨
- التّعليم والصّبر على مشقته ٢٩
- دعاء ٣٠

الدّرس الرابع ٣١

- الوليّ عبد الرّحمن بن أبي نعم رضيَ اللهُ عنهُ ٣٩
- الحث على التزام الطاعة ٤٠
- دعاء ٤١

الدّرس الخامس ٤٢

- عمر بن عبد العزيز مع غيلان القدري ٤٧
- فيما يراعى عند تعليم النّاس ٥٠
- دعاء ٥١

الدّرس السادس ٥٢

- الهجرة ٥٥
- الحث على إحياء علم الدّين ٥٨
- دعاء ٥٩

الدّرس السابع ٦٠

- العلاء بن الحضرمي رضيَ اللهُ عنهُ ٦٥
- بيان شيء من أحوال الأتقياء ٦٦
- دعاء ٦٧

الدّرس الثامن ٦٨
- سيّدنا إبراهيم عليه السّلام ٧٤
- الحث على ذكر هاذم اللذات ٧٧
- دعاء ٧٩
الدّرس التاسع ٨٠
- قصّة المؤمن التّقي والكافر الشّقي ٨٢
- ترك الغضب والتّحلّي بالحلم ٨٥
- دعاء ٨٦
الدّرس العاشر ٨٧
- قصة ثلاثة من الزّهاد ٩٠
- الأعمال بالخواتيم ٩١
- دعاء ٩٢
الدّرس الحادي عشر ٩٣
- خبيب رضي الله عنه ٩٦
- التحذير من التقصير في خدمة دين الإسلام ٩٨
- دعاء ٩٩
الدّرس الثّاني عشر ١٠٠
- سيّدنا نوح عليه السلام ١٠٤
- تعريف الخاطر ١٠٥
- دعاء ١٠٧
الدّرس الثّالث عشر ١٠٨
- دينار العيار ١١٢
- التحذير من مغريات الدّنيا ١١٣
- دعاء ١١٥
الدّرس الرابع عشر ١١٦
- ولد هارون الرشيد رحمهما الله ١٢٦
- الاعتناء بتربية الأبناء ١٢٨
- دعاء ١٢٩
الدّرس الخامس عشر ١٣٠
- وليّ متعلّق القلب بالصّلاة ١٣٣
- الصّلاة ١٣٤
- دعاء ١٣٦
الدّرس السادس عشر ١٣٧
- رجلٍ ما كان يستنزه من البول ١٣٩
- الوضوء ١٤٠

- دعاء ١٤١
الدّرس السابع عشر ١٤٢
- أصحاب الكهف ١٤٤
- تقسيم العاقل أوقات يومه ١٤٨
- دعاء ١٤٩
الدّرس الثامن عشر ١٥٠
- ذو القرنين رضيَ اللهُ عنهُ ١٥٤
- تحذير المعلّم من الخوض فيما لا يعلمه صوابًا ١٥٧
- دعاء ١٥٩
الدّرس التاسع عشر ١٦٠
- سيّدنا عمر بن الخطّاب تابَ وأنابَ ١٦٣
- أهميّة تحلّي المُعلِّم بالحِلم ١٦٥
- دعاء ١٦٦
الدّرس العشرون ١٦٧
- جريج العابد ١٧٢
- إخلاص العمل وإتقانه ١٧٢
- دعاء ١٧٤
الدّرس الحادي العشرون ١٧٥
- كيفية الدراسة والتحضير ١٨٢
- لخير الكائنات معجزات باهرات ١٨٣
- دعاء ١٨٥
الدّرس الثّاني والعشرون ١٨٦
- صلاة الجماعة ١٩٠
- دعاء مستجاب ١٩٢
- دعاء ١٩٤
الدّرس الثّالث والعشرون ١٩٥
- طول عمر الخضر عليه السّلام ١٩٨
- إيثار الآخرة على الدّنيا ١٩٩
- دعاء ٢٠٠
الدّرس الرابع والعشرون ٢٠١
- وفاة سيّدنا محمّد ﷺ ٢٠٣
- الحث على التقى ٢٠٥
- دعاء ٢٠٧
الدّرس الخامس والعشرون ٢٠٨
- ثابت البناني رضيَ اللهُ عنهُ ٢١٢

- بيان حرمة المسلم ٢١٢
- دعاء ٢١٣
الدّرس السادس والعشرون (كتابُ الزكاة) ٢١٤
- المتكبر المفتون قارون ٢١٧
- الزكاة ٢١٩
- دعاء ٢٢١
الدّرس السابع والعشرون ٢٢٢
- أصحاب الجنّة «أي البستان» ٢٢٨
- الحث على عمل الخير ٢٣١
- دعاء ٢٣٢
الدّرس الثامن والعشرون ٢٣٣
- والي سجستان طلحة الطلحات ٢٣٦
- بذلُ المالِ بالمعروف ٢٣٦
- دعاء ٢٣٧
الدّرس التاسع والعشرون (كتاب الصيام) ٢٣٨
- نبي الله يحيى عليه السلام ٢٤٣
- إحياء ليلة القدر ٢٤٤
- دعاء ٢٤٦
الدّرس الثلاثون ٢٤٧
- قصّة أصحاب السّبت ٢٥٠
- شيء من حال الأنبياء والأولياء ٢٥٢
- دعاء ٢٥٣
الدّرس الحادي والثلاثون (كتابُ الحجّ) ٢٥٤
- ابن المبارك رحمه الله ٢٥٦
- حُسن الخلق ٢٥٧
- دعاء ٢٥٩
الدّرس الثّاني والثلاثون ٢٦٠
- الذبيح إسماعيل عليه السّلام ٢٦٥
- مواسم الحج ٢٦٧
- دعاء ٢٦٩
الدّرس الثالث والثلاثون (كتاب المعاملات) ٢٧٠
- الشرطي والصّيّاد ٢٧٥
- حفظ اللسان وتقليل الكلام ٢٧٧
- دعاء ٢٧٨
الدّرس الرابع والثلاثون ٢٧٩

- الرّجل المرابي ٢٨٣
- العمل للآخرة ٢٨٤
- دعاء ٢٨٥
الدّرس الخامس والثلاثون ٢٨٦
- رضي الله عنه وأرضاه سيّدنا عثمان ٢٨٧
- ترك التّنعّم اقتداء بالأنبياء والأولياء ٢٨٨
- دعاء ٢٨٩
الدّرس السادس والثلاثون ٢٩٠
- حرص عمر بن الخطاب على رعيته ٢٩٢
- تحذير من الدّنيا الفانية ٢٩٣
- دعاء ٢٩٥
الدّرس السابع والثلاثون ٢٩٦
- بعض من رأى الخضر من أمة محمّد ﷺ ٢٩٧
- أهمّيّة التّزاور ٢٩٩
- دعاء ٣٠٠
الدّرس الثامن والثلاثون (الْواجِباتُ الْقَلْبِيّةُ) ٣٠١
- صديق إبليس لعنهما الله ٣٠٥
- التّمسك بالصّبر ٣٠٦
- دعاء ٣٠٧
الدّرس التاسع والثلاثون (معاصِي الْقَلْبِ) ٣٠٨
- سيّدنا يوسف مع إخوته ٣١٠
- نبذ الحسد والبغضاء ٣١٣
- دعاء ٣١٤
الدّرس الأربعون ٣١٥
- قصّة آدم عليه السّلام ٣١٦
- الحياء والخجل ٣١٨
- دعاء ٣١٩
الدّرس الحادي والأربعون (معاصِي الْجوارِحِ السّبْعةِ) ٣٢٠
- حُكْمُ الميْتةِ واللّحْمِ المشكوك فيه ٣٢١
- الرضى بقضاء الله تعالى ٣٢٣
- دعاء ٣٢٤
الدّرس الثّاني والأربعون ٣٢٥
- ما للّعب خلقنا ٣٢٦
- التجسس وتتبع عورات المسلمين ٣٢٧
- دعاء ٣٢٨

الدّرس الثّالث والأربعون ٣٢٩
- زين العابدين عليّ بن الإمام الحسين ٣٣٢
- الغيبة المحرمة ٣٣٣
- دعاء ٣٣٤

الدّرس الرابع والأربعون ٣٣٥
- دعوة المظلوم ٣٣٩
- طاعة الله تعالى ورسوله عليه الصّلاة والسّلام ٣٤٠
- دعاء ٣٤١

الدّرس الخامس والأربعون ٣٤٢
- حُسن التصرف ٣٤٤
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٤٥
- دعاء ٣٤٦

الدّرس السادس والأربعون ٣٤٧
- سيّدنا سليمان عليه السّلام وبلقيس ٣٤٨
- الخوف من الله ٣٥٠
- دعاء ٣٥١

الدّرس السابع والأربعون ٣٥٢
- امرأة عاصية ٣٥٤
- حفظ العهد ٣٥٥
- دعاء ٣٥٦

الدّرس الثامن والأربعون ٣٥٧
- شؤم المعصية ٣٥٨
- النهي عن الظلم ٣٥٩
- دعاء ٣٦٠

الدّرس التاسع والأربعون ٣٦١
- قصّة ناقة نبيّ الله صالح ٣٦٣
- اجتناب المحرمات ٣٦٤
- دعاء ٣٦٥

الدّرس الخمسون ٣٦٦
- المسيح عليه السلام ٣٦٩
- برّ الوالدين ٣٧١
- دعاء ٣٧٢

الدّرس الحادي والخمسون ٣٧٣
- الإمام أحمد الرّفاعي رضيَ اللهُ عنهُ ٣٧٨
- صلة الرحم ٣٨١

- من الأرحام ٣٨٢
- دعاء ٣٨٤
الدّرس الثّاني والخمسون ٣٨٥
- معجزة لسيّدنا يوشع عليه السّلام ٣٨٨
- خدمة المسلمين ٣٩٠
- دعاء ٣٩١
الدّرس الثّالث والخمسون ٣٩٢
- بيان واضح في حكم خروج المرأة متعطرة من بيت زوجها بغير إذنه ٣٩٨
- قصّة عُزَيْر رضيَ اللهُ عنهُ ٤٠٠
- بذل النّصيحة ٤٠٤
- دعاء ٤٠٥
الدّرس الرابع والخمسون ٤٠٦
- زوج العيناء المرضيّة ٤٠٧
- الذنوب ظلمة القلوب ٤٠٩
- دعاء ٤١١
الدّرس الخامس والخمسون (التوبة) ٤١٢
- مالك بن دينار رحمه الله ٤١٣
- تجنب المعاصي ٤١٥
- دعاء ٤١٦
أشراط السّاعة وأماراتها ٤١٧
- خاتمة فائدة في بيان الناجي في القبر وفي الآخرة ٤٢٦
- دعاء ٤٢٧
- أسماء الله الحُسنى ٤٢٨
الفهرس ٤٢٩